

تكملة منظومة العرب

في حضور العرب في الزاهرة

تأليف

أحمد بن صفوت

لجنة الأول

لجنة البحث

مكة صدر الإصدار

دار النشر للنشر والتوزيع

بازار مكة الجاز، مكة المكرمة

لجوه خزانة العرب

في عصور العرب الزاهرة

الجزء الأول

العصر الجاهلي
عصر صدر الإسلام

تأليف

أحمد زكي صفوت

وكيل كلية دار العلوم جامعة القاهرة سابقا

المكتبة العلمية

ببورت-لبنان

تصدير

الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدك اللهم على ما أوليتني من نعمك السابغة ، وآلائك الضافية ، وأصلي وأسلم على رسولك المجتبي ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وبعد : فلا مراء أن خطب العرب في عصور ازدهار اللغة مرآة يتجلى فيها ما حباهم الله من ذلاقة اللسان ، وعضوبة البيان ، ومعرض يتمثل فيه نتاج قرائحهم ، وثمرات ألبابهم ، في كثير من مناحي القول ، وإنها لتعدّ - بعد القرآن الكريم والحديث الشريف - مثالا ساميا للبلاغة العربية ، ونموذجا قويا يحتذيه المتأدب في تقويم قلمه المعوج ، وشحذ لسانه الكليل ، وهي فوق ذلك معين فيأض يستقى منه مؤرخ الأدب العربي ما يعين له من آراء ، ومادة غزيرة يستنبط منها ما يقفه عليه البحث من فكر .

وقد نظرت فوجدت تلك الخطاب مبعثرة منشورة في كتب الأدب والتاريخ ، لا يؤلف بينها نظام ، ولا يضم أشتاتها كتاب ، فإذا ما شئت أن تتعرف صورة الخطابة في عصر

من العصور ، أو ترجم لخطيب من خطباء العربية ، ألفيت الطريق أمامك وعرة شائكة ، وأنفقت وقتاً مديداً في التنقيب عن خطبه في بطون الأسفار ، بله ما يعترضك من مشاق في تحرير ألفاظها ، وتحقيق عباراتها ، لما نالها من عبث النساخ والطباع ، من التصحيف والتحريف الذي ينبهم معه معناها ، ويستغلق به تفهمها .

كل أولئك حدّا بي أن أعبد السبيل لشدة الأدب العربي إلى ذلك التراث النفيس ، الذي يتوقون إلى الارتواء من مناهله العذبة ، فلا يكادون يُسيفونها ، وَيَصْبُون إلى اجتناء ثماره الشهية ، فتحول دونها الأشواك ، وفيهم من درس اللغات الإفرنجية ، وتزود من أفكار الغربيين وآرائهم بقسط وفير ، ولكنه تُعوزه جزالة اللفظ ، ورصانة الأسلوب .

استخرت الله ، فجمعت كل ما أثير عن العرب في عصور العربية الزاهرة ، من خطب ووصايا من مظانها - على قدر ما هداني إليه اطلاعي - وضممت إليها ما دار في مجالس الملوك والخلفاء والرؤساء ، من حوار ومجاوبة ، أو جدال ومناظرة ، مما يدخل في باب الخطب ، وينتظم في سلكها ، وأودعتها ذلك السفر كي يكون لها ديوانا جامعاً ، ومرجعاً عاماً ، يسهل مراجعتها فيه ، وسميته : جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة .

وبوّبته أربعة أبواب في ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول : ويحوى الباب الأول في خطب الجاهلية ، والباب الثاني في خطب صدر الإسلام .

الجزء الثاني : ويحوى الباب الثالث : في خطب العصر الأموي .

الجزء الثالث : ويحوى الباب الرابع : في خطب العصر العباسي الأول ، وذيل الجمهرة ، في خطب متفرقة .

وإذ كان الشريف الرضى رحمه الله قد أفرد خطب الإمام على كرم الله وجهه بمؤلف خاص ، وهو : « نهج البلاغة » والإمام أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور ، قد جمع في مؤلفه : « بلاغات النساء » طائفة قيّمة من كلام بليغات النساء ، وطرائف أقوالهن . رأيت أن نقل ما ورد في هذين السفرين الجليلين بحذافيره ، ليس على الحقيقة إلا ضمهما إلى كتابي ، وتضخيمه بهما ، ولذلك اجتزأت بإيراد جملة صالحة مما جاء فيهما ، مما استدعاه المقام .

ولم أقصر على إيراد الخطبة بإحدى الروايات الواردة فيها ، بل عنيت بالتوفيق بين الروايات المختلفة ، وإتمام بعضها من بعض ، لما في ذلك من زيادة الفائدة للقارى ، فإذا ما رأيت الخطبة مروية بصورتين يتبين فيهما الاختلاف ، أوردت الصورتين جميعاً .

وقد ضبطت ألفاظها ضبطاً وافياً ، وعقبت كل خطبة بذكر مصادرها التي نقلتها عنها ، كما ذيلتها بشرح يفسر غريب ألفاظها ، ويحلّ مستغلق كلماتها ، وأوردت فيه كل ما تمس إليه الحاجة في فهمها ، من نَبذ تاريخية توضح المقامات التي أقيت فيها ، إلى ما هنالك .

ولست أستطيع أن أصور للقارى مقدار ما عانيت من المتاعب في ردّ كثير من الألفاظ إلى أصولها الصحيحة ، بعد تقليبها على كل وجه ممكن ، حتى تخلص من شوائب التشويه الشائن ، الفاشى في كتب الأدب والتاريخ .

وإني أقدم كتابي هذا إلى أبناء العربية الشريفة ، وفاء بما لها في عنقي من حق واجب ، وصنيعة مشكورة ، واثقة أسأل أن يجعله خالصاً لوجه الكريم ، وأن ينفع به النفع المرجو منه ، وأن يمدنى بروح منه ؛ ويظلنى بظلال الصحة

والعافية ، حتى أصدر ما اعتزمت إصداره بعد تمام هذا الكتاب إن شاء الله ،
وهو كتاب : « جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة »

كى تكمل حلقة النشر العربى فى تلك العصور ، إنه المستعان ، عليه توكلت
وإليه أنيب ما

أحمد زكى صفوت

حرر بالقاهرة فى { ربيع الآخر سنة ١٣٥٢ هـ
يوليو سنة ١٩٣٣ م



فهرس

مآخذ الخطب في هذا الجزء

- الأمالى لأبي علي القالى ✓
الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ✓
الجزء الأول - الثاني - ذيل الأمالى :
الرابع - السابع - الثامن - الحادى :
عشر - الرابع عشر - الخامس عشر :
الجزء الأول - الثاني :
صبح الأعشى لأبي العباس القلقشندى ✓
نهاية الأرب لشهاب الدين النويرى ✓
عيون الأخبار لابن قتيبة الدينورى ✓
المجلد الثانى :
الكامل لأبي العباس المبرد ✓
العقد الفريد لابن عبد ربه ✓
الجزء الأول - الثانى :
الثالث - الخامس - السابع :
زهر الآداب لأبي إسحق الحضرى ✓
البيان والتبيين للجاحظ ✓
» :
نهج البلاغة للشريف الرضى ✓
» :
شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ✓
المجلد الأول - الثانى - الثالث - الرابع :
الجزء الأول - الثانى :
أمالى السيد المرتضى ✓
» :
مجمع الأمثال لأبي الفضل الميدانى ✓
» :
جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ✓
» :
خزانة الأدب لعبد القادر البغدادى ✓

تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر : الجزء الثاني - الثالث - الرابع - الخامس -

ابن جرير الطبري : السادس

تاريخ الكامل لابن الأثير : الجزء الأول - الثاني - الثالث

مروج الذهب للمسعودي : » » - الثاني

الإمامة والسياسة لابن قتيبة : » »

المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء : » »

معجم البلدان لياقوت الحموي : » الثامن

سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن هشام : » الأول - الثاني

السيرة الحلبية لابن برهان الدين الحلبي : » »

إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني :

بلاغات النساء لابن أبي طاهر طيفور :

شرح العيون ، شرح رسالة ابن زيدون :

لابن نباتة المصري :

أنباء نجباء الأبناء لابن ظفر المكي :

الحاسن والأضداد للجاحظ :

الشعر والشعراء لابن قتيبة :

شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون :

بلوغ الأرب للسيد محمود شكرى : الجزء الأول - الثالث

: الألوسى

: مفتاح الأفكار للشيخ أحمد مفتاح

الباب الأول

الخطبة الوصائية

في

العصر الجاهلي

الخطبة

إصلاح مرثد الخير

بين سبيع بن الحارث ، وبين ميثم بن مثنوب

كان مرثد الخير بن ينكف قتيلا ، وكان حدبًا على عشيرته ، مجبًا لصلاحهم ، وكان سبيع بن الحرث^(١) وميثم بن مثنوب بن ذي رعين تنازعا الشرف ، حتى تشاحنا ، وخيف أن يقع بين حبيهما شر ، فیتفاني جذماهما^(٢) ، فبعث إليهما مرثد ، فأحضرهما ليصلح بينهما ، فقال لهما :

(١) أخو علس ، وعلس هو ذو جدن .

(٢) الجذم : الأصل وكذا الجذر .

١ - مقال مرثد الخير

إِنَّ التَّخْبِطَ^(١) وَامْتِطَاءَ الْهَجَاجِ^(٢) ، وَأَسْتِحْقَابَ^(٣) اللَّجَاجِ ، سَيَقْفُكُمَا
 عَلَى شَفَا هُوَّةٍ ، فِي تَوَرُّدِهَا^(٤) بَوَارِ الْأَصِيلَةِ^(٥) ، وَانْقِطَاعِ الْوَسِيلَةِ ، فَتَلَاوِيَا أَمْرًا كَمَا
 قَبْلَ أَنْتِكَاثِ^(٦) الْعَهْدِ ، وَانْحِلَالِ الْعَقْدِ ، وَتَشْتِ الْأُلْفَةِ ، وَتَبَايُنِ الشُّهْمَةِ^(٧) ،
 وَأَنْتُمَا فِي فُسْحَةِ رَافِهِةٍ^(٨) ، وَقَدَمِ وَاطِدَةٍ^(٩) ، وَالْمَوَدَّةِ مُثْرِيَةٍ^(١٠) ، وَالْبُقْيَا
 مُعْرِضَةٍ^(١١) ، فَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنْبَاءَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْعَرَبِ : يَمْنُ عَصَى
 النَّصِيحِ ، وَخَالَفَ الرَّشِيدَ ، وَأَضْغَى إِلَى التَّقَاطُعِ ، وَرَأَيْتُمْ مَا آَلَتْ إِلَيْهِ عَوَاقِبُ
 سُوءِ سَعْيِهِمْ ، وَكَيْفَ كَانَ صَيُورُ^(١٢) أُمُورِهِمْ ، فَتَلَاوُوا الْقُرْحَةَ^(١٣) قَبْلَ
 تَفَاقُمِ الثَّمَايِ^(١٤) ، وَاسْتِفْحَالَ^(١٥) الدَّاءِ ، وَإِعْوَازِ الدَّوَاءِ ، فَإِنَّهُ إِذَا سَفِيكَتِ
 الدَّمَاءُ ، أَسْتَحْكَمَتِ الشَّحْنَاءُ ، وَإِذَا اسْتَحْكَمَتِ الشَّحْنَاءُ ، تَقَضَّبَتِ^(١٦) عُرَى
 الْإِبْقَاءِ ، وَشَمِلَ^(١٧) الْبَلَاءُ .

(١) التخبط : ركوب الرجل رأسه في الشر خاصة ، أو السير على غير هدى . (٢) ركب فلان هجاج
 (غير مصروف) ، ووهج مبنيا على الكسر : أى ركب رأسه . (٣) الاستحقاب : استعمال من
 الحقيبة أو من الحقاب ، فأما الحقيبة ، فإجعل الرجل فيه متاعه من خرج أو غيره ، والحقاب : بریم تشد
 به المرأة وسطها (والبریم خيط فيه لوانان) ، وهذا مثل : إما أن يكون أراد أنه احتزم باللجج أو جعله
 في وعائه . (٤) التورد : الإشراف على الماء وغيره ، دخله أو لم يدخله . (٥) الأصل .
 (٦) انتقاض : (والأنكاث جمع نكث ، وهو مانقض من الحبال ليعاد ثانية) . (٧) القرابة .
 (٨) ناعمة من الرفاهية . (٩) ثابتة . (١٠) متصلة . (١١) ممكنة قد أمكنت من عرضها ،
 أى من جنبها وناحيها ، يقال قد أعرض لك الغاي فارمه ، أى أمكنتك من عرضه . (١٢) عاقبة .
 (١٣) الجرح . (١٤) السعى والمثاى : الإفساد والجراح والقتل ونحوه . (١٥) اشتداده ، وهو
 أن يصير مثل الفحل . (١٦) تقطعت . (١٧) من باب فرح ونصر .

۲ - مقال سبيع بن الحرث

فَقَالَ سَبِيعُ :

أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنَّ عَدَاوَةَ بَنِي الْعَلَاتِ (۱) لَا تُبْرِئُهَا الْأَسَاءَةُ (۲) ، وَلَا تَشْفِيهَا
الرِّقَاةُ ، وَلَا تَسْتَقِيلُ (۳) بِهَا الْكُفَاةُ ، وَالْحَسَدُ الْكَامِنُ ، هُوَ الدَّاءُ الْبَاطِنُ ، وَقَدْ
عَلِمَ بَنُو أَبِينَا هَوْلَاءُ ، أَنَا لَهُمْ رِذْيٌ (۴) إِذَا رَهَبُوا ، وَغَيْثٌ إِذَا أَجْدَبُوا ، وَعَضُدٌ
إِذَا حَارَبُوا ، وَمَفْرَعٌ إِذَا نُكِبُوا ، وَأَنَا وَإِيَاهُمْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

إِذَا مَا عَلَوْا قَالُوا أَبُوْنَا وَأُمْنَا وَلَيْسَ لَهُمْ عَائِنٌ أُمَّ وَلَا أَبٌ

۳ - مقال ميثم بن مشوب

فَقَالَ مَيْثَمٌ :

أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنَّ مَنْ نَفَسَ عَلَى ابْنِ أَبِيهِ الزَّعَامَةَ ، وَجَدَبَهُ (۵) فِي الْمَقَامَةِ (۶) ،
وَاسْتَكْتَرَ لَهُ قَلِيلَ الْكِرَامَةِ ، كَانَ قَرِيفًا (۷) بِالْمَلَامَةِ ، وَمُوْتَبًا عَلَى تَرْكِ الْأَسْتِقَامَةِ ،
وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَعْتَدُ لَهُمْ بِيَدٍ إِلَّا وَقَدْ نَاهَهُمْ مِنَّا كِفَاؤُهَا ، وَلَا نَذْكُرُهُمْ حَسَنَةً
إِلَّا وَقَدْ تَطَلَّعَ مِنَّا إِلَيْهِمْ جَزَاؤُهَا ، وَلَا يَتَفَيَّأُ لَهُمْ عَلَيْنَا ظِلُّ نِعْمَةٍ إِلَّا وَقَدْ قُوبِلُوا
بِشَرِّهَا (۸) ، وَنَحْنُ بَنُو فَحْلِ مُقَرَّمٍ (۹) ، لَمْ تَقْعُدْ بِنَا الْأُمّهَاتُ وَلَا بِهِمْ ،
وَلَمْ تَنْزِعْنَا أَعْرَاقُ الشَّوْءِ وَلَا إِيَاهُمْ ، فَعَلَامَ مَطِّ (۱۰) الْخُدُودِ ، وَخَزَرُ الْعِيُونِ (۱۱)

(۱) العلة: الضرة ، وبنو العلات بنو أمهات شتى من رجل واحد ، (والأخفاف : من أمهم واحدة
والآباء شتى) . (۲) جمع آس ، وهو الطيب . (۳) تنهض بها وتحملها . (۴) عون .
(۵) عابه . (۶) المجلس . (۷) خليقا . (۸) مثلها . (۹) القرم : السيد ، وأقرمه :
جملة قرما . (۱۰) مد . (۱۱) الخزر أن ينظر الرجل إلى أحد عرضيه . يقال إنه ليتخازرلى :
إذا نظر إليه بمؤخر عينه ولم يستقبله بنظاره .

وَالْجَنِيْفُ^(١) وَالْتَصَعْرُ ، وَالْبَأُوْ وَالتَّكْبُرُ ؟ أَلِكثْرَةِ عَدَدٍ ، أَمْ لِفَضْلِ جَلْدٍ ، أَمْ لِعُطُولِ
مُعْتَقَدٍ^(٢) ؟ وَإِنَّا وَإِيَّاهُمْ لَكَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :
لَا هِ ابْنُ عَمِّكَ ، لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ عَنِّي ، وَلَا أَنْتَ دِيَّانِي فَتَخْزُونِي^(٣)
وَمَقَاطِيعُ الْأُمُورِ ثَلَاثَةٌ : حَرْبٌ مُبِيرَةٌ^(٤) ، أَوْ سَلْمٌ قَرِيرَةٌ ، أَوْ مُدَاجَاةٌ
وَعَفِيرَةٌ^(٥) .

٤ - مقال مرثد الخير

فَقَالَ الْمَلِكُ :

لَا تُنْشِطُوا^(٦) عَقْلَ الشَّوَارِدِ ، وَلَا تُلْقِحُوا الْعُونَ الْقَوَاعِدَ^(٧) ، وَلَا تُورَثُوا^(٨)
نِيرَانَ الْأَحْقَادِ ، فَفِيهَا الْمَتَلَفَةُ الْمُسْتَأْصِلَةُ ، وَالْجَائِحَةُ^(٩) وَالْأَلِيلَةُ^(١٠) ، وَعَفَّوْا بِالْحَلْمِ ،
أَبْلَادَ^(١١) الْكَلْمِ ، وَأَنْبِئُوا إِلَى السَّبِيلِ الْأَرْشَدِ ، وَالْمَنْهَجِ الْأَقْصَدِ ، فَإِنَّ الْحَرْبَ
تَقْبِلُ بَرْبَرِجَ^(١٢) الْغُرُورِ ، وَتُدْبِرُ بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ ، ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ :

أَلَا هَلْ أَتَى الْأَقْوَامَ بَدَلِي نَصِيحَةً حَبَّوتُ بِهَا مِنِّي سُبَيْعًا وَمِيثَمًا
وَقَلْتُ أَعْلَمَا أَنَّ التَّدَابِرَ غَادَرْتُ عَوَاقِبُهُ لَلذَّلِّ وَالْقُلُّ جُرْهُمَا
فَلَا تَقْدَحًا زَنْدَ الْعُقُوقِ وَأَبْقِيَا عَلَى الْعِزَّةِ الْقَعَسَاءِ^(١٣) أَنْ تَهْدَمَا
وَلَا تَجْنِيَا حَرْبًا تَجْرُ عَلَيْكَا عَوَاقِبُهَا يَوْمًا مِنَ الشَّرِّ أَشَمَّا

(١) التكبر ، وكذا البأو . (٢) اعتقد ضيعة ومالا : اقتناهما . (٣) لاه : أراد الله ، فحذف
اللام الحافظة اكتفاء بالتي تليها ، والديان القائم بالأمر ، وتخزوني : تسوسني . (٤) مهلكة .
(٥) مسارة وغفران . (٦) نشط العقدة : عقدها ، وأنشطها حلها ، والعقل ككتب جمع عقال ، وهو الحبل .
(٧) هو مثل ، وأصله في الإبل ، يقال : لقحت الناقة إذا حملت ، وألقحها الفحل ، ثم ضرب ذلك مثلا
للحرب إذا ابتدأت ، والعون جمع عوان ، وهي الثيب . يقال للحرب عوان إذا كان قد قوتل فيها مرة بعد مرة
(٨) تذكروا . (٩) الاستئصال . (١٠) الشكل . (١١) الأبلاد : الآثار ، جمع بلد (كالندوب
جمع ندب) . (١٢) السحاب الذي تشغره الريح والزينة . (١٣) الثابتة .

فَإِنَّ جُنَاةَ الْحَرْبِ لِلْحَيْنِ عُرْضَةٌ تَفُوقُهُمْ مِنْهَا الذُّعَافَ الْمُقَشَّمَا (۱)
حَدَارٍ ، فَلَا تَسْتَنْبِثُوهَا ، فَإِنهَا تَغَادِرُ ذَا الْأَنْفِ الْأَشْمَّ مُكَشَّمَا (۲)
فَقَالَا : لَا ، أَيُّهَا الْمَلِكُ . بَلْ نَقْبَلُ نُصْحَكَ ، وَنُطِيعُ أَمْرَكَ ، وَنُطْفِئُ النَّارَةَ (۳) ،
وَنَحُلُّ الضَّغَانُ ، وَتُثَوِّبُ إِلَى السَّلْمِ .
(الأمالي ۱ : ۹۲)

ه - طريف بن العاصي والحارث بن ذبيان يتفاخران

عند بعض مقاول حمير

أَجْتَمَعَ طَرِيفُ بْنُ الْعَاصِيِ الدَّوْسِيُّ ، وَالْحَارِثُ بْنُ ذُبْيَانَ - وَهُوَ أَحَدُ الْمُعَمَّرِينَ -
عِنْدَ بَعْضِ مَقَاوِلِ (۴) حَمِيرٍ ، فَتَفَاخَرَا . فَقَالَ الْمَلِكُ لِلْحَارِثِ : يَا حَارِثُ ! أَلَا تَخْبِرُنِي بِالسَّبَبِ
الَّذِي أَخْرَجَكُمْ عَنْ قَوْمِكُمْ حَتَّى لِحِقْمِ بَالِنَمْرِ بْنِ عُمَانَ ؟ فَقَالَ : أَخْبِرْكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ . خَرَجَ
هَجِينَانُ (۵) مِنْ بَرِّ عِيَانَ غَنَمًا لهُمَا ، فَتَشَاوَلَا (۶) بِسَيْفَيْهِمَا ، فَأَصَابَ صَاحِبُهُمْ عَقِبَ صَاحِبِنَا ،
فَعَاثَ (۷) فِيهِ السَّيْفُ ، فَزَرَفَ (۸) ، فَمَاتَ ، فَسَأَلُونَا أَخْذَ دِيَةِ صَاحِبِنَا دِيَةَ الْهَجِينِ ، وَهِيَ
نِصْفُ دِيَةِ الصَّرِيحِ (۹) ، فَأَبَى قَوْمِي ، وَكَانَ لَنَا رِبَابًا (۱۰) عَلَيْهِمْ ، فَأَبَيْنَا إِلَّا دِيَةَ الصَّرِيحِ ،
وَأَبَوْا إِلَّا دِيَةَ الْهَجِينِ ، فَكَانَ أَسْمُ هَجِينِنَا ذُهَيْنُ بْنُ زَبْرَاءَ ، وَأَسْمُ صَاحِبِهِمْ عَنَقَشُ بْنُ
مُهَيَّرَةَ ، وَهِيَ سُودَاءُ أَيْضًا (۱۱) ، فَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ بَيْنَ الْحَيْنِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْنا :

(۱) تفوقهم : تعقبهم الفواق بالضم (وهو ما بين الحلبتين) والذعاف : الدم ، أو سم ساعة (وسم ذعاف)
والمقشم : المخلوط . (۲) هو مثل : أي لا تخرجوا نبيثها ، وهو ما يخرج من البئر إذا حفرت : يريد
لا تثيروا الحرب ، ومكشما : مقطوعا . (۳) العداوة والشحناء . (۴) جمع مقول ، والمقول والقليل
هو الذي دون الملك الأعظم . (۵) الهجين : عربي ولد من أمة ، أو من أبوه خير من أمه (والمقرف :
الذي أمه عربية ، وأبوه ليس بعربي) . (۶) تضاربا . (۷) أفسد . (۸) نزع الرجل إذا
سال دمه حتى يضعف . (۹) الصريح : الخالص النسب . (۱۰) زيادة . (۱۱) كذا في الأصل ،
ولم يتقدم الحكم على شيء بالسواد ، فلعل الأصل : « ذهين بن زبراء وهي سوداء » .

حُلُومَكُمُ يَا قَوْمَ لَا تُعْزِبْنَهَا^(١) وَلَا تَقْطَعُوا أَرْحَامَكُم بِالْتِدَابِرِ
وَأَدُّوا إِلَى الْأَقْوَامِ عَقْلَ ابْنِ عَمِّهِمْ وَلَا تُرْهِقُوهُمْ سُبَّةً فِي الْعِشَائِرِ^(٢)
فَإِنَّ ابْنَ زَبْرَاءَ الَّذِي فَادَّ لَمْ يَكُنْ بِدُونِ خُلَيْفٍ أَوْ أُسَيْدِ بْنِ جَابِرٍ^(٣)
فَإِنْ لَمْ تُعَاطُوا الْحَقَّ فَالسَّيْفُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، وَالسَّيْفُ أَجُورُ جَائِرٍ
فَتَظَافَرُوا^(٤) عَلَيْنَا حَسِدًا ، فَاجْمَعِ ذُرُوءَ الْحِجْجِيِّ مِمَّا أَنْ نَلْحُقَ بِأَمْنَعِ بَطْنِ مِنَ الْأَزْدِ ،
فَلَحَقْنَا بِالنَّمْرِ بْنِ عُمَانَ ، فَوَاللَّهِ مَا فَتَّ^(٥) فِي أَعْضَادِنَا ، فَأَبْنَا عَنْهُمْ ، وَلَقَدْ أَثَارْنَا^(٦)
صَاحِبَنَا وَهُمْ رَاغِمُونَ .

فوثب طريف بن العاصي من مجلسه ، فجلس بإزاء الحرث ، ثم قال :
تالله ما سمعتُ كالسيوم قولاً أبعدَ من صواب ، ولا أقربَ من خطَلٍ^(٧) ، ولا أجلبَ
لقَدَعٍ^(٨) من قول هذا ؛ والله أيتها الملك ما قتلوا بهجيتهم بَدَجًا^(٩) ، ولا رَقُوا به دَرَجًا ،
ولا أَنْطُوا^(١٠) به عَقْلًا ، ولا أَجْتَفَتْهُوا^(١١) به خَشَلًا^(١٢) ، ولقد أخرجهم الخوف عن أصلهم ،
وأجلامهم عن محلهم ، حتى استلأنوا خشونة الإزعاج ، ولجئوا إلى أضييق الولوج^(١٣) :
قَلًا وَذُلًا .

فقال الحرث : أسمع يا طريف ، إني والله ما إخالك كافيًا غَرِبَ^(١٤) لسانك ،
ولا مُنْهِنَهَا^(١٥) شِرَّةَ نَزَوَانِكَ ، حتى أسطو بك سَطْوَةً تَكْفُ طِمَاحَكَ ، وتردَّ

(١) لا تبعدها - وأعزب : بعد وأبعد . (٢) العقل : الدية ، يقال : عقلت فلانا إذا غرمت
ديته ، وعقلت عن فلان إذا غرمت عنه دية جنائته . وأرهقته عمرا : كلفته ذلك . (٣) فاد يفود :
مات (وفاد يفيد : تبختر) . (٤) تظافروا . (٥) أوهن وأضعف . (٦) أثارت : أدركت منه ثأري
(وأصله اثأر) . (٧) خطأ . (٨) الكلام القبيح ، أقذع له إذا أسمع كلاما قبيحا .
(٩) البذج : الحروف ، فارسي معرب . (١٠) لغة في أعطوا . (١١) صرعوا .
(١٢) الخشل : شجر المقل (الدوم) وهذه أمثال كلها ، يريد أنهم لم ينالوا ثأره . (١٣) الولوج الباب ،
وجمع الولوج ، وهي أيضا النواحي والأزقة . (١٤) غرب الشيء : حده . (١٥) نهته عن الأمر فنهته :
كفه وزجره فكف ، والشرة : الخدة ، والنزوان : الوثوب .

جَاحِك ، وَتَكْبِتِ تَتْرُكُكَ^(١) ، وَتَقْمَعُ تَسْرُعُكَ .

فقال طريف : مهلا يا حارث ، لا تَعْرِضْ لِطُحْمَةِ^(٢) اسْتِنَانِي ، وَذَرَبِ^(٣) سِنَانِي ،
وَغَرَبِ شِبَابِي ، وَمِيسِمِ^(٤) سِبَابِي ، فَتَكُونَ كَالْأَظْلِ^(٥) الْمَوْطُوءِ ، وَالْعَجَبِ الْمَوْجُوءِ^(٦) .

فقال الحرث : إياي تخاطب بمثل هذا القول ؟ فوالله لو وطئتكَ لَأَسَخْتُكَ^(٧) ،
وَلَوْ وَهَصْتُكَ^(٨) لَأَوْهَطْتُكَ^(٩) ، وَلَوْ نَفَحْتُكَ^(١٠) لَأَفَدْتُكَ .

فقال طريف متمثلاً :

وَإِنَّ كَلَامَ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ لَسَكَالْتَبِيلِ تَهْوِي لَيْسَ فِيهَا نِصَاهاً
أَمَّا وَالْأَصْنَامِ الْمَحْجُوبَةِ ، وَالْأَنْصَابِ^(١١) الْمَنْصُوبَةِ ، إِنَّ لَمْ تَرَبَّعْ عَلَى ظَلْعِكَ^(١٢) ،
وَتَقِفْ عِنْدَ قَدْرِكَ ، لَأَدَعَنَّ حَزَنَكَ سَهْلاً ، وَغَمْرَكَ ضَحْلاً^(١٣) ، وَصَفَاكَ^(١٤) وَحْلاً .

فقال الحرث : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ رُمْتَ ذَلِكَ لَمُرُّغْتَ بِالْحَضِيضِ^(١٥) ، وَأُغْصِصْتَ
بِالْجَرِيضِ^(١٦) ، وَضَاقَتْ عَلَيْكَ الرَّحَابُ ، وَتَقَطَّعَتْ بِكَ الْأَسْبَابُ ، وَلا لَفَيْتَ آتِي^(١٧)

- (١) التمرع إلى الشر . (٢) طحمة السيل دفعته ، واستن الفرس قص وعدا لمرحه ونشاطه شوطا أو شوطين ، والاستنان : النشاط ، استن الفرس : جرى في نشاطه على سذنه في جهة واحدة .
(٣) الذرب : الخدة ، وكذا الغرب . (٤) المكواة . (٥) الأظل : أسفل خف البعير .
(٦) العجب : أصل الذنب والموجوء : المدقوق (من وجأ التيس : دق عروق خصييه بين حجرين ولم يخرجهما شيئا بالخصاء) . (٧) أساخه : جعله يسوخ (أو يسوخ في الأرض) أي يغوص . (٨) كمرتك .
(٩) صرعتك صرعة لا تقوم منها . (١٠) نفحه بسيفه : تناوله . (١١) الأنصاب : حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهل عليها ويذبح لغير الله تعالى ، وقيل الأنصاب حجارة نصبت وعبدت من دون الله جمع نصب ، وقيل النصب جمع نصاب . (١٢) ربع يربع : كف ، وظلع ظلعا غمز في مشيه ، وارباع على ظلمك أي إنك ضئيف فانتة عما لا تطيقه وكف . (١٣) الغمر : الماء الكثير ، والضحل : الماء القليل (وكذا الضحضاح) . (١٤) الصفا : جمع صفاة وهي الحجر الصلد الضخم أو الصفا بمعنى الصفو .
(١٥) أسفل الجبل . (١٦) الجريض . النصة من الجرض ، وهو الريق يغص به يقال جرض بريقه يجرض ابتلهه بالجهد على هم وحزن ، وفي المثل : حال الجريض دون القريض ، يضرب للأمر يقدر عليه أخيرا حين لا ينفع . قاله جوشن الكلابي حين منعه أبوه من الشعر فرض حزنا حتى أشرف على الهلاك ، فرق له وقال انطق بما أحببت ، فقال ذلك . (١٧) التي : الملقى المطروح .

تَهَادَاهِ الرُّوَامِسَ^(١) . بِالسَّهْبِ الطَّامِسِ^(٢) .

فقال طريف : دون ما ناجتك به نفسك مُقَارَعَةٌ أَبطال ، وَحِيَاضٌ أَهْوَال ،

وَحَفْزَةٌ^(٣) إِعْجَال ، يُمْنَعُ مَعَهُ تَطَامُنُ الْإِيمَال .

فقال الملك : إِيهًا^(٤) عَنكَمَا ! فَمَا رَأَيْتَ كَأَيُّومٍ مَقَالَ رَجُلَيْنِ لَمْ يَقْصِبَا^(٥) ، وَلَمْ

يَثْلِبَا^(٦) ، وَلَمْ يَلْصُوَا^(٧) ، وَلَمْ يَقْفُوا^(٨) . (الأمالي ١ : ٧٣)

(١) الروامس : الرياح التي ترمس أي تدفن . (٢) المستوي من الأرض ، والطامس : الدارس (كالطاسم) (٣) الحفز : الدفع . (٤) إِيهًا : كلمة زجر بمعنى حسبك (وإيه : أمر . كلمة استزادة واستنطاق) . (٥) لم يشتما . قصبه يقصبه إذا وقع فيه وأصله القطع . (٦) ثلَبه : عابه . (٧) لصاه : قذفه . (٨) قفاه : قذفه بأمر عظيم .

وفود العرب

يعزون سلامة ذا فائش بابن له مات

نشأ لسلامة ذى فائش ابنٌ كما كمل أبناء المَقاول ، وكان مسروراً به يرشحه لموضعه ،
فركب ذات يوم فرساً صعباً ، فكبا به فوقه^(١) ، فجزع عليه أبوه جزعا شديداً ، وامتنع
من الطعام ، واحتجب عن الناس ، واجتمعت وفود العرب ببابه ليعزوه ، فلامه نصحاؤه
في إفراط جزعه ، فخرج إلى الناس فقام خطبائهم يؤسونه^(٢) ، وكان في القوم الملبب
ابن عوف ، وجعادة بن أفلح ، فقام الملبب فقال :

٦ - خطبة الملبب بن عوف

أيها الملك ، إن الدنيا تجود لتسأب ، وتعطي لتأخذ ، وتجمع لِدُشنت ، وتُحلى لِتُمرِّ ،
وتزرع الأحران في القلوب ، بما تفجأ به من استرداد الموهوب ، وكل مصيبة تخطأتك
جَلل^(٣) ، ما لم تُدِنِ الأجل ، وتقض الأمل ، وإن حادثنا ألم بك ، فاستبد^(٤) بأفلك ،
وصفح عن أكثرك ، لمن أجل النعم عليك ، وقد تناهت إليك أنباء من رزى
فصبر ، وأصيب فاغتر ، إذ كان شوى^(٥) فيما يرتقب ويحذر ، فاستشعر اليأس بما
فات ، إذ كان ارتجاعه مُمتنعاً ، ومرامه مُستصعباً ، فليشئ ما ضربت الأسي ، وفزع
أولو الألباب إلى حسن العزاء .

(١) وقص عنقه : كسرهما . (٢) أساء تأسية : عزاء ، وأصله : أن يقول له لك أسوة بفلان
وفلان . (٣) الجلل : العظيم والحقير وهو هنا بالمعنى الثاني . (٤) البدة بالضم : النصيب ، واستبد به :
جعل نصيبه . (٥) الشوى : الهين اليسير ورذال المال .

٧ - خطبة جمعة بن أفلح

وقام جمعة فقال : « أيها الملك ، لا تُشعِرْ قلبك الجزع على ما فات ، فيفعل
دهنك عن الاستعداد لما يأتي ، وَناضِلْ عوارِضَ الحزن بالأنفة عن مضاهاة^(١) أفعال أهل
وهي^(٢) العقول ، فإنَّ العزاء مُلزَماء الرِّجال ، والجزع لِرَبَّاتِ الحِجَال^(٣) ، ولو كان
الجزع يُرَدُّ فائتًا ، أو يُجَيِّ تالفًا ، لكان فعلًا دينيًا ، فكيف وهو مجانبٌ لأخلاق
ذوى الألباب ، فارغب بنفسك أيها الملك عما يتهافت^(٤) فيه الأردلون ، وصن قدرك
عما يركبه الخسوسون ، وكن على ثقة أن طمعك فيما استبدت به الأيام ، ضلَّةٌ كأحلام
النِّيام .

(الأماي ٢ : ١٠١)

٨ - تساؤل عامر بن الظرب وحممة بن رافع

عند أحد ملوك حمير

اجتمع عامر بن الظرب العدواني ، وحممة بن رافع الدوسي عند ملك من ملوك حمير ،
فقال : نساء لا حتى أسمع ما تقولان . قال عامر لحممة : أين تحب أن تكون أيديك ؟
قال : عند ذى الرئية^(٥) العديم ، وذى الخلة^(٦) الكريم ، والمعسر الغريم ، والمستضعف
الهُضم . قال : من أحق الناس بالمقت ؟ قال : الفقير المحتال ، والضعيف الصوال ، والعي
القوال . قال : فمن أحق الناس بالمنع ؟ قال : الحريص الكاند^(٧) ، والمستמיד^(٨) الحاسد ،
والمُلحِف الواجد . قال : فمن أجدر الناس بالصنعة ؟ قال : من إذا أُعطي شكر ، وإذا

(١) مشاكلة . (٢) ضعف . (٣) والحجال جمع حجلة (بفتحين) ، وهي القبة وموضع يزين
بالثياب والستور للعروس . (٤) التهافت : التتابع . (٥) الرئية : وجع المفاصل واليدين والرجلين
(الروماتزم) . (٦) الخلة الحاجة . (٧) الكاند : الذي يكفر النعمة ، والكنود الكفور : (إن
الإنسان لربه لكنود) . (٨) المستמיד والمستمير : المستعطي .

مُنِعَ عَذْرَ ، وَإِذَا مُوْطِلَ صَبَرَ ، وَإِذَا قَدَّمَ الْعَهْدُ ذَكَرَ . قَالَ : مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ عَشْرَةٌ ؟ قَالَ : مِنْ إِنْ قَرُبَ مَنَعَ ، وَإِنْ بَعُدَ مَدَحَ ، وَإِنْ ظَلِمَ صَفَحَ ، وَإِنْ ضَوِيقَ سَمَحَ ، قَالَ : مِنْ أَلَمِ النَّاسِ ؟ قَالَ : مِنْ إِذَا سَأَلَ خَضَعَ ، وَإِذَا سُئِلَ مَنَعَ ، وَإِذَا مَلَكَ كَنَعَ^(١) ، ظَاهِرُهُ جَشَعٌ^(٢) ، وَبَاطِنُهُ طَبَعَ^(٣) . قَالَ : فَمَنْ أَحْلَمَ النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ عَفَا إِذَا قَدَرَ ، وَأَجْمَلَ إِذَا انْتَصَرَ ، وَلَمْ تُطْفِعْ عِزَّةَ الظَّفَرِ . قَالَ : فَمَنْ أَحْزَمَ النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ أَخَذَ رِقَابَ الْأُمُورِ بِيَدَيْهِ ، وَجَعَلَ الْعَوَاقِبَ نُصَبَ عَيْنِيهِ ، وَنَبَذَ التَّهَيَّبَ دَبْرَ أُذُنِيهِ^(٤) ، قَالَ : فَمَنْ أَخْرَقَ النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ رَكِبَ الْخِطَارَ^(٥) ، وَاعْتَسَفَ^(٦) الْعِثَارَ ، وَأَسْرَعَ فِي الْبِدَارِ ، قَبْلَ الْاِقْتِدَارِ . قَالَ : فَمَنْ أَجُودَ النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ بَدَلَ الْمَجْهُودَ ، وَلَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَعْهُودِ . قَالَ : فَمَنْ أَبْلَغَ النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ جَلَّى الْمَعْنَى الْمَزِيْزَ^(٧) ، بِاللَّفْظِ الْوَجِيْزِ ، وَطَبَّقَ^(٨) الْمَفْصِلَ قَبْلَ التَّحْزِيْزِ . قَالَ : فَمَنْ أَنْعَمَ النَّاسَ عَيْشًا ؟ قَالَ : مَنْ تَحَلَّى بِالْعَفَافِ ، وَرَضِيَ بِالْكَفَافِ ، وَتَجَاوَزَ مَا يَخَافُ إِلَى مَا لَا يَخَافُ . قَالَ : فَمَنْ أَشَقَى النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ حَسَدَ عَلَى النِّعَمِ ، وَتَسَخَّطَ عَلَى الْقِسْمِ ، وَاسْتَشَعَرَ النَّدَمَ ، عَلَى فُوتِ مَا لَمْ يُحْتَمَمْ . قَالَ : مَنْ أَغْنَى النَّاسَ ؟ قَالَ : مَنْ اسْتَشَعَرَ الْيَاسَ ، وَأَبْدَى التَّجْمَلَ لِلنَّاسِ ، وَاسْتَكْتَفَرَ قَلِيلَ النِّعَمِ ، وَلَمْ يَسْخَطْ عَلَى الْقِسْمِ . قَالَ : فَمَنْ أَحْكَمَ النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ صَمَتَ فَأَدَّ كَرَّ ، وَنَظَرَ فَاعْتَبَرَ ، وَوَعِظَ فَازْدَجَرَ . قَالَ : مَنْ أَجْهَلَ النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ رَأَى الْخُرُوقَ مَغْمًا ، وَالتَّجَاوُزَ مَغْرَمًا .

(الْأَمْالِي ٢ : ٢٨٠)

٩ - خطبة عامر بن الظرب العدواني وقد خطبت ابنته

خطب صعصعة بن معاوية إلى عامر بن الظرب العدواني ابنته عمرة فقال :

- (١) تقبض . تكنع جلده إذا تقبض أي ممسك بخيل . (٢) الجشع : أسوأ الحرص . (٣) الدنس . (٤) جعلت الشيء دبر أذني : إذا لم ألقت إليه . (٥) جمع خطر ، وهو الإشراف على الهلاك . (٦) الاعتساف : ركوب الطريق على غير هداية وركوب الأمر على غير معرفة . (٧) الصعب . (٨) التطبيق : أن يصيب السيف المفاصل فيفصلها لا يجاوزها .

« يا صغصعة إنك جئت تشتري مني كبدي ، وأرحم ولدي عندي ، منعتك ، أو بعثك ،
النكاح خير من الأئمة^(١) ، والحسب كفاء الحسب ، والزوج الصالح أبٌ بعد أبٍ ،
وقد أنكحتك خشية ألا أجد مثلك ، أفرّ من السر إلى العلانية ، أنصحُ ابنا ، وأودِعُ
ضعيفاً قوياً ، ثم أقبل على قومه فقال :

« يا معشر عدوان : أخرجت من بين أظهركم كريمتم ، على غير رغبة عنكم ،
ولكن من خُطَّ له شيء جاءه ، رب زارعٍ لنفسه حاصدٌ سواه ، ولولا قسَمُ الحفظ
على قدر الجدود ، ما أدرك الآخر من الأول شيئاً يعيش به ، ولكن الذي أرسل الحيا^(٢) ،
أنبت المرعى ، ثم قَسَمَهُ أَكْلا^(٣) لكل فَمٍ بَقْلَةٌ ، ومن الماء جرعة ، إنكم ترون
ولا تعلمون ، لن يرى ما أصف لكم إلا كلُّ ذي قلب واعٍ^(٤) ، ولكل شيء راعٍ ،
ولكل رزق ساعٍ ، إما أكيسٌ وإما أحقُّ ، وما رأيت شيئاً إلا سمعت حسه ،
ووجدت مسه ، وما رأيت موضوعاً إلا مصنوعاً ، وما رأيت جائباً إلا داعياً ، ولا غانماً
إلا خائباً ، ولا نعمة إلا ومعها بؤس ، ولو كان يُميتُ الناسَ الداءَ ، لأحياهم الدواء ، فهل
لكم في العلم العليم ؟ قيل ما هو ؟ قد قلت فأصبت ، وأخبرت فصدقت ، فقال : أموراً
شتى ، وشيئاً شياً ، حتى يرجع الميت حياً ، ويعود لا شيء شيئاً ، ولذلك خلقت الأرض
والسموات ، فتولوا عنه راجعين ، فقال : وَيْلُمَّا^(٥) نصيحة لو كان من يقبلها .

(مجمع الأمثال ١ : ٢١١ ، البيان والتبيين ٢ : ٣٧ ، والمعقد القرين ٣ : ٢٢٣)

١٠ — حديث بعض مقاول حمير مع ابنه

وما دار بينه وبينهما من المساءلة حين كبرت سنه

كان لرجل من مقاول حمير ابنان ، يقال لأحدهما عمرو ، وللآخر ربيعة ، وكانا قد

(١) الأيامي : الذين لأزواج لهم من الرجال والنساء الواحد منهما أيم كجيد ، سواء كان تزوج من
قبل أم لم يتزوج ، وامرأة أيم بكرا كانت أو ثيبا ، وقد آمت تيم أيما وأيمة وأيوما ، وفي الحديث :
« أنه كان يتعوذ من الأئمة » . (٢) الحيا : المطر . (٣) الأكل : ما يؤكل والرزق . (٤) حافظ .
(٥) يقال للمستجد ويلمه . أي ويل لأمة ، كقولهم : لأب لك يريدون لأب لك فركبوه وجملوه كالشيء الواحد .

برعا في الأدب والعلم ، فلما بلغ الشيخ أقصى عمره ، وأشقى^(١) على الفناء ، دعاها لِيَبْلُو^(٢) عقولهما ، ويعرف مبلغ علمهما ، فلما حضرا : قال لعمره - وكان الأكبر - أخبرني عن أحب الرجال إليك ، وأكرمهم عليك . قال : « السيد الجواد ، القليل الأنداد ، الماجد الأجداد ، الرأسي الأوتاد ، الرفيع العماد ، العظيم الرماد ، الكثير الحساد ، الباسل الذؤاد^(٣) ، الصادر الوراد » قال : ما تقول يا ربعة ؟ قال : ما أحسن ما وصف ! وغيره أحب إلى منه ، قال : ومن يكون بعد هذا ؟ قال : « السيد الكريم ، المانع للحريم ، المنفضال الحلیم ، القمقام^(٤) الزعيم ، الذي إن هم فعل ، وإن سُئِلَ بذل . »

قال : أخبرني يا عمرو بأبغض الرجال إليك ؟ قال : البرم^(٥) اللثيم ، المستخذي^(٦) للخصيم ، المبطان^(٧) النهيم ، العبي البكيم ، الذي إن سئل منع ، وإن هُدِّدَ خضع ، وإن طلب جشع^(٨) . قال : ما تقول يا ربعة ؟ قال : غيره أبغض إلى منه . قال : ومن هو ؟ قال : النثوم الكذوب ، الفاحش الغضوب ، الرغيب عند الطعام ، الجبان عند الصدام .

قال : أخبرني يا عمرو : أي النساء أحب إليك ؟ قال : الهر كولة^(٩) اللقاء^(١٠) ، المعكورة^(١١) الجيداء ، التي يشفي السقيم كلامها ، ويبري الوصب^(١٢) إمامها ، التي إن أحسنت إليها شكرت ، وإن أسأت إليها صبرت ، وإن استعنت بها^(١٣) أعتبت ، الفاترة الطرف ، الطفلة^(١٤) الكف ، العميمة الرذف . قال : ما تقول يا ربعة ؟ قال : نعت فأحسن ! وغيرها أحب إلى منها . قال : ومن هي ؟ قال : « الفتانة العينين ،

(١) أشقى عليه : أشرف . (٢) ليختبر . (٣) من زاد عنه : إذا دفع . (٤) السيد (ويضم) . (٥) البرم : من لا يدخل مع القوم في الميسر . (٦) الخاضع المستكين ، والخصيم : المخاصم . (٧) من همه بطنه ، أو الرغيب لا ينتهي من الأكل . (٨) الجشع : أسوأ الحرص . (٩) المرتجة الأرداف . (١٠) الملتفة الجسم . (١١) المطوية الخلق من النساء والمستديرة الساقين ، والجيداء : من الجيد بالتحريك ، وهو طول الرقبة ، أودقتها مع طول . (١٢) المريض . (١٣) استعنته : طلب إليه العتي (الرضا) وأعتبه أعطاه العتبي . (١٤) الناعمة .

الاسيلة^(١) الخدين ، الكاعب^(٢) الثديين ، الرِّدَّاح^(٣) الورِّكين ، الشاكرة للقليل ،
المساعدة للحليل^(٤) ، الرِّخيمة^(٥) الكلام ، الجَمَاء^(٦) العظام ، الكريمة الأخوال
والأعمام ، العذبة اللثام^(٧) .

قال : فأى النساء إليك أبغض يا عمرو ؟ قال : ألقَّتاته^(٨) الكذوب ، الظاهرة
العيوب ، الطَّوَّافَةُ أَهْلِيُوب^(٩) ، العابسة القَطُوب ، السَّبَّابَةُ الوَتُوب ، التي إن أتمنها
زوجها خانتها ، وإن لان لها أهانتها ، وإن أرضاها أعضبتها ، وإن أطاعها عصته ، قال :
ما تقول يا ربيعة ؟ قال : بئس والله المرأة ذكر ! وغيرها أبغض إلىَّ منها . قال : وأيتهنَّ
التي هي أبغض إليك من هذه ؟ قال : السَّليطَةُ^(١٠) اللسان ، المؤذية للجيران ، الناطقة
بالبهتان ، التي وجهها عابس ، وزوجها من خيرها آيس ، التي إن عاتبها زوجها وترَّته^(١١) ،
وإن ناطقها انتهرته . قال ربيعة : وغيرها أبغض إلىَّ منها . قال : ومن هي ؟ قال : التي
شقى صاحبها ، وخزىَّ خاطبها ، وافتضح أقاربها . قال : ومن صاحبها ؟ قال : مثلها
في خصالها كلها ، لا تصلح إلا له ، ولا يصلح إلا لها . قال : فصفه لي . قال : الكفور
غير الشكور ، اللثيم الفجور ، العَبوس الكالج^(١٢) ، الحرون الجامح ، الراضى بالهوان ،
المختال المنان ، الضعيف الجنان ، الجعد^(١٣) البنان ، القثول غير الفُؤل ، الملول غير
الوَصول ، الذي لا يرِع^(١٤) عن المحارم ، ولا يرتدع عن المظالم .

قال : أخبرني يا عمرو : أى الخليل أحب إليك عند الشدائد ، إذا التقى الأقران
للتجالد ؟ قال : الجواد الأنيق ، الحصان العتيق ، الكفيت^(١٥) العريق ، الشديد الوثيق ،
الذي يفوت إذا هرب ، وَيَدْحَقُ إذا طلب . قال : نعم الفرس والله نعت ! قال : فما تقول

(١) الأسيل من الحدود : الطويل المسترسل . (٢) كعب الثدي : نهد . (٣) الثقيلة العجيبة الضخمة
الوركين . (٤) الزوج . (٥) اللينة الكلام . (٦) التي ليس لعظامها حجم . (٧) المراد
موضع اللثام ، فهو على حذف مضاف . (٨) البنامة . (٩) الكثيرة الانتباه ، والهيوب : الريح المثيرة
للغبار . (١٠) الطويلة . (١١) أحفظته وأغضبتة . (١٢) كالج : تكثر في عبوس .
(١٣) كناية عن البخل . (١٤) ورع : كورث كف . (١٥) السريع .

یا ربیعة؟ قال : غیره أحبّ إلىّ منه . قال : وما هو؟ قال : الحصان الجوّاد ، السّیس
القیّاد ، الشّهم الفوّاد ، الصّبور إذا سرى ، السابق إذا جرى .

قال : فأی الخیل أبغض إليك یا عمرو؟ قال : الجمّوح الطّمّوح ، النّکول^(۱)
الأنّوح^(۲) ، الصّئول^(۳) الضعیف ، المّلول العنیف ، الذی إن جاریته سبقتّه ، وإن طلبته
أدرکتّه . قال : ما تقول یا ربیعة؟ قال : غیره أبغض إلىّ منه . قال : وما هو؟ قال :
البطیء الثقیل ، الحرّون الکلیل ، الذی إن ضربته قمص ، وإن دنوت منه شمس^(۴) ،
یدرکه الطالب ، ویفوته الهارب ، ویقطع بالصاحب . قال ربیعة : وغیره أبغض إلىّ منه .
قال : وما هو؟ قال : الجمّوح الخبّوط^(۵) ، الرّکّوض الخرّوط^(۶) ، الشّمّوس الضّرّوط^(۷) ،
القطّوف^(۸) فی الصعود والهبوط ، الذی لا یسلم الصاحب ، ولا ینجو من الطالب .

قال : أخبرنی یا عمرو أیّ العیش الذّی؟ قال : عیش فی کرامة ، ونعیم وسلامة ،
واغتباق^(۹) مدّامة . قال : ما تقول یا ربیعة؟ قال : نعیم العیش واللّهِ وصف ! وغیره
أحبّ إلىّ منه . قال : وما هو؟ قال : عیش فی أمن ونعیم ، وعزّ وغنی عمیم ، فی ظل
نجاح ، وسلامة مساءً وصباح ، وغیره أحبّ إلىّ منه . قال : وما هو؟ قال : غنی دائم ،
وعیش سالم ، وظلّ ناعم .

قال : فما أحبّ السیوف إليك یا عمرو؟ قال : الصّقیل الحسام ، الباتر المجدّام^(۱۰) ،
الماضی السّطّام^(۱۱) المرّهف^(۱۲) الصّمصام^(۱۳) ، الذی إن هزّزته لم یکنب^(۱۴) ، وإذا
ضربت به لم ینب^(۱۵) . قال : ما تقول یا ربیعة؟ قال : نعم السیف نعت ! وغیره أحبّ

(۱) النکول : الذی ینکل عن قرنه . (۲) الکثیر الزحیر . (۳) کثیر الصنیل : وصنیل
الفرس : صهیله . (۴) شمس الفرس ، منع ظهره : فهو شامس وشموس . (۵) الکثیر الخبط :
وهو السیر علی غیر هدی . (۶) الخروط : الدابة الجموح تجتذب رسنها من ید ممسکها ثم تمضی .
(۷) الکثیر الضراط . (۸) قطفت الدابة : ضاق مشیها فهي قطوف . (۹) اغتبق : شرب
الغبوق ، وهو ما یشرّب بالمشی ، والمدامة : الحمر کالمدام . (۱۰) من الجذم : وهو القطع . (۱۱) الحد .
(۱۲) رهف السیف ، وأرهفه : رققه . (۱۳) السیف لا ینثنی کالصمصامة . (۱۴) لم ینب .
(۱۵) لم یکل عن الضریبة .

إلى . قال : وما هو ؟ قال : الحسام القاطع ، ذو الرّونق اللامع ، الظلمان الجائع ، الذى إن هزته هتَكَ^(١) ، وإذا ضربت به بَتَكَ^(٢) . قال : فما أبغض السيوف إليك يا عمرو ؟ قال : الفُطَارُ^(٣) الكَهَامُ^(٤) ، الذى إن ضرب به لم يقطع ، وإن ذُبِحَ به لم يَنخَعِ^(٥) . قال : فما تقول يا ربيعة ؟ قال : بئس السيف والله ذكر ! وغيره أبغض إلىّ منه . قال : وما هو ؟ قال : الطَّبِيعُ^(٦) الدَّدَانُ^(٧) ، المِعْضَدُ^(٨) المِهَانُ .

قال : فأخبرنى يا عمرو : أى الرِّمَاحِ أحبُّ إليك عند المِرَّاسِ ، إذا اعتكر البَّاسُ ، وَأَشْتَجَرَ الدَّعَاسُ^(٩) ؟ قال : أحبها إلىّ المَارِنُ^(١٠) المَثْقَفُ ، المَقْوَمُ المَخْطَفُ^(١١) ، الذى إذا هزته لم ينعطف ، وإذا طعنت به لم ينقصف . قال : ما تقول يا ربيعة ؟ قال : « نِعَمَ الرِّمَحِ نَعْتًا ! وغيره أحبُّ إلىّ منه . قال : وما هو ؟ قال : الذَّابِلُ^(١٢) العَسَّالُ ، المَقْوَمُ النَّسَّالُ ، المَاضِى إذا هزته ، النَافِذُ إذا همزته .

قال : فأخبرنى يا عمرو عن أبغض الرِّمَاحِ إليك ؟ قال : الأَعْصَلُ^(١٣) عند الطعان ، المثلَّمُ السَّنَانُ ، الذى إذا هزته انعطف ، وإذا طعنت به انقصف . قال : ما تقول يا ربيعة ؟ قال : بئس الرِّمَحُ ذكر ! وغيره أبغض إلىّ منه . قال : وما هو ؟ قال : الضعيف المَهْزِ^(١٤) : اليباسُ الكَزْ^(١٥) ، الذى إذا أكرهته انحطم ، وإذا طعنت به انقصم . قال : انصرفا ، الآن طاب لى الموت . (الأمالى ١ : ١٥٢)

(١) مزق . (٢) قطع . (٣) الذى لا يقطع ، وهو مع ذلك حديث الطبع . (٤) سيف كهام : كليل . (٥) لم يبلغ النخاع . (٦) من الطبع : أى الصدا . (٧) الذى لا يقطع . (٨) التصير الذى يمتن فى قطع الشجر وغيرها . (٩) الطعان : دعه إذا طعنه . (١٠) المارن : مالان من الرمح ، والمثقف : المسوى بالثقاف ، وهو مانسوى به الرماح . (١١) الخطف بضم فسكون : الضمير ، وإخطف الحشى : انطواؤه ، ومنه فرس مخطف الحشى : أى ضامره ، ورجل مخطف كذلك ، ورمح مخطف أى دقيق . (١٢) قنا ذابل : أى دقيق لاصق بالليط (بكسر اللام ، والليطة : قشر القنائة) ، والعسال : الشديد الاضطراب إذا هزته ومنه العسلان بالتحريك ، وهو عدو فيه اضطراب ، والنسلان قريب منه . (١٣) الملتوى : المعوج (١٤) مهزه كمنه : دفعه . (١٥) الكزازة : اليبس والانقباض كز فهو كز .

١١ - إحدى ملكات اليمن وخاطبوها

وذكروا أن ملكة كانت بسبباً^(١) ، فأتاها قوم يخطبونها ، فقالت : ليصف كل رجل منكم نفسه ، وليصدق وليؤجز ، لأتقدم إن تقدمت ، أو أدع إن تركت ، على علم ، فتكلم رجل منهم يقال له مُدرك ، فقال : « إن أبي كان في العز الباذخ^(٢) ، والحسب الشامخ ، وأنا شرس الخليقة ، غير رعيدي^(٣) عند الحقيقة » قالت : لا عتاب على الجنادل فأرسلتها مثلاً^(٤) ، ثم تكلم آخر منهم ويقال له ضبيس بن شرس فقال : « أنا في مال أثيث^(٥) ، وخلق غير خبيث ، وحسب غير عثيث^(٦) ، أحذو النعل بالنعل ، وأجزى القرض^(٧) بالقرض » فقالت : لا يسرك غائباً من لا يسرك شاهداً ، فأرسلتها مثلاً . ثم تكلم آخر منهم ، يقال له شماس بن عباس فقال : « أنا شماس ابن عباس ، معروف بالندی والباس ، حسن الخلق في سجيّة ، والعدل في قضيّة ، مالى غير محذور على الثل والكثر ، وبابى غير محبوب على العسر واليسر ، قالت : الخير متبع والشر محذور ، فأرسلتها مثلاً . ثم قالت : اسمع يا مدرك ، وأنت يا ضبيس ، لن يستقيم معكما معاشره لعشير حتى يكون فيكما ابن عريكة^(٨) ، وأما أنت يا شماس ، فقد حللت منى محل الأهرزيع^(٩) من الكنانة ، والواسطة^(١٠) من القلادة ، لدمائة^(١١) خلقك ، وكرم طباعك ، ثم اسع مجدّ أودع ، فأرسلتها مثلاً ، وتزوجت شماساً .

(مجمع الأمثال ٢ : ١١٨)

- (١) سبباً : بلدة باليمن . (٢) العالى . (٣) الرعيدي : الجبان . (٤) قال الميداني : « يضرب في الأمر الذي إذا وقع لامرد له ، قاله أبو عمرو » . (٥) كثير : عظيم . (٦) لم أجد في كتب اللغة وصفاً من مادة عث على فعيل ، وإنما الذي فيها « رجل عث بفتح العين أى ضئيل الجسم » وسياق الفواصل يرجح أن الوصف الذي هنا فعيل ، وأرى أن معناه مشين معيب من عث العثة الصوف إذا أكلته فهو عثيث بمعنى معثوث . (٧) القرض : القطع . (٨) العريكة : الطبيعة ، ورجل لين العريكة : أى سلس الخلق . (٩) الأهرزيع آخر سهم في الكنانة ردينا كان أو جيداً أو هو أفضل سهامها لأنه يدخر لشدة أو هو أردوها ، والمراد هنا الثانى . (١٠) واسطة المقد : الجوهرة الفاخرة التي تجعل وسطه . (١١) المائة : السهولة .

٩٣ - رواد مذحج يصفون ما ارتادوا من المراعى

عن أشياخ من بنى الحرث بن كعب قالوا :

« أَجْدَبَتْ بِلَادَ مَذْحِجٍ فَأَرْسَلُوا رُؤَادًا ^(١) ، مِنْ كُلِّ بَطْنٍ رَجُلًا ، فَبِعَثَتْ بَنُو زُبَيْدٍ رَائِدًا ، وَبِعَثَتْ النَّخَعُ رَائِدًا ، وَبِعَثَتْ جُعْفَى رَائِدًا ، فَلَمَّا رَجَعَ الرُّوَادُ قِيلَ لِرَائِدِ بَنِي زُبَيْدٍ : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ أَرْضًا مُوشِمَةً ^(٢) الْبِقَاعِ ، نَائِحَةَ النَّقَاعِ ^(٣) ، مُسْتَحْلِسَةً الْغَيْطَانِ ^(٤) ضَاكِكَةَ الْقُرْيَانِ ^(٥) وَاعْدَةَ ^(٦) وَأَحْرَ بَوْفَانًا ، رَاضِيَةً أَرْضُهَا عَنْ سَمَائِهَا . وَقِيلَ لِرَائِدِ جُعْفَى : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ أَرْضًا جَمَعَتْ السَّمَاءَ ^(٧) أَقْطَارَهَا ، فَأَمْرَعَتْ أَصْبَارَهَا ^(٨) ، وَدَيْثَتْ أَوْعَارَهَا ^(٩) ، فَبُطْنَانَهَا غَمَقَةً ^(١٠) وَظُهْرَانَهَا غَدَقَةً ^(١١) ، وَرِيَاضَهَا مُسْتَوْسِقَةً ^(١٢) ، وَرَقَاقِيهَا رَائِحٌ ^(١٣) ، وَوَاطِئَهَا سَائِحٌ ^(١٤) ، وَمَاشِيهَا ^(١٥) مَسْرُورٌ ، وَمُضْرِمُهَا ^(١٦) مَحْسُورٌ . وَقِيلَ لِلنَّخَعِيِّ مَا وَرَاءَكَ ؟ فَقَالَ : « مَدَاحِي ^(١٧) سَيْلٍ ، وَزُهَاءٌ ^(١٨) لَيْلٍ ،

(١) الرواد : جمع رائد ، وهو المرسل في طلب الكاذ . (٢) أوشمت الأرض : إذا بدا فيها شيء من النبات (وأوشمت السماء : إذا بدا فيها برق) . (٣) النقع : جمع نقع (كشمس) وهو الأرض الحرة الطين يستنقع فيها الماء ، ونائحة : أى راشحة ، من التنع وهو خروج العرق من الجلد . (٤) الغوط ، والغيط ، والغاط ، والغائط : المظمن الواسع من الأرض وجمعه غوط (بالضم) وأغواط وغيطان ، وغياط ، واستحلس النبات : إذا غطى الأرض أو كاد يغطيها . (٥) القرينان : مجارى الماء من الربو إلى الرياض جمع قرى كغنى . (٦) أى تعد تمام نباتها وخيرها ، وأحر : أخلق . (٧) السماء هنا : المطر ، يريد أن المطر جاد بها ، فطال النبات ، فصار المطر كأنه قد جمع أكنافه . (٨) مرع الوادى مثلث الراء مراعة وأمرع : أعشب وأخصب فهو مربع ومرع ، وأصبارها : نواحيها جمع صبر بالكسر والضم . (٩) ديثت : لينت . (١٠) البطنان : جمع بطن ، وهو الغامض من الأرض أى المظمن منها ، وغمقة : ندية . (١١) الظهران : جمع ظهر ، وهو ما ارتفع يسيرا ، وغدقة : كثيرة البلل والماء . (١٢) منتظمة . (١٣) الرقاق : الأرض اللينة من غير رمل ، ورائح : مفرط اللين ، يقال : ربحت العجين إذا كثرت مائه ، وراخ العجين يريخ . (١٤) أى تسوخ رجلاه في الأرض من لينها ، وتسوخ وتسوخ واحد . (١٥) الماشى : صاحب المشية ، مشى الرجل وأمشى : كثرت ماشيته . (١٦) المصرم : الفقير المقل . (١٧) مداحى : جمع مدحى اسم مكان من دحا الأرض يدحوها ويدحاها دحوا : أى بسطها . (١٨) الزهاء : الشخص ، وإنما جعل نباتها زهاء ليل لشدة خضرته .

وَعَيْلٌ^(١) يُوَاصِي غَيْلًا ، قد ارتوت أجزاؤها^(٢) ، ودُمَّتْ عَزَاؤها^(٣) ، والتبذت
أقوازها^(٤) ، فرايدها أنق^(٥) وراعيها سنق^(٦) فلا قَضَض ولا رَمَض^(٧) ، عازِبها^(٨)
لا يُفزع ، ووَارِدُها لا يُنكع^(٩) ، فاخترأوا مرَاد^(١٠) النخعي . (الأمل : ١ : ١٨٣)

١٣ - مادار من الحديث بين المنذر بن النعمان الأكبر

وبين عامر بن جوين الطائي

وفد عامر بن جوين الطائي على المنذر بن النعمان الأكبر ، جد النعمان بن المنذر
وذلك بعد انقضاء ملك كِنْدَةَ ، ورجوع الملك إلى تخم ، وكان عامر قد أجاز امرأ القيس
ابن حَجْر ، أيام كان مقبلاً بالجبلين^(١١) ، وقال كلمته التي يقول فيها :
هَنَالِكَ لَا أُعْطَى مَلِيكَاً ظُلَامَةً وَلَا سُوقَةً حَتَّى يَثُوبَ ابْنُ مَنْدَلَه^(١٢)

(١) الغيل : الماء الجاري على وجه الأرض ، ويواضي : يواصل . (٢) الأجزاء : جمع جرز
(بضمين) وهي التي لم يصبها المطر ، أو التي قد أكل نباتها ، أو التي لا تنبت . (٣) دمت : لين
(وروي دمت كفرح) ودمت : لان ، والعزاز : الأرض الصلبة . (٤) الأقواز جمع قوز
(كشمس) : وهو المستدير من الرمل . (٥) أي معجب بالمرعى . (٦) من سنق كفرح أي يشم وانخم .
وراعيها : الذي يرهاها . (٧) القَضَض : الحصى الصغار ، يريد أن النبات قد غطى الأرض
هناك قَضَضاً ، والرمض : أن يحصى الحصى والحجارة من شدة الحر ، يقول : ليس هناك رمض ، لأن النبات
قد غطى الأرض . (٨) العازب : الذي يعزب بإبله أي يبعد بها في المرعى . (٩) أي لا يمنع .
(١٠) أي مرعى . (١١) الجبلان : سلمى وأجأ (كجيل) شرق المدينة ، وهما لطبي* ، قال رجل من
بني سلامان جاور في طي* :

ألفت مساكن الجليلين إني رأيت الغوث يألفها النريب

(والغوث قبيلة من طي*) . (١٢) قال صاحب اللسان : « ابن مندلة رجل من سادات العرب ، قال
عمرو بن جوين فيما زعم السيراني ، أو امرؤ القيس فيما حكى الفراء :

وآليت لا أعطى مليكاً مقادق ولا سوقة حتى يثوب ابن مندله »

وقال الميداني في شرح المثل « لاغزو إلا التعقيب » - ج ٢ : ص ١٣١ - : « يقال عقب الرجل :
وهو أن يغزو مرة ثم يثني من سنته ، وأول من قال ذلك حجر بن الحارث بن عمرو آكل المرار (أبو امرئ) =

وكان المنذر ضغينا عليه ، فلما دخل عليه قال له : يا عامر ، لَسَاءَ مَثْوَى أَثْوَيْتَهُ رَبِّكَ
وَتَوَيْبِكَ^(١) ، حين حاولت إصباها طَلَّتِهِ^(٢) ومخالفتَهُ إلى عشيره ، أما والله لو كنت
كريمًا لأثويتَهُ مُكْرَمًا مُوقِرًا ، ولجانبتَهُ مُسَلِّمًا ، فقال له : أَبَيْتَ اللَّعْنَ^(٣) لقد عَلِمْتُ

= القيس) وذلك أن الحرث بن مندلة ملك الشام ، وكان من ملوك سليح من ملوك الضجاعم (سليح كجريح
قبيلة باليمن ، والضجاعم كانوا ملوكا بالشام) وهو الذي ذكره مالك بن جوين الطائي في شعره فقال :

هناك لا أعطى رئيسا مقادة ولا ملكا حتى يثوب ابن مندله

وكان قد أغار على أرض نجد ، وهي أرض حجر بن الحارث هذا ، وذلك على عهد بهرام جور ، وكان
بها أهل حجر فوجد القوم خلوفا ، (الخلوف بالضم : الذين ذهبوا من الحى ، ومن حضر منهم أيضا) ووجد
حجرا قد غزا أهل نجران ، فاستاق ابن مندلة مال حجر ، وأخذ امرأته هند الهنود (وهي هند بنت ظالم بن
وهب بن الحرث بن معاوية) ووقع بها فأعجبها ، وكان آكل المرار شيخا كبيرا ، وابن مندلة شابا جميلا ،
فقال له : النجاء النجاء ، فإن وراءك طالبا حثيثا ، وجمعا كثيرا ، ورأيا صليبا ، وحزما وكيدا ، فخرج
ابن مندلة مغذا إلى الشام (أى مسرعا) فلما رجع حجر وجد ماله قد استيق ، ووجد هنداً قد أخذت ،
فقال : من أغار عليكم ؟ قالوا ابن مندلة ، قال : مذكم ؟ قالوا : ثمانى ليال ، فقال حجر : لاغزو إلا
التعقيب ، فأرسلها مثلا يعنى غزوه الأول والثانى .

ثم جسد في طلب ابن مندلة ، حتى دفع إلى واد دون منزل ابن مندلة فكن فيه ، وبعث سدوس
ابن شيبان ، فقال له . اذهب متنكرا إلى القوم حتى تعلم لنا علمهم ، فانطلق حتى انتهى إلى ابن مندلة ، ثم
رجع إلى حجر فحدثه بحديث امرأته مع ابن مندلة ، فضرب حجر بيده على المرار (والمرار كقرباب : شجرة
مرة إذا أكلت منها الإبل تقلصت مشاقرها) فأكل منها من الغضب ، فسمته العرب آكل المرار ،
(وقيل : آكل المرار هو أبوه الحارث) ، ثم خرج حتى أغار على ابن مندلة فقتله ثم قتل هنداً وأنشأ يقول :

إن من يأمن النساء بشيء بعد هند لجاهل مفرور

كل أنثى وإن تبينت منها آية الحب ، حبا خيتور

(والحيتور : كل شيء لا يدوم على حالة واحدة ، ويضمحل كالسراب ، وكالذي ينزل من الهواء في شدة

الحركننج العنكبوت) .

وذكر أبو الفرج الأصبهاني هذه القصة في الأغاني (١٥ : ٨٢) ولسكنه روى أن الذى أغار على
حجر هو زياد بن الهبولة قال : « ثم إن زياد بن الهبولة بن عمرو بن عوف بن ضجعم بن حماطة بن سعد
ابن سليح القضاعى أغار عليه وهو ملك في ربيعة بن نزار ، وكان قد غزا بريعة البحرين فبلغ زيادا غزاته
فأقبل حتى أغار في مملكة حجر فأخذ مالا كثيرا وسبى امرأة حجر . . . إلى آخر القصة » .

(١) ثوى المكان وبه : نزل ، وأثواه : أضافه ، والمثوى : المنزل ، والثوى : كفى البيت المهيا
له ، والضيف وهو المراد هنا . (٢) الطلة العجوز ، وصبا الرجل مال إلى الجهل والفتوة وأصبته المرأة
والمراد حاولت رد عزه السالف إليه . (٣) أبيت اللعن : تحية جاهلية أى أبيت أن تأتى ماتلن به .

أبناء أدد^(١) إني لأعزها جاراً ، وأكرمها جواراً ، وأمنعها داراً ، ولقد أقام وافرأ ،
 وزال شاكرأ ، فقال له المنذر : « يا عامر ، وإنك لتخال هُضَيَّاتِ أَجَاذَاتِ الْوِبَارِ^(٢) ،
 وَأَفْنِيَّاتِ سَلَمَى ذَاتِ الْأَغْفَارِ^(٣) ، مَا نِعَاتِكَ مِنَ الْمَجْرِ^(٤) الْجَرَّارِ ، ذِي الْعَدَدِ الْكَثَارِ^(٥) ،
 وَالْحُصْنِ وَالْمِهَارِ^(٦) وَالرَّمَاحِ الْجَرَّارِ^(٧) ، وَكُلِّ مَاضِي الْغِرَّارِ^(٨) ، بِيَدِ كُلِّ مِسْقَرٍ كَرِيمِ
 النَّجَّارِ^(٩) ؟ قَالَ عَامِرُ : أُبَيْتُ اللَّعْنَ ، إِنْ بَيْنَ تِلْكَ الْهُضَيَّاتِ وَالرَّعَانِ^(١٠) وَالشَّعَابِ
 وَالْمُصْدَانِ^(١١) لَفَتِيَانَا أَبْطَالَا ، وَكُهُولَا أَزْوَالَا^(١٢) ، يَضْرِبُونَ الْقَوَانِسَ^(١٣) وَيَسْتَنْزِلُونَ
 الْفَوَارِسَ ، بِالرَّمَاحِ الْمَدَاعِسِ^(١٤) لَمْ يَتَّبِعُوا الرَّعَاءَ^(١٥) ، وَلَمْ تُرَشِّحْهُمْ^(١٦) الْإِمَاءُ ، فَقَالَ
 الْمَلِكُ : يَا عَامِرُ لَوْ قَدْ تَجَاوَبْتَ الْخَيْلَ فِي تِلْكَ الشَّعَابِ صَهِيلَا ، كَانَتْ الْأَصْوَاتُ قَعْقَعَةً^(١٧)
 وَصَلِيلَا ، وَفَفَّرَ الْمَوْتُ^(١٨) ، وَأَعْجَزَ الْقَوْتُ ، فَتَقَارَشَتْ الرَّمَاحُ^(١٩) وَحَمَى السَّلَاحُ ،
 لَتَسَاقَى قَوْمُكَ كَأَمَا لَا صَحْوَ بَعْدَهَا ، فَقَالَ مَهْلًا أُبَيْتُ اللَّعْنَ ، إِنْ شَرَّابْنَا وَبِيلَ ،

- (١) هو ادد بن زيد بن يشجب (بضم الجيم) بن عريب (بفتح العين) بن زيد بن كهلان بن سبأ
 ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وبنو ادد : هم مذحج وطبي والأشعر .
 (٢) الوبار : شجرة حامضة شائكة . (٣) الغفر بالتحريك : صغار الكلا .
 (٤) المجر : الجيش العظيم . (٥) الكثير . (٦) الحصن : جمع حصان ، وهو الفرس الذكر ،
 والمهارة : جمع مهر ، وهو ولد الفرس . (٧) الحرار والأحرار : جمع حر ، وهو خيار كل شيء .
 (٨) الغرار : حد الرمح والسهم والسيف . (٩) يقال هو مسعر حرب : أي موقد نارها كأنه
 آلة لسعر الحرب أي إيقادها ، والنجار : الأصل .
 (١٠) الرعان : جمع رعن (كشمس) وهو أنف يتقدم الجبل ، والجبل الطويل ويجمع أيضا على
 رعون .
 (١١) الشعب : بالفتح الجبل ، وبالكسر : الطريق في الجبل ، ومسيل الماء في بطن أرض ، أو ما انفرج
 بين الجبلين ، المصد (كشمس وكنف) والمصاد (كسحاب) الهضبة العالية وجمعه أمصدة ومصدان .
 (١٢) أزوال : جمع زول ، وهو الشجاع . (١٣) القوانس : جمع قونس كجعفر ، والقونس
 والقونوس : أعلى بيضة الحديد . (١٤) المداعس : جمع مدعس ، وهو الرمح الذي لا ينثني .
 (١٥) الرعاء : بالضم والكسر ، الرعاة : جمع راع . (١٦) الترشيح : التربية .
 (١٧) القعقعة : حكاية صوت السلاح ، وتحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت .
 (١٨) ففر الموت فاه : أي فتحه . (١٩) تقارشت الرماح : تداخلت في الحرب .

وَحَدَّثَنَا أَلِيلٌ ^(١) ، وَمَعْجَمَنَا صَلِيبٌ ^(٢) ، وَلِقَاءَنَا مَهَيْبٌ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَامٍ إِنَّهُ لَقَلِيلٌ بَقَاءُهُ
الصَّخْرَةَ الصَّرَاءَ ^(٣) عَلَى وَقَعِ الْمَلَّاطِيسِ ^(٤) ، فَقَالَ : أَيْبِتِ اللَّعْنَ ، إِنَّ صَفَاتَنَا عِبْرٌ
الْمَرَادِيسِ ^(٥) ، فَقَالَ : لَا وَقِظَنَّ قَوْمَكَ مِنْ سِنَّةِ الْغَفْلَةِ . ثُمَّ لَا تُعْقِبَهُمْ بَعْدَهَا رَقْدَةً
لَا يَهْبُ رَاقِدًا ، وَلَا يَسْتَيْقِظُ هَاجِدًا ^(٦) ، فَقَالَ لَهُ عَامِرٌ : إِنَّ الْبَغْيَ أَبَادَ عَمْرًا ^(٧) ،
وَصَرَاعَ حُجْرًا ^(٨) ، وَكَانَا أَعَزَّ مِنْكَ سَلْطَانًا ، وَأَعْظَمَ شَأْنًا ، وَإِنْ لَقِينَا لَمْ تَلْقَ أَنْكَاسًا

(١) حاد ، وألله تأيلاً حده . (٢) عجم العود كنصر : إذا عضه ليعرف صلابته من خوره ،
والمعجم اسم مكان منه وصليب أى صلب ، وهو كناية عن شدتهم ومنعهم . (٣) صخرة صراء : صباء .
(٤) الملتطس : كمنبر ، والمملطاس : الممول الغليظ لكسر الحجارة . (٥) الصفاة : الحجر الصلد الضخم ،
ويقال ناقة عبر أسفار (بتثليث العين) أى قوية على السفر تشق مامرت به ، تقطع الأسفار عليها ، وكذا
الرجل الجرىء على الأسفار الماضى فيها القوى عليها ، والمردس والمرداس : شئ صلب عريض تدك به الأرض ،
وردها دكها به وردس الحجر بالحجر (كنصر وضرب) كسره ، ومعنى العبارة إن صفاتنا تحمل ذلك المراديس
فلا تتحطم تحتها ، كناية عن صلابتهم وشدتهم . (٦) المهجود : النوم .

(٧) هو عمرو بن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة ، وكان يلقب مضرط الحجارة لشدة ملكه ، وقوة
سياسته (وهو عمرو بن هند) وأمه هند بنت الحارث بن عمرو عمة امرئ القيس بن حجر بن الحارث ،
وكان سبب قتله أنه قال يوماً لجلسائه : هل تعلمون أن أحداً من العرب يأنف أن تخدم أمه أمى ؟ قالوا :
مانعرفه إلا أن يكون عمرو بن كلثوم التغلبي ؛ فإن أمه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة ، وعمها كليب وائل ،
وزوجها كلثوم بن عتاب ، وابنها عمرو ، فسكت مضرط الحجارة على ما فى نفسه وبعث إلى عمرو بن كلثوم
يستزيره ، ويسأله أن تزور أمه أمه ، فقدم عمرو بن كلثوم فى فرسان من بنى تغلب ، ومعهم أمه ليلى ، فنزل
على شاطئ الفرات ، وبلغ عمرو بن هند قدومه ، فأمر فضربت خيامه بين الحيرة والفرات ، وأرسل إلى
وجوه أهل ملكته ، فصنع لهم طعاماً ، ثم دعا الناس إليه فقرب إليهم الطعام على باب السرادق ، وجلس هو
وعمر بن كلثوم وخواص أصحابه فى السرادق ، ولأمه هند قبة فى جانب السرادق ، وليلى أم عمرو
ابن كلثوم معها فى القبة « وقد قال مضرط الحجارة لأمه إذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق إلا الطرف
فنجى خدمك عنك ؛ فإذا دنا الطرف فاستخدمى ليلى ومريها فتناولك الشئ بعد الشئ ، ففعلت هند
ما أمرها به ابنها ، فلما استدعى الطرف ، قالت هند ليليلى : ناولينى ذلك الطبق . قالت لتقم صاحبة الحاجة إلى
حاجتها ، فألحت عليها ، فقالت ليلى : واذا لاه يا آل تغلب فسمعها وادها عمرو بن كلثوم ، فثار الدم فى وجهه
والقوم يشربون ، فعرف عمرو بن هند الشر فى وجهه وثار ابن كلثوم إلى سيف ابن هند وهو معلق فى
السرادق وليس هناك سيف غيره فأخذه ، ثم ضرب به رأس مضرط الحجارة فقتله ، وخرج فنادى يا آل
تغلب فانتهبوا ماله وخيله ، وسبوا النساء ، وساروا فلحقوا بالحيرة (تاريخ الكامل لابن الأثير ١ :
(٨) هو حجر بن الحارث (أبو امرئ القيس) وقد تقدم خبره . (١٩٧)

ولا أغسّاساً^(١) ، فهبّش^(٢) وضائِعَكَ وَصَنَائِعَكَ^(٣) ، وَهَلْمُ إِذَا بَدَا لَكَ ، فَنَحْنُ الْآلِي قَسَطُوا^(٣) عَلَى الْأَمْلَاكِ قَبْلَكَ ، ثُمَّ أَتَى رَاحِلَتَهُ فَرَكَبَهَا ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

تَعَلَّمْ (أَبَيْتَ اللَّعْنَ) أَنْ قَنَاتَنَا تَزِيدُ عَلَى غَمْرِ الثَّقَافِ تَصَعَّبًا^(٤)
 أَتُوْعِدُنَا بِالْحَرْبِ ؟ أُمُّكَ هَابِلٌ رُوَيْدَكَ بَرَقًا ، لَا أَبَا لَكَ ، خُلْبًا^(٥)
 إِذَا خَطَرْتُ دُونِي جَدِيْلَةٌ بِالْقَنَا وَحَامَتُ رِجَالُ الْغَوْثِ دُونِي تَحَدُّبًا^(٦)
 أَبَيْتُ الَّتِي تَهْوَى ، وَأَعْطَيْتُكَ الَّتِي تَسُوْقُ إِلَيْكَ الْمَوْتَ أَخْرَجَ أَكْهَبًا^(٧)
 فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزْدَارِنَا فَاتِ تَعْتَرِفْ رِجَالًا يُبْذِلُونَ الْحَدِيدَ الْمُعْقَرَبًا^(٨)
 وَإِنَّكَ لَوْ أَبْصَرْتَهُمْ فِي مَجَاهِلِهِمْ رَأَيْتَ لَهُمْ جَمْعًا كَثِيفًا وَكَوْ كَبًا^(٩)
 وَذَكَرَكَ الْعَيْشَ الرَّخِيَّ جِلَادَهُمْ وَمَلَهَى بِأَكْنَافِ السَّيْرِ وَمَشْرَبًا^(١٠)
 فَأَغْضِ عَلَى غَيْظٍ وَلَا تَرْمِ الَّتِي تُحَكِّمُ فِيكَ الزَّاعِيَّ الْمُحْرَبًا^(١١)

(ذيل الأملال ص ١٧٩)

- (١) الأنكاس : جمع نكس بالكسر وهو الضعيف ، والأغساس : جمع غس بانضم وهو الضعيف أيضا .
 (٢) هبش : جمع ، والوضائع : جمع وضيمة ، أنقال القوم وما يأخذه السلطان من الخراج والعشور .
 والصنائع : جمع صنيعه : يقال هو صنيعه فلان ، وصنيعه إذا اصطنعه وأدبه وخرجه ورباه ، والمعنى : فتجهز للحرب ، واجمع الأموال اللازمة لذلك واحشد رجالك المدربين على القتال . (٣) أي جاروا .
 (٤) الثقاف : ماتسوى به الرماح . (٥) هبلته أمه (كفرح) فقدته ، والبرق الخلب : المطمع المخلف .
 (٦) خطر الرجل سيفه ورحمه : رفعه مرة ووضعته أخرى ، وجديلة والغوث من طي ، وتحذب به تعلق ، وتحذب عليه تعطف . (٧) الخرج كسبب : لونان من بياض وسواد خرج كفرح فهو أخرج ، وظلم أخرج : وهو الذي لون سواده أكثر من بياضه كلون الرماد ، والكهبة : الدهمة (السواد) أو غبرة مشربة سوادا ، كهب كفرح وكرم فهو أكهب وكاهب . (٨) ازداره : زاره (افتعل من الزيارة) واعترف الشيء عرفه ، وأذال ثوبه : إذا أطال ذيله قال كثير :
 على ابن أبي العاصي دلاص حصينة اجاد المسدي سردها فأذاها

والحديد : الدروع ، وشيء معقرب : أي معوج معطوف ، يريد أنها دروع مزرودة (الزرد والسردي بالفتح : تداخل حلق الدرع بعضها في بعض) والمعنى تجد أبطالا قد لبسوا الدروع السابغة المزرودة ، وهناك معنى آخر وهو : يقال أذال فرسه إذا أهانه ؛ والحديد : أي الفرس الحديد السير أي السريع ، والمعقرب الشديد الخلق المجتمع . وحمار معقرب الخلق أي ملزوم مجتمع شديد ، فالمعنى : تجد أبطالا يجهدون في ميدان القتال أفراسهم كرا وصولا على الأعداء . (٩) الكوكبة : الجماعة . (١٠) السدير والخورنق : قصران بناهما النعمان الأكبر بالحيرة . (١١) الريح الزاعي : هو الذي إذا هز كأن كعوبه يجري بعضها في بعض لينه ، والمحرب : المحدد .

١٤ - قيس بن رفاعه والحارث بن أبي شمر الغساني

كان قيس بن رفاعه يفتد سنة إلى النعمان اللخمي بالعراق ، وسنة إلى الحارث ابن أبي شمر الغساني بالشام^(١) ، فقال له يوماً وهو عنده : يا ابن رفاعه ، بلغني أنك تفضل النعمان^(٢) على؟ قال :

« وكيف أفضله عليك أبيت اللعن ؟ فوالله لقفاك أحسن من وجهه ، ولأئمك أشرف من أبيه ، ولأبوك أشرف من جميع قومه ، ولشمالك أجود من يمينه ، ولحرمائك أنفع من نداءه ، ولقليلك أكثر من كثيره ، ولثمادك^(٣) أغزر من غديره ، ولكرسيك أرفع من سريره ، ولجدولك أغمر من بحوره ، وليومك أفضل من شهره ، ولشهرك أمد من حوله ، ولحولك خير من حقه^(٤) ، ولزندك أورى من زنده ، ولجندك أعز من جنده ، وإنك لمن غسان أرباب الملوك ، وإنه لمن لحم الكثير النوك^(٥) ، فكيف أفضله عليك^(٦) ؟ » .

(الأمالي ١ : ٢٦١ ومروج الذهب ١ : ٢٩٨)

١٥ - قيس بن خفاف البرجمي وحاتم طيء

أتى أبو جبيل قيس بن خفاف البرجمي حاتم طيء ، في دماء حملها عن قومه ، فأسأله^(٧) فيها ، وعجز عنها ، فقال : والله لآتين من يحملها عنى ، وكان شريفاً شاعراً ، فلما قدم عليه قال : « إنه وقعت بين قومي دماء فتواكلوها ، وإنى حملتها في مالي وأملى ،

(١) كان المناذرة ملوك الحيرة من لحم ، والفساسنة : ملوك الشام من الأزد . فكلاهما من أصل يمني ، وكان بينهما أحقاد وأضغان وحروب . (٢) النعمان بن المنذر . (٣) الثماد : الماء القليل لا مادة له . (٤) الحقب بالضم وبضمين : ثمانون سنة أو أكثر ، والدهر ، والسنة أيضاً . (٥) النوك بالضم والفتح : اللحم . (٦) وذكر المسعودي أن هذا الحديث كان بين حسان بن ثابت الأنصاري ، وبين الحارث بن أبي شمر . (٧) خذلوه .

فَقَدَّمْتُ مَالِي ، وَكُنْتُ أُمَلِي ، فَإِنْ تَحْمَلُهَا فَرَبِ حَقِّ قَضِيَّتِهِ ، وَهَمَّ قَدْ كَفَيْتَهُ ،
وَإِنْ حَالَ دُونَ ذَلِكَ حَائِلٌ لَمْ أَذْمِ يَوْمَكَ ، وَلَمْ أَيْأَسْ مِنْ غَدِكَ . ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

حَمَلْتُ دِمَاءَ لِلْبِرَاجِمِ جَمَّةً^(۱) فَجِئْتُكَ لِمَا أَسْأَلْتَنِي الْبِرَاجِمِ^(۱)
وَقَالُوا (سَفَاهَا) لِمَ حَمَلْتَ دِمَاءَنَا^(۲) فَقُلْتُ لَهُمْ يَكْفِي الْحِمَالَةَ حَاتِمُ^(۲)
مَتَى آتَاهَا فِيهَا يَقِلُّ لِي مَرْحَبًا^(۳) وَأَهْلًا وَسَهْلًا أَخْطَأْتُكَ الْأَشَائِمُ^(۳)
فِيحْمَلُهَا عَنِّي ، وَإِنْ شِئْتَ زَادَنِي^(۴) زِيَادَةً مَنُ حَنَّتْ إِلَيْهِ الْمَكَارِمُ
يَعِيشُ النَّدَى مَا عَاشَ حَاتِمٌ طَيِّبٌ^(۴) فَإِنْ مَاتَ قَامَتْ لِلسَّخَاءِ مَا تَمُّ
يُنَادِينَ مَاتَ الْجُودُ مَعَكَ فَلَا نَرِي^(۵) مَجِيئًا لَهُ مَا حَامٌ فِي الْجَوْءِ حَاتِمُ
وَقَالَ رِجَالٌ أَنَّهُ بَ الْعَامُ مَالَهُ^(۶) فَقُلْتُ لَهُمْ إِنِّي بِذَلِكَ عَالِمٌ^(۶)
وَلَكِنَّهُ يَعْطَى مِنْ أَمْوَالِ طَيِّبٍ^(۷) إِذَا جَلَّفَ الْمَالَ الْحَقُوقُ الْوَأَزِيمُ^(۷)
فَيُعْطَى الَّتِي فِيهَا الْغِنَى وَكَأَنَّهُ^(۸) لِتَصْغِيرِهِ تِلْكَ الْعَطِيَّةَ جَارِمٌ^(۸)
بِذَلِكَ أَوْصَاهُ عَدِيٌّ وَحَشْرَجٌ^(۹) وَوَعَدُ وَعَبَدَ اللَّهُ تِلْكَ الْقِيَامُ^(۹)

فَقَالَ لَهُ حَاتِمٌ : إِنْ كُنْتُ لِأَحِبُّ أَنْ يَأْتِيَنِي مِثْلُكَ مِنْ قَوْمِكَ ، هَذَا مِرْبَاعِي^(۸) مِنْ
الغارة على بني تميم ، فخذها وافراً ، فَإِنْ وَفَى بِالْحِمَالَةِ ، وَإِلَّا أَكَلْتَهَا لَكَ ، وَهُوَ مِائَتَا بَعِيرٍ
سِوَى بَنِيهَا وَفِصَالِهَا ، مَعَ أَنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ تُؤْبِسَ قَوْمُكَ بِأَمْوَالِهِمْ ، فَضَحِكَ أَبُو جُبَيْلٍ
وَقَالَ : لَكُمْ مَا أَخَذْتُمْ مِنَّا ، وَلَنَا مَا أَخَذْنَا مِنْكُمْ ، وَأَيُّ بَعِيرٍ دَفَعْتَهُ إِلَيَّ ، لَيْسَ ذَنْبُهُ
فِي يَدِ صَاحِبِهِ ، فَأَنْتَ مِنْهُ بَرِيءٌ ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ وَزَادَهُ مِائَةَ بَعِيرٍ ، فَأَخَذَهَا وَانصَرَفَ رَاجِعًا
إِلَى قَوْمِهِ . فَقَالَ حَاتِمٌ فِي ذَلِكَ :

(۱) البراجم من تميم . (۲) السفاه : السفه . والحماله : الدية يحملها قوم عن قوم .
(۳) الأشائم : ضد الأيامن . (۴) أنهب المال : جعله نهباً يغار عليه . (۵) أي جرفه وانتقصه .
(۶) جرم الرجل (بفتحيتين) : أذنب كأجرم . (۷) جمع ققام : وهو السيد . (۸) المربع : ربع
الغنيمة ، وكان يختص به قائد الغارة وفارسها .

أَتَانِي الْبُرْجِيُّ أَبُو جُبَيْلٍ لَهْمٌ فِي حَمَالَتِهِ طَوِيلٍ
 فَقُلْتُ لَهُ خُذِ الْمِرْبَاعَ رَهْوًا فَإِنِّي لَسْتُ أَرْضَى بِالْقَلِيلِ (١)
 عَلَى حَالٍ ، وَلَا عَوَّدْتُ نَفْسِي عَلَى عَائِنِهَا عِلَّ الْبَخِيلِ
 فَخَذَهَا إِنِهَا مَائِنًا بِعِيرِ سَوَى النَّابِ الرَّذِيَّةِ وَالْفَصِيلِ (٢)
 فَلَا مَنْ عَلَيْكَ بِهَا ، فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَنْ يُزْرِي بِالْجَزِيلِ
 فَآبَ الْبُرْجِيُّ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ أَعْبَاءِ الْحَمَالَةِ مِنْ فَتِيلِ
 يَجْرُ الذَّلِيلُ يَنْفُضُ مِذْرَوِيهِ خَفِيفَ الظَّهْرِ مِنْ حَمَلٍ ثَقِيلِ (٣)

(ذيل الأماي ٢٢ ، والأغاني ٧ : ١٤٥)

١٦ - مقال قبيصة بن نعيم لامرئ القيس بن حجر

قدم على امرئ القيس بن حجر الكندي بعد مقتل أبيه رجال من قبائل بني أسد
 وفيهم قبيصة بن نعيم يسألونه العفو عن دم أبيه (٤) ، فخرج عليهم في قباء وخف وعمامة
 سوداء - وكانت العرب لا تعتم بالسواد إلا في الترات - فلما نظروا إليه قاموا له ، وبدر
 إليه قبيصة فقال :

« إنك في المحلِّ والقدر ، والمعرفة بتصرف الدهر ، وما تحمده أيامه ، وتنقل به
 أحواله ، بحيث لا تحتاج إلى تذكير من واعظ ، ولا تبصير من مجرب ، ولك من سؤدد
 منصبك ، وشرف أعراقك (٥) ، وكرم أصلك في العرب ، تحمده (٦) يحتمل ما حمل عليه

(١) يقال : آتيتك به رهوا أي آتيتك به عفوا سهلا لا احتباس فيه . (٢) الناقة المسنة ، والرذية :
 مؤنث الرذى ، وهو الضعيف من كل شيء ومن أثقله المرض . (٣) المذروان . أطراف الألية
 بلا واحد أو هو المذرى ، ومن الرأس ناحيته ، ويقال جاء ينفض مذرويه . أي باغيا مهتدا .
 (٤) وكانت بنو أسد (وهم من المضربية) خاضعة للملوك كندة ، وآخر ملك عليهم هو حجر
 أبو امرئ القيس ، وقد ثاروا عليه وقتلوه لأنه كان قد عسف في حكمه لهم ، واشتط عليهم في الإتاوة التي
 يؤدونها إليه . (٥) الأعراق : جمع عرق وهو أصل كل شيء . (٦) المحمده : الأصل .

من إقالة العثرة ، ورجوع عن الهفوة ، ولا تتجاوز الهمم إلى غاية إلا رجعت إليك ، فوجدت عندك من فضيلة الرأي ، وبصيرة الفهم ، وكرم الصفح ، ما يطول رغباتها ، ويستغرق طلباتها ، وقد كان الذي كان من الخطب الجليل ، الذي عمّت رزيقته نزاراً واليمن ، ولم تُخصّصْ بذلك كِنْدَةَ دوننا ، للشرف البارِع كان الحُجْر ، التاجُ والعمّة فوق الجبين الكريم ، وإخاء الحمد وطيب الشيم ، ولو كان يُفدى هالك بالأنفس الباقية بعده لما بخلت كرايمنا بها على مثله ، ولكنه مضى به سبيل لا يرجع أخراه على أولاه ، ولا يلحق أقصاه أدناه .

فأحمد الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال ثلاث :
إمّا أن اخترت من بني أسد أشرفها بيتاً ، وأعلاها في بناء المكرّمات صوتاً ، فقدناه إليك بنسعة^(١) ، تذهب مع شفرات حُسامك يباقي قصرته^(٢) ، فنقول : رجل امتحن بهالك عزيز ، فلم يستلّ سخيمته^(٣) إلا تمكينه من الانتقام . أو فداء بما يروح^(٤) على بني أسد من نعمها ، فهي ألوف تجاوز الحسبة ، فكان ذلك فداء رجعت به القُضْبُ^(٥) إلى أجفانها ، لم يرددها تسليط الإحن^(٦) على البرآء . وإما أن وادعنا إلى أن تضع الحوامل ، فتسدل الأزر ، وتُعقد الخمر فوق الرايات .

فبكي امرؤ القيس ساعة ، ثم رفع رأسه فقال :

(١) النسع : سير عريض تشد به الرحال ، والقطعة منه نسعة . (٢) القصرة : أصل العنق .
(٣) السخيمة : الحقد . (٤) يرجع ، وأراح الإبل : ردها إلى المراح بالضم أي المأوى ، والنعم الإبل والشاء ، أو خاص والإبل ، وهو المراد هنا . (٥) السيوف . (٦) الإحن : جمع إحنة ، وهي الحقد .

١٧ - رد امرئ القيس عليه

« لقد علمت العرب أنه لا كُفءٌ لحِجْرٍ في دمٍ ، وأنى لن أعتاضَ به جَمَلًا ولا ناقةً ، فأكتسب به سُبَّةَ الأبد ، وفَتَّ العَضْدِ (١) ، وأما النَّظْرَةَ (٢) فقد أوجبها الأَجِنَّةُ في بَطُونِ أمَّهَاتِهَا ، ولن أكون لعَظْبِهَا سَبِيًّا ، وستعرفون طلائعَ كِنْدَةَ من بعد ذلك ، تحمل في القلوب حنقًا ، وفوق الأسننة عَلقًا (٣) » :

إذا جالت الحرب في مَازِقٍ تُصَافِحُ فيه المنايا النفوسا

أتقيمون أم تنصرفون ؟ »

قالوا : « بل ننصرف بأسوأ الاختيار ، وأبلى الاجترار ، بمكروه وأذية ، وحرب

وبالية » ثم نهضوا عنه وقبيصة يتمثل :

لعلك أن تستوخمَ الوِرْدَ إن غَدَتِ كَتَائِبُنَا في مَازِقِ الحربِ مُنْمَطِرٍ (٤)

فقال امرؤ القيس : « لا والله ، ولكن أستعذبه ، فرؤيدا ، ينفرج لك دُجَاهَا

عن فُرْسَانِ كِنْدَةَ وكتائبِ حَمِيرٍ ، ولقد كان ذكرُ غيرِ هذا بي أولى ، إذ كنت نازلا

برَبْعِي (٥) ، ولكنك قلتَ فأوجبت » فقال قبيصة : « ما يتوقع فوق قدر المعاتبة

والإعتاب (٦) » فقال امرؤ القيس : « هو ذاك » .

(صبح الأعشى ٢ : ٢١٦ والأغانى ٨ : ٧٢ والمثل السائر ١٠١)

(١) فته : كسره ، وهو كناية عن الضعف والوهن . (٢) الإمهال . (٣) أى دما .

(٤) تستوخمه : أى تجده وخيما . (٥) الربيع : المنزل . (٦) أعتبه : أرضاه .

۱۸ - خطبة هاني بن قبيصة الشيباني

قال هاني بن قبيصة الشيباني يحرّض قومه يوم ذي قار^(۱) :

« يَا مَعْشَرَ بَكْرٍ ، هَالِكٌ مَمْدُورٌ ، خَيْرٌ مِنْ نَاجٍ فَرُورٍ ، إِنَّ الْحَذَرَ لَا يُنْجِي
مِنَ الْقَدْرِ ، وَإِنَّ الصَّبْرَ مِنْ أَسْبَابِ الظَّفَرِ ، الْمَنِيَّةُ وَالْأَدْنِيَّةُ ، اسْتِقْبَالُ الْمَوْتِ خَيْرٌ
مِنِ اسْتِدْبَارِهِ ، الطَّعْنُ فِي ثَغْرِ^(۲) النَّحُورِ ، أَكْرَمُ مِنْهُ فِي الْأَعْجَازِ وَالظُّهُورِ ،
يَا آلَ بَكْرٍ ، قَاتِلُوا فَمَا لِلْعَنَائِيَا مِنْ بُدٍّ . »
(الأمل ۱ : ۹۲)

۱۹ - خطبة عمرو بن كلثوم

« أما بعد : فإنه لا يخبر عن فضل المرء أصدق من تركه تزكية نفسه ، ولا يعبر عنه

في تزكية أصحابه أصدق من اعتماده إياهم برغبته ، واثمائه إياهم على حرمتهم . »

(البيان والتبيين ۲ : ۶۹)

۲۰ - أكرم بن صيفي يعزي عمرو بن هند عن أخيه

وعزى أكرم بن صيفي عمرو بن هند ملك العرب عن أخيه فقال له :

« إِنَّ أَهْلَ هَذِهِ الدَّارِ سَفَرٌ لَا يَحُلُونَ عَقْدَ الرَّحَالِ إِلَّا فِي غَيْرِهَا ، وَقَدْ أَتَاكَ

مَا لَيْسَ بِمَرْدُودٍ عِنْدَكَ ، وَارْتَحَلَ عِنْدَكَ مَا لَيْسَ بِرَاجِعٍ إِلَيْكَ ، وَأَقَامَ مَعَكَ مَنْ سَيَظُنُّ

عِنْدَكَ وَيَدْعُكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا ثَلَاثَةٌ أَيَّامٌ ، فَاْمْسِ عِظَةً وَشَاهِدْ عَدْلًا ، فَجَعَلَكَ بِنَفْسِهِ ،

(۱) كان من أعظم أيام العرب وأبلغها في توهين أمر الأعاجم ، وهو يوم لبني شيبان ، وكان

أبرويز أغزاهم جيشا ، فظفر بنو شيبان ، وهو أول يوم انتصرت فيه العرب من العجم .

(۲) جمع ثغرة بالضم : وهي نقرة النحر بين الترقوتين (والثغرة بالفتح : كل عورة منفتحة) .

وأبقى لك وعليك حكمته؛ واليوم غنيمة، وصديق أتناك ولم تأته، طالت عليك غيبته،
وستسرع عنك رحلته؛ وغد لا تدري من أهله، وسيأتيك إن وجدك، فما أحسن الشكر
للمنعم، والتسليم للقادر، وقد مضت لنا أصول نحن فروعها، فما بقاء الفروع بعد أصولها،
واعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلف منها، وخير من الخير معطيه، وشر من الشر
فعله .

(العقد الفريد ٢ : ٣٥ ، نهاية الأرب ٥ : ١٦٤)

٢١ - خطبة قس بن ساعدة الإيادي

خطب قس بن ساعدة الإيادي بسوق عكاظ ، فقال :

« أيها الناس : اسمعوا وعُوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو
آت آت ، ليل داج^(١) ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر^(٢) ، وبحار
تزخر^(٣) ، وجبال مرساة ، وأرض مدحاة^(٤) ، وأنهار مجرأة . إن في السماء لخبرا ،
وإن في الأرض لخبرا ، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا فأقاموا ، أم تركوا
فناموا ؟ يقسم قس بالله قسما لا إثم فيه : إن لله دينًا هو أرضي له ، وأفضل من
دينكم الذي أنتم عليه ، إنكم لتأتون من الأمر منكراً . ويروى أن قسا أنشأ بعد ذلك
يقول :

في الداهيين الأولين من القرون لنا بصائر

لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر

(١) مظلم . (٢) قضى وتتلأ . (٣) تمتلئ وترتفع . (٤) مدحوة : أى مبسوطة ،

وإنما قال مدحاة لمرعاة السجع .

ورأيت قومي نحوها تمضي الأَكْبَرُ والأصاغر
لا يرجع الماضي إلى ولا من الباقيين غابر^(١)
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

(صبح الأعشى ١ : ٢١٢ ، وإعجاز القرآن ١٢٤ ، البيان والتبيين ١ : ١٦٨ ،
الأغاني ١٤ : ٤٠ ، العقد الفريد ٢ : ١٥٦ ، ومجمع الأمثال للميداني ١ : ٧٤)

٢٢ - قس بن ساعدة عند قيصر

وكان قس بن ساعدة يفد على قيصر ويزوره ، فقال له قيصر يوماً : ما أفضل
العقل ؟ قال : معرفة المرء بنفسه ، قال : فما أفضل العلم ؟ قال : وقوف المرء عند علمه ،
قال : فما أفضل المروءة ؟ قال : استبقاء الرجل ماء وجهه ، قال : فما أفضل المال ؟ قال :
ما قضى به الحقوق . (الأمل ٢ : ٩٣)

٢٣ - خطبة المأمون الحارثي

قعد المأمون الحارثي في نادي قومه ، فنظر إلى السماء والنجوم ، ثم أفكر طويلاً ،
ثم قال : « أرفعوني أسماعكم ، وأضعفوا إلى قلوبكم ، يَبْلُغُ الوعظ منكم حيث أريد ،
طَمَحَ^(٢) بالأهواء الأشر ، وَرَانَ^(٣) على القلوب الكدر ، وطخطنخ^(٤) الجَهْلُ النظر ،
إن فيما ترى لَمُعْتَبَرًا لمن اعتبر ، أرض موضوعة ، وسماء مرفوعة ، وَشَمْسٌ تَطْلُعُ وَتَغْرُبُ
ونجوم تسرى فتعزب ، وقمر تَطْلِعُهُ النحور ، وَتَمَحَّهْ أَدْبَارُ الشهور ، وعاجز مُثْرٍ ،
وَحوْلٌ مُكْدٍ^(٥) ، وَشَابٌ مُخْتَضِرٌ ، وَيفن^(٦) قد غبر ، وَراحلون لا يثوبون ، وموقوفون

(١) مقيم . (٢) ارتفع وعلا وذهب . (٣) غلب . (٤) أظلم . (٥) رجل حول :
شديد الاحتيال ، وأكدي : لم ينجح ، وأصله من أكدي إذا حفر فصادف الكدية (بضم الكاف) وهي
الصفة العظيمة الشديدة . (٦) الذي يموت حدثاً ، وهو مأخوذ من الحضرة كأنه حصد أخضر ،
واليفن : الشيخ الكبير .

لا يُفَرِّطُونَ^(١) ، وَمَطَرٌ يَرْسَلُ بِقَدَرٍ ، فَيُحْيِي الْبَشَرَ ، وَيُورِقُ الشَّجَرُ ، وَيُطْلِعُ الثَّمَرَ ،
 وَيَنْبِتُ الزَّهَرَ ، وَمَاءٌ يَتَفَجَّرُ ، مِنْ الصَّخْرِ الْأَيَّرِ^(٢) ، فَيَصْدَعُ الْمَدْرَ ، عَنْ أَفْئَانِ الْخَضَرِ ،
 فَيُحْيِي الْأَنْامَ ، وَيُسْبِغُ السَّوَامَ ، وَيُنْمِي الْأَنْعَامَ ، إِنْ فِي ذَلِكَ لِأَوْضَحِ الدَّلَائِلِ
 عَلَى الْمُدْبِرِ الْمُقَدَّرِ ، الْبَارِيِّ الْمَصُورِ . بِأَيِّهَا الْعُقُولُ الْنَافِرَةُ ، وَالْقُلُوبُ الْنَائِرَةُ^(٣) ،
 أَنِّي تُؤَفِّكُونَ ، وَعَنْ أَيِّ سَبِيلٍ تَعْمَهُونَ ، وَفِي أَيِّ حَيْرَةٍ تَهَيِّمُونَ ، وَإِلَى أَيِّ غَايَةٍ
 تُؤَفِّضُونَ^(٤) ، لَوْ كُشِفَتِ الْأَغْطِيَةُ عَنِ الْقُلُوبِ ، وَتَجَلَّتِ الْغِشَاوَةُ عَنِ الْعَيُونِ ، لَعَرَّحَ
 الشُّكَّ عَنِ الْيَقِينِ ، وَأَفَاقَ مِنْ نَشْوَةِ الْجَهَالَةِ مَنْ أَسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ .

(الأمل ١ : ٢٧٦)

٢٤ - بين مهلهل بن ربيعة ومرة بن ذهل بن شيبان

لما قتل جَسَّاس^(٥) بن مُرَّة بن ذُهَل الشَّيْبَانِي كَلَيْب^(٦) بن ربيعة التَّغْلَبِيَّ ،
 أَشْمَرَ أَخُوهُ مُهْلَهْل^(٧) ، وَاسْتَعَدَّ لِحَرْبِ بَكْرٍ ، وَجَمَعَ إِلَيْهِ قَوْمَهُ ، فَأَرْسَلَ رِجَالًا مِنْهُمْ

(١) يقدمون . (٢) الصلب . (٣) النَّائِرَةُ الْنَافِرَةُ ، نَارَتْ نُورًا بِفَتْحِ النُّونِ ، وَنَوَارًا
 بِفَتْحِهَا وَكَسْرِهَا : نَفَرَتْ . (٤) تَسْرَعُونَ .

(٥) وَسَبَبَ ذَلِكَ أَنَّ الْبَسُوسَ بِنْتَ مَنْقَذِ التَّمِيمِيَّةِ خَالَةَ جَسَّاسٍ كَانَ لَهَا جَارٌ مِنْ جَرَمٍ يُقَالُ لَهُ سَعْدُ بْنُ
 شَمِيسٍ ، وَكَانَتْ لَهُ نَاقَةٌ يُقَالُ لَهَا سَرَابٌ ، وَكَانَ كَلَيْبٌ قَدْحِيَّ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ الْعَالِيَةِ ، فِي أَنْفِ الرَّبِيعِ ،
 فَلَمْ يَكُنْ يَرَعَاهُ أَحَدٌ إِلَّا إِبِلَ جَسَّاسٍ لِمَصَاهِرَةِ بَيْنَهُمَا - وَكَانَتْ جَلِيلَةً بِنْتُ مَرَّةَ أُخْتِ جَسَّاسٍ تَحْتَ كَلَيْبٍ -
 فَخَرَجَتْ سَرَابٌ فِي إِبِلِ جَسَّاسٍ تَرَعَى فِي حِمَى كَلَيْبٍ ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا كَلَيْبٌ فَأَنْكَرَهَا فَرَمَاهَا بِسَهْمٍ فَأَصَابَ
 ضَرْعَهَا ، فَوَلَّتْ حَتَّى بَرَكْتَ بِفَنَاءِ صَاحِبِهَا وَضَرْعِهَا يَشْخَبُ دَمًا وَابْنًا ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا صَرَخَ بِالذَّلِّ ،
 فَخَرَجَتْ الْبَسُوسُ فَضَرَبَتْ يَدَهَا عَلَى رَأْسِهَا ، وَنَادَتْ وَادَّلَاهُ وَسَمِعَهَا جَسَّاسٌ فَسَكَّتْهَا ، وَقَالَ لَهَا : لِيَقْتُلَنَّ غَدًا
 فَحُلَّ أَعْظَمُ مِنْ نَاقَةِ جَارِكَ ، وَلَمْ يَزَلْ يَتَوَقَّعُ عُرَّةَ كَلَيْبٍ حَتَّى أَمَكَّتْهُ مِنْهُ الْفُرْصَةُ فَقَتَلَهُ ، وَنَشِبَتْ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ
 الْحَرْبُ (حَرْبُ الْبَسُوسِ) بَيْنَ بَكْرٍ وَتَغْلَبِ ابْنِي وَائِلِ أَرْبَعِينَ سَنَةً « وَبَنُو شَيْبَانَ بَطْنٌ مِنْ بَكْرٍ » .

(٦) اسْمُهُ وَائِلُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ حَارِثِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ جِشْمِ بْنِ بَكْرِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ غَنَمِ بْنِ تَغْلَبِ بْنِ وَائِلِ ،
 وَإِنَّمَا لُقِبَ كَلَيْبًا لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا سَارَ أَخَذَ مَعَهُ جُرُوكَلْبًا ، فَإِذَا مَرَّ بِرَوْضَةٍ أَوْ مَوْضِعٍ يَعْجَبُهُ ، ضَرَبَهُ ثُمَّ أَلْقَاهُ
 فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ وَهُوَ يَصِيحُ وَيَعْوَى ، فَلَا يَسْمَعُ صَوَاءَهُ أَحَدٌ إِلَّا تَجَنَّبَهُ وَلَمْ يَقْرَبِهِ ، وَكَانَ يُقَالُ كَلَيْبٌ وَائِلٌ ثُمَّ
 اخْتَصَرُوا فَقَالُوا كَلَيْبٌ فَتَلَبَّ عَلَيْهِ . (٧) اسْمُهُ عَدِيُّ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ الْمَهْلَهْلُ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ هَلْهَلَ
 الشَّعْرَ : أَيَّ أَرْقَهُ .

إلى بني شيبان ، فأتوا مرة بن ذهل بن شيبان « أبا جساس » وهو في نادي قومه ، فقالوا له :

« إنكم أتيتم عظيمًا بقتلكم كليبًا بناب^(١) من الإبل ، فقطعتم الرّحيم ، وانتهتكم الحرمه ، وإنا كرهنا العجالة عليكم دون الإعذار إليكم ، ونحن نعرض عليكم خيالا أربعا ، لكم فيها مخرج ، ولنا فيها مقنع ، فقال مرة : وما هي ؟ قالوا : تُحبي لنا كليبًا ، أو تدفع إلينا جساسًا قاتله فنقتله به ، أو همامًا^(٢) فإنه كف به له ، أو تمكنا من نفسك ، فإن فيك وفاء من دمه ، فقال : « أمّا إحيائي كليبًا ، فهذا ما لا يكون ، وأمّا جساس فإنه غلام طعن طعنة على عجل ، ثم ركب فرسه ، فلا أدري أي البلاد احتوى عليه ، وأمّا همام فإنه أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعم عشرة ، كلهم فرسان قومهم ، فلن يسلموه لي ، فأدفعه إليكم يُقتل بجريرة^(٣) غيره . وأمّا أنا فهل هو إلا أن تجول الخيل جولة غدًا ، فأكون أول قتيل بينها ؟ فما أتعجل الموت ، ولكن لكم عندي خصلتان : أما إحداهما فهؤلاء بني الباقون ، فعلقوا في عنق أيهم شتم نسعة ، فانطلقوا به إلى رحالكم ، فاذبحوه ذبح الجزور ، وإلا فالف ناقة سود الحدق ، حمر الوبر ، أقيم لكم بها كفيلا من بني وائل ، فغضب القوم وقالوا : لقد أسأت ، تبذل لنا ولدك ، وتسومنا اللبن من دم كليب ؟ » ونشبت الحرب بينهم .

(العقد الفريد ٣ : ٧٨ ، والكامل لابن الأثير ١ : ١٩٠ ، والأغانى ٤ : ١٤١)

٢٥ - منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين

لما أُنَّ أبو براء : عامر بن مالك بن جعفر بن ملاعب الأسيئة ، تنازع في الرياسة عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر ، وعلقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص ابن جعفر .

(٢) هو همام بن مرة أخو جساس ، وكان نديما لمهلل .

(١) الناقة المسنة .

(٣) الجريرة : الجريمة .

فقال علقمة : كانت لجدِّي الأحوص ، وإنما صارت لعمك بسببه ، وقد قعد عمك عنها ، وأنا استرجعتها ، فأنا أولى بها منك ، فشري^(١) الشرُّ بينهما ، وسارا إلى المنافرة . فقال علقمة : إن شئت نافرتك ، فقال عامر قد شئت . والله إنِّي لأكرم منك حسبا^(٢) ، وأثبت منك نسبا ، وأطول منك قسبا^(٣) .

فقال علقمة : والله لأنا خير منك ليلاً ونهاراً ، فقال عامر : والله لأنا أحبُّ إلى نساءك أن أصبحَ فيهنَّ منك ، أنا أنحرُّ منك للقاح^(٤) ، وخير منك في الصباح ، وأطعم منك في السنة الشياح^(٥) .

فقال علقمة : أنا خير منك أثراً ، وأحدُّ منك بصراً ، وأعزُّ منك نفراً ، وأشرفُّ منك ذكراً . فقال عامر : ليس لبني الأحوص فضل على بني مالك في العدد ، وبصري ناقصٌ ، وبصرُك صحيحٌ ، ولكني أنافرك ، إنِّي أسمى منك سمة^(٦) ، وأطولُ منك قمةً ، وأحسنُ منك لمة^(٧) ، وأجعدُ منك جمّة^(٨) ، وأسرعُ منك رحمةً ، وأبعدُ منك همةً . فقال علقمة : أنت رجلٌ جسيمٌ ، وأنا رجلٌ قضيفٌ^(٩) ، وأنت جميلٌ ، وأنا قبيحٌ ، ولكني أنافرك بأبائي وأعمامي . فقال عامر : أبؤك أعمامي ، ولم أكن لأنافرك بهم لك عقيباً ، أنا خيرُ منك عقيباً ، وأطعم منك جدُّبا . فقال علقمة : قد علمت أن لك عقيباً ، وقد أطعمت طيباً ، ولكني أنافرك ، إنِّي خيرُ منك ، وأولى بالخيرات منك . فخرجت أمُّ عامر - وكانت تسمع كلامهما - فقالت : يا عامر نافرهُ ، أيكما أولى بالخيرات . قال عامر : إنِّي والله لأرُكبُ منك في الحماة ، وأقتلُ منك للكُمأة^(١٠) ،

(١) استطار . (٢) الحسب : ما تعده من مفاخر آبائك ، أو الشرف الثابت في الآباء ، أو الكرم ، أو الشرف في الفعل أو الفعَال الصالح . (٣) القصب : عظام اليدين والرجلين ونحوهما ، كناية عن طول قامته . (٤) الابل : واحدتها لقوح . (٥) الشياح : القحط . (٦) السمة : القرابة ، ويروى أنا أنثر منك أمة ، أي أكثر قوماً . (٧) اللمة : الشعر المجارز شحمة الأذن . (٨) مجتمع شعر الرأس . (٩) نحيف من القصف ، وهو النحافة . (١٠) جمع كمي ، وهو الشجاع .

وَخَيْرٌ مِنْكَ لِلْمَوْتَى وَالْمَوْلَاةِ : فَقَالَ لَهُ عُلْقَمَةُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَبَرٌّ ، وَإِنَّكَ لَفَاجِرٌ ، وَإِنِّي لَوْلُودٌ ، وَإِنَّكَ لِعَاقِرٌ^(١) ، وَإِنِّي لَعَفٌّ ، وَإِنَّكَ لِعَاهِرٌ ، وَإِنِّي لَوَفِيٌّ ، وَإِنَّكَ لِعَادِرٌ ، فَفِيمَ تَفَاخِرُنِي يَا عَامِرُ؟ فَقَالَ عَامِرٌ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَنْزَلُ مِنْكَ لِلْقَفْرَةِ^(٢) ، وَأَنْحَرُ مِنْكَ لِلْبَكْرَةِ^(٣) ، وَأَطْعَمُ مِنْكَ لِلْهَبْرَةِ^(٤) ، وَأَطْعَنُ مِنْكَ لِلشُّغْرَةِ . فَقَالَ عُلْقَمَةُ : وَاللَّهِ إِنَّكَ لَكَلِيلُ الْبَصْرِ ، نَكِيدُ النَّظَرَ ، وَثَّابٌ عَلَى جَارَاتِكَ بِالسَّحَرِ .

فَقَالَ بَنُو خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ - وَكَانُوا يَدُومُونَ مَعَ بَنِي الْأَحْوَصِ عَلَى بَنِي مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ - لَنْ تُطِيقَ عَامِرًا ، وَلَكِنْ قُلْ لَهُ أَنْفَرُكَ بِخَيْرِنَا وَأَقْرَبْنَا إِلَى الْخَيْرَاتِ . فَقَالَ لَهُ عُلْقَمَةُ هَذَا الْقَوْلُ ، فَقَالَ عَامِرٌ : عَيْرٌ^(٥) وَتَيْسٌ ، وَتَيْسٌ وَعَنْزٌ . فَذَهَبَتْ مِثْلًا . نَعَمْ ، عَلَى مِائَةِ مِثْلِ الْإِبِلِ إِلَى مِائَةِ مِثْلِ الْإِبِلِ يُعْطَاهَا الْحَكَمَ ، أَيُّنَا نَفَرَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ أَخْرَجَهَا ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، وَوَضَعُوا بِهَا رَهْنًا مِنْ أَبْنَائِهِمْ عَلَى يَدَيْ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ خَزِيمَةُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْوَحِيدِ ، فَسُمِيَ « الضَّمِينِ » .

وَخَرَجَ عُلْقَمَةُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي خَالِدٍ ، وَخَرَجَ عَامِرٌ فِيمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي مَالِكٍ ، وَجَعَلَا مُنَافِرَتَهُمَا إِلَى أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ ، فَلَمْ يَقْلُ بَيْنَهُمَا شَيْئًا ، وَكَرِهَ ذَلِكَ لِحَالِهِمَا وَحَالِ عَشِيرَتِهِمَا ، وَقَالَ : أَنْتَمَا كَرَكْتِي الْبَعِيرِ الْأُدْرَمِ^(٦) ، قَالَا : فَأَيْنَا الْيَمِينِ؟ قَالَ كِلَا كَا يَمِينِ ، وَأَبَى أَنْ يَقْضَى بَيْنَهُمَا . فَانْطَلَقَا إِلَى أَبِي جَهْلٍ بْنِ هِشَامِ فَأَبَى أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَهُمَا - وَقَدْ كَانَتْ الْعَرَبُ تَحْكُمُ إِلَى قُرَيْشٍ - فَأَتِيَا عُمَيْيَةَ بْنَ حِصْنِ بْنِ حَذَافَةَ ،

(١) رجل عاقِر: لم يولد له ولد . (٢) القفرة: القفر . الخلاء من الأرض . (٣) البكرة :

الفتية من الإبل . (٤) الهبرة : قطعة مجتمعة من اللحم . هبرة قطعه قطعاً كباراً ، وهبر له من اللحم هبرة قطع قطعة . (٥) العير : الحمار وغلب على الوحشي ، وهو أقوى من التيس ، أي مثلي وإياك كالعير والتيس ، أو على الأقل كالتيس والعنز ، إذ التيس أقوى على النطاح من العنز ، وفي المثل : « كان عنزا فاستتيس » أي صار تيساً . يضرب للذليل الضعيف يصير عزيزاً قوياً .

(٦) درم العظم : وراه اللحم حتى لم يكن له حجم ، وامرأة درماء لاتستبين كعوبها ومرافقها ، وكل ماغطاه الشحم واللحم وخنى حجمه فقد درم .

فَأَبَى أَنْ يَقُولَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا ، فَأَتِيَا غَيَّلَانَ بْنَ سَلَمَةَ الثَّقَفِيَّ ، فَرَدَّهُمَا إِلَى حَرَمَلَةَ
ابْنِ الْأَشْعَرِ الْمُرِّيِّ ، فَرَدَّهُمَا إِلَى هَرَمِ بْنِ قُطَيْبَةَ بْنِ سَنَانَ الْفَزَارِيِّ ، فَاذْهَبَا حَتَّى نَزَلَا بِهِ ،
وَقَدْ سَاقَا الْإِبِلَ مَعَهُمَا حَتَّى أَشْتَتَ وَأَرْبَعَتَ ، لَا يَأْتِيَانِ أَحَدًا إِلَّا هَابَ أَنْ يَقْضَى
بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ هَرَمٌ : لِعَمْرِي لِأَحْكَمَ بَيْنَكُمَا ثُمَّ لَا أَفْصِلَنَّ ، فَأَعْطِيَانِي مَوْثِقًا
أَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ أَنْ تَرْضِيَا بِمَا أَقُولُ ، وَتُسَلِّمَا لِمَا قَضَيْتُ بَيْنَكُمَا ، وَأَمْرُهُمَا بِالْإِنْصِرَافِ ،
وَوَعْدُهُمَا ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنْ قَابِلٍ ، فَاذْهَبَا ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْأَجَلَ خَرَجَا إِلَيْهِ ، وَأَقَامَ الْقَوْمَ
عِنْدَهُ أَيَّامًا .

فَأَرْسَلَ هَرَمٌ إِلَى عَامِرٍ فَأَتَاهُ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِهِ عُلْقَمَةَ ، فَقَالَ يَا عَامِرُ : قَدْ كُنْتُ أَرَى لَكَ
رَأْيًا ، وَأَنْ فِيكَ خَيْرًا . وَمَا حَبَسْتُكَ هَذِهِ الْأَيَّامَ إِلَّا لِتَنْصَرِفَ عَنِ صَاحِبِكَ ، أَتَنَافَرُ
رَجُلًا لَا تَفْخَرُ أَنْتَ وَقَوْمُكَ إِلَّا بِآبَائِهِ ! فَمَا الَّذِي أَنْتَ بِهِ خَيْرٌ مِنْهُ ؟ فَقَالَ عَامِرُ :
نَشَدْتُكَ اللَّهُ وَالرَّحِمَ أَنْ لَا تَفْضَلَ عَلَيَّ عُلْقَمَةَ ، فَوَاللَّهِ لَنْ فَعَلْتُ لَا أَفْلِحُ بَعْدَهَا أَبَدًا .
هَذِهِ نَاصِيَتِي فَاجْزُئْهَا وَاحْتَكِمْ فِي مَالِي ، فَإِنْ كُنْتَ لَا بَدَ فَاذْهَبْ ، فَسَوْ يَبْنِي وَيَبْنِيهِ ،
قَالَ : انْصَرِفْ فَسَوْفَ أَرَى رَأْيِي . فَخَرَجَ عَامِرٌ وَهُوَ لَا يَشْكُ أَنْهُ يَنْفَرُهُ ^(١) عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ
إِلَى عُلْقَمَةَ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِهِ عَامِرٌ ، فَأَتَاهُ ، وَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِعَامِرٍ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ عُلْقَمَةَ بِمَا رَدَّ بِهِ
عَامِرٌ ، وَانْصَرَفَ وَهُوَ لَا يَشْكُ أَنْهُ سَيَفْضَلُ عَلَيْهِ عَامِرًا . ثُمَّ إِنْ هَرَمًا أَرْسَلَ إِلَى بَنِيهِ
وَبَنِي أَبِيهِ : إِنِّي قَائِلٌ غَدًا بَيْنَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ مَقَالَةً ، فَإِذَا فَعَلْتُ فَلْيَطْرُدْ بَعْضُكُمْ عَشْرَ
جَزَائِرَ ، فَلْيَنْجِرْهَا عَنِ عُلْقَمَةَ ، وَيَطْرُدْ بَعْضُكُمْ عَشْرَ جَزَائِرَ ، يَنْجِرْهَا عَنِ عَامِرٍ ، وَفَرِّقُوا
بَيْنَ النَّاسِ لَا تَكُونْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ ، وَأَصْبِحْ هَرَمٌ مَجْلِسٌ مَجْلِسُهُ ، وَأَقْبِلْ النَّاسَ ، وَأَقْبِلْ عُلْقَمَةَ
وَعَامِرٌ حَتَّى يَجْلِسَا ، فَقَامَ هَرَمٌ فَقَالَ : يَا بَنِي جَعْفَرٍ ، قَدْ تَحَا كَتَمَا عِنْدِي ، وَأَنْتَمَا كَرَكَيْتِي

(١) أَنْفَرَهُ عَلَيْهِ وَنَفَرَهُ عَلَيْهِ : قَضَى لَهُ عَلَيْهِ بِالْغَلْبَةِ .

البعير الأدرم : تقعان إلى الأرض معا ، وليس فيكما أحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه ،
وكلا كما سيد كريم ، وعمد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجزر ، فنحروها حيث أمرهم
هرم ، وفرقوا الناس ، ولم يفضل هرم أحدا منهما على صاحبه ، وكره أن يفعل ، وهما ابنا عم
فيجلب بذلك عداوة ، ويوقع بين الحيين شرا .

(الأغاني ١٥ : ٥١ ، وصبح الأعشى ١ : ٣٨٢ ، وشرح العيون ١٠٦ ، والعمدة ١ : ٢٨)

أشرف العرب بين يدي كسرى

قال كسرى^(١) للنعمان بن المنذر يوماً : هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة ؟ قال نعم ، قال فبأي شيء ؟ قال : من كانت له ثلاثة آباء متواليه رؤساء ، ثم اتصل ذلك بكامل الرابع ، فالببت من قبيلته فيه ، ويُنسب إليه ، قال فاطلب ذلك ، فطلبه فلم يصبه إلا في آل حذيفة بن بدر ، وآل حاجب بن زرارة ، وآل ذى الجدين ، وآل الأشعث ابن قيس بن كندة ، فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائهم ، وأقعد لهم الحكام والعدول ، وقال : ليتكلم كل منكم بما أثر قومه وليصدق ، فكان حذيفة بن بدر الفزاري أول متكلم ، وكان ألسن القوم ، فقال :

٢٦ - مقالة حذيفة بن بدر الفزاري

« قد علمت العرب أن فينا الشرف الأقدم ، والأعز الأعم ، ومأثرة^(٢) للصنيع الأكرم ، فقال من حوله : ولِمَ ذاك يا أخا فزارة ؟ فقال : ألسنا الدعائم التي لا ترام ، والعز الذي لا يضام ، قيل صدقت ، ثم قام شاعرهم فقال :

فزارة بيت العز ، والعز فيهم
فزارة قيس ، حسب قيس نضالها
لها العزة القعساء والحسب الذي
بناه إقيس في القديم رجالها

(١) هو كسرى أنوشروان ، حكم من سنة ٥٣١ إلى ٥٧٨ ميلادية .

(٢) المأثر بالفتح والضم : المكرمة المتوارثة .

فهيئات قد أعيأ القرون التي مضت مآثر قيس مجدها وفعالها
وهل أحد إن هز يوماً بكفه إلى الشمس في مجرى النجوم ينالها
فإن يصلحوا يصلح لذك جميعها وإن يفسدوا يفسد من الناس حالها

٢٧ - مقال الأشعث الكندي

ثم قام الأشعث الكندي - وإنما أذن له أن يقوم قبل ربيعة وتميم لقرابته من
النعمان بن المنذر - فقال: قد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر، وزحفها الأكبر،
وإننا لغيات الكربات، ومعدن المكرمات، قالوا: ولِمَ يا أخا كندة؟ قال: لأننا
ورثنا ملك كندة، فاستظللنا بأفئادهم^(١) وتقلدنا منكبه الأعظم، وتوسطنا بحبوحه
الأكرم، ثم قام شاعرهم فقال:

إذا قست أبيات الرجال بيننا وجدت لنا فضلا على من يفاخر
فمن قال كلاً أو أتانا بخطة ينأفِرُنَا فيها فنحن نخاطر
تعالوا قفوا كي يعلم الناس أيننا له الفضل فيما أورثته الأكابر

٢٨ - مقال بسطام الشيباني

ثم قام بسطام الشيباني، فقال: قد علمت العرب أنا بناء بيتها الذي لا يزول،
ومفرس عزها الذي لا يحول، قالوا ولِمَ يا أخا شيبان؟ قال: لأننا أدر كهم للثار،
وأضربهم للملك الجبار، وأقومهم للحكم، وألدُّهم للخضم، ثم قام شاعرهم،
فقال:

(١) جمع فء: وهو ما كان شمسا فينسخه الظل.

لَعَمْرِي بِسَطَامٍ أَحَقُّ بِفَضْلِهَا وَأَوَّلُ بَيْتِ الْعِزِّ عِزُّ الْقَبَائِلِ
فَسَائِلُ - أَبِي بَيْتِ اللَّعْنِ - عَنْ عِزِّ قَوْمِهَا إِذَا جَدَّ يَوْمَ الْفَخْرِ كُلُّ مُنَاقِلٍ^(١)
أَلْسِنَا أَعَزَّ النَّاسِ قَوْمًا وَنُصْرَةً وَأَضْرَبَهُمُ لِلْكِبْشِ بَيْنَ الْقَبَائِلِ^(٢)
وَقَائِعُ غُرٍّ كُلُّهَا رَبْعِيَّةٌ تَذِلُّ لَهَا عِزًّا رِقَابُ الْمُحَافِلِ
إِذَا ذُكِرَتْ لَمْ يُنْكَرِ النَّاسُ فَضْلَهَا وَعَاذَ بِهَا مِنْ شَرِّهَا كُلِّ وَائِلٍ^(٣)
وَإِنَّا مُلُوكُ النَّاسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِالنَّاسِ إِحْدَى الزَّلَازِلِ

٢٩ - مقال حاجب بن زرارة

ثم قام حاجب بن زرارة التميمي ، فقال : قد علمت معدًّا أنا فرع^(٤) دِعَامَتِيهَا ،
وَقَادَةَ زَحْفِيهَا ، قالوا : ولم ذاك يا أخا بني تميم ؟ قال : لِأَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ عَدِيدَا ،
وَأَنْجَبَهُمْ طُرًّا وَوَلِيدَا ، وَأَنَا أَعْطَاهُمْ لِلْجَزِيلِ ، وَأَحْمَلُهُمُ لِلثَّقِيلِ ، ثم قام شاعرهم ،
فقال :

لقد علمت أبناء خندف أننا لنا العزُّ قدما في الخطوب الاوائل^(٥)
وأنا كرام أهل مجد وثروة وعزٍ قديم ليس بالمتضائل
فكم فيهم من سيد وابن سيد أغرَّ نجيب ذي فعّال وتائل^(٦)
فَسَائِلُ (أَبِي بَيْتِ اللَّعْنِ) عَنَا فَإِنَّا دَعَاثُمُ هَذَا النَّاسِ عِنْدَ الْجَلَائِلِ^(٧)

(١) أبيت اللعن : تحية في الجاهلية ، أي أبيت أن تأتي أمرا تلعن عليه . والمناقلة في المنطق : أن تحدث
آخر ويحدثك . (٢) الكبش : سيد القوم وقائدهم . (٣) لاجي ، من وأل إليه يثل وألا .
(٤) فرع كل شيء : أعلاه . (٥) خندف : هي أم مدركة ، وطابخة وقعة أبناء الياس بن مضر بن
تزار بن معد بن عدنان . (٦) الفعّال : اسم الفعل الحسن ، والكرم . (٧) أي الأمور الجلائل
جمع جليلة .

٣٠ - مقال قيس بن عاصم السعدي

ثم قام قيس بن عاصم السعدي ، فقال : لقد علم هؤلاء أنا أرفعهم في المكرمات
دعائهم ، وأثبتهم في النائبات مقاديرهم ، قالوا : ولم ذاك يا أخا بني سعد ؟ قال : لأننا
أدركتهم للثار ، وأمنعهم للجار ، وأنا لا ننكل^(١) إذا حملنا ، ولا نرأى إذا حملنا ،
ثم قام شاعرهم فقال :

لقد علمت قيسٌ وحندفُ أننا وجُلُّ تميمٍ والجميعُ الذي ترى^(٢)
بأننا عمادُ في الأمور وأننا لنا الشرف الضخم المرَّكبُ في الندى
وأننا ليوثُ الناس في كل مأزق إذا جزَّ بالبيض الجاجمُ والطلا^(٣)
فمن ذا ليوم الفخر يعدلُ عاصمًا وقيسًا إذا مرَّت ألوف إلى العلا
فهيئات قد أعيأ الجميع فعالمهم وقاموا بيوم الفخر مسعاةً من سعى
فقال كسرى حينئذ : ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه ، وأسنى حباءهم ، وأعظم
صلاتهم ، وكرم ما بهم .
(صبح الأعشى ١ : ٣٧٧ والأغانى ١٧ : ١٠٥)

(١) لا ننكص ولا نجبن . (٢) قيس بن عيلان بن مضر . (٣) الطلا : جمع طلية ،

وهي العنق .

وفود العرب على كسرى

قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين ، فذكروا من ملوكهم وبلادهم ، فافتخر النعمان بالعرب ، وفضلهم على جميع الأمم ، لا يستثنى فارس ولا غيرها ، فقال كسرى - وأخذته عزة الملك - يا نعمان ، لقد فكرتُ في أمر العرب وغيرهم من الأمم ، ونظرت في حالة من يقدّم على من وفود الأمم ، فوجدت للروم حظاً في اجتماع ألفتها ، وعظم سلطانها ، وكثرة مدائنها ، ووثيق بنيانها ، وأن لها ديناً يبين حلالها وحرامها ، ويردّ سفيتها ، ويقيم جاهلها ، ورأيت الهند نحواً من ذلك في حكمتها وطبها ، مع كثرة أنهار بلادها وثمارها ، وعجيب صناعاتها ، وطيب أشجارها ، ودقيق حسابها ، وكثرة عددها ، وكذلك الصين في اجتماعها ، وكثرة صناعات أيديها ، وفروسيتها وهمتها في آلة الحرب ، وصناعة الحديد ، وأن لها ممالك يجمعها ، والترك والخزر على ما بهم من سوء الحال في المعاش ، وقلة الرّيف^(١) والثمار والحصون ، وما هورأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس ، لهم ملوك تضمّ قواصبيهم ، وتدبر أمرهم ، ولم أر للعرب شيئاً من خصال الخير في أمر دين ولا دنيا ، ولا حزم ولا قوّة ، ومع أن مما يدلّ على مهانتها وذلتها ، وصغر همتها ^(٢)محلّتهم التي هم بها مع الوحوش النافرة ، والطير الحائرة ، يقتلون أولادهم من الفاقة ، ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة ، قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها وهوها ولذاتها ، فأفضل طعام ظفّر به ناعمهم لحوم الابل ، التي يعافها كثير من السباع ، لثقلها ، وسوء طعمها ، وخوف دائها ، وإن قرى أحدهم ضيفاً عدّها مكرمة ،

(١) الرّيف : أرض فيها زرع وخصب ، والسعة في المأكل والمشرب . (٢) حل المكان وبه

يجل بالكسر والضم .

وإن اطعم أكلة عدّها غنيمة ، تنطق بذلك أشعارهم ، وتفتخر بذلك رجالهم ، ما خلا هذه التَنُوخِيَّة التي أسس جدّي اجتماعها ، وشدّ مملكتها ، ومنعها من عدوّها ، فجرى لها ذلك إلى يومنا هذا ، وإن لها مع ذلك آثاراً ولَبَوساً^(١) ، وقرى وحصونا ، وأموراً تشبه بعض أمور الناس - يعني اليمن - ثم لا أراكم تستكبنون على ما بكم من الذلّة والقِلَّة والفاقة والبؤس حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس ، قال النعمان : أصلح الله الملك . حُقَّ^(٢) لأمة الملك منها أن يسمو فضلها ، ويعظم خطبها ، وتعلو درجتها ، إلا أن عندي جواباً في كل ما نطق به الملك ، في غير ردّ عليه ، ولا تكذيب له ، فإن أمتني من غضبه نطقت به ، قال كسرى : قل فأنت آمن .

٣١ - خطبة النعمان بن المنذر

قال النعمان : أما أمتك أيها الملك ، فليست تُنَازِعُ في الفضل ، لموضعها الذي هي به : من عقولها وأحلامها ، وبَسَطَةِ محالها ، وَبُجْبُوْحَةِ عزّها ، وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك . وأما الامم التي ذكرت ، فأى أمة تقرّنها بالعرب إلا فضلتها . قال كسرى بماذا ؟ قال النعمان : بعزّها ، وَمَنَعَتِهَا ، وحسن وجوهها ، وبأسها ، وسخاها ، وحكمة أسنتها ، وشدة عقولها ، وأنفتها ، ووفائها .

فأما عزّها ومنعتها ، فإنها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوّخوا البلاد ، ووطدوا الملك ، وقادوا الجند ، لم يطمع فيهم طامع ، ولم ينلهم نائل ، حصونهم ظهور خيلهم ، وهبأدهم الأرض ، وسقوفهم السماء ، وجنتهم السيوف ، وعدتهم الصبر ، إذ غيرها من الأمم إنما عزها من الحجارة والطين وجزائر البحور .

وأما حسن وجوهها وألوانها ، فقد يُعرَفُ فضلهم في ذلك على غيرهم : من الهند المنحرفة ، والصين المنحرفة ، والترك المشوّهة ، والروم المقشّرة .

(٢) حق لك أن تفعل كذا وحققت أن تفعله بمعنى .

(١) الدروع .

وَأَمَّا أَنْسَابُهَا وَأَحْسَابُهَا ، فَلَيْسَتْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَّمِ إِلَّا وَقَدْ جَهَلَتْ آبَاءُهَا وَأَصُولُهَا وَكَثِيرًا
مِنْ أَوْلِيَّهَا ، حَتَّى إِنْ أَحَدُهُمْ لِيُسْأَلَ عَنِ وِرَاءِ أَبِيهِ ذَنْبًا ^(١) ، فَلَا يَنْسُبُهُ وَلَا يَعْرِفُهُ ، وَلَيْسَ
أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا يَسْمَى آبَاءَهُ أَبَا فَأَبَا ، حَاطُوا بِذَلِكَ أَحْسَابَهُمْ ، وَحَفِظُوا بِهِ أَنْسَابَهُمْ ،
فَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ فِي غَيْرِ قَوْمِهِ ، وَلَا يَنْتَسِبُ إِلَى غَيْرِ نَسَبِهِ ، وَلَا يَدْعَى إِلَى
غَيْرِ أَبِيهِ .

وَأَمَّا سَخَاؤُهَا ، فَإِنْ أَدْنَاهُمْ رَجُلًا ، الَّذِي تَكُونُ عِنْدَهُ الْبَكْرَةُ وَالنَّابُ ^(٢) ، عَلَيْهَا
بَلَاغُهُ ^(٣) فِي حُمُولِهِ ^(٤) وَشَبَعِهِ وَرَبِيَّهُ ، فَيَطْرُقُهُ الطَّارِقُ ، الَّذِي يَكْتَفِي بِالْفِلْدَةِ ^(٥) ،
وَيَجْتَزِي بِالشَّرْبَةِ ، فَيَعْقِرُهَا لَهُ ، وَبَرَّضِي أَنْ يَخْرُجَ عَنْ دُنْيَاهُ كُلِّهَا فِيمَا يَكْسِبُهُ حَسَنُ
الْأَحَدِثَةِ وَطَيْبُ الذِّكْرِ .

وَأَمَّا حِكْمَةُ أَسْنَتِهِمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاهُمْ فِي أَشْعَارِهِمْ وَرَوْنِقِ كَلَامِهِمْ ، وَحَسَنَهُ
وَوِزْنَهِ وَقَوَافِيهِ ، مَعَ مَعْرِفَتِهِمُ الْأَشْيَاءَ . وَضَرَبَهُمُ لِلْأَمْثَالِ ، وَإِبْلَاغَهُمْ فِي الصِّفَاتِ ،
مَا لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنَ الْأَسْنَةِ الْأَجْنَاسِ ثُمَّ خَيْلِهِمْ أَفْضَلُ الْخَيْلِ ، وَنِسَاؤُهُمْ أَعْفَى النِّسَاءِ ،
وَلِبَاسُهُمْ أَفْضَلُ اللَّبَاسِ ، وَمَعَادِنُهُمُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ ، وَحِجَارَةُ جِبَالِهِمُ الْجَزْعُ ^(٦) ،
وَمَطَايَاهُمُ الَّتِي لَا يَبْلُغُ عَلَى مِثْلِهَا سَفَرٌ ، وَلَا يَقْطَعُ بِمِثْلِهَا بَلَدٌ قَفَرٌ .

وَأَمَّا دِينُهَا وَشَرِيعَتُهَا ، فَإِنَّهُمْ مَتَمَسِكُونَ بِهِ ، حَتَّى يَبْلُغَ أَحَدُهُمْ مِنْ نَسَبِكَ بَدِينَهُ أَنْ
لَهُمْ أَشْهَرًا حَرَمًا ، وَبَلَدًا مُحَرَّمًا ، وَبَيْتًا مَحْجُوجًا ، يَنْسُكُونَ فِيهِ مَنَاسِكَهُمْ ، وَيَذْبَحُونَ
فِيهِ ذَبَائِحَهُمْ ، فَيَلْقَى الرَّجُلُ قَاتِلَ أَبِيهِ أَوْ أَخِيهِ ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَخْذِ ثَارِهِ ، وَإِدْرَاكِ
رَغْمِهِ ^(٧) مِنْهُ ، فَيَحْجُزُهُ كَرَمُهُ ، وَيَمْنَعُهُ دِينُهُ عَنْ تَنَاوُلِهِ بِأَذَى .

(١) هو ابن عمى دنيا بضم الدال وكسرهما مع التنوين ، وبكسرهما بلا تنوين : أى لحباً .

(٢) الناقة المسنة . (٣) البلاغ : الكفاية . (٤) الحمول والأحمال جمع حمل .

(٥) القطعة من الشيء . (٦) الجزع ويكسر : الحرز اليماني الصيفي فيه سواد وبياض ، تشبه

به العيون . (٧) الذل .

وأما وفاؤها ، فإن أحدهم يَلْحَظُ اللحظة ، وَيُومِي الإيماءة ، فهي وَلَتْ^(١) وعقدة ، لا يَحُلُّهَا إلا خروج نَفْسِهِ ، وإن أحدهم يرفع عودًا من الأرض فيكون رهنًا بِدَيْنِهِ ، فَلَا يَغْلِقُ^(٢) رَهْنُهُ ، ولا تُخْفَرُ^(٣) ذمته ، وإن أحدهم ليبلغه أن رجلا استجار به وعسى أن يكون نائيا عن داره ، فيصاب ، فلا يرضى حتى يُفْنِي تلك القبيلة التي أصابته ، أو تَفْنِي قبيلته ، لما أَخْفَرَ من جواره ، وإنه ليلجأ إليهم المجرم المُحْدِثُ ، من غير معرفة ولا قرابة ، فتكون أنفسهم دون نفسه ، وأموالهم دون ماله .

وأما قولك أيها الملك يَثِدُونَ أولادهم ، فإنما يفعله من يفعله منهم بالإناث أنفةً من العار ، وَغَيْرَةَ من الأزواج .

وأما قولك إن أفضل طعامهم لحوم الإبل - عَلَى ما وصفت منها - فما تركوا ما دونها إلا احتقارًا لها ، فَعَمَدُوا إلى أجلاها وأفضلها ، فكانت مرا كبهم وطعامهم ، مع أنها أكثر البهائم شحوما ، وأطيبها لحومًا ، وَأَرْقَهَا ألبانًا ، وأقلها غائلة^(٤) ، وأحلاها مَضْغَةً ، وإنه لا شيء من اللُّحْمَانِ يُعَالِجُ ما يُعَالِجُ به لحمها إلا أستبان فضلها عليه .

وأما تحاربهم وأكل بعضهم بعضًا ، وتركهم الانقيادَ لرجل يسوسهم ويجمعهم ، فإنما يفعل ذلك من يفعله من الأمم إذا أُنِسَتْ من نفسها ضَعْفًا ، وتخوفت نُهْوضَ عدوها إليها بالزحف ، وإنه إنما يكون في المملكة العظيمة أهل بيت واحد ، يُعْرِفُ فَضْلَهُمْ عَلَى سائر غيرهم ، فَيَلْقُونَ إليهم أمورهم ، وينقادون لهم بأزمتهم ، وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم ، حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكًا أجمعين ، مع أنفتهم من أداء الخراج وَالْوَطْثِ^(٥) بِالْعَسْفِ .

(١) عهد . (٢) غلق الرهن : استحققه المرتهن ، وذلك إذا لم يفتك في الوقت المشروط .

(٣) خفر به وأخفزه : نقض عهده وغدره . (٤) شرا . (٥) الوطث : الضرب الشديد بالرجل

على الأرض .

وأما اليمن التي وصفها الملك ، فإنما أتى جدَّ الملك إليها الذي ^(١) أتاه ، عند غلبة الحبش له ، على ملك متسقي ، وأمر مجتمع ، فاتاه مسلوباً طريداً مستصرخاً ، ولولا ما وتير به من يليه من العرب ، لمال إلى مجال ، ولوجد من يجيد الطعان ، ويغضب للأحرار من غلبة العبيد الأشرار .

فعجب كسرى لما أجابه النعمان به ، وقال : إنك لأهل لموضعك من الرياسة في أهل إقليمك ، ثم كساد من كسوته ، وسرحه إلى موضعه من الحيرة .

فلما قدم النعمان الحيرة ، وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى ، من تنقص العرب ، وتهجين ^(٢) أمرهم ، بعث إلى أكرم بن صيفي ، وحاجب بن زرارة التميميين ، وإلى الحرث بن عباد ، وقيس بن مسعود البكرين ، وإلى خالد بن جعفر ، وعلقمة بن علاثة ، وعامر بن الطفيل العامريين ، وإلى عمرو بن الشريد السلمي ، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي ، والهارث بن ظالم المرّي ، فلما قدموا عليه في الخورنق ، قال لهم : قد عرفتم هذه الأعاجم ، وقرب جوار العرب منها ، وقد سمعت من كسرى مقالات ، تخوفت أن يكون لها غور ، أو يكون إنما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خوفاً ، كبعض طمطمته ^(٣) ، في تأديتهم الخراج إليه ^(٤) ، كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله ، فاقنص عليهم مقالات كسرى ، وما ردّ عليه ، فقالوا : أيها الملك ، وفقك الله ! ما أحسن ما رددت ! وأبلغ ما حجبته به ! فمرنا بأمرك ، وادعنا إلى ماشئت . قال : إنما أنا رجل منكم ، وإنما ملكت وعززت بمكانكم ، وما يتخوف من ناحيتكم ، وليس شيء أحب إلي مما سدّد الله به أمركم ، وأصلح به شأنكم ، وأدام به عزكم ، والرأي أن تسيروا بجماعتكم أيها الرهط ، وتنطلقوا إلى كسرى ، فإذا دخلتم نطق كل رجل منكم

(١) هو سيف بن ذي يزن . (٢) تقبيح واستهجان ، والهجنة من الكلام : ما يعيبه .

(٣) رجل طمطم وطمطمي « بكسر الطاءين » وطمطمانى « بضمهما » : في لسانه عجمة . (٤) كان

الفرس يعفون عرب الحيرة من دفع الأتاوة مقابل أن يقوموا بحمايتهم من كل غارة من نواحيهم .

بما حضره ، ليعلم أن العرب على غير ما ظنَّ ، أو حَدَّثَتْهُ نفسه ، ولا ينطق رجل منكم بما يُغضبه ، فإنه ملك عظيم السلطان ، كثير الأعوان ، مُتَرَفٌ ، مُعْجَبٌ بنفسه ، ولا تنخزلوا^(١) له انخزال الخاضع الذليل ، وليكن أمرٌ بين ذلك ، تظهر به وثاقة حلومكم ، وفضلُ منزلتكم ، وعظيم أخطاركم ، وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام أكثر من ابن صيفي ، ثم تتابعوا على الأمر من منازلكم التي وضعتكم بها ، فإنما دعاني إلى التقدمة إليكم ، علمي بميل كلِّ رجل منكم إلى التقدم قبل صاحبه ، فلا يكوننَّ ذلك منكم ، فيجد في آدابكم مطعناً ، فإنه ملك مترف ، وقادر مُسَلِّطٌ ، ثم دعا لهم بما في خزائنه من طرائف حلل الملوك ، كل رجل منهم حلة وعمامة عمامة ، وختمة بياقوتة ، وأمر لكلِّ رجل منهم بنجبية مهريّة^(٢) وفرس نجبية ، وكتب معهم كتاباً :

« أما بعد : فإن الملك ألقى إليّ من أمر العرب ما قد علم ، وأجبتُهُ بما قد فهم ، بما أحببت أن يكون منه على علم ، ولا يتلجج في نفسه أن أمة من الأمم التي احتجرت دونه بمملكتها ، وحات ما يليها بفضل قوتها ، تبلغها في شيء من الأمور ، التي يتعزز بها ذوو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة ، وقد أوفدت إليها الملك رهطاً من العرب لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم ، فليسمع الملك ، وليغض عن جفاء إن ظهر من منطقتهم ، وليكرمني بإكرامهم ، وتعجيل سراحهم ، وقد نسبتهم في أسفل كتابي هذا إلى عشائرهم . »

فخرج القوم في أهبتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن ، فدفعوا إليه كتاب النعمان فقرأه ، وأمر بإنزالهم إلى أن يجلس لهم مجلساً يسمع منهم ، فلما أن كان بعد ذلك بأيام ، أمر مرازبته^(٣) ووجوه أهل مملكته ، فحضروا وجلسوا على كراسي ، عن يمينه

(١) الانخزال : مشية في تناقل . (٢) النجيب : البعير والفرس إذا كانا كريمين عتيقين ،

والمهريّة : نسبة إلى مهرة بن حيدان ، حتى تنسب إليه الإبل النجبية . (٣) جمع نرزبان ، بفتح الميم

وضم الزاي ؛ هو الرئيس من الفرس .

وشماله ، ثم دعا بهم على الوِلاء^(١) والمراتب التي وصفهم النعمان بها في كتابه ، وأقام
الترجمان^(٢) ليؤدّي إليه كلامهم ، ثم أذن لهم في الكلام .

٣٢ - خطبة أكتثم بن صيفي

فقام أكتثم بن صيفي فقال :

« إنَّ أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وأفضل الملوك أعمها نفعاً ، وخير
الأزمنة أخصبها ، وأفضل الخطباء أصدقها ، الصدق منجاة ، والكذب مهوأة ، والشر
لجاجة^(٣) ، والحزم مرّ كَبُّ صعب ، والعجز مركب وطىء . آفة الرأى الهوى ، والعجز
مفتاح الفقر ، وخير الأمور الصبر ، حسن الظن ورطة ، وسوء الظن عصمة ، إصلاح
فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعى ، من فسدت بطانته كان كالأغاص بالماء ، شرُّ
البلاد بلاد لا أمير بها ، شرُّ الملوك من خافه البريء ، المرء يعجز^(٤) لا المحالة^(٥) ، أفضل
الأولاد البررة ، خير الأعوان من لم يراء بالنصيحة ، أحق الجنود بالنصر من حسنت
سريره ، يكفيك من الزاد ما بلغك المحلّ ، حسبك من شرّ سماعه ، الصمت حكم^(٦)
وقليل فاعله ، البلاغة الإيجاز ، من شدّد نَفْرًا ، ومن تراخى تألّفًا . »

فتعجب كسرى من أكتثم ، ثم قال : وَيَحْكُ^(٧) يا أكتثم ما أحكمك وأوثق
كلامك ! لولا وُضِعَ كلامك في غير موضعه . قال أكتثم : الصدق ينبي عنك
لا الوعيد . قال كسرى : لو لم يكن للعرب غيرك الكفى .

قال أكتثم : رَبِّ قَوْلٍ أَنْفَذُ مِنْ صَوْلِ .

(١) التابع والتوالي ، مصدر واى . (٢) ترجمان : بفتح التاء وضم الجيم وبضمهما
وبفتحهما . (٣) أى أصله اللجاجة ، وهى تماحك الحصين وتماديهما . (٤) من بابى ضرب
وسمع . (٥) المحالة : الحيلة . (٦) الحكم : الحكمة (وأثيناها الحكم صبيا) . (٧) ويح : كلمة
رحمة ، (وويل : كلمة عذاب) ، وقيل هما بمعنى واحد .

٣٣ - خطبة حاجب بن زرارة

ثمّ قام حاجب بن زرارة التميمي فقال :

« وَرَى^(١) زَنْدِكَ ، وَعَلَتْ يَدُكَ ، وَهَيْبَ سَاطَانِكَ ، إِنَّ الْعَرَبَ أُمَّةٌ قَدْ غَلَطَتْ
أَكْبَادَهَا ، وَاسْتَحْصَدَتْ^(٢) مِرَّتَهَا ، وَمُنِعَتْ دِرَّتَهَا^(٣) ، وَهِيَ لَكَ وَامِقَةٌ مَا تَأَلَّفَتْهَا ،
مُسْتَرْسَلَةٌ مَا لَا يَنْتَهَى ، سَامِعَةٌ مَا سَامَحَتْهَا ، وَهِيَ الْعَلَقِمُ مَرَارَةٌ ، وَالصَّابُ^(٤) غَضَاضَةٌ^(٥) ،
وَالعَسَلُ حَلَاوَةٌ ، وَالْمَاءُ الزُّلَالُ^(٦) سَلَاسَةٌ^(٧) ، نَحْنُ وَفُودُهَا إِلَيْكَ ، وَالسِّنْتَهَا لَدَيْكَ ،
ذَمْتَنَا مَحْفُوظَةٌ ، وَأَحْسَابُنَا مَمْنُوعَةٌ ، وَعِشَائِرُنَا فِينَا سَامِعَةٌ مَطِيعَةٌ ، إِنْ نَوَّبَ لَكَ حَامِدِينَ خَيْرًا
فَلَكَ بِذَلِكَ عَمُومٌ مَحْمَدَتْنَا ، وَإِنْ نَذُمَ لَمْ نُخَصَّ بِالذَّمِّ دُونَهَا » .

قال كسرى : يا حاجب ، ما أشبه حجر التلال بألوان صخرها ، قال حاجب :
بل زئير الأسد بصولتها ، قال كسرى : وذلك .

٣٤ - خطبة الحارث بن عباد

ثمّ قام الحارث بن عباد البكريّ ، فقال :

دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظها ، وعلوّ سنائها ، من طال رشاؤه^(٨) ،
كثُرَ مَتَّحُهُ^(٩) ، ومن ذهب ماله ، قلَّ مَنَحُهُ . تناقل الأقاويل يُعرِّفُ اللَّبَّ ، وهذا

(١) وري الزند بفتح الراء وكسرهما وريا ورية فهو وار وورى : خرجت ناره . وأوريته ووريته
واستوريته ، والزند : العود الذي يقدح به النار جمعه زناد وأزند وأزناد . (٢) استحصد الحبل :
استحكم ، والمره : طاقة الحبل ، والقوة : العقل . كناية عن قوتهم . (٣) الدرة : اللبن كالدر .
(٤) عصارة : شجر مر . (٥) هي احتمال المكروه . والذلة والمنقصة . (٦) ماء زلال :
سريع المر في الحلق بارد عذب صاف سهل سلس . (٧) سهولة . السلس : السهل اللبن المنقاد .
(٨) الرشاء : الحبل . (٩) المنح : نزع الماء من البئر .

مقام سَيُوجِفُ^(١) بما ينطق به الرَّكْبُ ، وتعرف به كُنْهَ حَالِنَا الْعَجَمُ والعرب ، ونحن جيرانك الأدنون ، وأعوانك المعينون ، خيولنا جَمَّةٌ ، وجيوشنا فحمة ، إن استنجدتنا فغير رُبُضٍ^(٢) ، وإن استطرقتنا^(٣) فغير جُهْضٍ^(٤) ، وإن طلبتنا فغير غُمُضٍ^(٥) ، لا ننثنى لِدَعْرِ ، ولا نَنَنَكِرُ لدهر ، رماحنا طوال ، وأعمارنا قصار .

قال كسرى : أنفس عزيزة وأمة ضعيفة ، قال الحرث : أيها الملك وأنى يكون لضعيف عزّة أو لصغير مرّة ! قال كسرى : لو قصر عمرُك ، لم تستول على لسانك نَفْسُكَ . قال الحرث : أيها الملك إن الفارس إذا حمل نفسه على الكتيبة مغرّراً بنفسه على الموت ، فهي مَنِيَّةٌ استقبلها ، وَجِنَانٌ استدبرها ، والعرب تعلم أنى أبعث الحرب قُدماً^(٦) ، وأحبسها وهي تصرّفُ بها ، حتى إذا جاشت نارها ، وَسَعَرَتْ لظاها ، وكشفت عن ساقها ، جَعَلَتْ مَقَادَهَا رُمْحِي ، وَبَرَقَهَا سِيفِي ، وَرَعَدَهَا زَيْبِي ، ولم أقصرُ عَن خوص خَضْخَاضِهَا^(٧) ، حتى أنعمس في غَمَرَاتِ جُلُجِهَا ، وأكون فُدْكَ لفرسانى إلى بُجْبُوْحَةٍ كَبِشْهَا^(٨) ، فأستهطرها دماً ، وَأَتْرُكُ حَمَاتَهَا جَزَرَ^(٩) السَّبَاعِ وَكَلَّ نَسْر

(١) وجف الفرس والبعير عدا ، وأوجفته : أعديته ، يقال : أو جف فأعجف (فإو جفتم عليه من خيل ولا ركاب) أى ما أعلمتم .

(٢) يقال : رجل ربض عن الحاجات لا ينهض فيها ، وهو هنا جمع ربوض بالفتح من ربضت الشاة كبركت الناقة : أى لا نتقاعس عن نصرتك ولا نحجم . (٣) استطرقه فحلا : طلبه منه ليضرب في إبله ، هذا هو الأصل ، والمراد استعنت بنا . (٤) أجهضت الناقة والمرأة ولدها : أسقطته ناقص الخلق ، والسقط : جهيض ، وجمعه جهض ، أى أن فعلنا إذا ضرب النياق (نسكحها) لم تأت بجهض بل تنتج ، والمراد أنه إن استنجد بهم أثمر ذلك الاستنجاد ولم يخب . (٥) من الغمض ، وهو النوم ، يقال ما غمضت ، ولا أغمضت ، ولا اغتمضت ، فالوصف من الأول غامض ، وللمبالغة غموض ، والجمع غمض أى فلا تنام عن نصرتك . (٦) القدم : المضى أمام أمام ، وهو يمشى القدم : إذا مضى في الحرب . والقدم : المقدم الشجاع . وفى الحديث « طوبى لعبد مغبر قدم في سبيل الله » . (٧) الخضخاض : نفض أسود رقيق تهأ به الإبل الجرب (ولعله خضاخضها) بضم الخاء ، والخضاخض : المكان الكثير الماء . (٨) سيد القوم وقائدهم . (٩) أى قطعا .

قَشَعَمَ^(١) . ثم قال كسرى لمن حضره من العرب : أ كذلك هو ؟ قالوا : فعاله أنطق
مِنْ لسانه .

قال كسرى : ما رأيت كالسيوم وَفَدًا أَحشد ، ولا شهوداً أوفد .

٣٥ - خطبة عمرو بن الشريد

ثم قام عمرو بن الشريد السلمي ، فقال :

« أيها الملك ، نعيمَ بالك ، وودام في السرور حالك ، إن عاقبة الكلام مُتَدَبِّرَةٌ ،
وأشكال الأمور مُعْتَبِرَةٌ ، وفي كثيرِ ثقله ، وفي قليلِ بُلغته ، وفي الملوك سورة^(٢) العز ،
وهذا منطوق له ما بعده ، شرفَ فيه من شرف ، وخملَ فيه من خمل ، لم نأتِ لضيحك ،
ولم نَفِدْ لسخطك ، ولم نتعرض لِرِفْدِكَ^(٣) إن في أموالنا مُنْتَقَدًا^(٤) ، وعلى عزنا
مُعْتَمِدًا ، إن أُرِينَا^(٥) نارًا أثقنا ، وإن أُوِدَّ^(٦) دهر بنا اعتدلنا ، إلا أنا مع
هذا لجوارك حافظون ، ولِمَنْ رَامَكَ كَافِحُونَ ، حتى يُحْمَدَ الصِّدْرُ^(٧) وَيُسْتَطَابَ
الْخَبْرُ » .

قال كسرى : ما يقوم قصدُ منطِقِك بإفراطك ، ولا مدْحُك بِذمِّك ، قال عمرو :
كفي بقليل قصدي هاديا ، وبأيسر إفراطى مُخْبِرا ، ولم يُلَمَّ مَنْ غَرَبَتْ نفسه عما يعلم ،
ورضى من القصد بما بلغ . قال كسرى : ما كل ما يعرف المرء ينطق به .
اجلس .

(١) مسن . (٢) سورة المجد : أثره وعلامته ، وسورة السلطان : سطاوته (والسورة المنزلة)
بالضم . (٣) الرفد : العطاء . (٤) انتقد الدراهم قبضها . (٥) أو قدنا . (٦) اعوج .
(٧) الرجوع .

٣٦ - خطبة خالد بن جعفر الكلابي

ثمَّ قام خالد بن جعفر الكلابي فقال :

« أ حضر الله الملك إسعاداً ، وأرشده إرشاداً ، إنَّ لكل مَنْطِقَ فُرْصَةٍ ، ولكل حاجة غُصَّةً ، وَعَيْءُ المنطقِ أَشدُّ مِنْ عَيْءِ السُّكُوتِ ، وَعِثَارُ القَوْلِ أَنْكَأُ^(١) مِنْ عِثَارِ الوَعْثِ^(٢) . وما فُرْصَةُ المنطقِ عندنا إِلَّا بِما نَهَوَى ، وَغُصَّةُ المنطقِ بِما لَأَنَهَوَى غَيْرُ مستساغة^(٣) ، وتركى ما أعلم مِنْ نَفْسِي ، وَيُعَلِّمُ مِنْ سَمْعِي أَنِّي لَهُ مُطِيقٌ ، أَحِبُّ إِلَيَّ مِنْ تَكْلَفِي ما أَتَخَوَّفُ وَيَتَخَوَّفُ مِنِّي ، وَقَدْ أَوْفَدَنَا إِلَيْكَ مَلَكَنا النِّعَمَانَ ، وَهُوَ لَكَ مِنْ خَيْرِ الأَعْوَانِ ، وَنِعْمَ حَامِلُ المَعْرُوفِ وَالإِحْسَانَ ، أَنفَسْنَا بِالطَّاعَةِ لَكَ بِأَخْعة^(٤) ، وَرَقَابِنَا بِالنَّصِيحةِ خاضعةً ، وَأَيْدِينَا لَكَ بِالوَفاءِ رَهِينةً . »

قال له كسرى : نطقت بعقل ، وَسَمَوْتَ بِفَضْلِ ، وَعَلَوْتَ بِذَنْبِ .

٣٧ - خطبة علقمة بن علاثة العامري

ثمَّ قام علقمة بن علاثة العامري فقال :

« نَهَجَّتْ^(٥) لَكَ سَبِيلَ الرِّشَادِ ، وَخَضَعَتْ لَكَ رِقَابَ العِبَادِ ، إنَّ لِلأَقْوابِلِ مَناهِجَ ، وَلِلأَراءِ مَوَاجِلَ^(٦) وَلِلْمَوْبِصِ مَخارجَ ، وَخَيْرُ القَوْلِ أَصْدَقُهُ ، وَأَفْضَلُ الطَّلِبِ أَنْجَحُهُ ، إنا وَإِنْ كَانَتْ المَحبَةُ أَحْضَرْتَنَا ، وَالوَفاءَةُ قَرَّبَتْنا ، فَلَيْسَ مِنْ حَضْرِكَ مَنَّا بِأَفْضَلِ مِمَّنْ عَزَبَ عَنْكَ ، بَلْ لَوْ قَسَيْتَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، وَعَلِمْتَ مِنْهُمْ ما عَلِمْنَا ، لَوَجَدْتَ لَهُ فِي آبائِهِ

(١) نكأ العدو ونكاه نكاية : قتل وجرح ، وأنكأ : أى أشد نكاية وقهراً . (٦) الوعث : المكان السهل الدهس تغيب فيه الأقدام والطريق العسر . (٣) أساغ الفصة ابتلعها ، وساغ الشراب : سهل مدخله في الحلق . (٤) خاضعة ومقرة ، بنوع بالحق أقر به وخضع له . (٥) وضحت . (٦) مداخل ، جمع مولى . كجلس ، وليج يلج واوجا ولجة .

دُنْيَا ، أُنْدَادًا وَأَكْفَاءَ ، كُلَّهُمْ إِلَى الْفَضْلِ مَنْسُوبٌ ، وَبِالشَّرْفِ وَالسُّؤْدُودِ^(١) مُوصُوفٌ ،
وَبِالرَّأْيِ الْفَاضِلِ وَالْأَدَبِ الْبَاقِذِ^(٢) مَعْرُوفٌ ، يَحْمِي حِمَاهُ ، وَيُرْوِي نَدَامَاهُ^(٣) ، وَيَذُودُ
أَعْدَاءَهُ ، لَا تَحْمُدُ^(٤) نَارُهُ ، وَلَا يَحْتَرِزُ مِنْهُ جَارُهُ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ : مَنْ يَبْلُ الْعَرَبُ يَعْرِفُ
فَضْلَهُمْ ، فَاصْطَنَعَ^(٥) الْعَرَبُ ، فَإِنَّهَا الْجِبَالُ الرَّوَّاسِي عَزَا ، وَالْبَحُورُ الزَّوَاخِرُ طُمِيًّا^(٦) ،
وَالنَّجُومُ الزَّوَاهِرُ شَرَفًا ، وَالْحَصَى عَدَدًا ، فَإِنْ تَعْرِفَ لَهُمْ فَضْلَهُمْ يُعْرِزُوكَ ، وَإِنْ
تَسْتَصْرِخَهُمْ^(٧) لَا يَخْذُوكَ .

قال كسرى : وخشى أن يأتي منه كلام يحمله على السخط عليه - حسبك
أبلغت وأحسنت .

٣٨ - خطبة قيس بن مسعود الشيباني

ثم قام قيس بن مسعود الشيباني ، فقال :

« أَطَابَ اللَّهُ بِكَ الْمَرَاشِدَ ! وَجَنَّبَكَ الْمَصَائِبَ ! وَوَقَاكَ مَكْرُوهَ الشَّصَائِبِ^(٨) !
مَا أَحَقَّنَا - إِذْ أَتَيْنَاكَ - بِإِسْمَاعِكَ مَا لَا يُحْنِقُ صَدْرَكَ ، وَلَا يَزْرَعُ لَنَا حِقْدًا فِي قَلْبِكَ !
لَمْ نَقْدَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ لِمُسَامَاةٍ ، وَلَمْ نَنْتَسِبْ لِمُعَادَاةٍ ، وَلَكِنْ لَتَعْلَمِ أَنْتَ وَرَعِيَّتُكَ وَمَنْ حَضَرَكَ مِنْ
وَفُودِ الْأُمَمِ ، أَنَا فِي الْمَنْطِقِ غَيْرُ مُحْجَمِينَ ، وَفِي النَّاسِ غَيْرُ مُقَصَّرِينَ ، إِنْ جُورِينَا فَعَبِيرُ
مَسْبُوقِينَ ، وَإِنْ سُومِينَا فَعَبِيرُ مَغْلُوبِينَ . »

(١) السؤدد بفتح الدال والسؤدد بضمها والسود والسيادة . (٢) الظاهر أثره .

(٣) ندأى . جمع ندمان ، وهو النديم ، وجمع النديم ندماء ، ونادمه : جالسه على الشراب (ندمان
بمعنى منادم مصروف ، لأن مؤنثه ندمانة ، أما ندمان بمعنى نادم فلا يصرف لأن مؤنثه ندمى :

كل فعلان فهو أنثاه فعلى غير وصف النديم بالندمان)

(٤) خد : كنصر وسمع . (٥) اختر واصطف . (٦) طمى الماء يطمى طميا علا ، والنبت

طال والبحر امتلا ، وهته علت . (٧) تستجد بهم . (٨) جمع شصية ، وهى الشدة .

قال كسرى : غير أنكم إذا عاهدتم غير وافين (وهو يُعَرِّضُ به في تركه الوفاء بضمانه السواد^(١)) قال قيس : أيها الملك ما كنت في ذلك إلا كَوَافٍ غَدِرَ به ، أو كخافر أخفِرَ بدمته . قال كسرى : ما يكون لضعيف ضمان ، ولا لدليل خفارة ، قال قيس : أيها الملك : ما أنا فيما أخفِرَ من ذمتي أحمقُ بِالزَّامِي العَارِ منك فيما قتل من رَعِيَتِكَ ، وأنتَهِكَ من حرمتك ، قال كسرى : ذلك لأن من اتَّمن الخانة^(٢) ، واستنجد الأئمة ، ناله من الخطأ ما نالني ، وليس كل الناس سواء ، كيف رأيت حاجب بن زرارة ، لم يُحْكِمُ قواه ، فَيُبرِمَ ، وَيَعْهَدُ فَيُوفِي ، وَيَبْعُدُ فَيُنْجِزُ ، قال وما أحقُّه بذلك ، وما رأيتَه إلا لي ، قال كسرى : القوم بزل^(٣) فأفضلها أشدها .

٣٩ خطبة عامر بن الطفيل العامري

ثمَّ قام عامر بن الطفيل العامري فقال :

« كثر فنون المنطق ، ولَبَسُ القول أعمى من حِنْدِس^(٤) الظلماء ، وإِنما الفخر في الفعال ، والعجز في النجدة ، والسودد مطاوعة القدرة^(٥) ، وما أعلك بقدرنا ، وأبصرك بفضانا ، وبالحري^(٦) إن أدالت^(٧) الأيام ، وثابت الأحلام أن تحدث لنا أمورالها أعلام^(٨) . قال كسرى : وما تلك الأعلام ، قال مُجْتَمَع^(٩) الأحياء من ربيعة ومُضَر ، على أمر يذكر قال كسرى : وما الأمر الذي يذكر ؟ قال : مالي علم بأكثر مما خبرني به مخبر ، قال كسرى : متى تسكاهنت يا بن الطفيل ؟ قال : لست بكاهن ، ولكني بالرمح

(١) أي سواد العراق . (٢) الخانة والحونة : جمع خان . (٣) البازل : الجمل في السنة التاسعة ، والرجل الكامل في تجربته جمع بزل وبزل . (٤) الليل المظلم والظلمة . (٥) أي أن يأتي المرء ما يقدر عليه ، فإن ذلك يبلغه السودد . (٦) خليق وجدير . (٧) نصرتنا . (٨) أي مشهورة . (٩) اجتماع .

طَاعَن ، قَالَ كَسْرَى : فَإِنِ اتَّكَ آتٍ مِنْ جِهَةِ عَيْنِكَ الْعَوْرَاءَ مَا أَنْتَ صَانِعٌ ؟ قَالَ :
مَا هَيَّبَتِي فِي قَفَايَ بَدُونَ هَيْبَتِي فِي وَجْهِ ، وَمَا أَذْهَبَ عَيْنِي عَيْثُ^(١) ، وَلَكِنْ
مَطَاوَعَةُ الْعَبَثِ .

٤٠ - خطبة عمرو بن معد يكرب الزبيدي

ثمَّ قام عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، فقال :

« إِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ : قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ ، فَبِالْغِ الْمَنْطِقَ الصَّوَابَ ، وَمِالَكَ النَّجْمَةَ^(٢)
الْارْتِيَادَ ، وَعَفْوُ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ اسْتِكْرَاهِ الْفِكْرَةَ ، وَتَوْقِيفِ الْخُبْرَةَ خَيْرٌ مِنْ أَسْتِصَافِ
الْخَيْرَةَ ، فَاجْتَبِذْ^(٣) طَاعَتَنَا بِلَفْظِكَ ، وَارْتِضَ بَادِرَتَنَا بِجَلْمِكَ ، وَأَلِّينَا كَنْفَكَ بِسَلْسِ
لِكَ قِيَادَتِنَا ، وَإِنَّا أَنَاسٌ لَمْ يُوقَسْ^(٤) صَفَاتِنَا قِرَاعُ مَنَاقِيرِ^(٥) مِنْ أَرَادَ لَنَا قَضِيًّا^(٦) ، وَلَكِنْ
مَنْعَنَا حِمَانًا مِنْ كُلِّ مَنْ رَامَ لَنَا هَضْمًا »

٤١ - خطبة الحارث بن ظالم المري

ثمَّ قام الحارث بن ظالم المري ، فقال :

« إِنِ مِنْ آفَةِ الْمَنْطِقِ الْكُذْبُ ، وَمِنْ لُؤْمِ الْأَخْلَاقِ الْمَلَقُ ، وَمَنْ خَطَلَ الرَّأْيَ خِيفَةُ
الْمَلِكِ الْمُسَلِّطِ ، فَإِنِ أَعْلَمْنَاكَ أَنَّ مَوَاجِهْتَنَا لَكَ عَنِ الْإِثْتِلَافِ ، وَأَنْقِيَادَنَا لَكَ عَنِ تَصَافِي ،
فَمَا أَنْتَ لِقَبُولِ ذَلِكَ مِنَّا بِخَلِيقٍ ، وَلَا لِلْإِعْتِمَادِ عَلَيْهِ بِحَقِيقٍ ، وَلَكِنْ الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ ،
وَالْحُكْمُ وَلْتِ الْعُقُودِ ، وَالْأَمْرُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَعْتَدِلٌ ، مَا لَمْ يَأْتِ مِنْ قِبَلِكَ
مِيلٌ أَوْ زَلٌّ . »

(١) الإفساد . (٢) النجمة : طلب الكلا في موضعه . (٣) اجتذب . (٤) الوقس :
انتشار الجرب في البدن ، والتوقيس : الإجراء ، أي لم يخذش صفاتنا ويؤثر فيها . (٥) جمع منقار ،
وهو حديدة كالفأس ينقر بها . (٦) أصله الأكل بأطراف الأسنان .

قال كسرى : من أنت ؟ قال الحرث بن ظالم ، قال إن في أسماء آبائك لدليلاً على قلة وفائك ، وأن تكون أولى بالصدر ، وأقرب من الوزر . قال الحرث : إن في الحق مفضية . والسروُ التغافل^(١) ، وإن يستوجب أحدُ الحلم لإمع القدرة ، فلتشبه أفعالك بجاسك ، قال كسرى : هذا فتى القوم

ثم قال كسرى : قد فهمت ما نطقت به خطاباً لكم ، وتفنن فيه متكلموكم ، ولولا أنى أعلم أن الأدب لم يُثقف أودكم ، ولم يُحك أمركم ، وأنه ليس لكم ملك يجمعكم ، فتنتقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة ، فنطقتم بما استولى على ألسنتكم ، وغلب على طباعكم ، لم أُجز لكم كبيراً مما تكلمتم به ، وإني لأكره أن أُجبه وفودى ، أو أُحنق صدورهم ، والذي أحب من إصلاح مُدبركم ، وتألف شواذكم ، والإعذار إلى الله فيما بيني وبينكم ، وقد قبلت ما كان في منطقتكم من صواب ، وصفحتم عما كان فيه من خلال ، فانصرفوا إلى ملائكتكم ، فأحسنوا موازرتهم ، والتزموا طاعته ، واردعوا - فهاءكم وأقيموا أودهم ، وأحسنوا أديهم ، فإن في ذلك صلاح العامة .

(العقد الفريد ١: ١٠١)

(١) السرو : المروءة في شرف .

٤٢ - مخالس بن مزاحم وقاصر بن سلمة عند النعمان بن المنذر

كان مُخَالِسُ بن مُزَاحِمِ الكَلْبِيِّ ، وقَاصِرُ بنِ سَلَمَةَ الجُدَامِيُّ بِيَسَابِ النُّعْمَانِ بنِ المُنْذِرِ ، وكان بينهما عداوة ، فأتى قاصر إلى ابن فراتني وهو عمرو بن هند أخو النعمان ابن المنذر ، وقال : إن مخالساً هجاك ، وأنشده في ذلك أبياتاً ، فلما سمع عمرو ذلك أتى النعمان ، فشكا مخالساً وأنشده الأبيات ، فأرسل النعمان إلى مخالس : فلما دخل عليه قال : « لا أمَّ لك ! أتَهجو امرأً هو ميتاً خيرٌ منك حياً ، وهو سقيماً خيرٌ منك صحيحاً . وهو غائباً خيرٌ منك شاهداً ؟ فبجرُمة ماء المزن^(١) ، وَحَقُّ أَبِي قابوس^(٢) ، لئن لاح لي أن ذلك كان منك ، لأنزِعَنَّ غَلَصَمَتَكَ من قفاك ، وَلَا طَعِمَنَّكَ لحمك . »

قال مخالس : « أبيات اللعن ! كلا ، والذي رفع ذرِّوتك بأعمادها ، وأمات حسادك بأكادها ، ما بلغت غير أقاويل الوُشَاةِ ، وَنَمَائِمِ العُصَاةِ ، وما هجوت أحداً ، ولا أهجو امرأً ذكرت أبداً ، وإني أعوذ بجدك الكريم ، وعزِّ بيتك القديم ، أن ينالني منك عقاب ، أو يفاجئني منك عذاب ، قبل الفحص والبيان ، عن أساطير أهل البهتان . »

فدعا النعمان قاصراً فسأله ، فقال قاصر : « أبيات اللعن ! وحقك لقد هجاه وما أروانيها سواه » فقال مخالس : « لا يأخذنَّ أيها الملك منك قولُ امرئٍ آفِكِ^(٣) ، ولا تُورِدُنِي سبيل المهلك . واستدليل على كذبه بقوله : إني أرويته مع ما تعرف من عداوته » ، فعرف النعمان صدقه فأخرجهما .

فلما خرجا ، قال مخالس لقاصر : « شَقِي جَدُّكَ ، وَسَقُلَ خَدُّكَ ، وَبَطَلَ كَيْدُكَ ، وَلا حِمْزٌ لِقَوْمِ جُرْمِكَ ، وَطَاشَ عَنِّي سَهْمُكَ ، وَلَأَنْتَ أَضْيَقُ حِجْرًا مِنْ نَقَّازِ^(٤) ، وَأَقْلُ قُوَى مِنْ الحَامِلِ عَلَى الكَرَّازِ^(٥) » فأرسلها مثلاً .

(بجمع الأمثال ١ : ١٤٠)

(١) المزن : السحاب أو أبيضه أو ذو الماء ، جمع مزنة . (٢) يعني نفسه وأبو قابوس كنيته . (٣) كذاب . (٤) الحجر : العقل ، والنقاز : كرمان ، وشداد : طائر أو صغار العصفير ومن قول حسان بن ثابت :

لابأس بالقوم من طول ومن قصر
جسم البغال وأحلام العصفير

(٥) الكراز : الكبش يحمل خرج الراعي ، أي أقل قوى من الراعي يحمل زاده على الكبش ، وهو مثل يضرب لمن يرمى باللؤم .

٤٣ - ضمرة بن ضمرة عند النعمان بن المنذر

قيل إن رجلاً من بني تميم يقال له ضمرة بن ضمرة ، كان يُغِير على مَسَاحٍ^(١) النُّعْمَان بن المنذر ، حتى إذا عِيلَ صبر النعمان ، كتب إليه أن أُدْخِلَ في طاعتي ، ولك مائة من الإبل ، فقبها وأتاه ، فلما نظر إليه أزدراه - وكان ضمرة دَمِيماً - فقال : تسمع بِالْمُعَيْدِيِّ لَأَنْ تَرَاهُ^(٢) . فقال ضمرة : مَهْلًا أَيُّهَا الْمَلِكُ . إن الرجال لا يَكَاوُنُ بِالصَّيْعَانِ^(٣) . وإنما المرء بأصغَرِيهِ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ . إن قَاتَلَ قَاتِلَ بَجِنَانَ . وإن نطق نطق ببيان . قال : صدقت لله دَرَكٌ ، هل لك علم بالأُمُور وَالْوُلُوجِ فِيهَا ؟ قال : والله إني لأُبرِمُ منها الْمَسْجُولَ^(٤) . وَأَنْقُضُ منها الْمَفْتُولَ . وَأُحِيلُهَا حتى تَحُولَ ، ثم أنظر إلى ما يثول . وليس للأُمُور بصاحبٍ . مَنْ لا يَنْظُرُ في الْعَوَاقِبِ . قال : صدقت ، لله درك ! فأخبرني : ما الْعَجْزُ الظَّاهِرُ ، وَالْفَقْرُ الْحَاضِرُ ، وَالِدَاءُ الْعِيَاءُ^(٥) ، وَالسُّوءَةُ السُّوءَاءُ ؟ قال ضمرة :

« أَمَا الْعَجْزُ الظَّاهِرُ . فَالشَّابُّ القَلِيلُ الْحَيْلَةَ . اللَّزُومُ لِلْحَلِيلَةِ . الَّذِي يَحُومُ حَوْلَهَا . وَيَسْمَعُ قَوْلَهَا . فَإِنْ غَضِبَتْ تَرْضَاهَا . وَإِنْ رَضِيَتْ تَفْدَاهَا . وَأَمَا الْفَقْرُ الْحَاضِرُ فَالمرء لا تَشْبَعُ نَفْسُهُ . وَإِنْ كَانَ مِنْ ذَهَبٍ خِلْسُهُ^(٦) . وَأَمَا الدَّاءُ الْعِيَاءُ : فَجَارُ السُّوءِ ، إِنْ كَانَ فَوْقَكَ قَهْرَكَ ، وَإِنْ كَانَ دُونَكَ هَمْزَكَ^(٧) . وَإِنْ أُعْطِيَتْهُ كَفْرَكَ ، وَإِنْ مَنَعَتْهُ شَتْمَكَ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ جَارَكَ ، فَأَخْلِ لَهُ دَارَكَ ، وَعَجَّلْ مِنْهُ فِرَارَكَ ، وَإِلَّا فَأَقِمِ بَدَلَ

(١) مساح جمع مسلحة بالفتح وهي الثغر . (٢) وفي رواية « تسمع بالمعدي خير من أن تراه » وهو مثل يضرب لمن خبره خير من مرآه ، والمعدي تصغير المعدي نسبة إلى معد وهو حي ، خففت الدال استثقالا للتشديد مع ياء التصغير ، وقيل منسوب إلى معيد وهو اسم قبيلة . (٣) الصيعان جمع صاع وهو مكيال يكال به ، ومعياره الذي لا يختلف أربع حفنات بكفى الرجل الذي ليس بمعظم الكفين ولا صغيرهما . وحرر بعض المحققين أن الصاع بالمصري قد حان وثلاث . (٤) سحل الثوب : لم يبرم غزله . (٥) داء عياء : لا يبرأ منه . (٦) المجلس كساء يجعل على ظهر البعير تحت رحله . (٧) الحمز : الغمز .

وصنار، وكن ككلبٍ هَرَّارٍ^(١)، وأما السوءة السوءاء : فالحليلة الصَّخَّابة^(٢)، الخفيفة الوثابة، السليطة^(٣) السَّبابَةُ، التي تعجَّب من غير عَجَب، وتغضب من غير غضب، الظاهر عيبها، والمخوف غيبها، فزوجها لا يصلح له حال، ولا ينعم له بال، إن كان غنياً لا ينفعه غناه، وإن كان فقيراً أبدت له قِلاَه^(٤)، فأراح الله منها بملهاً، ولا متع الله بها أهلها .

فأعجب النعمان حُسنُ كلامه، وحضور جوابه، فأحسن جائزته . واحتبسه قبله .

(جمهرة الأمثال ١: ١٨٦)

٤٤ — لبيد بن ربيعة يصف بقلة

وقد على النعمان بن المنذر عامرُ بن مالك مُلاعِبِ الأَسِنَّةِ في رَهْطٍ من بني جعفر ابن كلاب، فيهم لبيد بن ربيعة، فطعن فيهم الربيعُ بن زياد العبسي، وذكر معاً بهم - وكان نديماً للنعمان، وكانت بنو جعفر لهم أعداء - فلم يزل بالنعمان حتى صدَّه عنهم، فدخلوا عليه يوماً، فأوا منه جفاء - وقد كان يكرمهم ويقربهم - فخرجوا غضاباً، ولبيد متخلفٌ في رحالهم، يحفظ متاعهم، وَيَغْدُو بِإِبِلِهِمْ كلَّ صباحٍ يرعاهما - وكان أحدثهم سنًا - فاتاهم ذات ليلة وهم يتذاكرون أمر الربيع، فسألهم عنه فكتموه، فقال: والله لا حَفِظْتُ لَكُمْ متاعاً، ولا سَرَّحتُ لَكُمْ بغيراً، أو تخبروني فيم أنتم؟ وكانت أم لبيد يتيمة في حجر الربيع، فقالوا: خالك قد غلبنا على الملك، وصدَّ عنا وجهه، فقال لبيد: هل تقدرون على أن تجمعوا بيني وبينه، فأزجره عنكم بقول مُضِرٍّ مؤلم، لا يلتفت إليه النعمان بعده أبداً؟ قالوا: وهل عندك شيء؟ قال: نعم. قالوا: فإذا نبلوك.

(١) هرير الكلب: صوته، وهو دون النباح. (٢) أي كثيرة اللفظ والجلبة من الصخب بالتحريك. (٣) الطويلة اللسان من السلاطة كفصاحة. (٤) القلى: البغض والكرهية.

قال : وما ذاك ؟ قالوا : تشتم هذه البقلة - وقد أمهم بقلة دقيقة القضبان ، قليلة الأوراق ، لاصقة بالأرض ، تدعى التربة - فقال :

« هذه التربة التي لا تذكي (١) ناراً ، ولا تؤهل (٢) داراً ، ولا تسرُّ جاراً ، عودها ضئيل ، وفرعها كليل (٣) ، وخبرها قليل ، أقبح البقول مرعى ، وأقصرها فرعاً ، وأشدّها قلعاً ، فتعسّأ لها وجدعاً (٤) ، بلدها شامع (٥) ، ونبتها خاشع ، وآكلها جائع ، والمقيم عليها قانع (٦) ، فالتقوا بي أخا بني عبس ، أرده عنكم بتعس (٧) ونكس ، وأتركه من أمره في لبس . »

فلما أصبحوا غدوا به معهم إلى النعمان ، فذكروا حاجتهم ، فاعترض الربيع ، فرجز به لبيد رجزاً مالبت معه النعمان أن تقرز منه ، وأمره بالانصراف إلى أهله
(مجمع الأمثال ٢ : ٣٣ وجمهرة الأمثال ٢ : ١١٦ ، الأغاني ١٤ : ٩١ ،
أبناء نجباء الأبناء ص ١٧١ ، وأمال السيد المرتضى ١ : ١٣٥)

٤٥ - كلمات هند بنت الحس الإيادية

أتى رجل هند بنت الحس الإيادية يستشيرها في امرأة يتزوجها . فقالت : « انظر رمكاء (٨) جسيمة ، أو بيضاء وسيمية ، في بيت جد ، أو بيت حد ، أو بيت عز » قال : « ما نركت من النساء شيئا ، قالت : « بلى ، شر النساء تركت : السويداء الممرّاض (٩) ، والحَمِيرَاء المِحْيَاض (١٠) الكَثِيرَةُ المِظَاطِ (١١) . »
وقيل لها : أي النساء أسوأ ؟ قالت : « التي تعقد بالفناء ، وتملأ الإناء ، وتمدق (١٢)

(١) تذكي : تشعل . (٢) أي ولا تؤدم أهل دار من الإهالة (ككتابة) وهي كل ما يؤدم به ، ويقال ثريدة مأهولة : أي فيها إهالة . (٣) ضعيف . (٤) قطعاً . (٥) بعيد . (٦) أي سائل . (٧) التمس : الهلاك . (٨) الرمكاء : السمراء ، والرمكة كحمره لون الرماد . (٩) الممرّاض : المسقام . (١٠) الكثرية الحيض . (١١) المظاظ : المنازعة والمشاركة . (١٢) تمزج .

ما في السقاء» قيل : فأى النساء أفضل ؟ قالت : « التي إذا مشت أُغْبِرَتْ^(١) ، وإذا نطقت صرَّصرت^(٢) ، متورَّكة جارية^(٣) ، في بطنها جارية^(٤) ، يتبعها جارية^(٤) » .

قيل : فأى الغلمان أفضل ؟ قالت : « الأسوق الأعنق^(٥) ، الذي إن شبَّ كأنه أحق » قيل : فأى الغلمان أفضل^(٦) ؟ قالت : « الأويقص^(٧) القصير العَضْدُ ، العظيم الحاوية^(٨) ، الأغير الغشاء ، الذي يُطِيع أمَّه ، ويعصى عمَّه » .

(الأماي ٢ . ٢٦٠)

وقيل لها : أى الرجال أحبُّ إليك ؟ قالت : السهل النجيب ، السَّمْح الحسيب ، النَّدْب^(٩) الأريب ، السيد المهيب ، قيل لها : فهل بقي أحد من الرجال أفضل من هذا ؟ قالت : نعم الأهيف الهفاه^(١٠) ، الأنف العياف ، المفيد المتلاف ، الذي يُخيف ولا يخاف ، قيل لها : فأى الرجال أبغضُ إليك ؟ قالت : الأوره^(١١) النَّثُوم ، الوكل النَّثُوم ، الضَّعِيفُ الحيزُوم ، اللثيم الملووم . قيل لها : فهل بقي أحد شر من هذا ؟ قالت : نعم ، الأحق النزاع ، الضائع المضاع ، الذي لا يُهاب ولا يطاع ، قالوا : فأى النساء أحب إليك ؟ قالت : البيضاء العطرَة ، كأنها ليلة قمرَة^(١٢) قيل : فأى النساء

(١) أثارَت الغبار في مشيتها . (٢) أحدث صوتها . (٣) أى حاملة لها على وركها .

(٤) أى هى مثنائ . (٥) الأسوق : الطويل الساق ، والأعنق : الطويل العنق .

(٦) أفعل من فعل : ككرم وعلم وعنى فساله وفسولة فهو فعل ؛ أى رذل لا مروءة له .

(٧) الأويقص : تصغير أوقص ، وهو الذى يدنو رأسه من صدره .

(٨) ماتحوى من الأمعاء أى استدار .

(٩) الندب : الخفيف فى الحاجة الظريف النجيب ، والأريب : العاقل . (١٠) الأهيف وصف

من الهيف بالتحريك ، وهو رقة الخاصرة ، والقemis الهفاه ، أى الرقيق للشفاف . (١١) الأوره :

الأحمق من وره كفرح . (١٢) ليلة قمرَة وقراء ومقمرَة : فيها القمر .

أبفض اليك؟ قالت: العنْفِصُ^(١) القصيرة، التي إن استنطقتْها سكتت، وإن سكتتْ عنها نطقتْ». (ذيل الأمال ص ١٢٠)

وقال لها أبوها يوماً: أي المال خير؟ قالت: «النَّخْلُ، الراسخاتُ في الوَحْلِ، المطعماتُ في المَحْلِ^(٢)» قال: وأي شيء؟ قالت: «الضَّانُ: قرية لا وباءَ بها. تُنتجُها رُخَالاً^(٣)، وتَحلبُها عِلالاً^(٤)، وتَجزُّ لها جُفَلاً^(٥)، ولا أرى مثلاً مالا» قال: فلا يبل مالكِ تُوخَّرُ ينها؟ قالت: «هي أذكاء الرجال، وإِرْقَاءُ الدماءِ، ومُهْورُ النساءِ» قال: فأى الرجال خير؟ قالت:

خير الرِّجَالِ المُرَهَّقُونَ كما خيرُ نِلاعِ البلادِ أوطؤها^(٦)

قال: أيهم؟ قالت: «الذي يُسألُ ولا يسألُ، ويُضيفُ ولا يُضافُ، ويُصلِحُ ولا يُصلَحُ». قال: فأى الرجال شر؟ قالت: «النَّصِيطُ النُّطِيطُ^(٧) الذي معه سُوَيْطُ^(٨)، الذي يقول أذركوني من عبدِ بني فلان؛ فأني قاتِلُهُ أو هو قاتلي». قال: فأى النساءِ خير؟ قالت: «التي في بطنها غلامٌ، تحملُ على وركها غلاماً، يمشي وراءها غلامٌ» قال: فأى الجمال خير؟ قالت: «السَّبْحَلُ الرَّبَّجَلُ^(٩)، الراحلة الفحل». قال:

(١) العنْفِصُ: المرأة البذيئة القليلة الحياء، والقليلة الجسم الكثيرة الحركة.

(٢) المَحْلُ: الشدة والجذب وانقطاع المطر. (٣) الرخال جمع رخل كحمل وكتف، وهو الأنثى

من أولاد الضأن. (٤) يقال عالت الناقة، وهو أن تحلب أول النهار ووسطه وآخره، والاسم علال

ككتاب. (٥) الجفال: الكثير من الصوف.

(٦) المرهق: من يغشاه الناس والأضياف. (٧) النطيط: الذي لالحية له، والنطيط:

الهدريان (بكسر الهاء والراء) وهو الكثير الكلام يأتي بالخطأ والصواب عن غير معرفة.

(٨) تصغير سوط. (٩) السبحل والربجل: البعير الضخم الكثير اللحم.

أرأيتك الجذع^(١) ، قالت : لا يضرب ، ولا يدع ، قال : أرأيتك الثني^(٢) قالت :
يضرب ، وضرابه وفي^(٣) ، قال : أرأيتك السدس^(٤) ، قالت : ذاك العرس^(٥) .

(ذيل الأماك ص ١٠٨)

وقيل لها : أي الخيل أحب إليك ؟ قالت : « ذو الميعة الصنيع^(٦) ، السليط
التليع^(٧) ، الأيد الضليع^(٨) الملهب^(٩) السريع » فقيل لها : أي الغيوث أحب إليك ؟
قالت : « ذو الهيدب المنبعق^(١٠) ، الأضخم المؤتلق^(١١) الصخب المنبثق^(١٢) » وقيل
لها : ما مائة من المعز ؟ قالت : مؤبل يشف الفقر من ورائه ، مال الضعيف ، وحرفة
العاجز « قيل : فما مائة من الضأن ؟ قالت « قرية لاجي بها » قيل : فما مائة من الإبل ؟
قالت : « بنخ^(١٣) ، جمال ومال ، ومنى الرجال » . قيل : فما مائة من الخيل ؟ قالت :

-
- (١) أرأيتك : كلمة تقونها العرب بمعنى أخبرني ، الجذع : البعير إذا كان في السنة الخامسة .
(٢) البعير إذا كان في السادسة وألق ثنيته . (٣) قال أبو علي : الصواب أنى أي بطيء .
(٤) السدس : البعير إذا كان في الثامنة . (٥) العرس : الأسد .
(٦) ماع الفرس يبيع : جرى ، وصنعة الفرس : حسن القيام عليه ، صنعت فرسي صنعا وصنعة
(بفتح الصاد فيهما) والصنيع ذلك الفرس . (٧) السليط : الشديد ، والحديد من كل شيء ، والتليع :
الطويل العنق من التلع بفتحيتين وهو طول العنق . (٨) الأيد ككيس : القوى ، من آد يثيد أي
قوى واشتد ، والضليع وصف من ضلع كفصح ضلاعة ، وهي القوة وشدة الأضلاع .
(٩) هو الذي يجتهد في عدوه حتى يثير الغبار ، من ألب . (١٠) الهيدب : السحاب المتدلى ،
والمنبعق : المنبعج بالمطر . (١١) الضخم : كشمس وسبب وأحمد وغراب : العظيم من كل شيء ، وائتلق
البرق وتألقت : لمع . (١٢) الصخب : وصف من الصخب كسبب وهو شدة الصوت ، والمنبثق : المنفجر
(١٣) بنخ كقند : أي عظم الأمر وفخم ، تقال وحدها وتكرر ، بنخ الأول منون مكسور ، والثاني
مسكن ، ويقال في الأفراد : بنخ ساكنة الخاء ؛ وبنخ مكسورة ، وبنخ منونة مضمومة ، ويقال
بنخ بنخ مسكين ، وبنخ بنخ منونين مكسورين ، وبنخ بنخ مكسورين مشددين . نونين كلمة تقال عند الرضا
والإعجاب بالشيء .

« طَفَى مِنْ كَانَتْ لَهُ وَلَا يُوجَد » قِيلَ : فَمَا مِائَةٌ مِنَ الْحُمْرِ ؟ قَالَتْ : عَازِبَةٌ ^(١) اللَّيْلِ ،
وَحَزَى الْمَجْلِسَ ، لَا أَبْنَ فَيُحَلَّبُ ، وَلَا صُوفَ فَيُجَزَّ ، إِنْ رُبِطَ عَيْرُهَا ^(٢) أَدْلَى ،
وَإِنْ تُرِكَ وَتَى ، وَقِيلَ لَهَا : مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ فِي عَيْنِكَ ؟ قَالَتْ « مَنْ كَانَتْ لِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ » .
(سرح العيون ص ١٨٤)

وقالت : « أَخْبِثُ الذَّنَابُ ذَنْبُ الْغَضَا ^(٣) ، وَأَخْبِثُ الْأَفَاعِي أَفْعَى الْجَدْبِ ،
وَأَسْرَعُ الظُّبَاءِ ظَبَاءُ الْحُلْبِ ^(٤) ، وَأَشَدُّ الرِّجَالِ الْأَعْجَفَ ^(٥) ، وَأَجْمَلُ النِّسَاءِ الْفَخْمَةَ
الْأَسِيلَةَ ^(٦) ، وَأَقْبَحُ النِّسَاءِ الْجَهْمَةُ الْقَفْرَةَ ^(٧) ، وَآكَلُ الدَّوَابِّ الرَّغُوثَ ^(٨) ، وَأَطْيَبُ
اللَّحْمِ عُوَذُهُ ^(٩) ، وَأَغْلَظُ الْمَوَاطِيءِ الْحَصَى عَلَى الصَّفَا ، وَشَرُّ الْمَالِ مَا لَا يَزُكِي ^(١٠)
وَلَا يَذُكِي ^(١١) ، وَخَيْرُ الْمَالِ سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ ^(١٢) ، أَوْ مُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ ^(١٣) » .
(مجمع الأمثال ١ : ١٧٤)

(١) يقال جمل عازب : أى لا يروح على الحى من العزوب : وهو الغيبة والذهاب ، وقولها : حذى
المجلس ، أى بما تحدثه من النهيق المزعج والإدلاء . (٢) العير : الحمار (وغلب على الوحشى) ،
وأدلى : أى أخرج قضيبه ليبول أو يضرب .
(٣) الغضا : شجر له جمر يبقى طويلا . (٤) الحلب : نبت ، قال حمزة : « العرب تسمى
ضروباً من البهائم بضروب من المراعى تنسبها إليها ، فيقولون : ظبى الحلب ، وتيس الربلة (والربل محرقة
نبات شديد الخضرة) ، وشيطان الحماطة (والحماطة كسحابة : شجر شبيه بالتين ، أحب شجر إلى
الحيات) . . الخ وذلك كله على قدر طباع الأمكنة والأغذية العاملة فى طباع الحيوان . (٥) من المعجف
بالتحريك وهو ذهاب السمن . (٦) الطويلة المسترسلة . (٧) الجهمه : مؤنث الجهم وهو الوجه
الغليظ المجتمع السمج ، والقفرة : القليلة القفر بالتحريك : أى الشعر . (٨) الرغوث : كل مرضعة
كالمرغث . (٩) ما عاذ بالعظم من اللحم . (١٠) زكى كرضى نما وزاد كزكا يزكو . (١١) ذكى
تذكية : سمن وبدن (بضم الدال) . (١٢) السكة : السطر من النخل ، والمأبورة : المصلحة ، من
أبرت النخل آبره إذا لقحته وأصلحته . (١٣) مأبورة : أى كثيرة الولد ، من أمرها الله أى كثرتها ،
وكان ينبغى أن يقال مؤمورة ، ولكنه أتبع مأبورة - اقرأ فى كتاب بلاغات النساء ص ٥٧ فصلا طويلا
فى كلام هند بنت الحنن وأختها جمعة .

۴۶ - خطبة كعب بن لؤي

وخطب كعب بن لؤي (وهو الجد السابع للنبي صلى الله عليه وسلم) فقال :
« اسمعوا وعُوا ، وَتَعَلَّمُوا تَعَلَّوْا ، وَتَفَهَّمُوا تَفَهَّمُوا ، لَيْلِ سَاجٍ ^(۱) ، وَنَهَارِ صَاجٍ ^(۲) ،
وَالْأَرْضِ مِهَادٍ ، وَالْجِبَالِ أَوْتَادٍ ، وَالْأُولُونَ كَالْآخِرِينَ ، كُلُّ ذَلِكَ إِلَى بَلَاءٍ ، فَصَلُّوا أَرْحَامَكُمْ ،
وَأَصْلِحُوا أحوَالَكُمْ . فَهَلْ رَأَيْتُمْ مَنْ هَلَكَ رَجَعٌ ، أَوْ مَيِّتًا نُشِرَ ، الدارُ أَمَامَكُمْ ، وَالظَّنْ
خِلَافَ مَا تَقُولُونَ ، زَيْنُوا حَرَمَكُمْ وَعَظْمُوهُ ، وَتَمَسَّكُوا بِهِ وَلَا تَفَارِقُوهُ ، فَسَيَأْتِي نَبَأٌ عَظِيمٌ
وَسَيُخْرِجُ مِنْهُ نَبِيٌّ كَرِيمٌ ، ثُمَّ قَالَ :

نَهَارٌ وَلَيْلٌ وَأَخْتِلَافٌ حَوَادِثٍ سَوَاءٌ عَلَيْنَا حُلُوهَا وَمَرِيرُهَا
يُثُوبَانِ بِالْأَحْدَاثِ حَتَّى تَأْوَبَا ^(۳) وَبِالنَّعَمِ الضَّائِفِ عَلَيْنَا سُتُورُهَا
صُرُوفٌ وَأَنْبَاءٌ تَقَلَّبَ أَهْلُهَا لَهَا عُقْدٌ مَا يَسْتَجِيلُ مَرِيرُهَا
عَلَى غَفْلَةٍ يَأْتِي النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فَيُخْبِرُ أَخْبَارًا صَدُوقًا خَيْرُهَا

ثُمَّ قَالَ :

يَا لَيْتَنِي شَاهِدٌ فَخَوَاءُ دَعْوَتِهِ حِينَ الْعَشِيرَةِ تَبْغِي الْحَقَّ خِذْلَانَا ^(۴)

(صبح الأعشى ۱ : ۱۱۲)

(۱) الساجي : الساكن والدائم . (۲) لعله ساج من ضج القوم صاحوا واجلبوا .

(۳) التأوب الرجوع . (۴) فحوى الكلام وفحواؤه معناه و مذهبه .

٤٧ - خطبة هاشم بن عبد مناف

يحث قريشاً على إكرام زوار بيت الله الحرام

كَانَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ يَقُومُ أَوَّلَ نَهَارِ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ فَيُسْنِدُ ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ مِنْ تَلْقَاءِ بَابِهَا ، فَيَخْطُبُ قَرَيْشًا ، فَيَقُولُ :

« يَا مَعْشَرَ قَرَيْشٍ ، أَنْتُمْ سَادَةُ الْعَرَبِ ، أَحْسَنُهَا وَجُوهًا ، وَأَعْظَمُهَا أَحْلَامًا ، وَأَوْسَطُهَا ^(١) أَنْسَابًا ، وَأَقْرَبُهَا أَرْحَامًا . يَا مَعْشَرَ قَرَيْشٍ ، أَنْتُمْ جِيرَانُ بَيْتِ اللَّهِ ، أَكْرَمِكُمْ بَوْلَايَتِهِ ، وَخَصَمِكُمْ بِجِوَارِهِ ، دُونَ بَنِي إِسْمَاعِيلَ ، وَحَفِظَ مِنْكُمْ أَحْسَنَ مَا حَفِظَ جَارٌ مِنْ جَارِهِ ، فَأَكْرَمُوا ضَيْفَهُ ، وَزُورُوا بَيْتَهُ ، فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَكُمْ شُعْثًا ^(٢) غُبْرًا مِنْ كُلِّ بَلَدٍ ، فَوَرَبِّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ ^(٣) ، لَوْ كَانَ لِي مَالٌ يَحْمِلُ ذَلِكَ لَكَفَيْتُكُمْوه ، أَلَا وَإِنِّي مُخْرَجٌ مِنْ طَيِّبٍ مَالِي وَحِلَالِهِ ، مَا لَمْ يُقَطَّعْ فِيهِ رَحِمٌ ، وَلَمْ يَتُؤَخَذْ بِظَلْمٍ ، وَلَمْ يَدْخُلْ فِيهِ حَرَامٌ ، فَوَاضِعُهُ ، فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فَعَلْ ، وَأَسْأَلُكُمْ بِحُرْمَةِ هَذَا الْبَيْتِ أَلَّا يُخْرِجَ رَجُلٌ مِنْكُمْ مِنْ مَالِهِ ، لِكِرَامَةِ زُورِائِ بَيْتِ اللَّهِ وَمَعُونَتِهِمْ إِلَّا طَيِّبًا ، لَمْ يَتُؤَخَذْ ظَلَمًا ، وَلَمْ يُقَطَّعْ فِيهِ رَحِمٌ ، وَلَمْ يَفْتَصَبْ » .

(شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ . ٤٥٨)

(١) خيرهم : الوسط من كل شيء أعده (قال أوسطهم . . . وكذلك جعلناكم أمة وسطا) .

(٢) جمع أشعث : وهو ملبد الشعر مغبره . (٣) الكعبة : والبنية بكسر الباء وضمةها وسكون

النون ما بنيته .

٤٨ — خطبة هاشم بن عبد مناف في قريش وخزاعة

تفارت قريش وخزاعة^(١) إلى هاشم بن عبد مناف ، فخطبهم بما أذعن له الفريقان بالطاعة ، فقال في خطبته :

« أيها الناس ، نحن آل إبراهيم ، وذرية إسماعيل ، وبنو النضر بن كنانة^(٢) وبنو قصي بن كلاب ، وأرباب مكة ، وسكان الحرم ، لنا ذروة الحسب ، ومعدن المجد ، ولكل في كل حلف^(٣) يجب عليه نصرته ، وإجابة دعوته ، إلا مادعا إلى عقوق عشيرة ، وقطع رحم ؛ يا بني قصي : أنتم كفصني شجرة أيهما كسرت أوحش صاحبهُ ، والسيف لا يسان إلا بغمده ، ورامي العشيرة بصيبه سهمهُ ، ومن أمحكه^(٤) اللجاجُ أخرجهُ إلى البغي .

أيها الناس : الحلم شرف ، والصبر ظفر ، والمعروف كنز ، والجود سؤدد ، والجهل سفه ، والأيام دول ، والدهر غير^(٥) ، والمرء منسوب إلى فعله ، وماخوذ بعمله ، فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد ، ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء ، وأكرموا الجليس يعمركم ناديتكم ، وحاموا الخليط يرغب في جواركم ، وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم ؛ وعليكم

(١) خزاعة : حى من الأزدي ، سموا بذلك لأنهم تخزعوا عن قومهم (أى تخلفوا عنهم وانقطعوا) إقبالهم من اليمن . وذلك لما تفرقت الأزدي من اليمن في البلاد نزل بنو مازن على ماء بين زبيد وزممع ؛ وأقبل بنو عمرو بن عامر فانخزعوا عن قومهم فنزلوا مكة .

(٢) النضر : الجد الثاني عشر للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقصي الجد الرابع . (٣) الحلف : في العهد بين القوم والصدقة ، والصديق يحلف أصحابه أن لا يقدروا به ، وقوله « لكل في كل » أى لكل في صاحبه صديق يجب عليه نصرته .

(٤) أمحكه . (٥) أى ذو غير ، وغير الدهر : أحداثه المغيرة ، جمع غيرة بالكسر ، أو مفرد وجمعه أغيار .

بمكارم الأخلاق فإنها رفعة ، وإياكم والأخلاق الدنية فإنها تضع الشرف ، وتهدم المجد ،
وإن نهينة^(١) الجاهل أهون من جريرته^(٢) ، ورأس العشيرة يحمل أثقالها ، ومقام الحلیم
عظة لمن انتفع به .

فقال قريش : « رضينا بك أبا نضلة » وهي كنيته .

(بلوغ الأرب ١ : ٢٢٢)

٤٩ - خطبة عبد المطلب بن هاشم

يهنى سيف بن ذى يزن باسترداد ملكه من الحبشة

لما ظفر سيف بن ذى يزن بالحبشة ، أتته وفود العرب وأشرافها وشعراؤها تهنئته
وتمدحه ، ومنهم وفد قريش ، وفيهم عبد المطلب بن هاشم ، فاستأذنه في الكلام فأذن
له ، فقال :

« إن الله تعالى - أيها الملك - أحلك محلاً رفيعاً ، صعباً منيعاً ، باذخاً^(٣) شامخاً ،
وأنتك منبتاً طابت أرومته^(٤) ، وعزت جرثومته^(٥) ، وثبت أصله ، وبسق^(٦)
فرعه ، في أكرم معدن ، وأطيب موطن ، فأنت - أبيت اللعن - رأس العرب وربيعها
الذي به تُخصب ، وملكها الذي به تنقاد ، وعمودها الذي عليه العباد ، ومقلها^(٧) الذي
إليه يلجأ العباد ، سلفك خير سلف ، وأنت لنا بعدم خير خلف ، ولن يهلك من أنت

(١) نهينة عن الأمر : كفه وزجره . (٢) في الأصل « جزيرته » ، وفي كتب اللغة : « حزرة

المال ؛ وجزيرته : خياره » ولا معنى لها هنا ، وأرى أنها مصحفة عن « جريرته » .

(٣) عالياً ، من بذخ بذخا كفرح . (٤) أرومة : بادصم والفتح أى أصل . (٥) أصله أيضاً .

(٦) علا وطال . (٧) الملجأ .

خَلْفُهُ ، وَلَنْ يَحْمَلَ مَنْ أَنْتَ سَلَفُهُ ، نَحْنُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَهْلَ حَرَمِ اللَّهِ وَذِمَّتِهِ ، وَسَدَنَةَ بَيْتِهِ ، أَشْخَصْنَا إِلَيْكَ الَّذِي أَبْهَجَكَ بِكُشْفِ الْكَرْبِ الَّذِي فَدَحْنَا^(١) ، فَنَحْنُ وَفَدُ الْهِنْتَةِ ، لَا وَفَدُ الْمَرْزُوتَةِ^(٢) .

(العقد الفريد ١ : ١٠٧ ، وأنباء نجباء الأبناء ص ١١) .

٥٠ - خطبة أبي طالب

في زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة

خطب أبو طالب حين زواج النبي صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة فقال :

« الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم ، وذرية إسماعيل ، وجعل لنا بلداً حراماً ، وبيتاً محجوجاً ، وجعلنا الحكام على الناس ، ثم إن محمد بن عبد الله ابن أخي من لا يوازن به فتى من قريش إلا رجع عليه : برّاً وفضلاً ، وكرماً وعقلاً ، ومجداً ونُبلاً^(٣) ، وإن كان في المال قُلٌّ^(٤) ، فإنما المال ظل زائل ، وعارية^(٥) مُسْتَرْجَعَةٌ ، وله في خديجة بنت خويلد رغبةٌ ، ولها فيه مثلُ ذلك ، وما أحببتم من الصّدّاقِ فعلى » .

(صبح الأعشى ١) ٢١٣ ، وإعجاز القرآن ١٢٦ ، وتهذيب الكامل ١ : ٤ ؛ والبردة الحلبية ١ : ١٣٣)

(١) أنقلنا . (٢) رزاه ماله : كجعل وعلم أصاب منه شيئاً رزاه ، كارتزاه ماله . ورزاه رزاه ومرزونة أصاب منه خيراً : أي لسنا وافدين للمعطاء . (٣) ذكاه ونجابه . (٤) قلة . (٥) ما يستعار ، مشددة وقد تخفف .

خطب الكهان

٥١ - الكاهن الخزاعي ينفر هاشم بن عبد مناف

على أمية بن عبد شمس

وَلِيَ هَاشِمٌ بَعْدَ أَبِيهِ عَبْدِ مَنْفٍ ، مَا كَانَ إِلَيْهِ مِنَ السَّقَايَةِ وَالرَّفَادَةِ^(١) ، فَحَسَدَهُ
أُمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ عَلَى رِيَاسَتِهِ وَإِطْعَامِهِ ، وَكَانَ ذَا مَالٍ ، فَتَكَافَأَ أَنْ
يَصْنَعُ صَنْيَعَ هَاشِمٍ ، فَمَجَّزَ عَنْهُ ، فَشَمِتَ بِهِ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَغَضِبَ وَنَالَ مِنْ هَاشِمٍ ، وَدَعَاهُ
إِلَى الْمَنَافِرَةِ ، فَكَرِهَ هَاشِمٌ ذَلِكَ لِسِنَّةِ وَقَدْرِهِ ، فَلَمْ تَدْعِهِ قُرَيْشٌ حَتَّى نَافَرَهُ عَلَى خَمْسِينَ نَاقَةً
سُودَ الْحَدَقِ يَنْجَرُهَا بِبَطْنِ مَكَّةَ ، وَالْجَلَاءِ عَنْ مَكَّةَ عَشْرَ سَنِينَ ، فَرَضَى بِذَلِكَ أُمِيَّةُ ،
وَجَعَلَا بَيْنَهُمَا الْكَاهِنَ الْخَزَاعِيَّ - وَهُوَ جَدُّ عَمْرٍو بْنِ الْحَقِّقِ ، وَمَنْزِلُهُ بِعُسْفَانَ^(٢) ،
وَكَانَ مَعَ أُمِيَّةَ هَمَّامَةَ بْنَ عَبْدِ الْعَزَّيِّ الْفِهْرِيَّ ، وَكَانَتْ ابْنَتَهُ عِنْدَ أُمِيَّةَ ، فَقَالَ
الكَاهِنُ :

« وَالْقَمَرِ الْبَاهِرِ ، وَالسُّكُوكِ الزَّاهِرِ ، وَالنِّعَامِ الْمَاطِرِ ، وَمَا بِالْجَوِّ مِنْ طَائِرٍ ،
وَمَا اهْتَدَى بِعَلْمٍ^(٣) مَسَافِرٍ ، مِنْ مُنْجِدٍ وَغَارٍ^(٤) ، لَقَدْ سَبَقَ هَاشِمٌ أُمِيَّةَ إِلَى الْمَآثِرِ ،
أَوَّلَ مِنْهُ وَآخِرَ ، وَأَبُو هَمَّامَةَ بِذَلِكَ خَابِرٌ » .

(١) السقاية : هي إسقاء الحجيج الماء العذب ، والرفادة : خرج كانت تخرجه قريش في كل موسم
من أموالها ، فتدفعه إليه ، فيصنع به طعاما للحجاج يأكله من لم يكن له سعة ولا زاد .

(٢) عسفان : موضع على مرحلتين من مكة . (٣) العلم : ما نصب في الطريق يهتدى به .

(٤) أنجد : أتى نجدا ، وغار وأغار : أتى غورا .

فقضى لهاشم بالغلبة ، وأخذهاشم الإبل ، فنحروها وأطعمها ، وغاب أمية عن مكة بالشأم عشر سنين ، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٦ ، والسيرة الحلبية ١ : ٤ ، وتاريخ الطبري ٢ : ١٨٠)

٥٢ - عوف بن ربيعة الأسدي يتكهن بمقتل حجر بن الحارث

كان حجر بن الحارث (أبو امرئ القيس) ملك بني أسد ، وكان له عليهم إتاوة^(١) كل سنة لما يحتاج إليه ، فبقي كذلك دهرًا ، ثم بعث إليهم من يجبي ذلك منهم ، وحجر يومئذ بهامة ؛ فطردوا رسله وضربوهم ، فبلغ ذلك حجرًا ، فسار إليهم ، فأخذ سرورائهم^(٢) وخيارهم ، وجعل يقتلهم بالعصا (فسموا عبيد العصا) وأباح الأموال وصيرهم إلى تهامة ، وحبس جماعة من أشرفهم منهم عبيد بن الأبرص الشاعر ، فقال شعرًا يستعطفه فيه ، ومنه قوله :

أنت المليك عليهم وهم العبيد إلى القيامة

فرق لهم وعفا عنهم ، ورددهم إلى بلادهم ، فلما صاروا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم وهو عوف بن ربيعة بن عامر الأسدي ، فقال لهم : يا عبادي ، قالوا : لبيك ربنا ، فقال : « من الملك الصلح^(٣) ، الغلاب غير المغلب^(٤) ، في الإبل كأنها الربرب^(٥) ، لا يقلق رأسه الصخب^(٦) ، هذا دمه يندثع^(٧) ، وهو غدا أول من يستلب^(٨) » قالوا : ومن هو ؟ ربنا . قال : « لولا تجيش^(٧) نفس جاشية ، لأخبرتكم أنه حجر ضاحية^(٨) » .

(١) خراج . (٢) سرورات جمع سراة بالفتح : وهي اسم جمع سرى كغنى من سرور سرورا وهو المروءة في شرف . (٣) حجر صلب : شديد صلب ، والصلح أيضا : الشديد من الإبل ، والرجل الطويل ، وفي الشعر والشعراء والأغاني « الأصهب » ومن معانيه الأسد . (٤) المغلب : المغلوب مرارا (وهو أيضا المحكوم له بالغلبة . ضد) . (٥) الربرب : القطيع من بقر الوحوش . (٦) يتفجر . (٧) جاشت النفس وتجيشت : ارتفعت من حزن أو فزع . (٨) علانية ، يقال فعله ضاحية : أي علانية .

فركبوا كل صعب وذلول ، حتى بلغوا عسكر حجر ، فهجموا عليه في قبته

فقتلوه .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ١٨٣ ، والشعر والشعراء ، ص ٣١ ، والأغاني ٨ : ٦٣)

٥٣ - كاهن بنى الحارث بن كعب يحذرهم غزو بنى تميم

كان بنو تميم قد أغاروا على لَطِيْمَةَ^(١) لكسرى ، فيها مسك وعنبر وجوهر كثير ، فأوقع كسرى بهم ، وقتل المُقَاتِلَةَ ، وبقيت أموالهم وذراريهم في مساكنهم لا مانع لها وبلغ ذلك بنى الحارث بن كعب من مَذْحِج ، فمضى بعضهم إلى بعض ، وقالوا اغتتموا بنى تميم ، فاجتمعت بنو الحارث وأحلافها من زيد وحزم بن رِيَّان في عسكر عظيم ، وساروا يريدون بنى تميم ، فحذّرهم كاهن كان مع الحارث واسمه سَلَمَةُ بن المُغَلِّ ، وقال :

« إنكم تسرون أعقاباً^(٢) ، وتغزون أحباباً^(٣) ، سعداً ورباباً ، وتردون مياهاً جباباً^(٤) ، فتلقون عليها ضراباً ، وتكون غنيمتكم تراباً^(٥) ، فأطيعوا أمرى ولا تغزوا تميماً » ولكم خالفوه وقاتلوا بنى تميم ، فهزموا هزيمة نكراء .
(تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ٢٢٧ ، والأغاني ١٥ : ٧٠)

(١) اللطيمة : العير تحمل الطيب وبز التجار .

(٢) أى يسير بعضكم عقب بعض ، فريقاً في إثر فريق . وقد ذكر ابن الأثير أنهم كانوا نحو ثمانية آلاف ، ولا يعلم في الجاهلية جيش أكثر منه ومن جيش كسرى بلدى قار ومن يوم جيلة . وروى أبو الفرج الأصبهاني أنه اجتمع من مذحج ولفها اثنا عشر ألفاً . (٣) هذه الفاصلة والفاصلتان قبلها ، وردت في الأصل محرفة هكذا : « إنكم تسرون أعيانا ، وتغزون أحيانا ؛ سعدا وربانا » .

(٤) الجباب والأجباب جمع جب : وهو البئر الكثيرة الماء البعيدة القعر . (٥) أورد صاحب الأغاني من هذه الفقر الست ، الفقرة الأولى والرابعة والسادسة ، وعزاها إلى المأمور الحارثى وهو كاهن أيضاً

٥٤ - أحد كهان اليمن يفصل في أمر هند بنت عتبة

كان الفاكه بن المغيرة المخزومي أحد فتيان قريش ، وكان قد تزوج هند بنت عتبة ، وكان له بيت للضيافة يَغشاه الناس فيه بلا إذن ، فقال ^(١) يوماً في ذلك البيت ، وهند معه ، ثم خرج عنها وتركها نائمة ؛ فجاء بعض من كان يغشى البيت ، فلما وجد المرأة نائمة ولَّى عنها ، فاستقبله الفاكه بن المغيرة ، فدخل على هند وأنبها ، وقال : من هذا الخارج من عندك ؟ قالت : والله ما انتبهت حتى أنبهتني ، وما رأيت أحدا قط ، قال : الحق بأبيك ، وخاض الناس في أمرهم ، فقال لها أبوها : يا بنية العار ^(٢) وإن كان كذباً ، بُثني شأنك ، فإن كان الرجل صادقاً دَسَسْتُ عليه من يقتله ، فيقطع عنك العار ، وإن كان كاذباً حاكمه إلى بعض كهان اليمن ، قالت : والله يا أبت إنه الكاذب ، فخرج عتبة فقال : إنك رميت ابنتي بشيء عظيم ، فإما أن تبين ما قلت ، وإلا فحاكمني إلى بعض كهان اليمن ، قال : ذلك لك ، فخرج الفاكه في جماعة من رجال قريش ، ونسوة من بني مخزوم ، وخرج عتبة في رجال ونسوة من بني عبد مناف ، فلما شارفوا بلاد الكاهن تغير وجه هند ، وكسف بالها ، فقال لها أبوها : أي بنية ، ألا كان هذا قبل أن يشهر في الناس خروجنا ؟ قالت : يا أبت والله ما ذلك لمكروه قبلي ، ولكنكم تأتون بشراً يخطيء ويصيب ، وامله أن يسمني بسمة تبقى على السنة العرب ، فقال لها أبوها : صدقت ، ولكني سأخبره لك ، فصفر بفرسه ، فلما أدلى عمد إلى حبة برية ، فأدخلها في إحليله ، ثم أوكى ^(٣) عليها وسار ، فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم ، فقال له عتبة : إنا أتيناك في أمر ، وقد خبأنا لك خبيثاً ، فما هي ؟ قال : برية في

(١) قال قتيلا وقائلة وقيلولة ومقيلا : نام في القائلة وهي نصف النهار . (٢) أي اتق العار .

(٣) الوكاء ككتاب : حبل يشد به رأس القرية ، ووكاها وأوكاها وأوكى عليها شدتها بالوكاء .

كَمْرَةَ^(١) ، قال : أريد أبينَ من هذا ، قال : « حَبَّةُ بُرِّ ، في إحليل مُهر » قال : صدقت ، فانظر في أمر هؤلاء النسوة ، فجعل يمسح رأس كل واحدة منهن ، ويقول : قومي لشأنك ، حتى إذا بلغ إلى هند مسح يده على رأسها وقال : « انهضى غير رَقحاء^(٢) ولا زانية ، وَسَتَلِدِينَ مَدِيكًا يسمي معاوية » .

فلما خرجت أخذ الفاكه بيدها ، فنثرت يده من يدها ، وقالت : إليك عنى ، والله لأحرصن أن يكون ذلك الولد من غيرك ، فتزوجها أبو سفيان ، فولدت له معاوية .

(العقد الفريد ٣ : ٢٢٤ ، وصبح الأعشى ١ : ٣٩٨ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ ص ١١١)

٥٥ - خمسة نفر من طيِّ يمتحنون سواد بن قارب الدوسي

خرج خمسة نفر من طيِّ من ذوى الحِجَابِ والرأى ، منهم بُرْجُ بن مُسَهْر ، وهو أحد المُعَمَّرِينَ . وَأُنَيْفُ بن حارثة بن لَأَمِ ، وعبد الله بن سعد بن الحشربج أبو حاتم طيِّ ، وعارف الشاعر ، ومرة بن عبد رضى ، يريدون سواد بن قارب الدوسى ، ليمتحنوا علمه ، فلما قرَّبوا من السَّراة ، قالوا : لِيُخَبِّأُ كُلُّ رَجُلٍ مَنَا خَبِيئًا ، ولا يُخْبِرْ به صاحبه ، ليسأله عنه ، فإن أصاب عرفنا علمه ، وإن أخطأ ارتحلنا عنه ، فخبأ كل رجل منهم خبيئًا ، ثم صاروا إليه ، فأهدوا له إبلاً وطرفاً من طرف الحيرة ، فضرب عليهم قبة ، ونحَّروا لهم ، فلما مضت ثلاث دعا بهم ، فدخلوا عليه .

فتكلم بُرْجُ - وكان أسنهم - فقال : « جَادَكَ السَّحَابُ ، وَأَمْرَعُ لَكَ الْجَنَابُ^(٣) »

(١) الكمره : رأس الذكر . (٢) الرقحاء : البنى التى تكتسب بالفجور ، من الرقاحة كفصاحة وهى الكسب والتجارة ، هذا ما ورد فى ابن أبى الحديد ، وفى غيره « رسحاء » والرسحاء : القبيحة ، والرسحاء أيضاً : القليلة لحم المعجز والفخذين والأول أنسب . (٣) أمرع : أخصب ، والجناب : ماحول الدار .

وَضَفَّتْ عَلَيْكَ النَّعْمَ الرَّغَابَ^(١) ، نَحْنُ أَوْلُو الْآكَالِ^(٢) ، وَالْحَدَائِقُ وَالْأَغْيَالِ^(٣) ،
وَالنَّعْمَ الْجَفَالَ^(٤) ، وَنَحْنُ أَصْهَارُ الْأَمْلاكِ ، وَفُرْسَانُ الْعِرَاكِ - يُورِي عَنْهُمْ أَنَّهُمْ مِنْ
بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ - .

فَقَالَ سَوَادٌ : « وَالسَّمَاءُ وَالْأَرْضِ ، وَالنَّعْمَ وَالْبَرُضِ^(٥) ، وَالْقَرَضِ وَالْفَرَضِ^(٦) ،
إِنَّكُمْ لِأَهْلُ الْهَضَابِ الشَّمِّ ، وَالنَّخِيلِ الْعُمِّ^(٧) ، وَالصُّخُورِ الْعُمِّ ، مِنْ أَجَا الْعَيْطَاءِ ،
وَسَلَمَى ذَاتِ الرَّقَبَةِ السُّطْعَاءِ^(٨) . »

فَالُوا : إِنَّا كَذَلِكَ ، وَقَدْ خَبَأْتُ كُلَّ رَجُلٍ مِنْ خَبِيئًا ، لِتَخْبِرُنَا بِاسْمِهِ وَخَبِيئِهِ ،
فَقَالَ لِبَرَجٍ : « أَقْسَمُ بِالضِيَاءِ وَالْحَلَاكِ^(٩) ، وَالنَّجُومِ وَالْفَلَكَ ، وَالشُّرُوقِ وَالذَّلَاكِ^(١٠) ،
لَقَدْ خَبَأْتُ بُرْئُونَ فَرَّخَ^(١١) ، فِي إِعْلِيظِ مَرَّخِ^(١٢) ، تَحْتَ آسِرَةِ الشَّرَّخِ^(١٣) » قَالَ :
مَا أَخْطَأْتَ شَيْئًا ، فَمَنْ أَنَا ؟ قَالَ : أَنْتَ بُرْجُ بْنُ مُسْهِرٍ ، عَصْرَةَ الْمُعْرِ^(١٤) ، وَتِمَالُ
الْمُحَجَّرِ^(١٥) . »

- (١) الضافي : السابغ الكثير ، ويقال : خير فلان ضاف على قومه : أى سابغ عليهم ، والرغاب :
الواسعة الكثيرة جمع رغبة . (٢) الآكال : جمع أكل (كقفل وعنق) الرزق والحظ من الدنيا .
(٣) الأغيال جمع غيل كشمس : وهو الماء الجارى على وجه الأرض . (٤) الجفال :
الكثيرة . (٥) النمر : الماء الكثير ، ويقال : رجل غمر الخلق إذا كان واسع الخلق سخيا ، والبرض :
الماء القليل ، ويقال فلان يتبرض حقه . أى يأخذه قليلا قليلا .
(٦) القرض : ماتعطيه لتقضاه ، والقرض : ما فرضته على نفسك فوهبته أو جدت به لغير ثواب .
(٧) الشم : الطوال ، وكذا العم . (٨) أجأ وسلمى : جبلا طيبا ، والعيطاء : الطويلة ؛ وكذا
السطعاء . (٩) الحلك : شدة السواد . (١٠) دلكت الشمس دلوكا : غربت أو اصفرت ؛ والدلك
وقت الدلوك . (١١) البرثن : ظفر كل مالا يصيد من السباع والطيور مثل الحمام والضب والفأرة فإذا كان
نما يصيد ؛ قيل لظفره مخلب . (١٢) المرخ : شجر تقدر منه النار ؛ والإعليط : وعاء ثمر المرخ ،
والعرب تشبه به آذان الخيل . (١٣) الآسرة والإسار : القيد الذى يشد به خشب الرحل ، وشرخا الرحل
جانباها . (١٤) المعر : الذى ذهب ماله ، والعصرة : الملجأ والمنجاة .
(١٥) التمال : الغياث الذى يقوم بأمر قومه ؛ والمحجر : الملجأ (بصيغة اسم المفعول) المضيق عليه .

ثم قام أنيف بن حارثة ، فقال : ما خبيئي وما اسمي ؟ فقال : « والسحاب والتراب ، والأصباب والأحداب ^(١) والنعم الكتاب ^(٢) ، لقد خبأت قُطامة فسيط ^(٣) ، وقُدَّة مَريط ^(٤) ، في مَدْرَةٍ من مَدِيٍّ مَطِيَّط ^(٥) » قال : ما أخطأت شيئا ، فمن أنا ؟ قال : أنت أنيف ، قاري الضيف ، ومُعمل السيف ، وخالطُ الشتاء بالصيف .

ثم قام عبد الله بن سعد . فقال : ما خبيئي وما اسمي ؟ فقال سواد : « أقسم بالسَّوامِ العازب ^(٦) ، والوقير الكارب ^(٧) : والمُجدِّ الراكب ، والمُشيع الحارب ^(٨) ، لقد خبأت نَفَاةَ فَنَن ^(٩) ، في قَطِيعٍ قد مَرَن ^(١٠) ، أو أدِيمٍ قد جَرَن » . قال : ما أخطأت حرفاً فمن أنا ؟ قال : أنت ابن سعدِ النَّوال ، عطاؤك سِجَال ^(١١) ، وشَرُّكَ عَضَال ، وعمدك طَوَال ، وبيتك لا يُنال .

ثم قام عارف ، فقال : ما خبيئي وما اسمي ؟ فقال سواد : « أقسم بِنَفْنَفِ اللوح ^(١٢) »

-
- (١) الأصباب : جمع صيب كسبب : وهو ما انخفض من الأرض ؛ والأحداب : جمع حدب كسبب أيضا : وهو ماعلا . (٢) الكثيرة . (٣) القطامة : ما قطمته بفيك ؛ والقطم بأطراف الأسنان ، والفسيط : قلامة الظفر . (٤) القُدَّة : الريشة ؛ والمريط من السهام : الذي قد تمرط ريشه أي نتف (٥) المدرة : قطعة طين يابسة ؛ والمدى : جدول صغير يسيل فيه ، ما هريق من ماء البئر ؛ والمطيط : الماء الخائر في أسفل الحوض .
- (٦) السوام : المال الراعى من الإبل ؛ والعازب : البعيد . (٧) الوقير : القطيع من الغنم ، والكارب : القريب . (٨) المشيع : الجاد ؛ في لغة هذيل ؛ وفي غيرها الحاذر ؛ والحارب : السالب حربه حربا كطلبه طلبا : سلبه ماله . (٩) النفاة : ما تنفته من فيك ؛ والفنن : واحد أفنان الأشجار وهي أغصانها . (١٠) القطيع : ما يقطع من الشجر ؛ ومرن وجرن : لان .
- (١١) أي متداول بين الناس ، لكل فريق منه نصيب . (١٢) النفنن واللوح واحد ، وهما الهواء وإنما أضاف لما اختلف اللفظان ، فكأنه أضاف الشيء إلى غيره .

والماء المسفوح^(١) ، والفضاء المندوح^(٢) ، لقد خبأت زمعةً ظلًّا أَعْفَرَ^(٣) ، في زِعْنِنَةٍ^(٤) أديمٍ أحمر ، تحت حِلْسٍ نِضْوٍ أدبر^(٥) « قال : ما أخطأت شيئًا ، فمن أنا ؟ قال : أنت عارف ذو اللسان العَضْب ، والقلب النَّدْب^(٦) ، وَالْمَضَّاءُ الغَرْب^(٧) ، مَنَاعُ السَّرْب^(٨) وَمُبِيحُ النَّهْب . »

ثم قام مُرَّةٌ بن عَبْدِ رُضَى ، فقال : ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال سواد : « أقسم بالأرض والسماء ، والبروج والأنواء^(٩) ، والظلمة والضياء ، لقد خبأت دِمَّةً^(١٠) ، في رِمَّةً^(١١) ، تحت مَشِيْطٍ لِمَّةً^(١٢) . » قال : ما أخطأت شيئًا ، فمن أنا ؟ قال : « أنت مُرَّةٌ ، السريع الكرَّة ، البَطِيءُ الفَرَّة ، الشديد المِرَّة^(١٣) . »

قالوا : فأخبرنا بما رأينا في طريقنا إليك ، فقال : « والناظر من حيث لا يرى ، والسامع قبل أن يُنَاجِي ، والعالم بما لا يُدْرِي ، لقد عنت لكم عُقَابٌ عَجْزَاهُ^(١٤) ، في شَغَانِيْبٍ^(١٥) دَوْحَةٌ جَرْدَاءُ ، تحمل جدلاً^(١٦) ، فتماريم^(١٧) إِمَّا يَدًا وَإِمَّا رِجْلًا » ، فقالوا . كذلك ، ثم مه ؟ قال : « سَنَعَ آكَمٍ قبل طُلُوعِ الشَّرْقِ^(١٨) ، سِيدٌ أَمَقٌ^(١٩) ،

- (١) المصبوب . (٢) الواسع . (٣) الظلا : ولد الظبي ساعة يولد ، والصغير من كل شيء ، والأعفر من الغباء ما يعلو بياضه حمرة ، والزمعة : الشعرات المتدليات في رجل الأرنب .
(٤) زعانف الأديم : أطرافه مثل اليدين والرجلين ، ومالا خير فيه جمع زعنفة بكمز الزاي والنون ، ومنه قيل لرذال الناس الزعانف .
(٥) الحلس للبعير كالبرذعة للحافر ، والنضو : المهزول من الإبل وغيرها ، والأدبر : الذي أصابه الدبر (بالتحريك) وهو قرحة الدابة . (٦) الذكي . (٧) الحد . (٨) السرب بالفتح : المشاة كلها ، وبالسكس القطيع من الغباء والنساء وغيرها . (٩) الأنواء : جمع نوء (كسهم) النجم : مال للغروب . (١٠) الدمة : القملة . (١١) الرمة : العظام البالية .
(١٢) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن ، والمشيط : المشوط .
(١٣) المرة : القوة . (١٤) العجزاء : التي ابيض ذنبها ، (وفي غير هذا الموضع : التي كبرت عجزتها) . (١٥) الشغانيب جمع شغوب كعصفور وهو الغصن الناعم الرطب ، والدوحة : الشجرة العظيمة . (١٦) الجدل : العضو وجمعه جدول . (١٧) تجادلتهم . (١٨) الشرق : الشمس ، والعرب تقول لا أفعل ذلك ما طلع شرق ، وشرقت الشمس : طلعت ، وأشرقت : أضاءت . (١٩) السيد : الذئب والأمق : الطويل .

على ماء طَرَقَ^(١) « قالوا : ثم ماذا ؟ قال : « ثم تيس أفرق^(٢) ، سَنَدَ في أْبْرَقِ^(٣) ،
فرماه الغلام الأزرق ، فأصاب بين الوابلة^(٤) والمِرْفَقِ « . قالوا : صدقت ، وأنت أعلم
من تحمل الأرض ، ثم ارتحلوا عنه .

(الأماي ٢ : ٢٩٢)

٥٦ - حديث مصاد بن مدعور القيني

كان مَصَادُ بن مَدْعُورِ القَيْنِي رَئِيسًا ، قد أخذ مِرْبَاعَ^(٥) قومِهِ دَهْرًا ، وَكَانَ
ذَا مَالٍ ، فَتَدَّ ذَوْدَ^(٦) من أذوادِهِ له ، فخرج في بَغَاءِهَا^(٧) ، قال : فإني لفي طَلَبِهَا ،
إِذْ هَبَطْتُ وادِيًا شَجِيرًا^(٨) كَثِيفَ الظلال ، وقد تَفَسَّخْتُ أَيْنًا^(٩) ، فَأَنْخَتُ
راحتي في ظل شجرة ، وَحَطَطْتُ رَحْلِي ، وَرَسَفْتُ^(١٠) بعيري ، واضطجعت
في بُرْدِي ، فإذا أَرْبَعُ جَوَارٍ ، كأنهن اللآلي ، يَرَعَيْنَ بَهْمًا لهن ، فلما خالطت عيني
السَّنةُ ، أقبلن حتى جلسن قريبا مني ، وفي كف كل واحدة منهن حَصِيَّاتٌ تَقْلِبُنَّ ،
فحطت إحداهن ثم طرقت^(١١) ، فقالت : « قلن يا بناتِ عَرَافٍ ، في صاحب الجمل
النِّيَافِ^(١٢) ، والبُرْدِ الكُثَافِ^(١٣) ، والجِرْمِ^(١٤) الخُفَافِ^(١٥) » ، ثم طرقت الثانية ، فقالت :

-
- (١) الطرق : الماء الذي بولت فيه الإبل ، يقال : ماء طروق ومطروق .
(٢) الأفرق من الشاء : البعيد ما بين خصييه . (٣) سند في الجبل : صعد ، والأبرق والبرقاء
والبرقة كفرصة : غلظ من الأرض فيه حجارة ورمل ، وجبل أبرق : إذا كان فيه لوانان .
(٤) الوابلة : رأس العضد الذي يلي المنكب . (٥) المرباع : ربع الغنيمة ، وكان يختص به
الرئيس في الجاهلية . (٦) زد : شرد ، والذود : ثلاثة أبعرة إلى العشرة ، أو خمسة عشر ،
أو عشرون ، أو ثلاثون . (٧) طلبها . (٨) كثير الشجر . (٩) تعبًا وكلالًا .
(١٠) شدت رسغه . (١١) الطرق : ضرب الكاهن بالخصي .
(١٢) جمل نياف ككتاب وشداد : طويل في ارتفاع . (١٣) الكثيف . (١٤) الجسد .
(١٥) الخفيف .

« مُضِلُّ أذْوَادٍ عَلَا كِدٌ ^(١) ، كَوْمٌ صَالَخِدٌ ^(٢) ، مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ مَقَاحِدٌ ^(٣) ، وَأَرْبَعٌ جَدَائِدٌ ^(٤) ، شُسْفٌ صَمَارِدٌ ^(٥) » ، ثُمَّ طَرَقَتِ الثَّلَاثَةُ فَقَالَتْ : « رَعَيْنَ الْفَرَعِ ^(٦) » ، ثُمَّ هَبَطْنَ الْكَرْعَ ^(٧) ، بَيْنَ الْعَقِدَاتِ وَالْجُرْعِ ^(٨) . فَقَالَتِ الرَّابِعَةُ : « لِيَهْبِطَ الْغَائِطُ الْأَفْيِيحُ ^(٩) ، ثُمَّ لِيُظْهَرَ فِي الْمَلَا الصَّحْصَحِ ^(١٠) ، بَيْنَ سَدِيرٍ وَأَمْلَحٍ ^(١١) ، فَهِنَاكَ الذَّوْدُ رِتَاعٌ بِمُنْعَرَجِ الْأَجْرَعِ » قَالَ : فَقَمْتُ إِلَى جَمَلِي فَشَدَدْتُ عَلَيْهِ رِجْلَهُ وَرَكِبْتُ ، وَوَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهُنَّ مَنْ هُنَّ وَلَا يَمَنُّ هُنَّ ؟ فَلَمَّا أَدْبَرْتُ ، قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : « أَبْرَحٌ ^(١٢) » فَتَيَّ إِن جَدَّ فِي طَلْبِ ، فَهَالَهُ غَيْرُهُنَّ نَشَبٌ ^(١٣) ، وَسَيْثُوبٌ عَنْ كَثَبٍ ^(١٤) ، فَفَزَعْتُ قَلْبِي وَاللَّهِ قَوْلَهَا ، فَقُلْتُ : وَكَيْفَ هَذَا ، وَقَدْ خَلَقْتُ بِيَوَادِيَّ عَرَجًا عُكَامِسًا ^(١٥) ؟ فَرَكِبْتُ السَّمْتَ ^(١٦) الَّذِي وُصِفَ لِي ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْمَوَاضِعِ ، فَإِذَا ذَوْدِي رَوَاتِعٌ ، فَضْرَبْتُ أَعْجَازَهُنَّ ،

- (١) أضل دابته : فقدتها ، والعلاكد : الصلاب الشداد جمع علكد كجعفر وزبرج وقنفذ .
 (٢) بعير أكوم ، وناقاة كوماه : عظيمة السنام والجمع كوم ، والصلاخد : العظام الشداد ، واحدها صلاخد بالضم . (٣) المقاحد جمع مقحاد ، وهي الغليظة السنام (والقحدة كرقبة : السنام أو أصله) . (٤) الجدائد جمع جدود كصبور : وهي التي انقطع لبنها . (٥) شسف جمع شاسف : وهو اليابس ضمرا وهزالا ، والصمارد جمع صمرد كزبرج : القليلة اللبن . (٦) الفرع جمع فرعة وهي أعلى الجبل . (٧) الكرع : ماء السماء ينزل فيستنقع ، وسمى كرعا لأن الماشية تكرع فيه . (٨) العقيدات جمع عقدة : وهي ماتعقد من الرمل ، والجرع جمع جرعة بالسكون ويحرك : الرملة الطيبة المنبت لاوعوثة فيها ، أو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل أو الدعص لاينبت ، أو الكثيب جانب منه رمل وجانب حجارة كالأجرع والجرعاء . (٩) الغائط : المظلم من الأرض ، والأفيح : الواسع . (١٠) الملا : الفضاء ، والصحصح والصحصاح والصحصحان : ما استوى من الأرض .
 (١١) سدير وأملح : موضعان . (١٢) أشد . (١٣) المال الأصيل من الناطق والصامت .
 (١٤) يثوب : يرجع ، والكثب : القرب .
 (١٥) العرج : نحو خصائفة من الإبل ، والعكاس والغكابس : الكثير . (١٦) الطريق .

حتى أشرفت على الوادى الذى فيه إبلى ، فإذا ارتعاه تدعو بالويل ، فقلت ما شأنكم ؟
قالوا : أغارت بهزاه على إبلك ، فأسحفتها^(۱) ، فأمسيت والله مالى مال غير الذود ،
فرمى الله فى نواصيهن بالرغس^(۲) ، وإبنى اليوم لآ كثر بنى القين مالا .

(الأمالي ۱ : ۱۴۳)

۵۷ - حديث خنافر بن التوعم الحميرى مع رثيه شصار

كان خنافر بن التوعم الحميرى كاهنا ، وكان قد أوتى بسطة فى الجسم ، وسعة
فى المال ، وكان عاتيا ، فلما وفدت وفود اليمن على النبي صلى الله عليه وسلم وظهر الإسلام أغار
على إبل لمراد فاكسحها ، وخرج بأهله وماله ، ولحق بالشجر ، فخالف جودان بن يحيى
الفرضىمى ، وكان سيدا منيعا ، ونزل بواد من أودية الشجر مخصبا كثير الشجر من الأيك
والعرين^(۳) قال خنافر : وكان رثي^(۴) فى الجاهلية لا يكاد يتغيب عنى ، فلما شاع الإسلام فقدته
مدة طويلة ، رساءنى ذلك ، فبينما أنا ليلة بذلك الوادى نائما ، إذ هوى هوى العقاب ،
فقال : خنافر ؟ فقلت : شصار ؟ فقال : اسمع أقول ، قلت : قل اسمع ، فقال : « عه
تغيم ، لكل مدة نهاية ، وكل ذى أمد إلى غاية ، قلت : أجل ، فقال : كل دولة إلى
أجل ، ثم يتاح لها حول^(۵) ، أنتسخت النحل ، ورجعت إلى حقائقها الممل ، إنك
سجير^(۶) موصول ، والنضح لك مبدول ، وإبنى آنت^(۷) بأرض الشام نفرا من
آل العذام^(۸) ، حكاما على الحكام ، يذبرون^(۹) ذارونق من الكلام ، ليس

(۲) الرغس : البركة والنعاء .

(۱) استأصلتها .

(۳) الأيك : الشجر الملتف الكثير ، والغیضة تنبت السدر والأراك ، أو الجماعة من كل الشجر ،

والعرين : جماعة الشجر . (۴) الرثى : ما يترامى للإنسان من الجن فيجب .

(۵) الحول : التحول . (۶) السجير : الصديق ، والشجير : الغريب ، وقيل يقال السجير

والشجير للصديق . (۷) أبصرت . (۸) العذام : قبيلة من الجن ، كذا قيل .

(۹) ذبرت الكتاب : قرأته (وذرته أيضا : كتبه كزبرته) .

بالشعر المؤلف ، ولا السجع المتكاف « فأصغيتُ فزُجرتُ ، فعاودت فظُلِفْتُ^(١) ، فقلت :
 بم تهينمون^(٢) ، وإلام تعتزون^(٣) ؟ قالوا : « خطابٌ كُبَّار^(٤) ، جاء من عند الملك
 الجبَّار ، فاسمع يا شِصَّارُ ، عن أصدق الأخبار ، واسلك أوضح الآثار ، تنج من أوار^(٥)
 النار » ، فقلت : وما هذا الكلام ؟ فقالوا : « فرُقانٌ بين الكفر والإيمان ، رسول من
 مُصرَ ، من أهل المدر ، ابتعثَ فظهر ، فجاء بقولٍ قد بهرَ ، وأوضح نهجًا قد دثرَ ، فيه
 مواظٌ لمن اعتبر ، ومعاذٌ لمن ازدجرَ ، أَلَفَ بالآي الكُبرِ » قلت : ومن هذا المبعوث
 من مُصرَ ؟ قال : « أحمدُ خير البشر ، فإن آمنْتَ أُعْطيتَ الشَّبرَ^(٦) ، وإن خالفت
 أُضِلتَ سَقَرَ ، فأمنتُ يا خنافر ، وأقبلتُ إليك أبادر ، فجانب كل كافر ، وشايع كل
 مؤمن طاهر ، وإلا فهو الفراق ، لاعن تلاقٍ » ، قلت : من أين أبغى هذا الدين ؟ قال :
 من ذات الإحْرَيْنِ^(٧) والنَّفْرِ اليمَانِينِ ، أهل الساء والطين ، قلت : أوضِعُ ، قال :
 « الحَقُّ بيثربَ ذاتِ النَّخْلِ ، والحرَّةُ ذاتِ النَّعْلِ^(٨) ، فهناك أهلُ الطَّوْلِ والفضل ،
 والمواساةِ والبَدَلِ ، ثم أمَّسَ^(٩) عني ، فبِتُ مذعوراً أراعى الصباح ، فلما برَّق لي
 النور ، امتطيت راحلتي ، وآذنتُ^(١٠) أعْبُدِي ، واحتملتُ بأهلي ، حتى وَرَدتُ
 الجوفَ ، فرددتُ الإبل على أربابها ، بحولها وسِقَابِهَا^(١١) ، وأقبلتُ أريد صنعاء ،
 فأصبتُ بها مُعَاذَ بنِ جَبَلِ أميرًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته على الإسلام ،
 وعلمني سُورًا من القرآن ، فمنَّ الله عليّ بالهدى بعد الضلالة ، والعلم بعد الجهالة .

(الأمالي ١ : ١٣٣)

- (١) منعت . (٢) الهينة : الصوت الخفي . (٣) تنتسبون . (٤) كبير .
 (٥) الأوار : حر النار . (٦) الشبر بالسكون : الخير وحرك للسجع . (٧) الحررة
 (بالفتح) أرض ذات حجارة نخرة سود وتجمع على حررات وحرار وحرين وأحرين . (٨) النعل :
 المكان الغليظ من الحررة . (٩) أفلت . (١٠) أعلمت . (١١) الحول جمع حائل وهي الأنثى
 من أولاد الإبل ، والسقاب جمع سقب كشمس وهو الذكر .

٥٨ شافع بن كليب الصدفي يتكهن بظهور النبي صلى الله عليه وسلم

قَدِمَ عَلَى تَبَعِ الْآخِرِ مَلِكِ الْيَمَنِ ، قَبْلَ خُرُوجِهِ لِقِتَالِ الْمَدِينَةِ (١) ، شَافِعُ بْنُ كَلَيْبِ
الْصَدْفِيِّ (٢) ، وَكَانَ كَاهِنًا ، فَقَالَ لَهُ تَبَعٌ : هَلْ تَجِدُ لِقَوْمِ مَلِكِ يَوْزَى مَلِكِي ؟ قَالَ : لَا ،
إِلَّا مُلْكَ غَسَّانَ ، قَالَ : فَهَلْ تَجِدُ مَلِكًا يَزِيدَ عَلَيْهِ ؟ قَالَ :

« أَجِدُهُ لِبَارٍ مَبْرُورٍ ، وَرَائِدٍ (٣) بِالْقَهُورِ (٤) ، وَوَصْفٍ فِي الزَّبُورِ ، فَضَّلْتُ

(١) قال ابن إسحق : « كان تبع الآخِر حين أقبل من المشرق بعد أن ملك البلاد جعل طريقه على المدينة ، وكان حين مر بها في بدايته لم يهيج أهلها ، وخلف بين أظهرهم ابنا له ، فقتل غيلة ، فقدمها وهو مجمع على تخريبها واستئصال أهلها ، فجمع له الأنصار حين سمعوا ذلك وخرجوا لقتاله ، فتزعم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل ، فيعجبه ذلك منهم ، ويقول : والله إن قومنا أكرام ، فبينما هو على ذلك إذ جاءه حبران من أحبار اليهود من بني قريظة عالمان راسخان في العلم ، فتمالا له : قد سمعنا ما تريد أن تفعل ، وإنك إن أبيت إلا ذلك ؛ حيل بينك وبينه ، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة ، فقال : ولم ذلك ؟ قالا : إنها مهاجر (بفتح الجيم) نبي يخرج من هذا الحرم من قریش تكون داره وقراره ، فأنهسى عما كان يريد ، وأعجبه ما سمع منهما ، واتبعهما على دينهما ، وكان هو وقومه أصحاب أوثان ، وخرج متوجها إلى اليمن فدعا قومه إلى اليهودية فأبوا عليه ، ثم أطبقوا على دينه ، فن هنالك وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن (سيرة ابن هشام ١ : ١١ ، والكامل لابن الأثير ١ : ١٤٦) .

(٢) الصدفي نسبة إلى صدف ككتف : بطن من كندة . (٣) الرائد في الأصل : المرسل في طلب الكلاء من الرود وهو الطلب ، يعني به نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ، فقد كان رائدا لأُمَّته يرتاد لها الخير قال عليه الصلاة والسلام في أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه : « إن الرائد لا يكذب أهله » .
(٤) جاء في معجم البلدان : « القهر (كشمس) أسافل الحجاز مما يلي نجد من قبل الطائف .

وأشدهم لحداش بن زهير :

دعوا جانبى ، إنى سأزل جانباً
اسم واسعا بين النيامة والقهر »

وأقول : هذا الوصف ينطبق على مكة فهي واقعة جنوبي الحجاز . . . الخ . فالمعنى : « أجد ملكا يزيد على ملكك لرائد يظهر بتلك البقاع » أما كلمة القهور فلم أجد لها في معجم ، ولعل الكاهن جمع « القهر » على قهور ، لإقامة الفاصلة ، أو هو على حد قول امرئ القيس :

يزل الغلام الخف عن صهواته
كما زلت الصفواء بالمتنزل

أُمَّتَهُ فِي الشُّفُورِ^(١) ، يَفْرِجُ الظُّلْمَ بِالنُّورِ ، أَحْمَدُ النَّبِيِّ ، طَوَّبَ لَأُمَّتِهِ حِينَ يَجِي ، أَحَدُ
بَنِي لُؤَيٍّ ، نَمَّ أَحَدُ بَنِي قُصَيٍّ .

فَنظَرَ تَبَعٌ فِي الزُّبُورِ ، فَإِذَا هُوَ يَجِدُ صِفَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ١٦٤)

٥٩ - سَطِيحُ الذَّنْبِيِّ^(٢) يَعْبُرُ رُؤْيَا رَبِيعَةَ بِنَ نَصْرِ اللَّخْمِيِّ

وَرَأَى رَبِيعَةَ بِنَ نَصْرِ اللَّخْمِيِّ مَلِكِ الْيَمَنِ - وَقَدْ مَلَكَ بَعْدَ تَبَعِ الْآخِرِ - رُؤْيَا هَالَتَهُ ،
فَلَمْ يَدْعُ كَاهِنًا ، وَلَا سَاحِرًا ، وَلَا عَائِفًا ، وَلَا مَنْجَمًا مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ إِلَّا جَمَعَهُ إِلَيْهِ ،
فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رُؤْيَا هَالَتَنِي وَفَطَعْتُ^(٣) بِهَا ، فَأَخْبِرُونِي بِهَا وَتَأْوِيلَهَا ، قَالُوا لَهُ :
اقْضُصْهَا عَلَيْنَا نَخْبِرُكَ بِتَأْوِيلِهَا ، قَالَ : إِنِّي إِذَا أَخْبَرْتَكُمْ بِهَا لَمْ أَطْمَئِنِّ إِلَى خَبْرِكُمْ عَنْ تَأْوِيلِهَا
فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ تَأْوِيلَهَا إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا قَبْلَ أَنْ أَخْبِرَهُ بِهَا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ : فَإِنْ كَانَ
الْمَلِكُ يَرِيدُ هَذَا ، فَلْيَبْعَثْ إِلَى سَطِيحِ وَشِقِّ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْهُمَا فِيهَا ، يُخْبِرَانِهِ
بِمَا سَأَلَ عَنْهُ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمَا ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ سَطِيحٌ قَبْلَ شِقِّ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رُؤْيَا

(١) السفر (كحمل) الكتاب الكبير ، أو جزء من أجزاء التوراة ، وفي كتب اللغة أنها تجمع على أسفار ، ولعله جمعها على سفور للمحافظة على السجع أيضا .

(٢) اسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن غسان ، وكان يقال له الذئبي نسبة إلى ذئب بن عدى ، وكان من المعمرين قيل عاش ثلثمائة سنة وقيل سبعمائة ، وزعموا أنه لم يكن له رأس ولا عنق ، وأن وجهه كان في صدره ، وأنه كان جسدا ملقيا لاجوارح له ، وكان لا يقدر على الجلوس إلا إذا غضب ، فإنه ينتفخ فيجلس ، وكان له سرير من الجريد والخوص ، إذا أريد نقله إلى مكان يطوى من رجليه إلى جمجمته كما يطوى الثوب فيوضع على ذلك السرير ، وإذا أريد استخباره ليخبر عن المغيبات يحرك كما يحرك سقاء اللبن فينتفخ ويمتلئ ويعلوه النفس فيسأل فيخبر عما يسأل عنه ، (كذا) وأن كاهنة بني سعد ابن هذيم وكانت بأعلى الشام لما حضرته الوفاة طلبت سطيحا وشقا (وسياقي ذكره) وتفلت في فهما ، وذكرت أن سطيحا يخلفها في كهانتها ، ثم ماتت في يومها ذلك .

(٣) فطع بالأمر كفرج فظاعة : إذا هاله وغلبه .

هالتي وفطعتُ بها ، فأخبرني بها ، فإنك إن أصدبتُها أصبت تأويلها . قال : أفعل
 « رأيت حُمَّةً ^(١) ، خرجت من ظلِّمة ^(٢) ، فوقعت بأرض تهمة ^(٣) ، فأكلت منها كل
 ذات جُجمَة ^(٤) » ، فقال له الملكُ : ما أخطأت منها شيئاً يسطيح ، فما عندك في تأويلها ؟
 فقال : « أحلفُ بما بين الحرَّنين ^(٥) من حَشْ ، لَيَبِطَنَّ أرضكم الحبشُ ، فليَمَلِكَنَّ
 ما بين أبين ^(٦) إلى جرش ^(٧) » فقال له الملك : وأبيك يا سطيح . إن هذا لنا لغاظ
 مَوْجِع ، فمتى هو كائن ، أفي زمانى هذا أم بعده ؟ قال : « لا ، بل بعده بحين ، أكثر
 من ستين أو سبعين ، يمضين من السنين » قال : أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع ؟
 قال : « لا ، بل ينقطع لبضعِ وسبعين من السنين ، ثم يُقتلون بها أجمعين ، ويخرجون
 منها هاربين » قال : ومن يبلي ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟ قال : « يليه إرم ^(٨)
 ذى يزَن ، يخرج عليهم من عدَن ، فلا يترك أحداً منهم باليمن » قال : أفيدوم ذلك من
 سلطانه أم ينقطع ؟ قال : « بل ينقطع » قال : ومن يقطعه ؟ قال « نبي ز كى ، يأتيه الوحي
 من قبَلِ العليِّ » قال : ومن هذا النبي ؟ قال : « رجل من ولد غالب بن فهر ، بن مالك
 ابن النَّضر ، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر » قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال :

(١) الحممة وتجمع على حمم : الفحمة والرماد وكل ما احترق من النار ، وتطلق الحممة على الجمر مجازاً
 باعتبار ما يشول إليه وهو المراد هنا . (٢) الظلمة : الظلام ، وسرى في تعبير الرؤيا أنها إشارة إلى
 الأحباش السود . (٣) التهمة بالتحريك : الأرض المتصوبة إلى البحر ، كالتهم محرقة أيضاً كأنهما
 مصدران من تهامة ، لأن التهام متصوبة إلى البحر ويقال أيضاً : أرض تهمة كفرحة أى شديدة الحر ، من
 التهم بالتحريك وهو شدة الحر وفي ابن الأثير « تهمة » بالباء يقال : أرض تهمة كفرحة أى كثيرة البهي ،
 والبهي بالضم اسم نبت ، والضبط الأول عندى أرجح . (٤) أى كل نفس . (٥) الحرة : أرض
 ذات حجارة سود نخرة ، (٦) مخلاف باليمن منه مدينة عدن . (٧) مخلاف باليمن من جهة مكة .
 (٨) الإرم كعنب وكتف : العلم (بالتحريك) أو خاص بعاد ، والعلم سيد القوم ، أى يتولاه سيد بنى
 ذى يزن ، وهو سيف بن ذى يزن .

« نعم . يومٌ يُجْمَعُ فيه الأولون والآخرون ، يَسْعَدُ فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون . »
قال : أحقُّ ما تُخبرنا ياسطيح ؟ قال : « نعم ، والشَّقِّقِ ، وَالغَسَقِ ^(١) ، وَالْفَلَقِ ^(٢) »
إذا انشقَّ ، إن ما أنباتك به لحقَّ . »

٦٠ شق أنمار ^(٣) يعبر رؤيا ربيعة بن نصر أيضا

ثم قدم عليه شقُّ ، فقال له كقوله لسطيح ، وكتمه ما قال سطيح ، لينظر أيتفقان أم يختلفان ، قال : « نعم ، رأيت حُمَّة . خرجت من ظلمة ، فوقعت بين روضة وأكمة فأكلت منها كلَّ ذات نَسَمَة . » فلما سمع الملك ذلك قال : ما أخطأت يا شقُّ منها شيئا ، فما عندك في تأويلها ؟ قال : « أُحْلِفُ بما بين الحَرَّتَيْنِ من إنسان ، أَيْنَزِلَنَّ أرضكم السودانُ ، فليغلبنَّ على كلِّ طفلة ^(٤) البنان . وإيمليكنَّ ما بين أْبَيْنَ إلى نَجْران ^(٥) » فقال له الملك : وأبيك يا شقُّ ، إن هذا لنا لغائظ مُوجع ، فمتى هو كائن : أي زمانى أم بعده ؟ قال : « لا ، بعده بزمان ، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذوشان ، ويذيقهم أشدَّ الهوان » قال : ومن هذا العظيم الشأن ؟ قال : « غلام ليس بدنيِّ ولا مدن ^(٦) ، يخرج عليهم من بيت ذى يزن ^(٧) » قال أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : « بل ينقطع برسول

(١) الشفق : الحمرة في الأفق من الغروب إلى قريب العتمة ، والغسق : ظلمة أول الليل .

(٢) الفلق : الصبح أو ما انفلق من عوده . (٣) هو شق بن مصعب بن يشكر بن رهم بن أقرن ابن قيس بن عبقر بن أنمار بن نزار ، وزعموا أنه كان شق إنسان (أي نصفه) له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة . (٤) مؤنث طفل : وهو الرخص الناعم من شيء . (٥) مخلاف شمال اليمن .

(٦) الدني : مسهل عن دفيه ، والمدني : المقصر عما ينبغى له أن يفعله ، وفي ابن الأثير « مزن » بالزاي والمزن : المهم ، من أزنفته بكذا أي أهمته به .

(٧) وخبر ذلك أن زرعة بن كعب الملقب بذي نواس أحد ملوك التبابعة باليمن (وكان قد تهود وتمصّب لليهودية وحمل عليها قبائل اليمن) اضطهد نصارى نجران لأن يهوديا بنجران عدا أهلها على ابنين له فقتلوهما ظلما ، فتوسل إلى ذى نواس باليهودية ، واستنصره عليهم ، فحمى له والدينه وغزاهم ، ويقال إن رجلا من =

مُرْسَل ، يأتي بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه إلى يوم
الفصل . قال : وما يوم الفصل ؟ قال : « يوم تُجْزَى فيه الولاية ، يدعى فيه من السماء
بِدَعَوَات ، يسمع منها الأحياء والأموات ، وَيُجْمَعُ فيه بين الناس للميقات ، يكون فيه
لمن اتقى الفوز والخيرات » قال : أحق ما تقول ؟ قال : « إى ورب السماء والأرض ،
وما بينهما من رفع وخفض ، إن ما أنباتك به لحق ما فيه أمض ^(١) » .

فوقع في نفس ربيعة بن نصر ماقالا ، فجهز بنييه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم ،
وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس ، يقال له سابور فأسبكنهم الحيرة . فمن بقيته ولده
النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وهو النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن
امرى القيس بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر .

(تاريخ الطبرى : ٩٩ وسيرة ابن هشام ١ : ٨ ، والكامل لابن الأثيرا : ١٤٦)

٦١ - وفود عبد المسيح بن ببيعة على سطيح

عن ابن عباس رضى الله عنه قال :

« لما كان ليلة ولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ارتجح إيوان كسرى ، فسقطت
منه أربع عشرة شُرْفَة ، فعظم ذلك على أهل مملكته ، فما كان أوشك أن كتب إليه

= أهل نجران أفلت من القتل ، وسار إلى قيصر الروم يستنجده على ذى نواس ، فبعث قيصر إلى نجاشي الحبشة
بأمره بنصرة النصارى ، فجهز جيشا إلى اليمن ، فركبوا البحر إليها ، ولقيهم ذو نواس فيمن معه فدارت
الدائرة عليه ، وملاكت الحبشة اليمن ، ولما طال البلاء من الحبشة على أهلها خرج سيف بن ذى يزن الحميرى
وقدم على قيصر يوستنيان يستنجده على الحبشة فأبى ، وقال : الحبشة على دين النصارى ؛ فرجع إلى كسرى
أنوشروان واستمانه ، فأمدته بجيش من كانوا في سجونه ؛ فقاتلوا الأحباش وهزموهم ؛ واسترد سيف
عرش آبائه على فريضة يؤديها كل عام للفرس حتى قتل ؛ فأرسل كسرى عاملا على اليمن واستمرت عماله إلى أن
كان آخرهم باذان فأسلم ؛ وصارت اليمن إلى الإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

(١) أى شك أو باطل .

صاحب اليمن يخبره أن بحيرة ساوة^(١) غاضت تلك الليلة ، وكتب إليه صاحب السّماوة يخبره أن وادي السّماوة^(٢) انقطع تلك الليلة ، وكتب إليه صاحب طَبْرِيَّة أن الماء لم يجر تلك الليلة في بحيرة طبرية ، وكتب إليه صاحب فارس يخبره أن بيوت النيران خمدت تلك الليلة ، ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة ، فلما تواترت الكتب أبرز سريره وظهر لأهل مملكته فأخبرهم الخبر ، فقال الموبدان^(٣) : أيها الملك إني رأيت تلك الليلة رؤيا هالتني ، قال له : وما رأيت ؟ قال : رأيت إبلا صعباً ، تقود خيلاً عراباً ، قد اقتحمت دجلة وانتشرت في بلادنا ، قال : رأيت عظيماً فإعني في تأويلها ؟ قال : ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ، ولكن أرسل إلى عاملك بالبحيرة بوجه إليك رجلاً من علماءهم ، فإنهم أصحاب علم بالحدثان ، فبعث إليه عبد المسيح بن بَقِيْلَةَ الغَسَّانِي . فلما قدم عليه أخبره كسرى الخبر ، فقال له : أيها الملك ، والله ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ، ولكن جهّزني إلى خال لي بالشام يقال له سَطِيح . قال : جهزوه ، فلما قدم إلى سطّيح وجده قد احتضر ، فناداه فلم يجبه ، وكله فلم يرد عليه ، فقال عبد المسيح :

أَصَمُّ أُم يَسْمَعُ غَطْرِيْفُ الْيَمَنِ يَا فَاصِلَ الْخَطَّةِ أَعْيَيْتُ مَنْ وَمَنْ^(٤)
 أَتَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنْ أَيْضُ فَضْفَاضِ الرَّدَاءِ وَالْبَدَنِ^(٥)
 رَسُولُ قَبِيلِ الْعُجْمِ يَهْوِي لِلْوَتَنِ لَا يَرْهَبُ الرَّعْدَ وَلَا رَبَّ الزَّمَنِ^(٦)

(١) هكذا في العقد الفريد ، وفي السيرة الحلبية « وورد عليه كتاب من صاحب إيليا (بالشام) يخبره أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة » وفي معجم البلدان : « ساوة مدينة حسنة بين الرى وهمدان في وسط ، بينها وبين كل واحد من همدان والرى ثلاثون فرسخاً ، وفي حديث سطّيح في أعلام النبوة : « وخدمت نار فارس وغارت بحيرة ساوة . . . الخ » ومنه يستفاد أنها في فارس .

(٢) موضع بين الكوفة والشّام . (٣) الموبدان والموبد : فقيه الفرس وحاكم المجوس .

(٤) الغطريف : السيد الشريف . (٥) الفضفاض : الواسع .

(٦) القيل : الملك ؛ أو هو دون الملك الأعلى .

فرفع إليه رأسه وقال : « عبد المسيح ، على جمل مُشيع^(١) ، إلى سَطِيح ، وقد أوفى على الضَّرِيح^(٢) ، بعثك ملك بني ساسان ، لارتجاج الإيوان ، وخبود النيران ، ورؤيا المُوبَدَان ، رأى إبلا صِعَابًا ، تقود خَيْلًا عِرَابًا ، قد اقتحمت في الواد ، وانتشرت في البلاد . يا عبد المسيح : إذا كثرت التَّلَاوة^(٣) ، وظهر صاحب الهراوة^(٤) ، وفاض وادي السماوة ، وَغَاضَتْ بِحِيْرَة ساوة ، وخذت نار فارس ، فليست بابل للفرس مُقَامًا ، ولا انشام لسطيح شامًا ، يملك منهم ملوك وملكات^(٥) ، عدد سقوط الشُّرُفَات ، وكل ما هو آتٍ آتٍ » ثم قال :

إِنْ كَانَ مُلْكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ فَإِنْ ذَا الدَّهْرِ أَطْوَارًا دَهَارِيرُ^(٦)
 مِنْهُمْ بَنُو الصَّرْحِ بِهَرَامٍ وَإِخْوَتُهُ وَالْهَرْمَزَانَ وَسَابُورُ وَسَابُورُ
 فَرَبِمَا أَصْبَحُوا يَوْمًا بِمَنْزِلَةٍ تَهَابُ صَوْنَهُمُ الْأَسْدُ الْمَهَاصِيرُ^(٧)
 حَبُّوا الْمَطِيَّ وَجَدُّوا فِي رِحَالِهِمْ فَمَا يَقُومُ لَهُمْ سَرِجٌ وَلَا كُورُ^(٨)
 وَالنَّاسُ أَوْلَادَ عِلَاتٍ فَمَنْ عَلِمُوا أَنْ قَدْ أَقَلَّ فَمُحْقُورٌ وَمَهْجُورُ^(٩)
 وَالخَيْرَ وَالشَّرَّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ فَالْخَيْرِ مُتَّبِعٌ وَالشَّرِّ مُحْذُورُ

(١) جاد سريع . (٢) أي القبر ؛ والمراد الموت . (٣) أي تلاوة القرآن .

(٤) الهراوة : العصا الضخمة ؛ وصاحبها هو النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان يمسك العصا كثيرا عند مشيه . (٥) قول صاحب السيرة الحلبية : « لم أقف على أنه ملك منهم من النساء إلا واحدة وهي بوران ؛ ملكت سنة تم ملكت » .

(٦) أفرطهم : تركهم وزال عنهم ؛ قال تعالى : « لَا جَرَمَ أَنْ لَهُمُ النَّارَ ، وَأَسْمُهُمْ

مُفْرَطُونَ »

أي متروكون فيها ؛ ودهر دهاير : أي شديد (كليلة ليلاء ويوم أيوم).

(٧) المهاصير جمع مهصار أو مهصير وهو الأسد من الحصر وهو الكسر والجذب والإمالة .

(٨) الكور : الرجل بأداته . (٩) أولاد اللعات : أولاد أمهات شقي من رجل واحد .

ثم أتى كسرى فأخبره بما قاله سطيح فغمه ذلك ، ثم تعزى ، فقال : إلى أن يملك
منا أربعة عشر ملكا يدور الزمان ، فهلكوا كلهم في أربعين سنة ، وكان آخر من هلك
منهم في أول خلافة عثمان رضى الله عنه .

(تاريخ الطبرى ٢ : ١٣٢ والعقد الفريد ١ : ١٠٨ ، والسيرة الحلبية ١ : ٧٠ ، والمختصر في أخبار البشر
لأبي الفداء ١ : ١١٠) .

٦٢ - شق وسطيح ينبئان بأصل ثقيف

عن ابن الكلبي قال : « كان قسي^(١) - وهو ثقيف^(٢) - مقيا باليمن ، فضاق عليه
موضعه ونبا^(٣) به ، فأتى الطائف ، وهو يومئذ منازل فهم وعدوان بنى عمرو بن قيس
ابن عيلان ، فاتمى إلى الظرب العدواني ، فوجده نائما تحت شجرة فأيقظه ، وقال :
من أنت ؟ قال : أنا الظرب ، قال : على ألية^(٤) إن لم أقتلك ، أو تحلف لى لتزوجنى
ابنتك ، ففعل ، وانصرف الظرب وقسي^(٥) معه ، فلقية ابنه عامر بن الظرب ، فقال : من
هذا معك يا أبت ؟ فقص قصته ، قال عامر : لله أبوه ! لقد ثقف^(٦) أمره ، فسعى يومئذ

(١) هو أبو القبيلة المشهورة ، وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة
ابن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ؛ وقد اختلف النسابون في نسب ثقيف ، فقال قوم : إنهم من
هوازن ، وهو القول الذى يزعمه الثقيفون ؛ وعليه جمهور الناس ، ويزعم آخرون أن ثقيفا من إياد بن نزار
ابن معد بن عدنان ؛ وأن النخع أخوه لأبيه وأمه ؛ ثم افترقا؛ فصار أحدهما في عداد هوازن والآخري في عداد مذحج ؛
وقال قوم آخرون إن ثقيفا من بقايا ثمود من العرب القديمة التى بادت وانقرضت . قال الحجاج على المنبر :
يزعمون أنا من بقايا ثمود فقد كذبهم الله بقوله : « وَثَمُودَ فَمَا أُبْقِيَ » وقال مرة أخرى : ولئن كنا
من بقايا ثمود لما نجتمع صالح إلا خيارهم - اقرأ كلمة عن نسب ثقيف في شرح ابن أبي الحديد م ٢
ص ٣٩٢ ؛ والعقد الفريد ٣ : ٨ ، والأغانى ٤ : ٧٤ ؛ ومروج الذهب ٢ : ٦٨ ؛ وتاريخ الطبرى
٧ : ٢٣٣ . (٢) نبا به منزله : لم يوافق . (٣) الألية : اليمين . (٤) ثقف ككرم وفرح :
صار حاذقا خفيفا فطنا . وثقف الشيء كفرح : ظفر به .

ثقيفاً ، وعُيِّرَ الظرب بتزويجه قسيّاً ، وقيل زوجتَ عبدًا ، فسار إلى الكهان يسألهم ،
فانتهى إلى شقّ بن مُصعب البَجَلِيّ ، وكان أقربَهم منه . فلما انتهى إليه قال : إنا قد
جئناك في أمر فما هو ؟ قال : « جئتم في قسيّ ، وقسيّ عبدُ إياد ، أبق^(١) ليلة الواد ،
في وَجّ^(٢) ذاتِ الأنداد ، فوالى سعدًا لِيُفَادَ ، ثم لوى بغير معاد » يعنى سعد بن قيس
ابن عيّلان بن مضر ، ثم توجه إلى سطيح الذئبي حتى من غَسَّان ، ويقال إنهم حتى من
قُضاعة نُزُول في غَسَّان . فقالوا : إنا جئناك في أمر فما هو ؟ قال : « جئتم في قسيّ ، وقسيّ
من ولد نمود القديم ، ولدته أمه بصَحْرَاءَ تَرِيم^(٣) ، فالتقطه إياد وهو عَدِيم ، فاستعبده
وهو مُلِيم^(٤) . فرجع الظرب وهو لا يدري ما يصنع في أمره . وقد وُكِّدَ عليه في الحلفِ
والتزويج ، وكانوا على كفرهم يُوفون بالقول ، فلهذا يقول من قال إن ثقيفاً من نمود ،
لأن إياداً من نمود » .

(الأغانى ٤ : ٧٥)

٦٣ - تنافر عبد المطلب بن هاشم والثقفين إلى عزي سلمة الكاهن

كان لعبد المطلب بن هاشم مال بالطائف يقال له : ذوالهَرَم^(٥) ، فغلبه عليه خنْدِف
ابن الحارث الثَّقَفِيُّ ، فنافرهم عبد المطلب إلى عَزَى سلمة الكاهن - أو إلى نُفَيْل
ابن عبد العزى جد عمر بن الخطاب^(٦) - فخرج عبد المطلب مع ابنه الحارث ، وليس له
يومئذ غيره ، وخرج الثقفون مع صاحبهم ، وحربُ بن أمية معهم على عبد المطلب ، فنفد
ماء عبد المطلب ، فطلب إليهم أن يسقوه ، فأبَوْا ، فبلغ العطش منه كل مَبْلَغ ، وأشرف

(١) هرب . (٢) وج : اسم واد بالطائف . (٣) رام يريم ربما : تباعد .

(٤) ألام فهو مليم : أتى ما يلام عليه .

(٥) ضبطه في القاموس المحيط بفتح فسكون ؛ والصحيح أنه بالتحريك كما يدل على ذلك الأسجاع

الآتية . (٦) وصيغة معجم ياقوت : « فنافرهم عبد المطلب إلى الكاهن القضاعي وهو سلمة بن أبي حية

فخرجوا إليه إلى الشام » .

على الهلاك ، فبينما عبد المطلب يُشير بعيره ليركب ، إذ فجّر الله له عينا من تحت جِرانه ، فحمد الله وعلم أن ذلك منه ، فَشَرِبَ وشرب أصحابه رِيَّهم وتزودوا منه حاجتهم ، وَنَفِدَ ماء الثقيين ، فطلبوا إلى عبد المطلب أن يسقيهم فأنعم عليهم ، فقال له ابنه الحارث لَأُنْحِنِينَ على سيفي حتى يخرج من ظهري ، فقال عبد المطلب : لأُسْقِيَنِهِمْ فلا تفعل ذلك بنفسك فسقام ، ثم انطلقوا ، حتى أتوا الكاهن ، وقد خَبَثُوا له رأس جَرَادَة ، في خُرْزَة مَزَادَة^(١) ، وجعلوه في قِلَادَة كلب لهم يقال له سَوَّار ، فلما أتوا الكاهن إذا هم ببقرتين نسوقان بينهما بَخْرَجَا^(٢) كلتاها تزعم أنه ولدها ، وَوَلَدَتَا في ليلة واحدة ، فأكل النمرُ أحد البَخْرَجِين . فهما ترأّمان^(٣) الباقي ، فلما وقفنا بين يديه . قال الكاهن : هل تدرّون ما تريد هاتان البقرتان ؟ قالوا : لا . قال الكاهن : « ذهب به ذوجسدٍ أُرْبَد^(٤) ، وَشِدْقٍ مُرْمَع^(٥) ، وَنَابٍ مُعَلِق^(٦) ، ما للصغرى في ولد الكبرى حقٌّ » ففضى به للكبرى ، ثم قال : ما حاجتكم ؟ قالوا : قد خَبَأْنَا لك خَبِثًا ، فأنبئنا عنه ، ثم نخبرك بحاجتنا ، قال : « خبأتُم لي شيئًا طار فسطم ، فتصوّب فوق ، في الأرض منه بُقَع ، فقالوا : لآدَه ، أي بَيَّنّه . قال : « هو شيء طار ، فاستطار ، ذو ذَنَبٍ جَرَّار ، وساق كَالْمِنْشَار ، ورأس كَالْمِسْمَار » فقالوا : لآدَه ، قال : « إن لآدَه قِلَادَه^(٧) ، هو

- (١) المَزَادَة : الراوية ، والحُرْزَة : السير يخرز به . (٢) البَخْرَج : ولد البقرة .
(٣) رُمْت وولدها : عطفت عليه ولزمته . (٤) من الرَبْدَة (كصفرة) : لون إلى الغبرة .
(٥) رمع كنع رمعانا (بالتحريك) وترمع : تحرك واضطرب ، وقوله مرمع : اسم فاعل من رمع المضعف ، يشير إلى أنه مفترس كاسر . (٦) من أعلق الصائد إذا علق الصيد في حبالته أي نشب .
(٧) روى ابن الأعرابي إلهة فلاذه ساكن الهاء . ويروى إلهة فلاذه مكسور الهاء منونة ، قال ياقوت في معجمه : « يقول إن لم يكن قولي بيانا فلا بيان » وقال الزمخشري في المستصفي : « إن لآدَه قِلَادَه بفتح الدال ويكسر ، وهي كلمة فارسية معناها الضرب قد استعملتها العرب في كلامها . وأصله أن الموتور كان يلقي وآثره فلا يتعرض له فيقال له ذلك ، والمعنى إنك إن لم تضربه الآن فلا تضربه أبدا ، والتقدير إن لا يكن ده فلا يكون ده : أي إن لا يوجد ضرب الساعة ، فلا يوجد ضرب أبدا ، ثم اتسعوا فيه فضربوه مثلا في كل شيء لا يقدم عليه الرجل ، وقد حان حينه ووجب إحداثه من قضاء دين قد حل أو حاجة طلبت ، أو ما أشبه ذلك من الأمور التي لا يسوغ تأخيرها » . وقال المنذرى : « قالوا معناها إلا هذه فلا هذه ، يعني أن الأصل إلهة فلاذه بالذال المعجمة ، فعربت بالذال غير المعجمة كما قالوا يهوذا ثم عرب فقيل يهودا » .

رأس جَرَادَة ، في خُرَز مَزَادَة ، في عُتُق سَوَارِ ذِي الْقِلَادَة ، ، قَالُوا : صدقت ،
فَأخْبِرْنَا فِيمَ اخْتَصَمْنَا إِلَيْكَ ؟ قَالَ : « أَحْكُمُ بِالضِيَاءِ وَالظُّلْمِ ، وَالْبَيْتِ وَالْحَرَمِ ، أَنْ الْمَالُ
ذَا الْحَرَمِ ، لِلْقُرَشِيِّ ذِي الْكُرَمِ » فَقَضَى بَيْنَهُمْ ، وَرَجَعُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ عَلَى حَكْمِهِ .

(جمع الأمثال ۱ : ۳۰ ومعجم البلدان ۸ : ۴۶۰)

وروى الجاحظ لعزى سلمة أنه قال :

« وَالْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، وَالْعُقَابِ وَالصَّقَعَاءِ ^(۱) ، وَاقِعَةَ بَبَقَمَاءِ ^(۲) ، لَقَدْ نَفَرْنَا الْمَجْدُ

بَنِي الْعُشْرَاءِ ^(۳) ، لِلْمَجْدِ وَالسَّنَاءِ ^(۴) . »
(البيان والتبيين ۱ : ۱۵۹)

٦٤ - منافرة عبد المطلب بن هاشم و حرب بن أمية ^(۵)

تنافر عبد المطلب بن هاشم و حرب بن أمية إلى النجاشي ملك الحبشة ، فأبى أن

ينفّرَ بينهما ، فجعلوا بينهما نفيل بن عبد العزّي بن رباح ، فقال لحرب :

(۱) الصقعة بالضم : بياض في وسط رءوس الطير وغيرها ، وهو أصقع ، وهي صقعاء (والصقعاء
أيضا الشمس) . (۲) البقعاء : اسم ماء . (۳) العشراء : قوم من فزارة ، ونفروه عليه : قضى له
عليه بالغلبة . (۴) السناء : الرفعة .

(۵) وسبب ذلك أن عبد المطلب كان له جار يهودي يقال له أذينة ، يتجر وله مال كثير ، فغاظ ذلك
حرب بن أمية ، وكان زديم عبد المطلب ، فأغرى به فتيانا من قريش ليقتلوه ، ويأخذوا ماله ، فقتله عامر
ابن عبد مناف بن عبد الدار ؛ وصخر بن عمرو بن كعب التيمي ، جد أبي بكر رضي الله عنه ، فلم يعرف
عبد المطلب قاتله ، فلم يزل يبحث حتى عرفهما ، وإذا هما قد استجارا بحرب بن أمية ، فأق حربا ولامه
وطلبهما منه فأخفاهما ؛ فتغالظا في القول ؛ حتى تنافرا إلى النجاشي فلم يدخل بينهما ، فجعلوا بينهما نفيل
ابن عبد العزّي جد عمر بن الخطاب فنفر عبد المطلب عليه ؛ فترك عبد المطلب منادمة حرب ، ونادم عبد الله
ابن جدعان التيمي ، وأخذ من حرب مائة ناقة ؛ فدفعها إلى ابن عم اليهودي ، وارتجع ماله إلا شيئا هلك ،
فغرمه من ماله .

« يا أبا عمرو : أتنافر رجلا هو أطولُ منك قامَةً ، وأعظمُ منك هامَةً ، وأوسمُ منك وَسَامَةً^(١) ، وأقلُ منك مَلَامَةً ، وأكثرُ منك وَلَدًا ، وأجزلُ صَفَدًا^(٢) ، وأطولُ منك مِذْوَدًا^(٣) ، وإني لأقولُ هذا وإنك لبعيدُ الغَضَبِ ، رفيعُ الصَّوْتِ في العربِ ، جلدُ المَرِيرَةِ^(٤) ، جليلُ العَشِيرَةِ ، ولكنك نافت مُنْفَرًا . »

فغضب حرب وقال : إن من انتكاس^(٥) الزمان أن جعلت حكما .

(تاريخ الكامل لابن الأثر ٢ : ٦ ، وتاريخ الطبري ٢ : ١٨١)

٦٥ - ما أمر به عبد المطلب بن هاشم في منامه من حفر زمزم

وَلِيَّ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمِ السَّقَايَةَ والرَّفَادَةَ بعدَ عمِّه المطلبِ ، وَشَرَفَ في قومِهِ ، وَعَظَمَ شأنَهُ ، ثُمَّ إِنَّهُ حَفَرَ زَمْزَمَ ، وَهِيَ بئرُ إِسْمَاعِيلِ بنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، الَّتِي أَسْقَاهُ اللهُ مِنْهَا ، وَكَانَتْ جُرْمٌ قَدْ دَفَنْتَهَا^(٦) ، وَكَانَ سَبَبُ حَفْرِهَا إِيَّاهَا أَنَّهُ قَالَ :

« بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ بِالْحَجْرِ إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَالَ : احْفِرْ طَيْبَةً ، قُلْتُ : وَمَا طَيْبَةٌ ؟ فَذَهَبَ وَتَرَكَنِي ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدَ رَجَعْتُ إِلَى مَضْجَعِي ، فَجَاءَنِي فَقَالَ : احْفِرْ بَرَّةً ، قُلْتُ : وَمَا بَرَّةٌ ؟ فَذَهَبَ وَتَرَكَنِي ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ رَجَعْتُ إِلَى مَضْجَعِي ،

(١) الوسامة : الحسن والجمال . (٢) الصفد : العطاء . (٣) المذود : اللسان .

(٤) المريرة : الحبل الشديد الفتل ، والعزيمة . (٥) أي انقلاب الزمان من انعكس أي وقع

على رأسه ، وفي الطبري : انتكاث بالثاء من انتكاث الحبل وهو انتقاضه .

(٦) وذلك أن جرهم لما استخفت بأمر البيت الحرام ؛ وارتكبوا الأمور العظام ، قام فيهم رئيسهم مضاض بن عمرو خطيبا ووعظهم فلم يرضوا ، فلما رأى ذلك منهم عمد إلى غزالين من ذهب كانا في الكعبة وما وجد فيها من الأموال أي السيوف والدروع التي كانت تهدي إليها ، ودفنها في بئر زمزم ، وكانت قد نصب ماؤها فحفرها مضاض بالليل وأعمق الحفر ودفن فيها ذلك وطم البئر ، وما زالت مطمومة إلى زمن عبد المطلب .

فتمت فيه ، فجاءني فقال : احفر المذنونة ، قلت : وما المذنونة ؟ ^(١) فذهب عني ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فتمت فيه ، فجاءني فقال : احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لا تندم ، فقلت : وما زمزم ؟ قال : « تراث من أبيك الأعظم ، لا تُنزف أبداً ولا تدم ^(٢) ، تسقي الحجاج الأعظم ، مثل نعام جافل لم يقسم ^(٣) ، ينذر فيها ناذر لمنعم ، تكون ميراثاً وعقداً محكم ، ليس كبعض ما قد تعلم ، وهي بين الفرث والدم ^(٤) ، عند نقرة الغراب الأعصم ^(٥) ، عند قرية النمل » .

فلما بين له شأنها ، ودله على موضعها ، وعرف أنه قد صدق . غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث ليس له ولد غيره ، فحفر بين أساف ونائلة ، في الموضع الذي تنجر فيه قريش لأصنامها ، وقد رأى الغراب ينقر هناك ، فلما بدا له الطوى ^(٦) كبر ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٥ ، والسيرة الحلبية ١ : ٣١ ، وسيرة ابن هشام ١ : ٩٠)

(١) طيبة ، وبرة ، والمذنونة : أسماء لزمزم . (٢) نزفت البئر : نزحت كنزفت بالضم ، وبئر ذمة بالفتح وضميم وذميمة : قليلة الماء لأنها تدم . (٣) جفل النعام : أسرع وذهب في الأرض ، ولم يقسم : لم يفرق . (٤) أي في محلها ، والفرث : السرجين في الكرش ، وذلك بين إساف ونائلة ، (وإساف ككتاب وسحاب : صنم وضعه عمرو بن لحي على الصفا ، ونائلة على المروة تجاه الكعبة) ، وكانت قريش تذبح عندهما ذبائحها التي تقترب بها . (٥) الأعصم : قيل أحمر المنقار والرجلين ، وقيل أبيض البطن ، وقيل أبيض الجناحين ، وقيل أبيض إحدى الرجلين . (٦) الطوى : البئر .

خطب الكواهن

٦٦ - الشعثاء الكاهنة تصف سبعة إخوة

كانت عثمة بنت مطرود البَجَلِيَّة ذات عقل ورأى مُسْتَمَع في قومها ، وكانت لها أخت يقال لها خوذ ، وكانت ذات جمال وميسم^(١) وعقل ، فخطب سبعة إخوة غلّمة من بطن الأزد خودا إلى أبيها ، فأتوه وعليهم الحلل اليمانية ، وتحتم النجائب الفرّه^(٢) ، فقالوا : نحن بنو مالك بن غفيلة ذى النحيين ، فقال لهم : انزلوا على الماء ، فنزلوا ليلتهم ، ثم أصبحوا غادين في الحلل والهيثة ، ومعهم ربيبة^(٣) لهم يقال لها الشعثاء : كاهنة ، فرأوا بوضيها^(٤) يتعرضون لها ، وكلهم وسيم جميل ، وخرج أبوها ، فجلسوا إليه ، فرحب بهم ، فقالوا : بلغنا أن لك بنتا ، ونحن كما ترى شباب ، وكلنا يمنع الجانب ، ويمنع الراغب ، فقال أبوها : كلكم خيار ، فأقيموا نرى رأينا ، ثم دخل على ابنته ، فقال : ما ترين ، فقد أتاك هؤلاء القوم ؟ فقالت : « أنكحني على قدرى ، ولا تشطط في مهري ، فإن تخطبني أخلامهم ، لا تخطبني أجسامهم ، لعلني أصيب ولدا ، وأكثر عددا » فخرج أبوها ، فقال : أخبروني عن أفضلكم .

قالت ربيبتهم الشعثاء الكاهنة : « أسمع أخبرك عنهم : هم إخوة ، وكلهم أسوة^(٥) .

(١) الميمم والوسامة : أثر الحسن . (٢) النجائب جمع نجيب : وهو البعير والفرس إذا كانا كريمين عتيقين ، والفره : (كقفل وركع وكتب) جمع فاره ، وهو من الدواب الجيد السير الشيط الخفيف . (٣) الرببية : الحاضنة . (٤) الوصيد : الفناء (بالسكر) والعتبة .

(٥) الأسوة : القدوة .

أما الكبير فاللِّكُ ، جَرِيءٌ فَاتِكٌ ، يُتَعَبُ السَّنَابِكُ^(١) ، ويستصغر المهالك . وأما الذي يَلِيهِ فالغَمْرُ ، بَحْرٌ غَمْرٌ^(٢) ، يَقْصُرُ دُونَهُ الْفَخْرُ ، نَهْدٌ^(٣) صَقْرٌ . وأما الذي يليه فَعَلْقَمَةٌ ، صَلِيبُ الْمَعْجَمَةِ^(٤) ، مَنِيْعُ الْمَشْتَمَةِ^(٥) ، قَلِيلُ الْجَمْعَمَةِ^(٦) . وأما الذي يليه فَعَاصِمٌ ، سَيِّدٌ نَاعِمٌ^(٧) ، جَلْدٌ صَارِمٌ ، أَبِي حَازِمٍ ، جَيْشُهُ غَانِمٌ ، وَجَارُهُ سَالِمٌ . وَأما الذي يليه فَتَوَابٌ ، سَرِيْعُ الْجَوَابِ ، عَتِيْدُ الصَّوَابِ^(٨) ، كَرِيْمُ النَّصَابِ^(٩) ، كَلَيْثُ الْغَابِ . وَأما الذي يليه فَمُدْرِكٌ ، بَدُوْلٌ لِمَا يَمْلِكُ ، عَزُوْبٌ^(١٠) عَمَّا يَتْرِكُ ، يُفْنِي وَيُهْلِكُ . وَأما الذي يليه فَجَنْدَلٌ ، لِقْرِئِهِ مُجَدَّلٌ^(١١) ، مُقِلٌّ^(١٢) لِمَا يُحْمَلُ ، يُعْطَى وَيَبْذُلُ ، وَعَنْ عَدُوِّهِ لَا يَنْكُلُ^(١٣) .

فشاورت أختها فيهم ، فقالت أختها عثمة : « تَرَى الْفَتِيَّانَ كَالنَّخْلِ ، وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ ؟ »^(١٤) اسمعى منى كلمة ، إن شرَّ الغريبة يُعْلَنُ ، وخيرها يُدْفَنُ ، انكحى فى قومك ولا تفرُّرك الأقسام ، فلم تقبل منها ، وبعثت إلى أبيها : أنكحنى مدركا ، فأنكحها أبوها على مائة ناقة ورُعاتيها ، وحملها مدرك ، فلم تلبث عنده إلا قليلا ، حتى صبَّحهم فوارسٌ من بنى مالك بن كنانة ، فاقتتلوا ساعة ، ثم إن زوجها وإخوته وبنى عامر انكشفوا ، فسبَّوها فيمن سبَّوا ، فبينما هى تسير بكت ، فقالوا : ما يبكيك ، أعلَى فراق زوجك ؟ قالت : قَبَّحَهُ اللهُ ، قالوا : لقد كان جميلا ! قالت : قَبَّحَ اللهُ جمالا

- (١) السنايك جمع سنيك كقنفذ : وهو طرف الحافر ، أى أنه يجهد الخيل فى حومة الوغى .
(٢) الغمر : معظم البحر ، والكريم : الواسع الخلق .
(٣) النهد : الأسد ، والكريم . (٤) من عجم العود إذا عضه ليعرف صلابته من خوره .
(٥) المشتمة : مصدر شتم ، والمعنى : أنه فى حرز من أن يشتم ويسب عرضه ، لحسن فعله وكرم خلقه
(٦) الجمجمة : إخفاء الشيء فى الصدر .
(٧) نعم كسمع ونصر وضرب فهو ناعم : أى ذو تنعم وترفة . (٨) العتيد : الحاضر المهيأ .
(٩) الصاب : الأصل . (١٠) بعيد . (١١) جدله : صرعه على الجدالة (كسحابة)
وهى الأرض . (١٢) حامل . (١٣) نكل عنه كضرب ونصر وعلم : نكص وجبن .
(١٤) الدخل : ما يبطن فى الشيء ، وهو مثل يضرب للرجل له منظر ولا تخبر له .

لا نفعَ معه ، إنما أبكى على عصياني أختي ، وقولها : « ترى الفتيان كالنخل ، وما يدريك ما الدخل » وأخبرتهم كيف خطبوها ، فقال لها رجل منهم يُكنى أبا نواس شاب أسود أفوه^(١) مضطرب الخلق : أترضين بي ، على أن أمنعك من ذئاب العرب ؟ فقالت لأصحابه : أ كذاك هو ؟ قالوا : نعم ، إنه مع ما ترين ليمنع الحليلة^(٢) ، وتتقيه القبيلة ، قالت : هذا أجل جمال ، وأكمل كمال ، قد رضيت به ، فزوجوها منه .

(مجمع الأمثال للميداني ١ : ٩١)

٦٧ - طريفة الخير تتكهن بسيل العرم وخراب سد مأرب

قال عبد الملك بن عبد الله بن بَدْرُون في شرح قصيدة الوزير عبد المجيد بن عبدون ، التي قالها في رثاء دولة بني الأفطس بالأندلس :

كان أول من خرج من اليمن في أول تمزيقهم ، عمرو بن عامر مُزَيَّقِيَاء^(٣) ، وكان سبب خروجه ، أنه كانت له زوجة كاهنة ، يقال لها « طريفة الخير » ، وكانت رأت في منامها أن سحابة غشيت أرضهم فأرعدت وأبرقت ، ثم صعقت ، فأحرقت كل ما وقعت عليه ، ففرغت طريفة لذلك فرعاً شديداً ، وأنت الملك عمراً ، وهي تقول : « ما رأيت اليوم ، أزال عني النوم ، رأيت غمماً رعداً وبرقاً^(٤) طويلاً ، ثم صعق ، فما وقع على شيء إلا احترق » ، فلما رأى ما داخلها من الفزع سكنها ، ثم إن عمراً دخل حديقة له ، ومعه جاريتان من جواريه ، فبلغ ذلك طريفة ، فخرجت إليه وخرج معها وصيف^(٥) ، لها اسمه سنان ، فلما برزت من بيتها عرض لها ثلاث مناجيد منتصبات على

(١) الأفوه : وصف من الفوه بالتحريك ، وهو سعة الفم . (٢) الزوجة .

(٣) لقب بذلك ، لأنه كان يلبس كل يوم حلتين ، ويمزقهما بالعشى ، يكره العود فيهما ، ويأنف

أن يلبسهما غيره . (٤) رعدت السماء وبرقت (كنصر) ، وأرعدت السماء وأبرقت ، وأنكر الأصمعي

الرباعي فيهما . (٥) الوصيف : الخادم والخدمة .

أرجلهم ، واضعت أيديهن على أعينهن - وهي دواب تشبه البرابيع^(١) - فقعدت إلى الأرض واضعة يديها على عينيها ، وقالت لوصيفها : إذا ذهبت هذه المناجيد فأخبرني ، فلما ذهبت أعلمها ، فانطلقت مسرعة ، فلما عارضها خليج الحديقة التي فيها عمرو ، وثبت من الماء سلحفاة . فوقعت في الطريق على ظهرها ، وجعلت تروم الانقلاب فلا تستطيع ، وتستعين بذنبها ، فتحثو التراب على بطنها من جنباتها ، وتقذف بالبول قذفاً ، فلما رأتها طريفة جلست إلى الأرض ، فلما عادت السلحفاة إلى الماء ، مضت إلى أن دخلت على عمرو وذلك حين انتصف النهار في ساعة شديدة الحر ، فإذا الشجر يتكفأ من غير ريح ، فلما رآها عمرو استجيا منها ، وأمر الجاريتين بالتنحى ، ثم قال لها يا طريفة : فكهنت وقالت : « والنور والظلماء ، والأرض والسماء ، إن الشجر لهالك ، وليعودن الماء كما كان في الزمان السالك » . قال عمرو : ومن خبرك بهذا ؟ قالت : « أخبرتنى المناجيد ، بسنين شدايد ، يقطع فيها الولد الوالد » قال : ما تقولين ؟ قالت . « أقول قول النذمان لهفأ ، لقد رأيت سلحفا^(٢) ، تجرف التراب جرفاً ، وتقذف بالبول قذفاً ، فدخلت الحديقة ، فإذا الشجر من غير ريح يتكفأ » قال عمرو : وما ترين ؟ قالت : « داهية دهياء ، من أمور جسيمة ، ومصائب عظيمة » قال : وما هو ؟ وبلك ! قالت : « أجل ، إن فيه الويل ، وما لك فيه من قيل^(٣) ، وإن الويل فيما يجيء به السيل » فألقى عمرو نفسه عن فراشه ، وقال : ما هذا يا طريفة ؟ قالت : « هو خطب جليل ، وحزن طويل ، وخلف قليل » قال : وما علامة ما تذكرين ؟ قالت « اذهب إلى السد ، فإذا رأيت جرداً^(٤) ميكر ببيديه في السد الحفر ، ويقلب برجليه من أجل الصخر ، فاعلم أن غمر الغمر^(٤) »

(١) البرابوع : دويبة نحو الفأرة لكن ذنبه وأذناه أطول منها ؛ ورجلاه أطول من يديه عكس الزرافة .

(٢) يقال : سلحفاة وسلحفاء وسلحفا ، ويقال أيضا سلحفا ساكنة اللام مفتوحة الحاء .

(٣) قال قتيلا : نام في القائلة ، وهي نصف النهار ، والمراد هنا الإقامة والمسك .

(٤) الغمر : الماء الكثير .

وَأَنْ قَدْ وَقَعَ الْأَمْرُ . قَالَ : وَمَا هَذَا الَّذِي تَذَكِّرِينَ ؟ قَالَتْ : « وَعَدُّ مِنْ اللَّهِ نَزْلٌ ، وَبَاطِلٌ بَاطِلٌ ، وَنَكَالٌ بِنَا نَكَّالٌ ، فَبِغْيَرِكَ يَا عَمْرُؤُ فَلَیْكَنَ الشَّكْلُ ^(۱) ، فَاَنْطَلَقَ عَمْرُو فَاِذَا الْجُرْذُ یَقْلَبُ بِرِجْلِهِ صَخْرَةً مَا یَقْلِبُهَا خَمْسُونَ رَجُلًا ، (كَذَا) فَرَجَعَ إِلَى طَرِیْقَةٍ فَاخْبَرَهَا الْخَبْرَ وَهُوَ یَقُولُ :

أَبْصَرْتُ أَمْرًا عَادَنِي مِنْهُ أَلَمٌ وَهَاجَ لِي مِنْ هَوْلِهِ بَرْحٌ السَّقَمِ ^(۲)
 مِنْ جُرْذٍ كَفَجَلٍ خِنْزِيرِ الْأَجَمِ أَوْ كَبَشٍ صِرْمٍ مِنْ أَفَارِيقِ الْغَمِ ^(۳)
 يَسْحَبُ صَخْرًا مِنْ جَلَامِيدِ الْعَرَمِ لَهُ مَخَالِبٌ وَأَنْيَابٌ قُصْمِ ^(۴)
 مَا فَاتَهُ سَحْلًا مِنَ الصَّخْرِ قَصْمِ ^(۵)

فَقَالَتْ طَرِیْقَةٌ : وَإِنْ مِنْ عِلَامَاتٍ مَا ذَكَرْتَ لَكَ أَنْ تَجْلِسَ فَتَأْمُرَ بِزَجَاجَةٍ فَتَوْضِعَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَإِنَّ الرِّيحَ تَمَلُّوْهَا مِنْ تَرَابِ الْبَطْحَاءِ ^(۶) ، مِنْ سَهْلَةٍ ^(۷) الْوَادِي وَرَمَلِهِ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْجِنَانَ مُظَلَّلَةٌ لَا يَدْخُلُهَا شَمْسٌ وَلَا رِيحٌ ، فَأَمْرٌ عَمْرُو بِزَجَاجَةٍ فَوْضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَمْ يَمَكُثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى امْتَلَأَتْ مِنْ تَرَابِ الْبَطْحَاءِ ، فَاخْبَرَ عَمْرُو طَرِیْقَةَ بِذَلِكَ وَقَالَ لَهَا : مَتَى یَكُونُ هُلُوكُ السَّدِّ ؟ قَالَتْ لَهُ : فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ سَبْعِ سَنِينَ . قَالَ : فَنَفِي أَيُّهَا یَكُونُ ؟ قَالَتْ : « لَا یَعْلَمُ بِذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَوْ عَلِمَهُ أَحَدٌ لَعَلَّمْتُهُ ، وَلَا تَأْتِي عَلَيَّ لَيْلَةٌ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَبْعِ السَّنِينَ إِلَّا ظَنَنْتُ الْهَلَاقَ فِي غَدَا ، أَوْ فِي مَسَائِهَا ، ثُمَّ رَأَى عَمْرُو فِي نَوْمِهِ سَبِيلَ الْعَرَمِ ، وَقِيلَ لَهُ : آيَةٌ ذَلِكَ أَنْ تَرَى الْحَصْبَاءَ فِي سَعَفِ النَّخْلِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا ، فَوَجَدَ الْحَصْبَاءَ فِيهَا قَدْ

(۱) الشکل کسبب و قفل : الموت و الهلاك .

(۲) البرح : الشدة . (۳) الأجم جمع أجمة : وهي الشجر الكثير الملتف ، والصرم : الجماعة والفرقة تجمع على فرق ، وجمع الجمع أفراق ، وجمع جمع الجمع أفاریق ، والجلامید جمع جلمود كعصفور : الصخر . (۴) العرم : السد یتعرض به الوادی (ومن معانیه أيضا المطر الشدید ، والجُرذ ، وواد جاء الیل من قبله) . (۵) سحله کنع : قشره ونحته ، وتقصمه : كسره .

(۶) البطحاء والأبطح : مسیل واسع فيه دقاق الحصى . (۷) السهلة بالكسر : تراب كالرمل یجىء به المساء ، وأرض سهلة كفرحة : کثیرتها .

ظهرت ، فعمل أن ذلك واقع ، وأن بلادهم ستخرَّب ، فكتم ذلك وأخفاه ، وأجمع على بيع كل شيء له بأرض مأرب^(١) وأن يخرج منها هو وولده^(٢) ، فخرج ثم أرسل الله تعالى على السد^(٣) السيل فهدمه . (شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ص ٩٨)

(١) مأرب : مدينة باليمن ، وكانت في الزمان الأول قاعدة التبابعة ، وهي مدينة بلقيس ، بينها وبين صنعاء نحو أربع مراحل ، وتسمى سبأ باسم بانها سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .
(٢) وقد خشي أن يستنكر الناس عليه ذلك ، فأمر أحد أولاده إذا دعاه لما يدعوه إليه أن يتأبى عليه ، وأن يفعل ذلك به في الملاء من الناس ، وإذا لطمه ، يرفع هو يده ويلطمه ، ثم صنع طعاما وبعث إلى أهل مأرب أن عمرا صنع يوم مجد وذكر ، فاحضروا طعامه . فلما جلس الناس للطعام جلس عنده ابنه الذي أمره بما أمر ؛ فجعل يأمره بأمر فيتأبى عليه وبنهاه فلا ينتهي ، فرفع عمرو يده فلطمه على وجهه فلطمه ابنه ؛ وكان اسمه ملكا ، فصاح عمرو واذلاه يوم فخر عمرو يهيجه صبي ويضرب وجهه ، وحلف ليقتلنه ، فلم يزالوا بعمرو يرغبون إليه حتى تركه ، فقال : والله لا أقيم بموضع صنع بي فيه هذا : ولأبيعن أموالى حتى لا يرث منها بعدى شيئا ، فقال الناس بعضهم لبعض : اغتتموا غضب عمرو واشتروا منه أمواله قبل أن يرضى فابتاع الناس منه كل أمواله التي بأرض مأرب ، وفشا بعض حديثه فيما بلغه من شأن سيل العرم ، فقام ناس من الأزد فباعوا أموالهم ، فلما أكثروا البيع استنكر للناس ذلك فأمسكوا أيديهم عن الشراء ، ولما اجتمعت إلى عمرو أمواله أخبر الناس بشأن سيل العرم ، ولما خرج عمرو من اليمن خرج لخروجه منها بشر كثير ، فنزلوا أرض عك فحاربهم عك . فارتحلوا عنها ، ثم اصطلحوا وبقوا بها حتى مات عمرو بن عامر ، وتفرقوا على البلاد ، فمنهم من صار إلى الشام ، وهم أولاد جفنة بن عمرو بن عامر ، ومنهم من صار إلى يثرب ، وهم ابنا قبيلة الأوس والخزرج ، وأبوها حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وصارت أزد الشراة إلى أرض الشراة ؛ وأزد عمان إلى عمان ، وصار ملك ابن فهم إلى العراق ، ثم خرجت بعد عمرو ببسير من أرض اليمن طيسى فنزلت جبل طيسى أجأ وسلمى ، ونزلت ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر تهامة ، وسموا خزاعة لانخزاعهم من إخوانهم وتمزقوا في البلاد كل بزق .

(٣) كان السد فيما يذكر قد بناه لقمان الأكبر بن عاد ، وكان رصفه لحجارة السد بالرصاص والحديد ويقال إن الذي بناه كان من ملوك حير ، وذلك أن الماء كان يأق أرض سبأ من الشحر وأودية اليمن ، فردموا دما بين جبلين وحبسوا الماء ، وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض ، فكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث ، فأخصبوا وكثرت أموالهم ، فلما كذبوا رسولهم أرسل الله عليهم سيل العرم

وقال أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني :

وسارت القبائل من أهل مأرب حين خافوا سيل العرم ، وعليهم مزْيَقِيَاءٌ ، ومعهم
طريفة الكاهنة ، فقالت لهم :

« لَا تَوُثُّوا مَكَّةَ حَتَّى أَقُولَ ، وَمَا عَلَّمَنِي مَا أَقُولُ إِلَّا الْحَكِيمُ الْمُحْكَمُ ، رَبُّ

جميع الأمم ، من عرب وعجم » قالوا لها : ما شأنك يا طريفة ؟ قالت : خذوا البعير
الشدقم^(۱) ، فحضبوه بالدم ، تكن لكم أرض جرهم^(۲) ، جيران بيته المحرم .

(الأغاني ۱۳ : ۱۰۰)

* * *

وروى الميداني في مجمع الأمثال قال :

« أَلْقَتْ طَرِيفَةُ الْكَاهِنَةِ إِلَى عَمْرُو بْنِ عَامِرٍ الَّذِي يُقَالُ لَهُ مَزْيَقِيَاءُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ ،
وَكَانَتْ قَدِ رَأَتْ فِي كِهَانَتِهَا^(۳) أَنَّ سَدَّ مَأْرِبٍ سَيَخْرُبُ ، وَأَنَّهُ سَيَأْتِي سَيْلُ الْعَرَمِ ، فَيُخْرَبُ
الْجَنَّتَيْنِ^(۴) ، فَبَاعَ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ أَمْوَالَهُ ، وَسَارَ هُوَ وَقَوْمُهُ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى مَكَّةَ ، فَأَقَامُوا بِمَكَّةَ
وَمَا حَوْلَهَا ، فَأَصَابَتْهُمْ الْحُمَّى ، وَكَانُوا يَبْلُدُونَ فِيهَا مَا لَمْ يَكُنْ ، فَدَعَوْا طَرِيفَةَ فَشَكَرُوا
لِهَا الَّذِي أَصَابَهُمْ ، فَقَالَتْ لَهُمْ : قَدْ أَصَابَنِي الَّذِي تَشْكُونَ ، وَهُوَ مُفَرَّقٌ بَيْنَنَا . قَالُوا :
فَمَا تَأْمُرِينَ ؟ قَالَتْ :

(۱) الواسع الشدق . (۲) وكانوا يسكنون مكة ، فأرسل إليهم عمرو أن افسحوا لنا في بلادكم
حتى نقيم قدر ما نستريح ونرسل روادا إلى الشام وإلى الشرق ، فحيثما بلغنا أنه أمثل لحقنا به ، فأبى ذلك
جرهم إباء شديدا ، وقالوا : لا والله ما نحب أن ينزلوا فيضيقوا علينا مراتبنا ومواردنا ، وكانت الحرب بين
الفريقين ، وانهزمت جرهم فلم يفلت منهم إلا الشريد .

(۳) كهن كهانة بالفتح فهو كاهن ، وحرفته الكهانة بالكسر .

(۴) قال تعالى : « لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ،
كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ » .

« من كان منكم ذاهمًا بعيدًا ، وجمل شديد ، ومزاد^(۱) جديد ، فليلق بقصر
 عمان المشيد^(۲) ، فكانت أزدُعمان ، ثم قالت : من كان منكم ذا جلد وقسر^(۳) ،
 وصبر على أزمت الدهر ، فعليه بالأراك^(۴) من بطن مر^(۵) ، فكانت خزاعة ، ثم قالت :
 من كان منكم يريد الراسيات في الوحل ، المطعمات في المحل^(۶) ، فليلق بيثرب ذات
 النخل ، فكانت الأوس والخزرج ، ثم قالت : من كان منكم يريد الخمر الخمر ،
 والملك والتأمير ، ويلبس الديباج والحريز ، فليلق ببصرى وغوير ، (وهما من أرض
 الشام) ، فكان الذين سكنوها من آل جفنة من غسان ، ثم قالت : من كان منكم يد
 النياب الرقاق ، والخليل العتاق ، وكنوز الأرزاق ، والدم المهرق ، فليلق بأرض
 العراق ، فكان الذين سكنوها آل جذيمة الأبرش ، ومن كان بالحيرة وآل محرق^(۷) .
 (مجمع الأمثال : ۱ : ۱۸۶)

۶۸ - حديث زبراء الكاهنة مع بني رثام من قضاة

كان ثلاثة أبطن من قضاة مجتورين^(۸) بين الشجر وحفر موت : بنو ناعب ،
 وبنو داهن ، وبنو رثام وكانت بنو رثام ألقاهم عدداً ، وأشجعهم لقاءً وكانت لبني رثام عجوز
 تسمى خويلة ، وكانت لها أمة من مولدات العرب تسمى زبراء ، وكان يدخل على خويلة
 أربعون رجلاً ، كلهم لها محرّم ، بنو إخوة وبنو أخوات ، وكانت خويلة عقيماً ، وكان
 بنو ناعب ، وبنو داهن متظاهرين على بني رثام ، فاجتمع بنو رثام ذات يوم في عرس
 لهم ، وهم سبعون رجلاً ، كلهم شجاع بئيس^(۹) ، فطعموا وأقبلوا على شرابهم ، وكانت

(۱) المزداد والمزائد جمع مزادة : وهي الراوية . (۲) المشيد : المرفوع ، قال مسلم بن الوليد في
 رثام يزيد بن يزيد : أما هدت لمصرعه نزار ؟ بلى ، وتقوض المجد المشيد .
 (۳) قسره على الأمر : قهره . (۴) الأراك : القطعة من الأرض ، وموضع بعرفات ، وجبل
 بهذيل . (۵) مر بن أد بن طابخة . (۶) المحل : الشدة والجذب . (۷) هو عمرو بن هند ، لأنه
 حرق مائة من بني تميم . (۸) متجاورين . (۹) البئيس : الشجاع ، من بؤس ككرم بأسا .

زبراء كاهنةً ، فقالت لخويلة : انطلقى بنا إلى قومك أنذرهم ، فأقبلت خويلة تتوكأ على زبراء ، فلما أبصرها القوم ، قاموا إجلالاً لها . فقالت : « يَا تَمْرَ الْأَكْبَادِ ، وَأَنْدَادَ^(۱) الأولاد ، وشجراً^(۲) الحساد ، هذه زبراء ، تخبركم عن أنباء ، قبل انْحِسَارِ الظلماء ، بالمؤيد^(۳) الشنماء ، فاسمعوا ما تقول » . قالوا : وما تقولين يا زبراء ؟ قالت :

« وَاللُّوحِ^(۴) الخافقِ ، والليلِ الغاسِقِ^(۵) ، والصَّبَاحِ الشَّارِقِ ، والنَّجْمِ الطَّارِقِ^(۶) ، والمُزْنِ الوادِقِ^(۷) ، إن شجر الوادى لَيَأْدُو خَتْلًا^(۸) ، وَيَحْرُقُ أَنْيَابًا عُصْلًا^(۹) ، وإن صَخْرَ الطَّوْدِ لَيُنْذِرُ تُكْلًا^(۱۰) ، لا تجدون عنه مَعْلًا^(۱۱) . »

فوافقت قومًا أشارى^(۱۲) سُكَارَى ، فقالوا : « رِيحٌ خَجُوجٌ^(۱۳) ، بَعِيدَةٌ ما بين الفُرُوجِ ، أنت زبراء بِالْأَبْلَقِ النَّتُوجِ^(۱۴) . »

فقالت زبراء : « مَهْلًا يَا بَنِي الْأَعِزَّةِ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَشْمُ ذَفَرَ^(۱۵) الرجال تحت الحديد »

(۱) أنداد : جمع ند بالكسر ، وهو المثل والنظير . (۲) الشجا : ما اعترض في الخلق من عظم ونحوه . (۳) المؤيد : الداهية والأمر العظيم . (۴) اللوح بالضم والفتح (والضم أعلى) : الهواء بين السماء والأرض . (۵) غسق الليل كجلس : اشتدت ظلمته . (۶) الطارق : في الأصل ، كل من أتى ليلاً ، ثم استعمل في النجوم لطلوعها ليلاً . (۷) المزن : السحاب أو أبيضه أو ذو الماء ، والوادق من ودق المطر كوعد : قطر . (۸) أدوت له آدو أدوا إذا ختلته وخدعته (ودأيت له ، ودألت له أيضا) والختل : الخداع . (۹) حرق أنيابه : إذا حك بعضها ببعض ، والعرب تقول عند الغضب يفضبه الرجل على صاحبه : « هو يحرق على الأرم » والأرم كسكر : الأضراس ، والعصل : المعوجة جمع أعصل . (۱۰) الطود : الجبل ، والشكل ؛ الفقد . (۱۱) المعل : المنجى . (۱۲) الأشر محركة : المرح . (۱۳) الحجوج : السريعة المر .

(۱۴) الأبلق : وصف من البلق محركة ، وهو ارتفاع البياض في قوائم الفرس إلى الفخذين ، والأبلق لا يكون نتوجا ، والعرب تضرب هذا مثلا لشيء للذي لا ينال ، تقول « طلب الأبلق العقوق ، فلما فاته أراد بيض الأنوق » والعقوق كصبور : الحامل ، والأنوق كصبور أيضا : الذكر من الرخم ولا بيض له ، هذا قول بعض اللغويين . فالمعنى أنه طلب مالا يمكن ، فلما لم يجد طلب أيضا مالا يكون ولا يوجد ، وعامتهم يقولون : الأنوق الرخمة وهي تبيض في مكان لا يوصل فيه إلى بيضها إلا بعد عناه . فالمعنى أنه طلب مالا يقدر عليه ، فلما لم ينله طلب ما يجوز أن يناله . (۱۵) الذفر : حدة الريح ، يكون في التن والطيب (والذفر لا يكون إلا في التن) .

فقال لها فتى منهم يقال له هُدَيْل بن مُنْقِدٍ : « يَا خَذَاقِ ^(۱) ، والله ما تَشْمِين
إِلَّا ذَفَرَ إِبْطِيكَ » فانصرفت عنهم وارتاب قوم من ذوى أسنانهم ، فانصرف منهم أربعون
رجلاً ، وبقى ثلاثون ، فَرَقَدُوا فِي مَشْرَبِهِمْ ، وَطَرَقْتَهُمْ بَنُو دَاهِنٍ وَبَنُو نَاعِبٍ ، فَفَقَلُّوهُمْ
أَجْمَعِينَ ، وَأَقْبَلَتْ خُوَيْلَةَ مَعَ الصَّبَاحِ ، فَوَقَفَتْ عَلَى مِصَارِعِهِمْ ، ثُمَّ عَمَدَتْ إِلَى خِناصِرِهِمْ ،
فَقَطَعَتْهَا وَانْتَضَمَتْ مِنْهَا قِلَادَةً ، وَأَلْقَتْهَا فِي عُنُقِهَا ، وَخَرَجَتْ حَتَّى لَحِقَتْ بِمَرْضَاوِي بْنِ سَعْوَةَ
الْمَهْرِيِّ ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِهَا فَأَنَاخَتْ بِفَنَائِهِ ، فَاسْتَعَدَّتْهُ عَلَى بَنِي دَاهِنٍ وَبَنِي نَاعِبٍ ، فَخَرَجَ
فِي مَذِيرٍ ^(۲) مِنْ قَوْمِهِ ، فَطَرَقَهُمْ فَأَوْجَعَ فِيهِمْ .

(الأمالي ۱ : ۱۲۶)

٦٩ - كاهنة ذى الخلصة تكهن بما فى بطن رقية بنت جشم

زعموا أن رُقِيَّةَ بِنْتِ جُشَمِ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَوَلَدَتْ مُنْمِرًا وَهَيْلًا وَسِوَاءَهُ ، ثُمَّ اعْتَاطَتْ ^(۳)
فَأَتَتْ كَاهِنَةَ بَدْيِ الْخَلِصَةِ ^(۴) ، فَأَرْتَهَا بِطَنِهَا ، وَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ وُلِدْتُ ثُمَّ أُعْتِطْتُ ،
فَنظَرَتْ إِلَيْهَا وَمَسَّتْ بِطَنِهَا ، وَقَالَتْ :
« رَبِّ قَبَائِلَ فِرْقِي ، وَبَجَائِلَ حَلْقِي ، وَظُنُّنٌ ^(۵) حَزْقٌ ^(۶) ، فِي بَطْنِكَ زُقٌّ ^(۷) » .

(۱) خذاق : كناية عما يخرج من الانسان ، يقال : خذق ومزق وزرق .
(۲) المذير من الخيل : ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، أو من الأربعين إلى الخمسين ، أو إلى الستين
أو المائة إلى المائتين ، وقطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير .
(۳) اعتاطت المرأة : لم تحمل سنين من غير عقر . (۴) ذو الخلصة محرقة وبضمتين : بيت كان
يدعى للسكبة البياضية الخشم ، كان فيه صنم اسمه الخلصة . (۵) الظنن والظمان جمع ظعينة : وهى الهودج
سواء كان فيه امرأة أم لا ، والمرأة مادامت فى الهودج ، ويقال ، الظعينة فى الأصل وصف للمرأة فى هودجها
ثم سميت بهذا الاسم وإن كانت فى بيتها ، لأنها تصير مظعونة (أى يظان بها زوجها ، فهى فعيلة بمعنى
مفعولة) . (۶) الحزق والحزقة (بكسر الحاء) والحازقة والحزيق والحزيقة والحزاقة (بالفتح) الجماعة ،
والجمع حزائق وحزيق وحزق (بضم ح) . (۷) أى وضع واصل الزق : رمى الطائر بذرقه ، والمعنى :
رب جنين تشعب منه قبائل متفرقة ، ويتناسل منه ذكرا ن يتحلقون فى المجالس والأندية وجماعات من النسوة
قد أودع بطنك .

فلما نَحَضَّتْ^(۱) بربيعة بن عامر^(۲) ، قالت : إني أعرف ضَرْطِي بهلال ، « أي هو غلام ، كما أن هلالاً كان غلاماً » .
(مجمع الأمثال ۱ : ۳۲۱)

۷۰ - رأى سلمى الهمدانية في حريم المرادى

أغار رجل من « مُرَادٍ » يقال له « حَرِيمٌ » على إبل عمرو بن بَرَّاقَةَ الهمدانية وخيل له ، فذهب بها ، فأتى عمرو سلمى الهمدانية ، وكانت بنت سيدهم ، وعن رأيها كانوا يصدرون ، فأخبرها أن حريماً المرادى أغار على إبله وخيله ، فقالت : « وَالْخَفْوِ وَالْوَمِيضِ^(۳) ، وَالشَّقَقِ كَالِإِحْرِيضِ^(۴) ، وَالْقَلَّةِ وَالْحَضِيضِ^(۵) ، إِنْ حَرِيماً لَمَنِيْعُ الْحِيْزِ^(۶) ، سَيِّدُ مَزِيْرٍ^(۷) ذُو مَعْقِلِ حَرِيْزِ ، غَيْرَ أَنِي أَرِي الْحَمَّةَ^(۸) سَتَظْفَرُ مِنْهُ بِعَثْرَةٍ ، بِطَيْئَةِ الْجُبْرَةِ ، فَأَغْرُ وَلَا تُنْكَعُ^(۹) » فأغار عمرو ، فاستاق كل شيء له ، فأتى حريم بعد ذلك يطلب إلى عمرو أن يرد عليه بعض ما أخذ منه ، فامتنع ورجع حريم .

(الأماي ۲ : ۱۲۳)

(۱) نَحَضَّتْ كَسَبَعٍ وَمَنَعٍ وَعَنَى : أَخَذَهَا الطَّلَقَ .

(۲) هُوَ رَبِيعَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ صَعْمَةَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ عَكْرَمَةَ بْنِ خَصْفَةَ

ابن قيس بن عيلان بن مضر ومن نسله بنو كلاب بن ربيعة بن عامر وبنو جعفر بن كلاب بن ربيعة .

(۳) الْخَفْوُ : اللَّمَعَانُ الضَّمِيْعُ ، وَالْوَمِيضُ : أَشَدُّ مِنَ الْخَفْوِ . (۴) الْإِحْرِيضُ : الْعَصْفَرُ .

(۵) الْقَلَّةُ : أَعْلَى الرَّأْسِ وَالْجَبَلِ وَكُلِّ شَيْءٍ ، وَالْحَضِيضُ : الْقَرَارُ مِنَ الْأَرْضِ عِنْدَ مَنَقَطِعِ الْجَبَلِ .

(۶) النَّاحِيَةُ . (۷) مَزِيْرٌ : فَاضِلٌ ، مِنْ قَوْلِهِمْ هَذَا أَمْرٌ مِنْ هَذَا أَيْ أَفْضَلُ مِنْهُ .

(۸) الْحَمَّةُ : الْقَدْرُ (مَحْرُكَةٌ) ، وَقِيلَ هِيَ وَاحِدُ الْحَمَامِ (بِالسُّكْرِ) .

(۹) نَكَعَهُ عَنِ الْأَمْرِ (كَنَعَ) رَدَّهُ وَدَفَعَهُ .

٧١ - تنافر العجفاء بنت علقمة وصواحباتها إلى الكاهنة السعدية

روى أن العجفاء بنت علقمة السعدية ، وثلاث نسوة من قومها ، خرجن فاتعدن بروضة يتحدثن فيها ، فوافين بها ليلاً في قمر زاهر ، وليلة طلقة ساكنة ، وروضة معشبة خضبة ، فلما جلسن قلن : ما رأينا كالليلة ليلة ، ولا كهذه الروضة روضة أطيب ريحاً ولا أنضر ، ثم أفضن في الحديث ، فقلن : أي النساء أفضل ؟ قالت إحداهن : الحرود^(١) الودود الودود . قالت الأخرى : خيرهن ذات الغناء^(٢) ، وطيب الثناء ، وشدة الحياء . قالت الثالثة : خيرهن السموع الجموع ، النفع غير المنوع . قالت الرابعة : خيرهن الجامعة لأهلها ، الوادعة الرافعة ، لا الواضعة . قلن : فأى الرجال أفضل ؟ قالت إحداهن : خيرهم الحظ^(٣) الرضى ، غير الحظ^(٤) البطى . قالت الثانية : خيرهم السيد الكريم ، ذو الحسب العميم ، والمجد القديم . قالت الثالثة : خيرهم السخى ، الوفى الرضى ، الذى لا يغير^(٥) الحرّة ، ولا يتخذ الضرّة . قالت الرابعة : وأبيكن ، إن فى أبى لنعتكُن ، كرم الأخلاق ، والصدق عند التلاق ، والفأج^(٦) عند السباق ، ويحمده أهل الرفاق . قالت العجفاء عند ذلك : كل فتاة بأبيها معجبة .

وفى بعض الروايات أن إحداهن قالت : إن أبى بكرم الجار ، ويعظم الخطار^(٧) ، وينحر العشار^(٨) ، بعد الحوار^(٩) ، ويحمل الأمور الكبار ، ويأنف من الصغار ، فقالت

(١) الحرود والحرید والحريدة : الحية الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتسترة .

(٢) الكفاية والمنفعة . (٣) الحظى : ذو الحظوة والمكانة عند روجه ، والحظية كذلك .

(٤) رجل حظل ككتف وشداد وصبور : مقتر يحاسب أهله بما ينفق عليهم ، وفى مجمع الأمثال

« غير الحظال ، ولا التبال » والتبال بالتشديد من التبل (بفتح فسكون) وهو الحقد .

(٥) أغار امرأته : تزوج عليها . (٦) الفوز والظفر .

(٧) الخطار جمع خطر كسبب وهو سبق يتراهن عليه . (٨) العشار جمع عشراء كنفساء وهى

من النوق التى مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية . (٩) الحوار بالضم وقد يكسر : ولد الناقة ساعة تضعه

أو إلى أن يفصل عن أمه .

الثانية : إن أبي عظيم الخطر ، منيع الوزر^(١) ، عزيز النفر ، يُحمدُ منه الوزد والصدّر ،
فقلت الثالثة : إن أبي صدوق اللسان ، حديد الجنان ، رذوم^(٢) الجفان ، كثير
الأعوان ، يرؤى السنان ، عند الطعان ، قالت الرابعة : إن أبي كريم النزال ، مُنيف
المقال ، كثير النوال ، قليل السؤال ، كريم الفعال .

ثم تنافرن إلى كاهنة معهن في الحى ، فقلن لها : اسمى ما قلنا ، واحكى بيننا واعدلى ،
ثم أعدن عليها قولهن ، فقالت هن : « كل واحدة منكن ماردة^(٣) ، بأبيها واجدة^(٤) ،
على الإحسان جاهدة ، لصواحبها حاسدة ، ولكن اسمن قولى : خيرُ النساءِ المُبقيةِ
على بعلها ، الصابرة على الضراء مخافة أن ترجع إلى أهلها مُطلقة ، فهى تُؤثرُ حظَّ زوجها
على حظِّ نفسها ، فتلك الكريمة الكاملة ، وخير الرجال الجوادُ البطل ، القليل الفشل ،
إذا سأله الرجل ، ألفاه قليل العِلل ، كثير النفل^(٥) ، ثم قالت : كل واحدة منكن
بأبيها مُعجبة .

(مجمع الأمثال ٢ : ٥٤ وجمهرة الأمثال ٢ : ١٣٣)

٧٢ - عفراء الكاهنة تعبر رؤيا مرثد بن عبد كلال

روى أن مرثد بن عبد كلال قفل من غزاة غزاها بغنائم عظيمة ، فوفد عليه زعماء
العرب وشعراؤها وخطباؤها يهنئون ، فرفع الحجاب عن الوافدين ، وأوسعهم عطاء ،
واشدد سروره بهم ، فبينما هو كذلك إذ نام يوماً فرأى رؤيا فى المنام أخافته وأذعرتة
وهالته فى حال منامه ، فلما انتبه أنسبها حتى لم يذكر منها شيئاً ، وثبت ارتياعه فى نفسه
بها ، فانقلب سروره حزناً ، واحتجب عن الوفود حتى أساءوا به الظن ، ثم إنه حشر
الكهّان فجعل يخلو بكاهن كاهن ، ثم يقول له : أخبرنى عما أريد أن أسألك عنه ،

(١) الوزر : الملجأ .
(٢) الرذوم : القصعة الممتلئة تنصبب جوانبها .
(٣) أى قد بلغت الغاية .
(٤) وجد به (بالكسر) أحبه .
(٥) النفل : الهبة .

فيجيبه الكاهن بأن لا علم عندي ، حتى لم يدع كاهناً علمه إلا كان إليه منه ذلك ، فتضاعف قلقه ، وطال أرقه ، وكانت أمه قد تكهنت ، فقالت له : أبيت اللعن أيها الملك ، إن الكواهن أهدى إلى ما تسأل عنه ، لأن أتباع الكواهن من الجان ، أطف وأظرف من أتباع الكهّان ، فأمر بجسر الكواهن إليه ، وسألهم كما سأل الكهّان ، فلم يجد عند واحدة منهن علماً مما أراد علمه ، ولما يئس من طلبته سأل عنها ، ثم إنه بعد ذلك ذهب يتصيد ، فأوغل في طلب الصيد ، وانفرد عن أصحابه ، فرفعت له أبيات من ذرّاً^(۱) جبل ، وكان قد لفحه الهجير ، فعدل إلى الأبيات ، وقصد بيتاً منها كان منفرداً عنها ، فبرزت إليه منه عجوز ، فقالت له : أنزل بالرحب والسعة ، والأمن والدعة ، والجفنة المددعة^(۲) ، والعلبة المترعة^(۳) ، فنزل عن جواده ، ودخل البيت ، فلما احتجب عن الشمس ، وخفت عليه الأرواح^(۴) ، نام فلم يستيقظ حتى تصرّم الهجير ، فجلس يمسح عينيه ، فإذا هو بين يديه فتاة لم ير مثلها قواماً ولا جمالا ، فقالت : « أبيت اللامن أيها الملك الهمام ! هل لك في الطعام ؟ » فاشتد إشفاقه وخاف على نفسه لما رأى أنها عرفتة ، وتصام عن كلماتها ، فقالت له : « لا حذر ، فذاك البشر ، فجدك الأكبر ، وحظنا بك الأوفر » . ثم قربت إليه ثريداً وقديداً وحيساً^(۵) ، وقامت تذب عنه ، حتى انتهى أكله ، ثم سقته لبناً صريفاً وضريباً^(۶) ، فشرّب ما شاء ، وجعل يتأملها مقبلة ومدبرة ، فمأّت عينيه حسناً ، وقلبه هوى ، فقال لها : ما اسمك يا جارية ؟ قالت : اسمي عفيراء ، فقال لها : يا عفيراء ، من الذي دعوته بالملك الهمام ؟ قالت : « مرثد العظيم الشان ، حاشر الكواهن والكهّان ، لمعضلة بعد عنها الجان » ، فقال يا عفيراء :

(۱) أي في كنفه وستره . (۲) الجفنة : القصعة ، والمددعة : التي ملئت بقوة ثم حركت حتى تراص ما فيها ، ثم ملئت بعد ذلك . (۳) العلبة : قدح ضخم من جلود الإبل أو من خشب يحلب فيها ، والمترعة : المملوءة . (۴) الأرواح ، والرياح جمع ريح . (۵) القديد : اللحم المقدد ، أو ما قطع منه طولاً ، والحيس : تمر يخلط بسمن وأقط ، فيعجن شديداً ثم يندر منه نواه (والأقط شيء يتخذ من المخيض الغنمي) . (۶) الصريف : اللبن ساعة حلب ، والضريب : اللبن يحلب من عدة لقاح في إناء .

أتعلمين تلك العضلة؟ قالت: «أجل أيها الملك، إنها رؤيا منام، ليست بأضغاث»^(۱)
 أحلام». قال الملك: أصبت يا عفيراء، فما تلك الرؤيا؟ قالت: «رأيت أعاصير»^(۲) زوابع
 بعضها لبعض تابع، فيها لهب لامع، ولها دُخان ساطع، يقفوها نهر مُتدَافِع، وسمعت
 فيما أنت سامع، دُعاء ذى جرسٍ^(۳) صَادِعٍ: هَلُمُّوا إلى المِشَارِعِ^(۴)، فَرَوَى جَارِعٌ^(۵)،
 وَغَرِقَ كَارِعٌ^(۶)» فقال الملك: أجل، هذه رؤياي، فما تأويلها يا عفيراء؟ قالت:
 «الأعاصير الزوابع، ملوكٌ تَبَايَعُ^(۷)، والنهر علم واسع، والداعي نبيٌّ شافع، والجارع
 وَلِيٌّ تابع، والكارعُ عدوٌّ منازع». فقال الملك: يا عفيراء، أَسَلِمُ هذا النبي أم حرب؟
 فقالت: «أَقِسِمُ برفع السماء، وَمُنْزِلِ الماء من العَمَاءِ^(۸)، إنه لِمُطِلُّ الدماءِ^(۹)، وَمُنْطَقُ
 العقائل نَطَقَ الإِمَاءِ^(۱۰)». فقال الملك: إلام يدعو يا عفيراء؟ قالت: «إلى صلاة
 وصيام، وَصِلَةِ أرحام، وكسر أصنام: وتعطيل أزلام»^(۱۱)، واجتناب آثام» فقال الملك:

(۱) أضغاث أحلام: رؤيا لا يصح تأويلها لاختلاطها. (۲) الأعاصير جمع إعصار وهو
 الريح التي تهب من الأرض كالعمود نحو السماء، أو التي فيها العصار بالكسر وهو الغبار الشديد.
 (۳) الجرس: الصوت. (۴) المِشَارِع جمع مشرعة وهي مورد الشاربة. (۵) جارع: فاعل
 من جرع الماء كسمع ومنع إذا بلعه. (۶) كارع فاعل من كرع في الماء كسمع ومنع تناوله بفيه من
 موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا باناء. (۷) التبايع جمع تبع كسكر: ملوك البين.
 (۸) العماء: السحاب الكثيف. (۹) انظر قوله عليه الصلاة والسلام في خطبته في حجة الوداع
 «وإن دماء الجاهلية موضوعة». (۱۰) العقائل: كرائم النساء جمع عقيلة، والنطق جمع نطق ككتاب
 والنطاق والمنطقة: ما تشد به المرأة وسطها للمهنة، ونطقها تنظيها: ألسنها النطق فتنطقت وانتطقت
 ومنطق النساء أي يسبين فيشددن النطق على أوساطهن للخدمة كالإماء. (۱۱) الأزلام جمع زلم كسبب
 قداح كان العرب يستقسمون بها في الجاهلية (أي يطلبون معرفة ما قسم لهم) وذلك أنهم كانوا إذا قصدوا
 فعلا من تجارة أو سفر أجالوا ثلاثة قداح (القداح جمع قدح بالكسر وهو السهم قبل أن يراش) وكانت
 عند أصنامهم، أحدها مكتوب عليه: أمرني ربي، والثاني: نهاني ربي، والثالث: غفل، فإن خرج
 الأول مضوا في الأمر، أو الثاني أحجموا عنه، أو الثالث أجالوها ثانية حتى يخرج أحد الأولين.

يا عفراء ، إذا ذبح قومه فمن أعضاده^(١) ؟ قالت : أعضاده غطاريف^(٢) يمانون ،
طأهم به ميمون ، يُغزِيهم فيغزُون ، وَيَدْمَثُ^(٣) بهم الحزُون ، وإلى نصره يَعْتَزُون .
فأطرق الملك يُؤامِر^(٤) نفسه في خِطْبَتِها ، فقالت : « أبيت اللعن أيها الملك ! إن تابعي
غَيُور ، ولأمرى صَبُور ، وناحى مَثْبُور ، وَالكَالِفُ بِي ثُبُور^(٥) » . فنهض الملك
وجال في صَهْوَةٍ^(٦) جَوَادِه ، وانطلق ، فبعث إليها بمائة ناقة كَوْمَاء^(٧) .

(بلوغ الأرب ٣ : ٢٩٦)

(١) الأعضاد : الأنصار جمع عضد ، والذبح معروف ، والمراد هنا إذا قطعوه وتركوا نصرته .
(٢) الغطاريف جمع غطريف وهو السيد الشريف . (٣) يسهل ، والحزون جمع حزن كشمس
وهو ما غلظ من الأرض . (٤) يشاور . (٥) الثبور : الهلاك . (٦) الصهوة : مقعد الفارس
من ظهر فرسه . (٧) الكوماء : الناقة العظيمة السنام .

الوصايا

٧٣ - وصية أوس بن حارثة لابنه مالك

عاش الأوس بن حارثة دهنياً ، وليس له ولد إلا مالك ؛ وكان لأخيه الخزرج خمسة : عمرو ، وعوف ، وجشم ، والحارث ، وكعب . فلما حضره الموت ، قال له قومه : قد كنا نأمرك بالتزويج في شبابك ، فلم تزوج حتى حضر الموت ، فقال الأوس : « لم يهلك هالك ، ترك مثل مالك ، وإن كان الخزرج ذا عدد ، وليس لمالك ولد ، ففعل الذي استخرج العذق^(١) من الجريمة^(٢) ، والنار من الوثيمة^(٣) ، أن يحمل لمالك نسلاً ، ورجلاً بسلاً^(٤) ، يا مالك ، المنية ولا الدنية ، والعتاب قبل العقاب ، والتجلد لا التبذل ، وأعلم أن القبر خير من الفقر ، وشر شارب المشتف^(٥) ، وأفبح طاعم المقتف^(٦) ، ودهاب البصر خير من كثير من النظر ، ومن كرم الكريم ، الدفاع عن الحریم ، ومن قل ذل ، ومن أمر^(٧) فل ، وخير الغنى القناعة ، وشر الفقر الضراعة ، والدهر يومان ، فيوم

(١) العذق : النخلة يحملها والعذق (بكسر العين) القنومنها . (٢) النواة .

(٣) الوثيمة : الحجارة ، وثمه : كسره ودقه . ووثم الفرس الأرض : رنجها بحوافره . ومن أيمان العرب لا والذي أخرج العذق من الجريمة . والنار من الوثيمة ، وقولهم : لا والذي شقهن خمسا من واحدة يعنون الأصابع ، وقولهم : لا والذي أخرج قاذبة من قوب يعنون فرخا من بيضة . لا والذي وجهي زمم بيته (بالتحريك) أي قصده وحذاه . (٤) شجعانا : جمع باسل .

(٥) المشتف ، اشتف ما في الإناء شربه كله . واشتف إذا شرب الشفافة (بالضم) ، وهي البقية تبقى في الإناء . (٦) الآخذ بمجلة ، ومنه سمى القفاف وهو من يسرق الدراهم بين أصابعه .

(٧) أمر كفرح أمرا وأمرة : كثروتم فهو أمر وآمره الله وأمره كثره : (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) . أي كثرتنا .

لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلاتبطر، وإذا كان عليك فاصبر، فكلاهما سَيْنَحَسِر^(١)،
فإنما تعرُّ^(٢) من ترى ويعزك من لا ترى، ولو كان الموت يُشترى، لسلم منه أهل الدنيا،
ولكن الناس فيه مستوون، الشريف الأبلج، واللئيم المعلهج^(٣)، والموت المفيت،
خير من أن يقال لك هببت^(٤)، وكيف بالسلامة، لمن ليست له إقامة، وثمر من المصيبة
سوء الخلف، وكل مجموع إلى تلف، حياك إهلك.

(الأمالي ١ : ١٠٢، وشرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٤)

٧٤ - وصية ذي الإصبع العدو أنى لابنه أسيد

لما احتضر^(٥) ذو الإصبع دعا ابنه أسيداً، فقال له : يا بني إن أباك قد فنى وهو
حى، وعاش حتى سئم العيش، وإنى موصيك بما إن حفظته بلغت فى قومك ما بلغت،
فاحفظ عنى. أإن جانبك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك، وأبسط لهم وجهك
يطيعوك، ولا تستأثر عليهم بشىء يسودوك، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم،
يكرمك كبارهم، ويكبر على مودتك صغارهم، واسمح بمالك، وأحم حرملك،
وأعزز جارك، وأعن من أستعان بك، وأكرم ضيفك، وأسرع النهضة فى الصريخ^(٦)،
فإن لك أجلاً لا يعدوك، وصن وجهك عن مسألة أحد شيئاً، فبذلك يتم سؤددك.

(الأغانى ٣ : ٦)

(١) ينكشف . (٢) تغلب . عزه يعزه كنعصره عزا، وعزيز كضرب عزا وعزة صار عزيزاً .
(٣) المتناهى فى الدناءة واللاؤم . (٤) الأحمق الضعيف . (٥) حضره الموت .
(٦) أى فى وقت الصريخ وهو نداء المستغيث .

۷۵ - وصیة عمرو بن كلثوم لبنيه

أوصى عمرو بن كلثوم التَّغَلْبِي ، فقال : يَا بَنِيَّ إِنِّي قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْعَمْرِ مَا لَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ مِنْ آبَائِي وَأَجْدَادِي ، وَلَا بَدَّ مِنْ أَمْرِ مُقْتَبِلٍ ، وَأَنْ يَنْزِلَ بِي مَا نَزَلَ بِالْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ، وَالْأُمَّهَاتِ وَالْأَوْلَادِ ، فَاحْفَظُوا عَنِّي مَا أُوصِيكُمْ بِهِ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا عَيَّرْتُ رَجُلًا قَطُّ أَمْرًا إِلَّا عَيَّرَ بِي مِثْلَهُ ، إِنْ حَقًّا فَحَقًّا ، وَإِنْ بَاطِلًا فَبَاطِلًا ، وَمَنْ سَبَّ سُبًّا ، فَكَفُوا عَنِ الشُّمِّ فَإِنَّهُ أَسْلَمَ لِأَعْرَاضِكُمْ ، وَصَلُوا أَرْحَامَكُمْ ، تَعْمُرُوا دَارَكُمْ ، وَأَكْرَمُوا جَارَكُمْ يَحْسُنْ ثَنَاؤُكُمْ ، وَزَوَّجُوا بَنَاتِ الْعَمِّ بَنِي الْعَمِّ ، فَإِنْ تَعَدَّيْتُمْ بِهِنَ إِلَى الْغُرَبَاءِ ، فَلَا تَأَلُّوا بِهِنَ الْإِكْفَاءَ ، وَأَبْعَدُوا بِيُوتِ النِّسَاءِ مِنْ بِيُوتِ الرِّجَالِ ، فَإِنَّهُ أَغْضُّ لِلْبَصْرِ ، وَأَعْفَى لِلذِّكْرِ ، وَمَتَى كَانَتْ الْمَعَايِنَةُ وَاللِّقَاءُ ، فِي ذَلِكَ دَاءٍ مِنَ الْأَدْوَاءِ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَغَارُ لغيرِهِ ، كَمَا يَغَارُ لِنَفْسِهِ ، وَقَلَّ مَنْ أَنْتَهَكَ حَرَمَةَ لغيرِهِ إِلَّا أَنْتَهَيْتَ حَرَمَتَهُ ، وَأَمْنَعُوا الْقَرِيبَ مِنْ ظَلَمِ الْغَرِيبِ ، فَإِنَّكَ تَذَلُّ عَلَى قَرِيبِكَ ، وَلَا يَحِلُّ بِكَ ذَلُّ غَرِيبِكَ ، وَإِذَا تَنَازَعْتُمْ فِي الدَّمَاءِ فَلَا يَكُنْ حَقُّكُمْ لِلِقَاءِ ، فَرُبَّ رَجُلٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ ، وَوَدَّ خَيْرٌ مِنْ خَلْفِ ، وَإِذَا حَدَّثْتُمْ فَعُؤُوا ، وَإِذَا حَدَّثْتُمْ فَأَوْجَزُوا ، فَإِنَّ مَعَ الْإِكْثَارِ يَكُونُ الْإِهْذَارُ^(۱) ، وَمَوْتَ عَاجِلِ خَيْرٌ مِنْ ضَنْئِ آجِلِ ، وَمَا بَكَيْتَ مِنْ زَمَانٍ إِلَّا دَهَانِي بَعْدَهُ زَمَانٌ ، وَرَبَّمَا شَجَانِي مَنْ لَمْ يَكُنْ أَمْرُهُ عَنَانِي ، وَمَا عَجَبْتُ مِنْ أَحْدُوثة إِلَّا رَأَيْتُ بَعْدَهَا أُعْجُوبَةً ، وَاعْلَمُوا أَنْ أَشْجَعَ الْقَوْمِ الْعَطُوفُ ، وَخَيْرُ الْمَوْتِ تَحْتَ ظِلَالِ السِّيُوفِ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا رُويَةَ لَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَلَا فِيمَنْ إِذَا عُوْتِبَ لَمْ يُعْتَبَ^(۲) ، وَمَنْ النَّاسُ مِنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ ، وَلَا يَخَافُ شَرَّهُ ، فَبِكُؤُهُ^(۳) خَيْرٌ مِنْ دَرِّهِ ، وَعَقُوقُهُ خَيْرٌ مِنْ بَرِّهِ ، وَلَا تُبَرِّحُوا فِي حَبِكُمْ ، فَإِنَّهُ مِنْ بَرِّحٍ فِي حَبٍّ ، آلَ

(۱) أهذر : هذى . (۲) لم يرض . (۳) بكأت الناقة بكأنا قل لبنا .

ذلك إلى قبيح بغض ، وكم قد زارني إنسان وزرته ، فانقلب الدهر بنا فَبُرْتَه^(١) ، واعلموا
أن الحكيم سليم ، وأن السيف كلیم ، إني لم أمت ولكن هربت ، ودخلتني ذلة
فسكت ، وضعف قلبي فأهترت^(٢) ، سلمكم ربكم وحياكم .

(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٥ والأغانى ٩ : ١٧٨)

٧٦ - وصية الحرث بن كعب لبنيه

وأوصى الحرث بن كعب بنيه فقال :

« يا بني قد أتت عليّ مائة وستون سنة ، ما صالحت يميني يمين غادر ، ولا قنعت
لنفسى بِخُلَّة^(٣) فاجر ، ولا صَبَوْتُ بابنة عم ولا كَنَّة^(٤) ، ولا بُحْتُ لصديق بسرّ ،
ولا طَرَحْتُ عن مومسة قناعا ، ولا بقي على دين عيسى بن مريم - وروى : على دين
شعيب - من العرب غيري وغير تميم بن مرة ، وأسد بن خزيمة ، فموتوا على شريعتي ،
واحفظوا وصيتي ، وإلهكم فاتقوا ، يَكْفِيكُمْ ما أَمَّكُمْ ، ويصلح لكم حالكم ،
وإيّاكم ومعصيته ، فيُجِلْ بكم الدّمار ، وبُوحش منكم الديار . كونوا جميعاً ولا تفرّقوا ،
فتكونوا شيعاً ، وَبُزُوا قبل^(٥) أن تُبَزُّوا ، فموت في عزّ خير من حياة في ذلّ وعجز ،
وكل ما هو كائن كائن ، وكل جمع إلى تباين ، والدهر ضربان ، ضرب بلاء ، وضرب
رخاء ، واليوم يومان ، يوم حبرة ، ويوم عبّرة ، والناس رجلان ، رجل لك ، ورجل
عليك ، زوّجوا النساء الأكفاء ، وإلّا فانتظروا بهن القضاء ، وليكن أطيب طيبهن

(١) باره : جربه . (٢) أهتر بالضم : ذهب العقل من كبر أو مرض أو حزن وقد أهتر فهو مهتر

بفتح التاء شاذ ، وقيل أهتر بالبناء للمجهول .

(٣) الخلة : الصداقة المختصة لاخلاق فيها تكون في عفاف وفي دعارة (والخلة أيضا الصديق لذكر

والأنثى والواحد والجميع) . (٤) الكنة : امرأة الابن أو الأخ جمعه كنان .

(٥) بزّه : سلبه ، وفي المثل : من عزبز ، أي من غلب سلب .

الماء ، وإياكم وَالْوَزْهَاءَ^(۱) ، فإنها أدواُ الداء ، وإن ولدها إلى أفن^(۲) يكون ، لا راحة لقاطع القرابة ، وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم ، وآفة العدو اختلاف الكلمة ، والتفضل بالحسنة ، يقي السيئة ، والمكافأة بالسيئة دخول فيها ، وعمل السوء يزيل النعماء ، وقطيعة الرحم تورث الهم ، وانتهاك الحرمة ، يزيل النعمة ، وعقوق الوالدين يُعقب النكد ، ويخرب البلد ، ويمحق العدد ، والإسراف في النصيحة ، هو الفضيحة ، والحق يمنع الرّفد ، ولزوم الخطيئة ، يعقب البلية ، وسوء الرّعة^(۳) . يقطع أسباب المنفعة ، والضغائن تدعو إلى التباين ، يا بني ، إني قد أكلت مع أقوام وشربت ، فذهبوا وَغَبَرَتْ ، وَكَأَنِّي بِهِمْ قَدْ أَحِقَّتْ ، ثم قال :

أكلت شبابي فأفنيته وأبليت بعد دهورٍ دهوراً
ثلاثة أهلين صاحبهم فبادوا وأصبحت شيخاً كبيراً
قليلَ الطعام ، عسير القيام قد ترك الدهر خطوي قصيراً
أبيت أراي نجوم السماء أقلبُ أمري بطوناً ظهوراً

(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٤)

٧٧ - وصية عامر بن الطرب العدواني لقومه

وَكَانَ عَامِرُ بْنُ الطَّرِبِ الْعَدَوَانِي سَيِّدَ قَوْمِهِ ، فَلَمَّا كَبُرَ وَخَشِيَ عَلَيْهِ قَوْمُهُ أَنْ يَمُوتَ ، اجتمعوا إليه وقالوا : إنك سيدنا وقائلنا وشريفنا ، فاجعل لنا شريفاً وسيداً وقائلاً بعدك ، فقال :

« يا معشر عدوان : كلتموني بغياً ، إن كنتم شرفتموني فإني أريتكم ذلك من نفسي ، فأني لكم مثلي ؟ افهموا ما أقول لكم ، إنه من جمع بين الحق والباطل لم

(١) العمقاء : من وره كفرح : حقه فهو أورده .

(٢) ضعف الرأي والعقل . (٣) الرعة : الطريقة .

يُجْتَمَعُ لَهُ ، وَكَانَ الْبَاطِلُ أَوْلَى بِهِ ، وَإِنِ الْحَقُّ لَمْ يَزَلْ يَنْفِرُ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَلَمْ يَزَلِ الْبَاطِلُ يَنْفِرُ
مِنَ الْحَقِّ .

يَا مَعْشَرَ عَدْوَانَ : لَا تَسْمَتُوا بِالذَّلَّةِ ، وَلَا تَفْرَحُوا بِالْعِزَّةِ ، فَبِكُلِّ عَيْشٍ يَعْيشُ الْفَقِيرُ
مَعَ الْغَنِيِّ ، وَمَنْ يَرَى يَوْمًا يُرَى بِهِ ^(١) ، وَأَعْدُوا لِكُلِّ أَمْرٍ جَوَابِهِ ، إِنْ مَعَ السَّفَاهَةِ
النَّدَامَةُ ، وَالْعَقُوبَةُ نَكَالٌ وَفِيهَا ذِمَامَةٌ ^(٢) ، وَلِلْيَدِ الْعُلْيَا ^(٣) الْعَاقِبَةُ ، وَالْقَوْدُ ^(٤) رَاحَةٌ ،
لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ ، وَإِذَا شِئْتَ وَجَدْتَ مِثْلَكَ ، إِنْ عَلَيْكَ كَمَا أَنَّ لَكَ ، وَلِلْكَثْرَةِ الرَّعْبُ ،
وَاللصَّبْرِ الْغَلْبَةُ ، وَمَنْ طَلَبَ شَيْئًا وَجَدَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَجِدْهُ يَوْشِكُ أَنْ يَقَعَ قَرِيبًا مِنْهُ .
(مجمع الأمثال ٢ : ١٨٣)

٧٨ - وصية دويد بن زيد لبنيه

لَمَّا حَضَرَتْ دُوَيْدَ ^(٥) بَنُ زَيْدِ الْوَفَاةُ قَالَ لِبَنِيهِ :
« أَوْصِيكُمْ بِالنَّاسِ شَرًّا ، لَا تَرْحَمُوا لَهُمْ عِبْرَةً ، وَلَا تُقِيلُوهُمْ عَثْرَةً ^(٦) ، قَصِّرُوا
الْأَعْيُنَ ، وَطَوَّلُوا الْأَسِنَّةَ ، وَاطْعَنُوا شَرًّا ^(٧) ، وَاضْرِبُوا هَبْرًا ^(٨) ، وَإِذَا أَرَدْتُمْ الْحَاجِزَةَ ،

- (١) أَي مِنْ رَأَى يَوْمًا عَلَى عَدُوهِ رَأَى مِثْلَهُ عَلَى نَفْسِهِ .
(٢) الذميمة بالفتح ويكسر ، والذمة : العهد ، والكفالة : والحق ، والحرمة . (٣) اليد العليا
المعطية ؛ والسفلى : السائلة ، وفي الحديث : « اليد العليا خير من اليد السفلى » ؛ وهو حث على الصدقة .
(٤) القود : القصاص . (٥) هو دويد بن زيد بن نهد الحميري ، وكان من المعمرين . قيل عاش
أربعمائة وستا وخمسين سنة ، (قالوا : ولا يعد العرب معمرا إلا من عاش مائة وعشرين سنة فصاعدا) .
(٦) أقال الله عثرته : رفعه من سقوطه . (٧) الطعن في الجوانب يمينا وشمالا .
(٨) هبر اللحم : قطعه قطعا كبيرا ، والهبرة (بالفتح) القطعة المجتمعة منه وضرب هبر وهبير هابر :
أى يقطع اللحم .

فقبل المناجزة ، والمرء يَمْجِزُ لا المحالة ، بِالْجِدِّ لا بِالْكَدِّ ، التَّجَلُّدُ ولا التَّبَلُّدُ ، والمنِيَّةُ
ولا الدَّيْنِيَّةُ ، ولا تَأْسُوا على فائت وإن عزَّ فقده ، ولا تَحْنُوا إلى ظاعن وإن أَلِفَ قُربه ،
ولا تطعموا فتطبعوا^(۱) ، ولا تهِنُوا فتخرعوا^(۲) . ولا يكونَنَّ لكم المثل السوء « إن
الموصين بنو سهوان^(۳) » إذا مِتُّ فَأَرْحِبُوا^(۴) خَطَّ مَضْجَعِي ، ولا تَضِنُّوا على
بِرْحَبِ^(۵) الأرض ، وما ذلك بِمُؤَدِّ إِلَى رَوْحِ^(۶) ، ولكن حاجة نفس خامرها
الإشفاقُ .

قال أبو بكر بن دُرَيْدٍ في حديث آخر إنه قال :

اليومَ يُبْنَى لِدُوَيْدِ بَيْتُهُ يَا رَبِّ نَهَبِ صَالِحِ حَوَيْتُهُ
وربِ قِرْنِ بطلِ أَرْدَبَتُهُ وَرُبَّ غَيْلٍ حَسَنِ لَوَيْتُهُ^(۷)
وَمِعْصَمِ مَخْضَبِ ثَنِيَّتِهِ لو كَانَ لِلدَّهْرِ بَلِيٌّ أَبْلِيَّتُهُ^(۸)
أو كَانَ قِرْنِي واحداً كَفِيَّتُهُ

(أمالي السيد المرتضى ۱ : ۱۷۱)

(۱) الطبع محرّكة : الدنس . (۲) الوهن الضعف ، والحراة : (كناية) اللين والرخاوة
خرع : ككرم ، وخرع كفرح ضعف وانكسر ، فهو خرع ، وخرع .
(۳) قال الميداني في مجمع الأمثال « ۱ : ۶ » : « هذا مثل تخبط في تفسيره كثير من الناس ، قال
بعضهم : إنما يحتاج إلى الوصية من يسهو ويغفل ، فأما أنت فغير محتاج إليها لأنك لا تسهو ، وقال بعضهم
يريد بقوله بنو سهوان جميع الناس لأن كلهم يسهو ، والأصوب في معناه أن يقال : إن الذين يوصون
بالشيء يستولى عليهم السهو حتى كأنه موكل بهم ؛ يضرب لمن يسهو عن طلب شيء أمر به ، والسهوان ،
السهو ، ويجوز أن يكون صفة أي بنو رجل سهوان ، وهو آدم عليه السلام حين عهد إليه فسها ونسى ، يقال
رجل سهوان وساه ، أي إن الذين يوصون لا بد أن يسهوا لأنهم بنو آدم عليه السلام » .
(۴) أرحبه : وسعه .

(۵) الرحب : بالضم مصدر ؛ وبالفتح وصف . (۶) أي راحة ، أو هو بالضم أي وما ذلك
بمراجع إلى روحى . (۷) الغيل : الساعد الريان الممتلئ . (۸) المعصم : موضع السوار أو اليد ،
وهو المراد هنا .

۷۹ - وصية زهير بن جناب الكلبي

وأوصى زهير بن جناب الكلبي^(۱) بنيه فقال :

« يَا بَنِيَّ : قَدْ كَبُرَتْ سِنِّي ، وَبَلَغَتْ حَرًّا سَأَ^(۲) مِنْ دَهْرِي ، فَأَحْكَمْتَنِي التَّجَارِبَ ،
وَالْأُمُورَ تَجْرِبَةً وَاجْتِبَارًا ، فَاحْفَظُوا عَنِّي مَا أَقُولُ وَعُودِي ، إِيَّاكُمْ وَالْخَوَارِ عِنْدَ الْمَصَائِبِ ،
وَالْتَوَا كُلَّ عِنْدِ النَّوَائِبِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَاعِيَةٌ لِلْغَمِّ ، وَشِمَاتَةٌ لِلْعُدُوِّ ، وَسُوءُ ظَنِّ بِالرَّبِّ ،
وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَكُونُوا بِالْأَحْدَاثِ مَغْتَرِّينَ ، وَلَهَا آمَنِينَ ، وَمِنْهَا سَاخِرِينَ ، فَإِنَّهُ مَا سَخِرَ قَوْمٌ
قَطُّ إِلَّا ابْتُلُوا ، وَلَا كُنْ تَوَقَّعُوهَا ، فَإِنَّمَا الْإِنْسَانُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ^(۳) تَعَاوَرَهُ الرُّمَاهُ ،
فَمُتَّصِرٌ دُونَهُ ، وَمَجَاوِزٌ لِمَوْضِعِهِ ، وَوَاقِعٌ عَنِ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ، ثُمَّ لَا بَدَّ لَهُ مِنْهُ مَصِيبُهُ » .

(أمالي السيد المرتضى ۱ : ۱۷۳)

۸۰ - وصية النعمان بن ثواب العبدي لبنيه

كَانَ لِلنَّعْمَانِ بْنِ ثَوَابِ الْعَبْدِيِّ بَنُونَ ثَلَاثَةٌ : سَعْدٌ وَسَعِيدٌ وَسَاعِدَةٌ ، وَكَانَ أَبُوهُمْ
ذَا شَرَفٍ وَحِكْمَةٍ ، وَكَانَ يُوصِي بَنِيَهُ ، وَيَحْمَلُهُمْ عَلَى أَدْبِهِ ، أَمَا ابْنُهُ سَعْدٌ فَكَانَ شَجَاعًا
بَطَلًا مِنْ شَيَاطِينِ الْعَرَبِ ، لَا يُقَامُ لِسَبِيلِهِ ، وَلَمْ تَفْتُهُ طَلِبَتُهُ قَطُّ ، وَلَمْ يَفِرَّ عَنْ قِرْنٍ ؛
وَأَمَا سَعِيدٌ فَكَانَ يُشْبِهُ أَبَاهُ فِي شَرَفِهِ وَسُودَدِهِ ؛ وَأَمَا سَاعِدَةٌ فَكَانَتْ صَاحِبَةً شَرَابٍ وَنَدَامَى
وَإِخْوَانٍ ، فَلَمَّا رَأَى الشَّيْخُ حَالَ بَنِيهِ دَعَا سَعْدًا ، وَكَانَ صَاحِبَ حَرْبٍ ، فَقَالَ :

(۱) هو زهير بن جناب بن هبل الكلبي ، قيل عاش مائتين وعشرين سنة ، وقيل مائتين وخمسين ،

وقيل أربعمائة وخمسين ، وكان يدعى الكاهن لصحة رأيه .

(۲) الحرس من الدهر : الطويل ، وحرس : كسمع عاش زمانا طويلا .

(۳) الغرض : الهدف ، وتعاوره (تتعاوره) أي تتداوله .

« يا بُنَيَّ إِنْ الصَّارِمَ يَنْدُبُو ، وَالْجَوَادَ يَكْبُؤُ ، وَالْأَثَرَ يَعْفُو^(١) ، فَإِذَا شَهِدْتَ حَرْبًا ، فَرَأَيْتَ نَارَهَا تَسْتَعِيرُ ، وَبَطَلَهَا يَخْطِرُ ، وَبِحَرْهَا يَزْخَرُ ، وَضَعِيفَهَا يُنْصَرُ ، وَجِبَانَهَا يَجْسُرُ ، فَأَقِيلِ الْمَكْثَ وَالْإِنْتِظَارَ ، فَإِنَّ الْفِرَارَ غَيْرُ عَارٍ ، إِذَا لَمْ تَكُنْ طَالِبَ ثَارٍ ، فَإِنَّمَا يُنْصَرُونَ^(٢) مِنْهُ ، وَإِبَاكَ أَنْ تَكُونَ صَيْدَ رِمَاحِهَا ، وَنَطِيحَ نِطَاحِهَا » .

وقال لابنه سعيد ، وكان جوادا : « يا بني لا يبخل الجواد ، فابذل الطَّارِفَ والتَّلَادَ^(٣) ، وأقيل التَّلَاحَ^(٤) ، تذكُر عند السَّمَّاحِ ، وأبْلِ^(٥) إخوانك ، فإن وفيهم قليل ، واصنع المعروف عند محتَمَلِهِ » .

وقال لابنه ساعدة ، وكان صاحب شراب : « يا بني إن كثرة الشراب ، تُفْسِدُ القلبَ ، وتقلل الكسب وتُجِدِّدُ اللعبَ^(٦) ، فأبصر نديمك ، واحم حرِيمك ، وأعن غريمك^(٧) واعلم أن الظمأ القامح^(٨) ، خير من الرى الفاضح ، وعليك بالقصد فإن فيه بلاغا » .
(مجمع الأمثال ١ : ٤٨)

٨١ - وصية قيس بن زهير لبني النمر بن قاسط

جاور قيس بن زهير العبسي^(٩) بعد يوم الهبأة النمر بن قاسط ، وتزوج منهم ، وأقام فيهم حتى ولد له ، فلما أراد الرحيل عنهم قال :

(١) عفا الأثر : درس وامحى . (٢) أى طلاب الثار . (٣) الطارف والطاريف : المال المستحدث ، والتالذ ، والتلبد ، والتلاد ، والمتلد : المال القديم الأصلي الذى ولد عندك . (٤) التلاحي : التنازع ، ولاحاه ملاحاة ولحاه نازعه . (٥) اختبر . (٦) أى تجعله جدا ؛ والجد (بالكسر) ضد الهزل . (٧) الغريم : المدين (وهو الدائن أيضا) . (٨) معناه العطش الشاق خير من رى يفضح صاحبه ، وقح البعير قوحا : رفع رأسه عند الحوض وامتنع من الشرب فهو قامح ، وقح البعير : اشتد عطشه حتى فتر شديدا .

(٩) هو صاحب حرب داحس والغبراء ، وكان من قصته أنه تراهن هو وحذيفة بن بدر سيد بني ذبيان على فرسيهما داحس (فرس قيس) والغبراء (فرس حذيفة) - وقيل إنهما تراهنا على داحس والغبراء فرسى قيس ، والخطار والحنفاء فرسى حذيفة - وتواضعا الرهان على مائة بعير ، ثم قادوها إلى رأس =

« يا معشر النمر : إن لكم هلى حقاً ، وأنا أريد أن أوصيكم ، فأمركم بخصال ،
وأنها كم عن خصال ، عليكم بالأناة ، فإن بها تُدرك الحاجة ، وتُنال الفرصة ، وتسويد
من لا تُعابون بتسويده ، وتليكم بالوفاء ، فإن به يعيش الناس ، وبإعطاء من تريدون
إعطائه قبل المسألة ، ومنع من تريدون منعه قبل الإلحاح ، وإجارة الجار على الدهر ،
وتنفيس المنازل عن بيوت اليتامى ، وخلط الضيف بالعيال .

وأنها كم عن الغدر ، فإنه عاز الدهر ، وعن الرهان ، فإنى به تُكلى مالكا أخى
وعن البغى ، فإنه قتل زهيراً أبى^(١) ، وعن الإعطاء فى الفضول ، فتعجزوا عن الحقوق ،
وعن السرف فى الدماء ، فإن يوم الهبابة^(٢) ألزمنى العار ، ومنع الحرم إلا من الأكفاء ،

= الميدان ، وفى طرف الغاية شعاب كثيرة ، فأكن حل بن بدر فى تلك الشعاب فتيازا على طريق الفرسين ،
وأمرهم إن جاء داحس سابقا أن يردوا وجهه عن الغاية ، فأرسلوهما فأحضرا ، فلما شارف داحس الغاية
ودنا من الفتية ، وثبوا فى وجهه فردوه عنها ؛ وهلم قيس بذلك ؛ وبعث حذيفة بن بدر ابنه مالكا إلى
قيس يطلب منه حق السبق ؛ فقال قيس كلا لأمطلنك به ، فتناول ابن حذيفة من عرض قيس وشتمه وأغلظ
اه ؛ وكان إلى جنب قيس رمح قطعنه به فدق صلبه ، واجتمع الحيان وأدوا دية المقتول ، وأخذها حذيفة
دفعاً للشر ، ثم إن قومه ندموه فعاد الشر بينهم ، وقامت الفتن بين الحيين ، وعدا حذيفة على مالك بن زهير
أخى قيس فقتله ؛ وكان الربيع بن زياد عمهما معتزل الحرب ، فلما سمع بمقتل ابن أخيه مالك شق ذلك عليه
وقاتل بنى ذبيان ، ثم توالى أيام الحروب بينهم ، وكان أعظمها يوم الهبابة حتى أصلح بينهم الحرث بن عوف
وهرم بن سنان المريان ؛ وحل ديات القتلى ثلاثة آلاف بعير .

(١) وسبب مقتل زهير بن جذيمة العبسى أبى قيس ، أن هوازن بن منصور كانت تؤقى الإتاوة زهير
ابن جذيمة — ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد — فأتت عجوز من هوازن إلى زهير بسمن فى نحى (النحى
كحمل الزق ، أو ما كان للسمن خاصة) فاعتذرت إليه ؛ وشكت السنين اللواتى تتابعن على الناس « فذاقه فلم
يرض طعمه ، فدعها أى دفعها بقوس فى يده فسقطت فبذت عورتها ، فغضبت من ذلك هوازن وحقدته
إلى ما كان فى صدرها من الفيظ ، وكانت يومئذ قد كثرت بنو عامر بن صعصعة فثاروا إليه فقاتلوه حتى
قتلوه .

(٢) وكان حذيفة بن بدر وأخوه نزلا مع أصحابهما فى جفر الهبابة ؛ فاتبعهم قيس ومن معه حتى
أدركهم فيه ، وقد أرسلوا خيولهم ونزعوا سلاحهم (وكان حذيفة قد أخذ غلامين من بنى عبس ، فقتلتهما
وهما يسفيشان يا أبته حتى ماتا) فشد قيس والربيع ومن معهما عليهم ، وهم ينادون لبيكم لبيكم ، يعنى أنهم =

فإن لم تصيبوا لمن الأ كفاء . فإن خير منا كهن القبور ، (أو خير منازلها) ، واعلموا
أنى كنت ظالماً مظلوماً ، ظلمنى بنو بدر بقتلهم ما لكأ أخى ، وظلمتهم بأن قتلت
من لا ذنب له .

(العقد الفريد ٣ : ٢٢٤ ، وآمال السيد المرتضى ١ : ١٤٩ ، وشرح العيون ص ٩٠)

٨٢ - وصية حصن بن حذيفة لبنيه

وأوصى حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري بنى بدر فقال :

« اسمعوا منى ما أوصيكم به : لا يتكلمن آخركم على أولكم ، وإنما يدرك الآخر
ما أدركه الأول ، وأنكحوا الكفء الغريب ، فإنه عزٌّ حادث ، وإذا حضركم
أمران ، فخذوا بخيرها صدرًا^(١) ، فإن كل مورد مغرور ، واصحبوا قومكم بأجل
أخلاقكم ، ولا تخالفوا فيما اجتمعوا عليه ، فإن الخلاف يزرى بالرئيس المطاع ، وإذا حادثم
فأربعوا^(٢) ، ثم قولوا الصدق ، فإنه لا خير فى الكذب ، وصونوا الخيل فإنها حصون
الرجال ، وأطيلوا الرماح فإنها قرُون الخيل ، وأعزوا الكبير بالكبير ، فإنى بذلك كنت
أغلب الناس ، ولا تغزوا إلا بالعيون^(٣) ، ولا تسرحوا حتى تأمنوا الصبح^(٤) ، وأعطوا
كلى حسب المال ، وأعجلوا الضيف بالقرى^(٥) ، فإن خيرَه أعجله ، واتقوا فضيحات
البنى ، وفلتات المزاح ، ولا تجيروا على الملوك ، فإن أيديهم أطول من أيديكم . »

(آمال السيد المرتضى ٢ : ١٦٨)

= يجيئون زداء الصبية لما قتلوا ينادون يآبتاه ، فنأشدوهم الله والرحم ، فلم يقبلوا منهم ، وقتلوا حذيفة
وحلا أخاه ، ومثلوا بحذيفة فقطعوا مذاكيره وجعلوها فى فيه وجعلوا لسانه فى استه ، وأسرف قيس فى
النكابة والقتل ، وكانت فزارة تسمى هذه الواقعة البوار ، ولكن قيسا ندم بعد ذلك ورثى حمل بن بدر ،
وهو أول من رثى مقتوله .

(١) الصدر : الرجوع . (٢) ربع : كنع انتظر وتحبس ، وربع الحبل : نقله من أربع طاقات .

والمعنى إذا حادثم فتأنوا وتمهلوا ، أو فأحكوا القول . (٣) العيون : جمع عين ، وهى خيار كل

شئ . (٤) الصبح الفارة : أى ولا تسرحوا مقاتلتكم حتى تأمنوا الفارة .

(٥) قرى الضيف يقريه قرى : أحسن إليه ، والقرى أيضا ما قرى به الضيف .

٨٣ - وصية لأكرم بن صيفي

كتب النعمان بن خبيصة الباروقي إلى أكرم بن صيفي : «مثل لنا مثالا نأخذبه»^(١)

فقال :

« قد حَلَبْتُ الدهرَ أَشْطَرَهُ^(٢) فَعَرَفْتُ حُلُوهَ وَمُرَّه . عَيْنَ عَرَفْتُ فَذَرَفْتُ^(٣) ،
إِنَّ أُمَامِي مَالًا أَسَامِي^(٤) . رَبُّ سَامِعٍ بِخَبْرٍ لَمْ يَسْمَعْ بِعُذْرِي . كُلُّ زَمَانٍ لِمَنْ فِيهِ .
فِي كُلِّ يَوْمٍ مَا يُكْرَهُ . كُلُّ ذِي نُصْرَةٍ سَيُخْذَلُ . تَبَارَكُوا فَإِنَّ الْبِرَّ يَنْبِي^(٥) عَلَيْهِ الْعَدَدُ
وَكُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ فَإِنَّ مَقْتَلَ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَيْهِ . إِنَّ قَوْلَ الْحَقِّ لَمْ يَدْعُ لِي صَدِيقًا .
الْصَّدَقُ مَنْجَاةٌ لَا يَنْفَعُ مَعَ الْجُزَعِ التَّبَقِيُّ . وَلَا يَنْفَعُ مِمَّا هُوَ وَاقِعٌ التَّوَقُّي ، سَتُسَاقُ إِلَى مَا أَنْتَ
لَاقٍ . فِي طَلَبِ الْمَعَالِي يَكُونُ الْعِنَاءُ . الْاِفْتِصَادُ فِي السَّعْيِ أَبْقَى لِلْجَمَامِ^(٦) مِنْ لَمْ يَأْسَ^(٧)
عَلَى مَا فَاتَهُ وَدَعَّ بَدَنَهُ ، وَمَنْ قَنِعَ بِمَا هُوَ فِيهِ قَرَّتْ عَيْنُهُ . التَّقَدُّمُ قَبْلَ التَّنَدُّمِ^(٨) .
أَصْبَحُ عِنْدَ رَأْسِ الْأَمْرِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَصْبِحَ عِنْدَ ذَنْبِهِ . لَمْ يَهْلِكْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ .
وَيْلٌ لِعَالَمٍ أَمْرٌ مِنْ جَاهِلِهِ . يَتَشَابَهُ الْأَمْرُ إِذَا أَقْبَلَ ، فَإِذَا أَدْبَرَ عَرَفَهُ الْكَيْسُ وَالْأَحْمَقُ .
الْوَحْشَةُ ذَهَابُ الْأَعْلَامِ^(٩) . الْبَطْرُ عِنْدَ الرَّخَاءِ حُمُقٌ . وَالْعَجْزُ عِنْدَ الْبَلَاءِ أَفَنٌ^(١٠) . لَا تَغْضَبُوا

(١) هكذا روى أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال : وذكر الميداني أن أكرم وصى بها بنيه حين جمعهم ، والرواية الأولى أطول بكثير من الثانية ، وقد جمعت بين الروایتين . (٢) للناقة شطران : قادمان وآخراة ، فكل خلفين من أخلافها شطر (والخلف بالكسر لها كالضرع للبقرة) وأشطره بدل من الدهر ؛ والمعنى أنه اختبر شطري الدهر خيره وشره فعرف مافيه ، وهو مثل يضرب فيمن جرب الدهر . (٣) ذرفت عينه كضرب : سال دمعها ، وذرفت العين دمعها أسالته ؛ وهو مثل يضرب لمن رأى الأمر فعرف حقيقته . (٤) ساماه : باراه في السمو . (٥) يزيد ، وفي مجمع الأمثال « يبق » . (٦) أي أبقى للقوة ، من جم الفرس جماما (بالفتح) ترك الضراب فتجمع ماؤه ، وجم الماء يجم بضم الجيم وكسرهما جموما كثر واجتمع ، والبئر تراجع ماؤها ؛ والجمام بالفتح أيضا : الراحة . (٧) يحزن . (٨) أي ففكر في التقدم قبل أن تندم . (٩) الأعلام جمع علم : وهو سيد القوم . (١٠) الأفن : ضعف الرأي والعقل ، وفي الأصل أمن وهو تحريف .

من اليسير ، فربما جنى الكثير . لا تُجيبوا فيما لم تُسألوا عنه . ولا تضحكوا مما لا يضحك
منه . حيلة من لا حيلة له الصبر . كونوا جميعاً فإن الجمع غالب ، تثبتوا . ولا تسارحوا
فإن أحزم الفريقين الرّكين . رب عَجَلَةٍ تَهَب رَيْثًا . ادْرِعُوا الليل واتخذوه جَمَلًا .
فإن الليل أخفى للويل . ولا جماعة لمن اختلف . تناهوا في الديار ولا تباغضوا . فإنه من
يُتَمَعُّ بِتَقَعُّعٍ^(١) عَمْدُهُ . أَلْزَمُوا النِّسَاءَ المَهَابَةَ^(٢) نِعَمَ لَهُوَ الغُرَّةُ^(٣) المِغْزَل . إن تَعِش
تَرَ مَا لَمْ تَرَ . قد أَقْرَأَ صَامِتٍ . المِكْثَارُ كحَاطِبٍ^(٤) كَلِيلٍ . من أ كثر أسقط^(٥) .
لا تجعلوا سيرا إلى أمة . لا تفرّقوا في القبائل ، فإن الغريب بكل مكانٍ مظلوم ، عاقِدُوا
الثَّرْوَةَ^(٦) . وإياكم والوشائظ^(٧) فإن مع القِلَّةِ الذَّلَّةُ : لو سُئِلَتِ العارِيَةُ قالت أَبْغِي
لأهلي ذُلًّا . الرسول مَبْلَغٌ غيرُ مَلُومٍ . من فَسَدَتْ بِطَانَتُهُ غَصَّ بالماء . أساء سمعًا فأساء
جَابَةً^(٨) . الدَّالُّ على الخير كفاعله . إن المسألة من أضعف المسكنة . قد تجوع الحررة

(١) تققع : اضطرب وتحرك . وفي الأصل عنده بدل عمده وهو تحريف ، وهذا مثل . معناه لا يد
من الافتراق بعد الاجتماع ، أو معناه إذا اجتمع القوم وتقاربوا وقع بينهم الشر ففتفرقوا ، أو من غبط
بكثرة العدد واتساق الأمر فهو بمعرض الزوال والانتشار . (٢) أي أن هبتم ويوقرنكم ، وفي
الأصل « المهابة » وهو تصحيف .

(٣) الشريفة . (٤) الحاطب : الذي يجمع الحطب ؛ وهو حاطب ليل : أي مخلط في كلامه .

(٥) أسقط كلمة ؛ وأسقط في كلمة أي أخطأ .

(٦) عاقدوا : حالفوا ، والثروة : كثرة العدد من الناس . (٧) يقال هم وشيظة في قومهم أي

حشوفهم . (٨) جابة بمعنى إجابة ، اسم وضع موضع المصدر ، ومثلها الطاعة والطاقة والغارة والعارة .

قال المفضل : أول من قال ذلك سهيل بن عمرو ، وكان تزوج صفية بنت أبي جهل بن أبي هشام ، فولدت

له أنس بن سهيل ، فخرج معه ذات يوم ؛ فوقف بحزورة مكة (والحزورة كقسورة : الرابية الصغيرة)

فأقبل الأحنس بن شريق الثقفي ، فقال : من هذا ؟ قال سهيل : ابني ؛ قال الأحنس : حياك الله يافتي !

قال : لا ، والله ما أمي في البيت ، انطلقت إلى أم حنظلة تطحن دقيقا ، فقال أبوه : أساء سمعًا فأساء جابة

فأرسلها مثلاً .

ولا تأكل بثدييها^(١) . لم يجزُ سالِكُ القَصْدِ ، ولم يعَمَ قاصِدُ الحق . من شَدَدَ نَفَرٍ ،
ومن تراخى تألَّف . الشرف التغافل . أوفى القول أوجزُه . أصوب الأمور ترك الفضول .
التغريير مفتاح البؤس . التواني والعجز ينتجان الهلكة . لكل شيء ضراوة^(٢) .
أحوج الناس إلى الغنى من لا يُلصِّحه إلا الغنى ، وهم الملوك . حُبُّ المدح رأسُ الضياع .
رِضًا الناس غاية لا تُبَلِّغ . لا تَكْرَهُهُ سَخَطَ مَنْ رِضَاهُ الْجَوْرُ معالجة العَفَافِ مَشَقَّةٌ
فتعوذ بالصبر . اقصر لسانك على الخير وأخر الغضب ، فإن القدرة من ورائك ، من قَدَرَ
أزمع ، أمرُ أعمال المقتدرين الانتقام ، جازٍ بالحسنة ولا تكافي بالسيئة ، أغنى الناس
عن الحِقْدِ مَنْ عَظُمَ عَن المِجَازاة . مَنْ حَسَدَ مَنْ دُونَهُ قَلَّ عُذْرُهُ ، من جعل لِحُسْنِ الظن
نصيباً رَوَّحَ عَن قلبه ، عِيءُ الصمت أحمد من عِي المنطق ، الناس رجلان محترس ومحترس
منه كثير النصح يَهْجُمُ عَلَى كثير الظنَّةِ^(٣) ، من ألحَّ فِي المسألة أبرَمَ^(٤) ، خير السخاء

(١) أي لا تعيش بسبب ثدييها وبما يغفلان عليها من أجرة الإرضاع ، يضرب في صيانة
الرجل نفسه عن خسيس المكاسب ، وذكروا أن أول من قاله الحارث بن سليل الأسدى ، وكان شيخا
كبيراً وكان حليفاً لعلقمة بن خصفة الطائي ، فزاره فنظر إلى ابنته الزباء ، وكانت من أجمل أهل دهرها
فأعجب بها ، فقال له : أتيتك خاطباً ، وقد ينكح الخاطب ، ويدرك الطالب ، ويمنح الراغب ، فقال له
علقمة : أنت كفه كريم يقبل منك الصفو ، ويؤخذ منك العفو ، فأقم ننظر في أمرك ؛ ثم انكفأ إلى أمها
فقال إن الحارث بن سليل سيد قومه حسباً ومنصباً وبيتاً ، وقد خطب إلينا الزباء ، فلا ينصرفن إلا بحاجته
فقالت امرأته لابنتها : أي الرجال أحب إليك ؟ الكهل الجحجاج (أي السيد) ، الواصل المناخ ، أم الفتى
الوضاح ؟ قالت ، لا بل الفتى الوضاح ، قالت : إن الفتى يغيرك ، وإن الشيخ يبرك ، وليس الكهل
الفاضل ، الكثير النائل ، كالحديث السن ، الكثير المن ، قالت : يا أمته ، إن الفتاة تحب الفتى كحب
الرءاء أنيق الكلا ، قالت : أي بنية ، إن الفتى شديد الحجاب ، كثير العتاب ، قالت إن الشيخ يبلى
شبابي ، ويدنس ثيابي ، ويشمت بي أترابي ، فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها ، فتزوجها الحرث على
مائة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم ، فابتنى بها ثم رحل بها إلى قومه ، فبينما هو ذات يوم جالس بفناء
قومه وهي إلى جانبه إذ أقبل إليه شباب من بني أسد يعتلجون ، (أي يتصارعون ويتقائلون) فتنفست الصعداء
ثم أرخت عينيها بالبكاء ، فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت : مالي وللشيوخ ، الناهضين كالفروخ ؛ فقال لها
شكلك أمك تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها ، الحق بأهلك فلا حاجة لي فيك .

(٢) يقال : ضرى الكلب بالصيد (كفروح) ضراوة أي تعود ، وكلب ضار ؛ وأضراره صاحبه
صوده وأضراره له : أغراه ، وضراره أيضاً تضرية . (٣) التهمة . (٤) أبرمه : أضجره وأمله .

ما وافق الحاجة ، الصمت يكسب المحبة ، لن يغلب الكذب شيئاً إلا غلبَ عليه الصدق ، القلب قد يُتَّهَمَ وإن صدق اللسان ، الانقباض عن الناس مَكْسَبَةٌ للعداوة ، وتقريبهم مكسبة لقرين السوء ، فكن من الناس بين القرب والبعد . فإن خير الأمور أوسطها ، فُسُؤَلَةٌ^(۱) الوزراء أضر من بغض الأعداء ، خير القرناء المرأة الصالحة ، وعند الخوف حُسْنُ العمل ، من لم يكن له من نفسه زاجرٌ لم يكن له من غيره واعظ ، وتمكّن منه عدوه على أسوأ عمله ، لن يَهْلِكَ امرؤ حتى يَمَلَّ^(۲) الناس عَتِيدَ فعله ويشتد على قومه ، وَيُعْجَبُ بما ظهر من مروءته ، ويفتر بقومه ، والأمر يأتيه من فوقه ، ليس للمختال في حسن الثناء نصيب ، لا نَمَاءٌ مع العَدَمِ ، إنه من أتى المكروه إلى أحد بدأ بنفسه . العيُّ أن تتكلم فوق ما تسد به حاجتك ، لا ينبغي لعاقل أن يثق بإخاء من تضطره إلى إخوانه حاجةً ، أقلُّ الناس راحةً الحَقُودُ ، من تَعَمَّدَ الذنب لا تحل رحمة دون عقوبته ، فإن الأدب رِفْقٌ ، والرفق يُنِّمُ .

(جمهرة الأمثال ۱ : ۳۲۰ ، وجمع الأمثال ۲ : ۱۴۵)

۸۴ - وصية أكرم بن صيفي لطبي

وقال أكرم بن صيفي في وصية كتب بها إلى طبي :

« أوصيكم بتقوى الله وَصِلَةَ الرَّحِمِ . وإياكم وَنِكَاحَ الْحَمَقَاءِ ، فإن نكاحها غَرَّرَ^(۳) ، وَوَلَدَهَا ضِيَاعٌ . وعليكم بالخيل فأكرموها ، فإنها حصون العرب ، ولا تضعوا رقاب الإبل في غير حقها . فإن فيها ثمن الكريمة^(۴) ، وَرَقُوءُ الدَّمِ^(۵) ، وبالبانها يُتَّحَفُ

(۱) فسل فسولة فهو فسل : أي رذل لامروءة له ، والوزراء : جمع وزير وهو النصير والظهير .

(۲) في الأصل « يملك » وأرى صوابه يمل .

(۳) الفرر : الخطر : غرر بنفسه تفريراً : عرضها للهلكة والاسم الفرر . (۴) يريد مهرها .

(۵) رقاً الدم : جف وسكن ، والرقوء كصبور ما يوضع على الدم ليرفقه ، والمعنى أنها تعطي في

الديات فتحقن بها الدماء .

الكبير^(١) ، وَيُغْذَى الصَّغِيرَ ، ولو أن الإبل كَلَّفَتِ الطَّحْنَ لَطَحْتَ . ولن يَهْلِكَ امرؤ
 عرف قدره . والعُدْمُ^(٢) عُدْمُ العِقلِ ، لا عُدْمُ المَالِ . وَلِرَجُلٍ خَيْرٌ مِنَ الفِرْجَلِ . ومن
 عَتَبَ على الدهر طالت مَعْتَبَتُهُ . ومن رَضِيَ بالقَسَمِ^(٣) طابت معيشتُهُ . وآفة الرأى الهوى .
 والعادة أَمَلَكُ^(٤) . والحاجة مع المحبة خير من البُغْضِ مع الغنى . والدنيا دُولٌ ، فما كان
 لك أتاك على ضعفك ؛ وما كان عليك لم تدفعه بقوتك . والحسد داء ليس له دواء .
 والشماتة تُعَقِّبُ . ومن يَرَى يوماً يُرَى به . قبل الرِّمَاءِ مُتَمَلِّئُ الكِنَانِ^(٥) . الندامة مع السفاهة .
 دِعَامَةُ العِقلِ الحِلْمُ . خيرُ الأُمُورِ مَغَبَةُ الصَّبْرِ . بقاء المودة عَدْلُ^(٦) التَّعَاهُدِ . من يَزُرُ غَيْبًا
 يَزِدُّ حَبًّا . التَّغْرِيرُ مِفْتَاحُ البُؤْسِ . من التَّوَانِي والعِجْزِ نَتِيجَتِ^(٧) الهَلَاكَةِ . لكل شىءٍ
 ضَرَاوَةٌ . فَضَرَّ لِسَانِكَ بِاخْيَرِ عِي الصَّمْتِ أَحْسَنُ مِنَ عِي المِنطِقِ . الحِزْمُ حِفْظُ مَا كَلَّفْتَ
 وَتَرَكَ مَا كَنَيْتَ . كثيرُ النِّصْحِ يَهْجُمُ على كثيرِ الظَّنَّةِ . من ألحَفَ في المسألة ثَقُلَ . من
 سَأَلَ فَوْقَ قَدْرِهِ اسْتَحَقَّ الحِرْمَانَ . الرِّفْقُ يُبْنِي ، والخِرْقُ شُومٌ . خيرُ السِّخَاءِ مَا وَافَقَ
 الحَاجَةَ . خيرُ العَفْوِ مَا كَانَ بِهَدِّ القَدْرَةِ .

(مجمع الأمثال ٢ : ٨٧)

٨٥ - وصية أكرم بن صيفي لبنيه ورهطه

وصى أكرم بن صيفي بنيه ورهطه ، فقال : « يا بني تميم لا يفوتنكم وعظي إن
 فاتكم الدهر بنفسي ، إن بين حيزومي^(٨) وصدري لكلاماً لا أحد له مواقع إلاً

(١) التحفة : البر واللفظ والطف والطفرة ، وقد أتخفته تحفة .

(٢) العدم بالضم وبضمين وبالتحريك الفقدان وغلب على فقدان المال . (٣) القسم : القدر

(٤) وفي رواية : « العادة أملك من الأدب » .

(٥) الرماء مصدر رامى كالمرامة ، والكنان جمع كنانة : وهي جعبة السهام ، وهو مثل معناه :

تؤخذ للأمر أهبتة قبل وقوعه ، ومثله قولهم « قبل الرمي يراش السهم » أي يوضع له الريش .

(٦) العدل : الاستقامة أي بقاء المودة في استقامة التعاهد والحرص على سلامة شروطه .

(٧) ويروى نتجت الفاقة . (٨) الحيزوم : وسط الصدر وما يضم عليه الحزام .

أسماعكم ، ولا مقاراً إلا قلوبكم ، فتلقوه بأسماع مصغية ، وقلوب واعية ، تحمدوا مغبته .
الهوى يقظان ، والعقل راقد ، والشهوات مُطلقة^(١) ، والحزم معقول^(٢) والنفس مهملة ،
والروية مُقيّدة ، ومن جهة التواني وترك الروية يتلف الحزم ، وإن يعدم المشاور مرشداً ،
والمُسْتَبَدَّ برأيه موقوف على مَدَاحِض^(٣) الزلال ، ومن سَمِعَ سَمِعَ بِهِ ، ومصارع الرجال
تحت بروق الطمع ، ولو اعتبرت مواقع الحزن ما وُجِدَتْ إلا في مقاتل الكرام ، وعلى
الاعتبار طريق الرشاد ، ومن سلك الجَدَدَ^(٤) أَمِنَ العثار ، وإن يَعدَمَ الحسود أن يُتَعَبَ
قلبه ، وَيَشغَلُ فِكْرَهُ ، وَيُورِثُ^(٥) غِيظَهُ ، ولا تجاوز مَضْرَأَتَهُ نَفْسَهُ

يا بني تميم : الصبر على جرع الحلم أعذب من جنى ثمر الندامة ، ومن جعل عرضه
دون ماله أَسْتَهْدَفَ للذم ، وَكَلَّمَ اللسان أنكى من كَلَّمَ اللسان ، والكلمة مرهونة مالم
تَنجُمَ من الفم ، فإذا نَجَمَتْ فهي أسد مُحَرَّبٌ^(٥) ، أو نار تَلَهَّبُ ، ورأى الناصح اللبيب
دليل لا يجوز ، ونفاذ الرأى فى الحرب ، أجدى من الطعن والضرب .

(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٥ ، وشرح العيون ١٥ وجمهرة الأمثال ٢ : ٢١٢)

٨٦ - نصيحة أكتهم بن صيفى لقومه

ونصح قومه فقال : « أَقِلُّوا الخلاف على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصياح من
الفشل ، والمرء يعجز لا محالة ، يا قوم تثبتوا فإن أحزم الفريقين الرَّاكِنُ^(٦) ورب عَجَلَةٍ
سَهْبُ رَيْثَا^(٧) ، وَأَتَزِرُّوا للحرب ، وَأُدْرِعُوا الليل ، فإنه أخفى للويل ، ولا جماعة
لمن أختلف » .

(الأغاني ١٥ : ٧٠)

(١) مجبوس . (٢) جمع مدحضة : وهى المزاة . (٣) الأرض المستوية . (٤) يوقد .

(٥) التحريب : التحريش والتحديد ، والمحرب والمتحرب الأسد . (٦) الرزين . (٧) بطنا

۸۷ — أمثال أکثم بن صيفی (وَبُرُزْجَمَهْرُ) الفارسی^(۱)

« العقل بالتجارب . الصاحب مناسب^(۲) . الصديق من صدق غيبه^(۳) . الغريب من لم يكن له حبيب . رب بعيدٍ أقربُ من قريب . القريب من قُرب نفعه . لو تكاشفتم ما تدافتم . خير أهلك من كفاك ، خير سلاحك ما وقاك . خير إخوانك من لم تخبره . رب غريبٍ ناصح الجيب^(۴) ، وابنِ أبٍ متهم بالغيب ، أخوك من صدقك ، الأخ مرآة أخيه . إذا عزَّ أخوك فهن^(۵) . مُكره أخاك لا بطل^(۶) . تباعدوا في الديار وتقاربوا في المحبة . أيُّ الرجال المهذب^(۷) ؟ من لك بأخيك كله . إنك إن فرحت لآقٍ فرحاً .

(۱) هكذا في العقد الفريد ، وليس من الميسور تمييز أمثال أحدهما من أمثال الآخر إلا في القليل ، على أنه قد ورد بينها أمثال لغير أکثم ، (ولعله تمثل بها) وأخرى له قد وردت في ثنايا كلامه الذي أو رده آنفاً ، والسكنى آثرت إيراد المقال برمته كما جاء في العقد ، وبرزجمهر : مركب من بزرج معرب بزرك أي الكبير ، ومهر أي الروح وهو بزرجمهر بن البختكان وزير كسرى أنوشروان ملك الفرس ، وكان سديد الفكر ، حصيف الرأي . (۲) المناسب والنسيب : القريب ، من النسبة (بالكسر والضم) وهي : القرابة ، وبينهما مناسبة أي مشاكلة ، هذا يناسب ذلك أي يقاربه شها .

(۳) في الأصل « من صدق عينيه » وهو محرف ، وأراه من صدق غيبه أو غيبته أي من صدق في مودته ، وحفظ الاخاء ، في الغيبة لآق المحضر فحسب . (۴) جيب القميص طوقه ، وهو ناصح الجيب أي القلب كناية عن أنه خالص الطوية لا غش فيه .

(۵) في الميداني : هذا المثل لهذيل بن هبيرة التغلبي ، وكان أغار على بني ضبة فغنم فأقبل بالغنائم . فقال له أصحابه قسمها بيننا ، فقال إنى أخاف إن تشاغلتم بالاقتراسم أن يدرككم الطلب فأبوا ، فعندها قال : « إذا عز أخوك فهن » ثم نزل فقمم بينهم الغنائم ، ومعناها ، مياسرتك صديقك ليست بضمير يركبك منه فتدخلك الحمية به ، إنما هو حسن خلق وتفضل ، فإذا عامرك فياسره .

(۶) قاله أبو حنث : وذلك أن رجلاً من بني فزارة يقال له بهس أخبر أن ناساً من أشجع في غار يشربون فيه — وكانوا قد قتلوا إخوته الستة — فانطلق بخال له يسمى أبا حنث ؛ فقال له هل لك في غار فيه ظباء لعلنا نصيب منها — ويروى : هل لك في غنيمة باردة — ثم انطلق به حتى أقامه على فم الغار ، ودفعه فيه فقال : ضرباً أبا حنث ، فقال بعضهم : إن أبا حنث لبطل ، فقال أبو حنث : مكره أخاك لا بطل ، فأرسلها مثلاً . (۷) في الميداني : أول من قاله النابغة الذبياني حيث قال :

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث ، أي الرجال المهذب ؟

أَحْسِنُ يُحَسِّنُ إِلَيْكَ . أَرْحَمُ تُرْحَمُ . كَمَا تَدِينُ تُدَانُ ^(١) . مِنْ يَوْمٍ يَوْمًا يُرَبُّ بِهِ ، وَالدهر
لَا يُغْتَرَّبُ بِهِ ، عَيْنٌ عَرَفَتْ فَذَرَفَتْ ^(٢) . فِي كُلِّ خَبْرَةٍ عِبْرَةٌ ، مِنْ مَأْمَنِهِ يُؤْتَى الْحَذِرُ .
لَا يَعْدُو الْمَرْءُ رِزْقَهُ وَإِنْ حَرَّصَ . إِذَا نَزَلَ الْقَدْرُ عَمِيَ الْبَصَرُ ، وَإِذَا نَزَلَ الْحَيْنُ نَزَلَ بَيْنَ
الْأُذُنِ وَالْعَيْنِ ^(٣) . الْخَمْرُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ . الْغِنَاءُ رُقِيَّةُ الزَّانِءِ ^(٤) . الْقِنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَعُ .
خَيْرُ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ . مَنْسَأَقُ إِلَى مَا أَنْتَ لَاقٍ . خِذْ مِنَ الْعَافِيَةِ مَا أُعْطِيَتْ . مَا لِلْإِنْسَانِ
إِلَّا الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ . إِنَّمَا لَكَ مَا أَمْضَيْتَ . لَا تَتَكَلَّفْ مَا كُفِّيتَ . الْقَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانِينَ .
قَلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارِينَ ، رَبَّمَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا بِأَثْنَيْنِ . لَنْ تَعْدَمَ الْحَسَنَاءُ ذَامًا ^(٥) . لَمْ يَعْذَمِ
الْغَاوِي لَأَثْمًا . لَا تَكُ فِي أَهْلِكَ كَالْجِنَازَةِ ^(٦) . لَا تَسْخَرَنَّ مِنْ شَيْءٍ فَيَجُوزَ بِكَ . أَخْرُ
الشَّرَّ فَإِذَا شِئْتَ تَعْجَلْتَهُ . صَغِيرُ الشَّرِّ يُوْشِكُ أَنْ يَكْبُرَ . يَبْصُرُ الْقَلْبُ مَا يَعْمَى عَنْهُ الْبَصَرُ .
الْحُرُّ حُرٌّ وَإِنْ مَسَّهُ الضَّرُّ . الْعَبْدُ عَبْدٌ وَإِنْ سَاعَدَهُ جَدٌّ ^(٧) مِنْ عَرَفَ قَدْرَهُ اسْتَبَانَ

(١) الدين بالكسر : الجزاء دانه يدينه ديننا بالفتح ويكسر ، ومعنى المثل كما تجازى تجازى : أى كما
تعمل تجازى ، إن حسنا فحسن ، وإن سيئا فسيئ ، وقوله تدين : أراد تعمل فسمى الابتداء جزاء
للمطابقة والموافقة ، وعلى هذا قوله تعالى : « فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ » .
ويجوز أن يجرى كلاهما على الجزاء أى كما تجازى أنت الناس على صنيعهم كذلك تجازى على صنيعك .
(٢) فى الأصل « عين رفت » وهو تشويه ، وصوابه « عين عرفت فذرفت » .
(٣) الحين : الهلاك ، وقوله : نزل بين الأذن والعين أى بسمع ومر أى من نزل به لا يختفيا عنه .
(٤) زنى زنى وزنا .

(٥) الذام : والذيم العيب ، قال الميذاني : « وأول من تكلم بهذا المثل فيما زعم أهل الأخبار حبي
بنت مالك بن عمرو العدوانية (وحبى : بضم الحاء ، وتشديد الباء المفتوحة) وكانت من أجمل النساء ،
فسمع بجمالها ملك غسان فخطبها إلى أبيها ، وحكمه فى مهرها ، وسأله تعجيلها ، فلما عزم الأمر ، قالت
أمرها لتباعها : إن لنا عند الملامسة رشحة فيها هنة ، فإذا أردت ، إدخالها على زوجها ، فطيبنها بما فى أصدافها
فلما كان الوقت أعجلهن زوجها ، فأغفلن تطيبها ، فلما أصبح قيل له : كيف وجدت أهلك : طروقتك ،
البارحة ؟ فقال ما رأيت كالليلة قط لولا رويحة أنكرتها ، فقالت هى من خلف السرير « لا تعدم الحسنة
ذاما » فأرسلتها مثلا .

(٦) الجنازة بالكسر : الميت ، ويفتح ، أو بالسكسر الميت ؛ وبالفتح السرير ، أو عكسه ؛ أو
بالسكسر السرير مع الميت ، والمراد هنا الميت ، وهذا المثل والمثلان قبله فى الأصل مشوهة مختلطة هكذا :
لن تعدم الحسنة ما لم يعدم الغاوى لا يبالأ بك فى أهلك كالجنازة . (٧) الجد : الحظ .

أمره . من سرّه بنوه ساءته نفسه . من تعظّم على الزمان أهانه . من تعرض للسلطان آذاه ، ومن تطامن له تخطّاه . من خطا يخطو^(۱) . كل مبذول مملول . كل ممنوع مرغوب فيه . كل عزيز تحت القدرة ذليل . لكل مقام مقال . لكل زمان رجال . لكل أجل كتاب . لكل عمل ثواب . لكل نبا مستقر . لكل سرّ مستودع . قيمة كل إنسان ما يحسن . اطلب لكل غلق^(۲) مفتاحاً . أكثر في الباطل يكن حقاً . عند القنط^(۳) يأتي الفرج . عند الصباح يُحمد السرى^(۴) . الصدق منجاة ، والكذب مهوأة . الاعتراف يهدم الاقتراف . ربّ قول أنفذ من صول . رب ساءة ليس بها طاعة . رب عجلة تُعقب ريثاً^(۵) . بعض الكلام أقطع من الحسام . بعض الجهل أبلغ

(۱) يريد : من حاول الخطو وعالجه استطاعه ومرن عليه ، أى أن من أراد أمراً وتحيل له وأخذ في معالجته وممارسته ، تم له ما يبغي ، وهو كقولهم : إنما العلم بالتعلم ، « ورفع يخطو في المثل حسن لأن الشرط ماض » . (۲) الغلق : القفل كالمغلاق . (۳) القنط والقنوط : اليأس .

(۴) السرى : السير ليلاً ، ويروى « عند الصباح يحمد القوم السرى » وهو مثل يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة ، وفي الميداني : « أن أول من قال ذلك خالد بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر رضى الله عنهما وهو باليمامة أن سر إلى العراق ، فأراد سلوك المفازة ، فقال له رافع الطائي : قد سلكتها في الجاهلية ، هي خمس للإبل الواردة (فلاة خمس بكسر الحاء : بعد وردها حتى يكون ورد النعم اليوم الرابع سوى اليوم الذى شربت فيه) ولا أظنك تقدر عليها إلا أن تحمل من الماء ، فاشترى مائة شارب (الشارب الناقة المسنة) فمطشها ثم سقاها الماء حتى رويت ، ثم سلك المفازة ، حتى إذا مضى يومان وخاف العطش على الناس والخيل ، وخشى أن يذهب ما في بطون الإبل نحر الإبل ، واستخرج ما في بطونها من الماء ، فسقى الناس والخيل ومضى ، فلما كان في الليلة الرابعة . قال رافع : انظروا هل ترون سدرًا عظيماً (السدر بالكسر شجر النبق) فإن رأيتموها وإلا فهو الهلاك ، فنظر الناس فرأوا السدر فأخبروه فكبر وكبر الناس ، ثم هجموا على الماء فقال خالد رجزاً منه « عند الصباح يحمد القوم السرى » .

(۵) الريث : الإبطاء ويروى تهب ريثاً ، وفي الميداني : « أن أول من قال ذلك مالك بن عوف ابن أبي عمرو بن عوف بن محم الشيباني ، وكان سنان بن مالك بن أبي عمرو بن عوف بن محم شام غيماً ، فأراد أن يرحل بامراته وهي أخت مالك بن عوف ، فقال له مالك : أين تظعن يا أخى ؟ قال : أطلب موقع هذه السحابة . قال : لا تفعل فإنه ربما خيلت ، وليس فيها قطر ، وأنا أخاف عليك فأبى ، ومضى فعرض له مروان القرظ بن زنباع العبسى ، فأعجله عنها وانطلق بها ، وجعلها بين بناته وإخوته ولم يكشف =

من الحلم . ربيع القلب ما اشتهى . الهوى شديد العمى . الهوى الإله المعبود . الرأى
 نائم ، والهوى يقظان . غلب عليك من دعا إليك . لا راحة لحسود ولا وفاء . لا سرور
 كطيب النفس . العمر أقصر من أن يحتمل الهجر . أحق الناس بالعمو أقدروهم على
 العقوبة . خير العلم ما نفع . خير القول ما أتبع . البطنة^(١) تذهب الفطنة . شر العمى
 عمى القلب . أوثق العرى كلمة التقوى^(٢) . النساء حبائل الشيطان . الشباب شعبة من
 الجنون . الشقى من شقى فى بطن أمه . السعيد من وعظ بغيره . لكل امرئ فى بدنه
 شغل . من يعرف البلاء يصبر عليه . المقادير تريك ما لا يخطر ببالك . أفضل الزاد
 ما تزود للمعاد . الفحل أحمى للشول^(٣) . صاحب الحظوة غداً ، من بلغ المدى . عواقب
 الصبر محمودة . لا تبلى الغايات بالأمانى . الصريمة^(٤) على قدر العزيمة . الضيف يثنى أو
 يذم من تفكر اعتبر . كم شاهد لك لا ينطق . ليس منك من غشك . ما نظر لأمرئ مثل
 نفسه . ما سد فرك إلا ملك يمينك . ما على عاقل ضيعة . الغنى فى الغربة وطن . المقل فى أهله
 غريب ، أول المعرفة الاختبار : يدك منك وإن كانت شلاء . أنفك منك وإن كان أجدع^(٥) .

= لها ستر فقال مالك بن عوف لسان : ما فعلت أختي ؟ قال : نفتنى عنها الرماح ؛ فقال مالك : « رب عجلة
 تهب ريشا . ورب فروقة يدعى ليثا ، ورب غيث لم يكن غيثا » ، فأرسلها مثلاً ، يضرب للرجل يشدد حرصه
 على حاجة ، ويحرق فيها حتى تذهب كلها .

(١) البطنة : الامتلاء الشديد من الطعام . (٢) انظر خطبة عبد الله بن مسعود .

(٣) الشول : جمع شائلة وهى من الإبل ما آتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها ،
 وأحمى : أفل من الجماية . (٤) الصريمة : قطع الأمر (والعزيمة) .

(٥) ويروى « منك أنفك وإن كان أجدع » وفى الميدانى : « أول من قال ذلك قنفذ بن جمونة المازنى
 للربيع بن كعب المازنى . وذلك أن الربيع دفع فرسا كان قد أبر على الخيل (أى زاد) كرماً وجودة إلى
 أخيه كيش ليأتى به أهله ؛ وكان كيش أنوك مشهوراً بالحمق ، وكان رجلاً من بنى مالك يقال له قراد
 ابن جرم قدم على أصحاب الفرس ليصيب منهم غرة فيأخذها ، وكان داهية فكث فيهم مقيماً لا يعرفون
 نسبه ولا يظهره هو ، فلما نظر إلى كيش راكباً الفرس ركب ناقته ثم عارضه ، فقال يا كيش : هل لك
 فى عانة لم أر مثلها سمناً ولا عظماً (العانة : القطيع من حمر الوحش) وغير معها من ذهب ؟ فأما الآن
 (بضمين جمع أتان) فتروح بها إلى أهلك فتعلا قدرهم ، وتفرح صدورهم ، وأما العير فلا افتقار بعده =

من عُرِفَ بالكذب جاز صدقه^(١) . الصحة داعية السَّقَم . الشباب داعية الهرَم .
 كثرة الصِّيَاح من الفُشَل . إذا قَدُمَت المصيبة تُرِكَت التعزية . إذا قَدُمَ الإخاء
 سُمِحَ الثناء . العادة أملك من الأدب . الرفق يُمنِّع وألحرقُ شؤم . المرأة رِيحانة
 وليست بقَهْرَمانَةٍ^(٢) . الدال على الخير كفاعله . المحاجزة قبل المناجزة . قبل الرِّمَاية تملأ
 الكناش . لكل ساقطة لا قطة . مَقْتَل الرجل بين فكَّيه . تَرَكَ الحُرْكة غفلة . الصمت
 حُبْسة . مَنْ خَيْرَ خَيْرٍ . إن تَسْمَعُ تَمَطَّرُ^(٣) . كفى بالمرء خِيَانَةً أن يكون أميناً للخَوَنة .
 قَيِّدُوا النِّعَمَ بالشكر . من يزرع المعروف يحصد الشكر . لا تغتر بمودة الأمير إذا غشك
 الوزير . أعظم من المصيبة سوء الخلف منها . من أراد البقاء فليوطن نفسه على المصائب .
 لقاء الأحبة مَسْلاةٌ لله . قطيعة الجاهل كصلة العاقل . من رضى على نفسه كثر السخط
 عليه . قتلت أرضٌ جاهلها ، وقتل أرضاً عارفها . أدوا الداء الخلق الدني ، واللسان البذي .
 إذا جعلك السلطان أخاً فاجعله رباً . احذر الأمين ولا تأمن الخائن . عند الغاية يُعرف
 السَّبْقُ . عند الرَّهَانِ يُحمد المضمار . السؤال وإن قلَّ ، أكثر من النوال وإن جَلَّ . كافي
 المعروف بمثله أو انشُرْه . لا خُلَّةَ^(٤) مع عَيْلة . لا سرورة مع ضُرٍّ ، ولا صبر مع شكوى .

= قال له كيش : وكيف لنا به ؟ قال : أنا لك به ؛ وليس يدرك إلا على فرسك هذا ، ولا يرى إلا بليل ،
 ولا يراه غيري ، قال كيش : فدونك ؛ قال نعم وأمسك أنت راحتي ، فركب قراد الفرس وقال :
 انتظرنى فى هذا المكان إلى هذه الساعة من غد ؛ قال : نعم ومضى قراد : فلم يزل كيش ينتظره حتى أمسى
 من غده وجاع ، فلما لم ير له أثرا انصرف إلى أهله وقال فى نفسه : إن سألنى أخى عن الفرس قلت تحول
 ناقة ، فلما رآه أخوه الربيع عرف أنه خدع عن الفرس ، فقال له : أين الفرس ؟ قال : تحول ناقة ؛ قال
 فما فعل الصرج ؟ قال : لم أذكر الصرج فاطلب له علة ، فصرعه الربيع ليقتله ؛ فقال له قنفذ بن جمونة :
 لله عما فاتك ، فإن أنفك منك وإن كان أجدع ؛ فذهبت مثلا .

(١) فى مجمع الأمثال (٢ : ١٧٥) : « من عرف بالصدق جاز كذبه ؛ ومن عرف بالكذب لم
 يجز صدقه » . (٢) القهرمان : هو كالحازن والوكيل الحافظ لما تحت يده ؛ والقائم بأمور الرجل
 بلغة الفرس . (٣) أى إن تفتح أذنك للأقاويل تمطر وابلا منها .
 (٤) الخلة : الصداقة المختصة لا خلل فيها . والعيلة الفقر .

ليس من العدل ، سرعة العَدْلِ (١) . عبدٌ غيرك حرٌّ مثلك . لا يَعدَمُ الخِيَارَ ، من استشار .
الوضيع من وضع نفسه . المَهِينِ من نَزَلَ وحده من أكثر أهجر (٢) . كفى بالمرء كذباً
أن يحدث بكل ما سمع .
(العقد الفريد ١ : ٢٧٢)

* * *

ومن أمثال أكرم بن صيفي أيضاً :

« في الجريرة تشترك العشيرة (٣) . إذا قرع الفؤاد ذهب الرقاد . هل يهلكني
فقد ما لا يعود ؟ أعود بالله أن يرميني امرؤ بدائه . ربّ كلام ، ليس فيه ا كتمام .
حافظ على الصديق ، ولو في الحريق . ليس بيسير ، تقويم العسير . إذا أردت النصيحة ،
فتأهب للظنة . متى تعالج مال غيرك تسأم . غثك خير من سمين غيرك . لا تنطح جماء (٤)
ذات قرن . قد يُبلغ الخضم بالقضم (٥) . قد صدع الفراق ، بين الرفاق . استأنوا (٦)
أخاكم ، فإن مع اليوم غداً . الحرُّ عزوف (٧) . لا تطمع في كل ما تسمع . »

(جمهرة الأمثال ٢ : ١٠٣)

٨٨ - نصيحة الجمانة بنت قيس بن زهير لجرها الربيع بن زياد

كان قيس بن زهير العبسي قد اشترى من مكة درعاً حسنة ، تسمى ذات الفضول ،
وورد بها إلى قومه ، فرآها عمه الربيع بن زياد ، وكان سيد بني عبس ، فأخذها منه

(١) اللوم . (٢) الإهجار : الإفحاش وهو أن يأتي في كلامه بالفحش .

(٣) مثل يضرب في الحث على المواساة .

(٤) الجماء : الشاة بلا قرن مؤنث الأجم . (٥) القضم : الأكل بأطراف الأسنان ، والقضم

الأكل بأقصى الأضراس ، ومعنى المثل : قد تدرك الغاية البعيدة بالرفق . (٦) انتظروا .

(٧) من عزفت نفسه عنه : إذا زهدت فيه وانصرفت عنه أي أنف راغب عن الدنيا .

غَضَبًا ، فقالت أُلجَمَانَةُ بنت قيس لأبيها : دعني أناظِرَ جَدِّي ، فَإِنْ صَلَحَ الْأَمْرُ بَيْنَكُمَا ،
وإِلَّا كُنْتُ مِنْ وَرَاءَ رَأْيِكَ ، فَأَذِنْ لَهَا ، فَأَتَتْ الرَّبِيعَ فقالت :

« إِذَا كَانَ قَيْسُ أَبِي ، فَإِنَّكَ يَا رَبِيعُ جَدِّي ، وَمَا يَجِبُ لَهُ مِنْ حَقِّ الْأَبُوَّةِ عَلَيَّ ،
إِلَّا كَالَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ مِنْ حَقِّ الْبُنُوَّةِ لِي ، وَالرَّأْيُ الصَّحِيحُ تَبَعْتَهُ الْعِنَايَةُ ، وَتَجَلَّى عَنِ
مَحْضِهِ النَّصِيحَةُ ، إِنَّكَ قَدْ ظَلَمْتَ قَيْسًا بِأَخْذِ دِرْعِهِ ، وَأَجَدُّ مَكَافَاتِهِ إِيَّاكَ سُوءَ عَزْمِهِ ،
وَالْمُعَارِضُ مُنْتَصِرٌ ، وَالْبَادِي أَظْلَمٌ ، وَلَيْسَ قَيْسٌ بِمَنْ يُنْخَوْفُ بِالْوَعِيدِ ، وَلَا يَرُدُّعُهُ
التَّهْدِيدُ ، فَلَا تَرَكْنِي إِلَى مُنَابَذَتِهِ ، فَالْحَزْمُ فِي مُتَارَكْتِهِ ، وَالْحَرْبُ مُتَلَفَةٌ لِلْعِبَادِ ، ذَهَابَةٌ
بِالطَّارِفِ وَالتَّلَادِ ، وَالسَّلْمُ أَرْخَى لِلْبَالِ ، وَأَبْقَى لِأَنْفُسِ الرِّجَالِ ، وَبِحَقِّ أَقُولُ : لَقَدْ
صَدَعْتُ بِحُكْمٍ ، وَمَا يَدْفَعُ قَوْلِي إِلَّا غَيْرُ ذِي فَهْمٍ » ، ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

أَبِي لَا يَرَى أَنْ يَتْرَكَ الدَّهْرَ دِرْعَهُ وَجَدِّي يَرَى أَنْ يَأْخُذَ الدَّرْعَ مِنْ أَبِي
فَرَأَى أَبِي رَأَى الْبَخِيلِ بِمَالِهِ وَشِيْمَةَ جَدِّي شِيْمَةَ الْخَائِفِ الْأَبِي

(بلاغات النساء ص ١٢٥)

٨٩ - وصف عصام الكندية أم إياس بنت عوف بن محلم الشيباني

لها بلغ الحارث بن عمرو ملك كِنْدَةَ جَمَالَ أُمَّ إِيَّاسِ بِنْتِ عَوْفِ بْنِ مُحَلِّمِ الشَّيْبَانِيِّ ،
وَكَامَلَهَا وَقُوَّةَ عَقْلِهَا ، أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا ، فَدَعَا امْرَأَةً مِنْ كِنْدَةَ ، يُقَالُ لَهَا عِصَامٌ ، ذَاتَ عَقْلٍ
وَلِسَانٍ ، وَأَدَبٍ وَبَيَانٍ ، وَقَالَ لَهَا : أَذْهَبِي حَتَّى تَعْلَمِي لِي عِلْمَ ابْنَةِ عَوْفٍ ، فَحَضَّتْ حَتَّى
انتهت إلى أمها أُمَامَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ ، فَأَعْلَمَتْهَا مَا قَدِمَتْ لَهُ ، فَأَرْسَلَتْ أُمَامَةَ إِلَى ابْنَتِهَا
وَقَالَتْ : أَيُّ بُنْيَةِ ، هَذِهِ خَالَتُكَ أَنْتَ إِلَيْكَ لِتَنْظُرِي إِلَى بَعْضِ شَأْنِكَ ، فَلَا تَسْتُرِي عَنْهَا
شَيْئًا أَرَادَتْ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، مِنْ وَجْهِ وَخَلْقٍ ، وَنَاطِقِيهَا فِيمَا اسْتَنْطَقْتِكِ فِيهِ ، فَدَخَلَتْ
عِصَامٌ عَلَيْهَا ، فَنَظَرَتْ إِلَى مَا لَمْ تَرَ عَيْنُهَا مِثْلَهُ قَطُّ بِهَجَّةٍ وَحَسَنًا وَجَمَالًا ، فَإِذَا هِيَ أَكُلُ النَّاسِ
عَقْلًا ، وَأَفْصَحَهُمْ لِسَانًا ، فَخَرَجَتْ مِنْ عِنْدِهَا وَهِيَ تَقُولُ : (تَرَكَ الْخِدَاعَ مَنْ كَشَفَ

القِنَاعَ) فذهبت مثلاً ، ثم أقبلت إلى الحارث فقال لها : (ما وراءك يا عِصَامُ) ؟ فأرسلها
مثلاً ، قالت : (صَرَخَ المَخْضُ عن الزُّبْدِ ^(١)) ، فذهبت مثلاً . قال أخبريني ، قالت :
أخبرك صدقاً وحقاً :

« رأيت جبهة كالمراة الصَّقِيلَة ، يَزِينَهَا شَعْرٌ حَالِكٌ ، كأذنا ب الخيل المصفورة ^(٢) ،
إن أرسلته خِلته السلاسل ، وإن مشطته قلت عنا قيدُ كَرِيمٍ جَلَاهَا الوَابِلُ ^(٣) ،
وحاجبين كأنهما خطا بِقَلَمٍ ، أو سوِّدا بِحُمَمٍ ^(٤) قد تقوسا على عيني الظبية العَبْرَة ^(٥) ،
التي لم يرُ عنها قانص ، ولم يُذعرها قسورة ^(٦) ، بينهما أنف كجدد السيف المصقول ^(٧) ،
لم يَخْنِسْ به ^(٨) قِصْرٌ ، ولم يَمِضْ ^(٩) به طولٌ ، حَفَّتْ به وَجَنَّتَانِ كالأرجوان ^(١٠) ،
في بياضٍ مَحْضٍ كالجمان ^(١١) ، شُقَّ فِيهِ فَمٌ كالخاتم ، لذيد المبتسم ، فيه ثنايا غُرٌّ ،
ذوات أُشْرٍ ^(١٢) ، وأسنانٌ تبدو كالدرر ، وريق كالخمر له نَشْرُ الرِّوَضِ بالسَّحْرِ ، يتقلب
فيه لسانٌ ذو فصاحة وبيان ، يحرُّ كه عقلٌ وافر ، وجواب حاضر ، تلتقي دونه شفتان
حمران كالورد ، يَجْلِدَانِ ريقاً كالشَّهْدِ ، تحت ذلك عنق كإبريق الفضة ، رُكْبٌ
في صدر كصدر تَمثال دُمِيَّة ^(١٣) ، يتصل بها عَضُدَانِ ممتلئان لحمًا ، مُكْتَنِزَانِ ^(١٤) شَحْمًا ،
وذراعان ليس فيهما عَظْمٌ يُحَسُّ ، ولا عِرْقٌ يُحَسُّ ، رُكْبَتٌ فيهما كَفَّانٌ ، دقيقٌ

- (١) مخض اللبن : أخذ زبده ، والتصريح : تبين الأمر ، وهو مثل يضرب للأمر إذا انكشف
وتبين . (٢) في الأصل « المقصورة » وهو تحريف وصوابه « المصفورة » .
(٣) المطر الشديد الضخم القطر . (٤) الحُمَم : الفحَم .
(٥) العبرة والعبر : الرقيقة البشرة الناصعة البياض ، والسمينة الممتلئة الجسم .
(٦) القسورة : الرماة من الصيادين ، الواحد قسور .
(٧) في مجمع الأمثال « الصنيع » وهو السيف الصقيل المجرب . (٨) خنس عنه كضرب وكرم
تأخر « والخنس : محرمة تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة ، خنس كفرح فهو أخنس
وهي خنساء » . (٩) وفي جمهرة الأمثال « ولم يمعن » . (١٠) الأرجوان : صبغ أحمر .
(١١) الجمان : اللؤلؤ ، أو هنوات أشكال اللؤلؤ من فضة . (١٢) أشْر الأَسنان : التحريك الذي
فيها . (١٣) الدمية : الصورة المنقشة من الرخام أو عام . (١٤) اكتنز : اجتمع وامتاز

قَصَبُهُمَا ، لِيْنُ عَصَبُهُمَا ، بُعَقِدُ إِنْ شئتَ مِنْهُمَا الأَنَامِلُ ، وَتُرَكَّبُ الفُصُوصُ فِي حُنُورِ
المفاصل ، وَقَدْ تَرَبَّعَ فِي صَدْرِهَا حُقَّانٌ ، كَأُنْهُمَا رُمَانَتَانِ ، يَخْرِقَانِ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا ، تَحْتِ
ذَلِكَ بَطْنٌ طَوِيٌّ كَطَيِّ القُبَاطِيِّ (١) المَدْمَجَةِ ، كَسِيَّ عَكْنًا (٢) كَالقِرَاطِيْسِ المُدْرَجَةِ (٣)
تَحِيْطُ تِلْكَ العُكْنُ بِسُرَّةِ كَمَدَهْنِ (٤) العَاجِ المَجْلُوِّ ، خَلْفَ ذَلِكَ ظَهْرٌ كَالجَدْوَلِ ،
يَنْتَهِي إِلَى خَصْرِ ، لَوْلَا رَحْمَةُ اللهِ لَأَنْبَتَتْ ، تَحْتَهُ كَفَلٌ (٥) يُقَعِدُهَا إِذَا نَهَضَتْ ،
وَيُنْهَضُهَا إِذَا قَعَدَتْ ، كَأَنَّهُ دِعْصٌ (٦) رَمَلٍ ، لَبَدَهُ سَقُوطُ الطَّلِّ ، يَحْمَلُهُ فِخْدَانٌ لَفَّاءَانِ (٧)
كَأُنْهُمَا نَضِيْدُ الجُمَانِ ، تَحْتَهُمَا سَاقَانِ ، خَدَلَتَانِ (٨) كَالْبَرْدِيِّ ، وَشَيْتًا بِشَعْرٍ أَسْوَدَ ،
كَأَنَّهُ حَلِيقُ الزَّرْدِ ، يَحْمَلُ ذَلِكَ قَدَمَانِ ، كَجَذْوِ اللِّسَانِ ، فَتُبَارِكُ اللهُ مَعَ صَغَرِهَا
كَيْفَ تَطْيِقَانِ حَمْلَ مَا فَوْقَهُمَا ، فَأَمَّا مَاسُوِيٌّ ذَلِكَ فَتَرَكَتْ أَنْ أَصْفَهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ أَحْسَنُ
مَا وَصَفَهُ وَاصِفٌ بِنِظْمٍ أَوْ نَثْرٍ ، فَأَرْسَلَ المَلِكُ إِلَى أَبِيهَا فخطبها ، فزوجه إياها (٩) .

(العقد الفريد ٣ : ٢٣٥ ، وجمع الأمثال ٢ : ١٤٣ ، وجمهرة الأمثال ٢ : ٢٧)

- (١) القباطي (بضم الأول مع تشديد الآخر) وقباطي (بفتح الأول مع تخفيف الآخر) جمع
قبطية (بالضم على غير قياس وقد تكسر) : ثياب كتان بيض رقاق كانت تعمل في مصر .
(٢) العكن : جمع عكنة (كفرصة) وهي ما انطوى وتثنى من لحم البطن سما . (٣) المطوية .
(٤) المدهن : تارورة الدهن . (٥) عجز .
(٦) الدعص : الكثيب من الرمل المجتمع . (٧) اللناء : الفخذ الضخمة (والضخمة الفخذين) .
(٨) ساق خدلة : ممتك ضخمة (والخدلة المرأة الغليظة الساق المستديرتها وفي العقد : « خد لجان » .
(بفتح الحاء والذال وتشديد اللام) والحدلجة : المرأة الممتلئة الذراعين والساقين .
(٩) في جمع الأمثال وجمهرة الأمثال ، أن الذي تزوج أم إياس هو الحارث بن عمرو ، والحارث هذا
هو جد امرئ القيس ، وذكر صاحب العقد أن الذي تزوجها هو عمرو بن حجر ، وأنها ولدت له الحارث
ابن عمرو جد امرئ القيس غير أنا نلاحظ أنه قال في مقدمة هذا الوصف : « ثم أقبلت عصام إلى الحارث
فقال لها ما وراءك يا عصام ؟ . . . الخ » .

٩٠ - وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس

فما أُحْمِلت إلى زوجها قالت لها أمها أمامة بنت الحارث :

« أَى بِنِيَّةُ : إِنْ الْوَصِيَّةُ لَوْ تَرَكْتُ لِفَضْلِ أَدَبٍ ، تَرَكْتُ لَدَيْكَ مِنْكَ ، وَلَكِنِّهَا تَذَكْرَةٌ لِلْغَافِلِ ، وَمَعُونَةٌ لِلْعَاقِلِ ، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً اسْتَعْنَتَ عَنِ الزَّوْجِ لِفَنِيِّ أَبْوَيْهَا ، وَشِدَّةِ جَاجَتَيْهَا إِلَيْهَا ، كُنْتُ أَغْنِي النَّاسَ عَنْهُ ، وَلَكِنِ النِّسَاءُ لِلرِّجَالِ خُلُقِنَ ، وَلِهِنَّ خُلُقِ الرِّجَالِ .

أَى بِنِيَّةُ : إِنْكَ فَارَقْتِ الْجُودَ الَّذِي مِنْهُ خَرَجْتِ ، وَخَلَقْتِ الْعُشَّ الَّذِي فِيهِ دَرَجْتِ ، إِلَى وَكْرٍ لَمْ تَعْرِفِيهِ ، وَقَرِينَ لَمْ تَأَلْفِيهِ ، فَأَصْبَحَ بِمِلْكِهِ^(١) عَلَيْكَ رَقِيبًا وَمَلِيكًا ، فَكُونِي لَهُ أُمَّةً يَكُنْ لَكَ عَبْدًا وَشِيكًا^(٢) . يَا بِنِيَّةُ : اِحْمَلِي عَنِّي عَشْرَ خِصَالٍ تَكُنْ لَكَ ذُخْرًا وَذِكْرًا ، الصَّحْبَةُ بِالْقِنَاعَةِ ، وَالْمَعَامَرَةُ بِحَسَنِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَالنَّعْمَةُ لِمَوْقِعِ عَيْنِهِ ، وَالنَّفَقَةُ لِمَوْضِعِ أَنْفِهِ ، فَلَا تَقَعْ عَيْنُهُ مِنْكَ عَلَى قَبِيحٍ ، وَلَا يَشْمَ مِنْكَ إِلَّا أَطْيَبَ رِيحٍ ، وَالسُّكْرُ أَحْسَنُ الْحَسَنِ ، وَالْمَاءُ أَطْيَبُ الطَّيِّبِ الْمَفْقُودِ ، وَالتَّعَهُدُ لَوْقَتِ طَعَامِهِ ، وَالهُدُوءُ عَنْهُ عِنْدَ مَنَامِهِ ، فَإِنْ حَرَارَةُ الْجُوعِ مَلْهَبَةٌ ، وَتَنْغِيصُ النَّوْمِ مَغْضَبَةٌ ، وَالِاحْتِفَازُ بِبَيْتِهِ وَمَالِهِ ، وَالِإِرْعَاءُ عَلَى نَفْسِهِ وَحَشَمِهِ وَعِيَالِهِ ، فَإِنْ الِاحْتِفَازُ بِالْمَالِ حَسَنُ التَّقْدِيرِ ، وَالِإِرْعَاءُ عَلَى الْعِيَالِ وَالْحَشْمُ جَمِيلُ التَّدْبِيرِ ، وَلَا تَفْشِي لَهُ سِرًّا ، وَلَا تَعْصِي لَهُ أَمْرًا ، فَإِنَّكَ إِنْ أَفْشَيْتَ سِرَّهُ ، لَمْ تَأْمَنِي غَدْرَهُ ، وَإِنْ عَصَيْتَ أَمْرَهُ ، أَوْغَرْتِ صَدْرَهُ ، ثُمَّ انْتَبِي مِنْ

(١) أملكه إياها : زوجه فملكها ملكا ، مثلث الميم .

(٢) الوشيك ، السريع : أى يكن عبدا سريع الإجابة .

ذلك الفرح إن كان ترحا ، والا ككتابَ عنده إن كان فرحا ، فإن الخصلة الأولى من
التقصير ، والثانية من التكدير ، وكوني أشد ما تكونين له إعظاما ، يكن أشدَّ
ما يكون لك إكراما ، وأشدَّ ما تكونين له موافقة ، يكن أطول ما تكونين له
مرانمةً ، واعلمى أنك لا تصلين إلى ما تحبين ، حتى تُؤثري رضاه على رضاك ، وهواه
على هواك فيما أحببت وكرهت ، والله يخيبرك .

(مجمع الأمثال ٢ : ١٤٣ ، والمقد الفريد ٣ : ٢٢٣)

الخطبة الأولى الوصايا

في

عصر صدر الإسلام

خطب النبي صلى الله عليه وسلم

١ - أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه

تحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« إن الرائد^(١) لا يكذب أهله ، والله لو كذبتُ الناسَ جميعاً ما كذبتُكم ،
ولو غررتُ الناسَ جميعاً ما غررتُكم ، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم
خاصة ، وإلى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ،
ولتحاسنن بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحساناً ، وبالسوء سوءاً ، وإنها لجنة أبدأ ،
أو لنار أبدأ » .

(السيرة الحلبية ١ : ٢٧٢ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٧)

(١) المرسل في طلب الكلا .

٢ - أول خطبة خطبها بالمدينة

حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

« أما بعد أيها الناس فقدّموا لأنفسكم ، تعلمن والله ليضعنّ أحمداً لكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقوان له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولي فبلغك ، وآتيتك مالا ، وأفضلت عليك ، فما قدّمت لنفسك ؟ فلينظرن يميناً وشمالاً ، فلا يرى شيئاً ، ثم لينظرن قدّامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ، ولو بشق من تمره فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإن بها تجزى الحسنّة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف^(١) ، والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته . »

(سيرة ابن هشام ١ : ٣٠٠)

٣ - خطبته في أول جمعة جمعها بالمدينة

« الحمد لله أحمدهُ وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأؤمن به ولا أكفرهُ وأعادي من يكفرهُ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترّة من الرسل ، وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة ، وقرب من الأجل ، من بطع الله ورسوله فقد رشّد^(٢) ، ومن يعصهم ما فقد غوي وفرط ، وضلّ ضلالاً بعيداً ، وأوصيكم بتقوى الله ، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله ، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكراً ، وإن

(١) ضعف الشيء مثله ، وضعفاه مثلاه ، أو الضعف المثل إلى ما زاد ، ويقال لك ضعفه يريدون مثليه

(٢) كنصر وفرح .

وثلاثة أمثاله لأنه زيادة غير محصورة .

تقوى الله لمن عمل به على وَجَلٍ ومخافة من ربه، عونٌ صِدْقٌ على ما تبغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السرِّ والعلانية لا ينوى بذلك إلا وَجَهَ الله، يكن له ذكراً في عاجل أمره، وَذُخْرًا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدّم، وما كان من سوى ذلك يودُّ لو أن بيده وبينه أمدًا بعيداً، ويحذركم الله نفسه، والله رءوف بالعباد، والذي صدق قوله، وَأَنْجِزْ وَعْدَهُ لَا خُلْفَ لَكَ، فإنه يقول عز وجل: « مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ » فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله، في السر والعلانية، فإنه من يتقى الله يُكفِّرْ عنه سيئاته، وَيُعْظِمَ له أجراً، ومن يتقى الله فقد فاز فوزاً عظيماً، وإن تقوى الله يوقى مقته، ويوقى عقوبته، ويوقى سُخْطَهُ، وإن تقوى الله يُبَيِّضُ الوجوه، ويرضى الربُّ، ويرفع الدرجة، خذوا بِحِطَّتِكُمْ وَلَا تَفْرُطُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ، قد علمكم الله كتابه، وَنَهَجَ لَكُمْ سَبِيلَهُ، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين، فَأَحْسِنُوا كما أحسن الله إليكم، وَعَادُوا أَعْدَاءَهُ، وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هو اجتباكم وسماكم المسلمين، لِيَهْدِيَكُمْ مِنْ هَلَكٍ عَنْ بَيْتِنَا، وَيُحْيِيَكُمْ مِنْ حَيٍّ عَنْ بَيْتِنَا، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فأكثرُوا ذكر الله، وَأَعْمَلُوا لما بعد اليوم، فإنه من يُصْلِحْ ما بينه وبين الله يَكْفِهِ اللهُ ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضى على الناس، ولا يقضون عليه، يملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ .

(تاريخ الطبري ٢ : ٢٥٥)

٤ - خطبة له يوم أحد

قام عليه الصلاة والسلام فخطب الناس فقال:

« أيها الناس أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه، من العمل بطاعته، والتفاهي عن محاربه، ثم إنكم اليوم بمنزل أجر وذخيرة لمن ذكر الذي عليه، ثم وطن نفسه على الصبر واليقين، والجد والنشاط، فإن جهاد العدو شديد كربه، قليل من يصبر عليه إلا

من عزم له على رشده ، إن الله مع من أطاعه ، وإن الشيطان مع من عصاه ، فاستفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد ، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله ، وعليكم بالذي أمركم به ، فإني حريص على رشدكم . إن الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز والضعف ، وهو مما لا يحببه الله ، ولا يعطى عليه النصر .

أيها الناس إنه قُذِفَ في قلبي أن من كان على حرام فرغب عنه ابتغاء ما عند الله غفر له ذنبه ، ومن صلى على محمد وملائكته عشرا ، ومن أحسنَ وقع أجره على الله في عاجل دنياه ، أو في آجل آخرته ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فعليه الجمعة يوم الجمعة ، إلا صبيا أو امرأة أو مريضا أو عبدا مملوكا ، ومن استغنى عنها استغنى الله عنه ، والله غني حميد .

ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به ، ولا أعلم من عمل يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه ، وإنه قد نفث الرُوح الأمين في رُوعى أنه إن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لا ينقص منه شيء وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله ربكم ، وأجلوا في طلب الرزق ، ولا يحملنكم استبطاؤه على أن تطلبوه بمعصية ربكم ، فإنه لا يُقدَر على ما عنده إلا بطاعته ، قد بين لكم الحلال والحرام ، غير أن بينهما شُبها من الأمر لم يعلمها كثير من الناس إلا من عَصِمَ ، فمن تركها حفظ عرضه ودينه ، ومن وقع فيها كان كالراعى إلى جنب الحمى أو شك أن يقع فيه ، وليس ملك إلا وله حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد ، إذا اشتكى تداعى إليه سائر جسده ، والسلام عليكم .

(شرح ابن أبي الحديد ۳: ۳۶۵)

٥ - خطبته بالخيف

وخطب بالخيف من منى يقال :

« نَصَرَ^(١) الله عبداً سمعَ مقاتلي فوعاها ، ثم أذاها إلى من لم يسمعها ، فرب حاملِ
فِقهٍ لافقه له ، ورب حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغلُّ^(٢) عليهنَّ قلبُ المؤمنِ :
إخلاصُ العملِ لله ، والنصيحةُ لأولي الأمر ، ولزومُ الجماعة ، إنَّ دعوتهم تكون من
ورائِهِ ، ومن كان همه الآخرةَ جمع الله شمله ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي
راغمة ، ومن كان همه الدنيا فرَّق الله أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأتِهِ من الدنيا
إلا ما كتَبَ له . » (إعجاز القرآن ص ١١٢)

٦ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

ومن خطبه أيضاً أنه خطب بعد العصر فقال :

« ألا إنَّ الدنيا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، ألا وإنَّ الله مستخلفكم فيها فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ
فَاتَّقُوا الدِّينَ ، وَاتَّقُوا النَّسَاءَ ، أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ الْحَقَّ إِذَا عَلِمَهُ .
ولم يزل يخطب حتى لم تبق من الشمس إلا حجرة على أطراف السَّعَفِ فقال : إنه لم يبق
من الدنيا فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى . » (إعجاز القرآن ص ١١٣)

(١) من النصر والنضارة : وهي الحسن .

(٢) غل صدره يغل كضرب غلا : وهو الحقد والضغن .

۷ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

« إن الحمد لله أحمدُه وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأشهد أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريك له ، إنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ، قد أفلح مَنْ زَيَّنَهُ اللهُ في قلبه ، وأدخله في الإسلام بعد الكفر ، واختاره على ما سواه من أحاديثِ النَّاسِ ، إنه أصدق الحديث وأبلغه ، أَحِبُّوا من أحب اللهُ ، وَأَحِبُّوا اللهُ من كلِّ قلوبكم ، وَلَا تَمَلُّوا كلامَ اللهِ وذكْرَه ، وَلَا تَقْسُوا عليه قلوبكم ، اعبدوا اللهُ ولا تشركوا به شيئاً ، انقوا اللهُ حَقَّ تَقَاتِهِ^(۱) ، وَصَدَّقُوا صالح ما تعملون بأفواهكم ، وتحابُّوا بِرُوحِ اللهِ بينكم ، والسلام عليكم ورحمة الله . »

(إعجاز القرآن ص ۱۱۰)

۸ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أيها الناس إن لكم معالِمَ^(۲) فانتهاوا إلى معالِمكم ، وإن لكم نهايةً فانتهاوا إلى نهايةكم ، فإن العبد بين مخافتين ، أَجَلٍ قد مضى لا يدرى ما الله فاعلٌ فيه ، وَأَجَلٍ باقٍ لا يدرى ما الله قاضٍ فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ، فوالذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيده : ما بعد الموت من مُسْتَعْتَبٍ^(۳) ، ولا بعد الدنيا من دارٍ إلا الجنةُ أو النار .

(تهذيب الكامل ۱ : ۵ ، إعجاز القرآن ۱۱۰ ، البيان والتبيين ۱ : ۱۶۵ ، عيون الأخبار م ۲ : ص ۲۱۳ ، وغرر الحصائص الواضحة ۱۵۰) .

(۱) التقاة : التقوى .

(۲) جمع معلم كذهب ؛ وهو الأثر يستدل به على الطريق ؛ والمراد حدود الشريعة المطهرة .

(۳) استعته : أعطاه العتبي (وهي الرضا والصفح) وطلب إليه العتبي .

٩ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أيها الناس كأنَّ الموت فيها على غيرنا قد كُتِبَ ، وَكَانَ الْحَقُّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا قَدْ وَجِبَ ، وَكَانَ الَّذِي نُشِيعُ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفَرٌ ، عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ، نَبُوهُمْ أَجْدَانَهُمْ ، وَنَأْكُلُ مِنْ تُرَاهِمِمْ ، كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ ، وَنَسِينَا كُلَّ وَاعِظَةٍ ، وَأَمِينًا كُلَّ جَائِحَةٍ (١) ، طُوبَى (٢) لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عِيُوبِ النَّاسِ ، طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ مَالًا ا كَتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ، وَجَالَسَ أَهْلَ الْفِقْهِ وَالْحِكْمَةِ ، وَخَالَطَ أَهْلَ الذَّلِّ وَالْمَسْكِنَةِ ، طُوبَى لِمَنْ زَكَتْ وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ ، وَطَابَتْ سَرِيرَتُهُ ، وَعَزَلَّ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ ، طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ ، وَوَسِعَتَهُ السُّنَّةُ ، وَلَمْ تَسْتَهْوِهِ الْبِدْعَةُ » .

(صبح الأعشى ١ : ٢١٣)

١٠ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ ، تَوَبُّوا إِلَى رَبِّكُمْ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا ، وَبَادِرُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا ، وَصَلُّوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ لَهُ ، وَكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، تُرْزُقُوا وَتُؤَجَّرُوا وَتُنْصَرُوا . وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ الْجُمُعَةَ ، فِي مَقَامِي هَذَا ، فِي عَامِي هَذَا ، فِي شَهْرِي هَذَا ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، حَيَاتِي وَمِنْ بَعْدِ مَوْتِي ، فَمَنْ تَرَكَهَا وَلَهُ إِمَامٌ ، فَلَا جَمَعَ اللَّهُ لَهُ شَمْلَهُ ، وَلَا بَارَكَ لَهُ فِي أَمْرِهِ ، أَلَا وَلَا حُجَّ لَهُ ، أَلَا وَلَا صَوْمَ لَهُ ، أَلَا وَلَا صَدَقَةَ لَهُ ، أَلَا وَلَا بِرَّ لَهُ ، أَلَا وَلَا يَوْمٌ أَغْرَابِيٌّ مُهَاجِرًا ، أَلَا وَلَا يَوْمٌ فَاجِرٌ مُؤْمِنًا ، إِلَّا أَنْ يَقْهَرَهُ سُلْطَانٌ يَخَافُ سَيْفَهُ أَوْ سَوْطَهُ » .

(إعجاز القرآن ص ١١٠)

(١) الجوح : الإهلاك والاستئصال كالأجتياح . (٢) مؤنث أطيبي ؛ والحسنى ، والخير ، وشجرة في الجنة أو الجنة .

١١ - خطبته يوم فتح مكة

وقف على باب الكعبة ثم قال : « لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريك له ، صدق وَعْدَهُ ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كلُّ مأثرة^(١) أو دمٍ أو مالٍ يَدْعَى ، فهو تحت قدميَّ هاتين ، إلا سِدانةَ البيت^(٢) ، وسِقايةَ الحاجِّ ، ألا وَقَتْلُ الخَطَا مِثْلُ العَمْدِ بالسوطِ والعصا ، فيهما الديةُ مُغْلَظَةٌ ، منها أربعون خِلْفَةً^(٣) في بطونها أولادها ، يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوةَ الجاهلية ، وتَعْظُمَهَا^(٤) بالآباء ، الناسُ من آدمَ ، وآدمُ خُلِقَ من ترابٍ ، ثم تلا : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) الآية يا معشر قريش (أو يأهل مكة) ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

(تاريخ الطبري ٣ : ١٢٠ ، وإعجاز القرآن ص ١١٢ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٢١ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٣) .

١٢ - خطبته في الاستسقاء

روى أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله في عام جَدَبٍ ، فقال : أتيدناك يا رسول الله ، ولم يبقَ لنا صبي برَضِيعٍ ، ولا شَارِفٌ^(٥) تجترُّ ثم أنشده :
أُتِينَاكَ وَالْعَذْرَاءُ بِذِمِّي لِبَاءِهَا^(٦) وقد شُغِلَتْ أُمُّ الرَضِيعِ عَنِ الطِّفْلِ
وَأَلْقَى بِكَفِّهِ الْفَتَى لِاسْتِكْنَانِهِ من الجوع حتى ما يُمِرُّ ولا يُحْمِلِي^(٧)

(١) المأثرة : المكرومة . (٢) خدمة الكعبة . (٣) الخلفة : الحامل من النياق .
(٤) تعظم : تكبر . (٥) الشارف من النوق : المسنة الهرمة كالشارفة . (٦) أى يدمى صدرها لامتهانها نفسها في الخدمة حيث لا تجد مانعاً من يخدمها من الجذب وشدة الزمان . (٧) أى ما يضر وما ينفع ، أو ما يأتى بكلمة ولا فعله مرة ولا حلوة .

ولا شيء مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل (١)
وليس لنا إلا إليك فرارنا وابن فرار الناس إلا إلى الرسل ؟
فقام النبي صلى الله عليه وسلم يجرُّ رداءه حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :
« اللهم أسقنا غيثاً مغيثاً ، مريئاً هنيئاً مريئاً (٢) ، سحاً سجالاً (٣) ، غدقاً (٤)
طبقةً (٥) ، ديماً درراً (٦) ، تحيي به الأرض ، وتنبت به الزرع ، وتدر به الضرع ،
واجله سقياً نافعاً ، عاجلاً غير راث (٧) »

فوالله ما ردَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله يده إلى نحره ، حتى ألقى السماء
أرواقها (٨) ، وجاء الناس يضحجون : الغرق الغرق يا رسول الله ، فقال : اللهم حوالينا
ولا علينا ! وانجاب (٩) السحاب عن المدينة ، حتى استدار حولها كالإكليل ، فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه (١٠) . (شرح ابن أبي الحديد م ٣ ص ٣١٦)

١٣ - خطبته في حجة الوداع

« الحمد لله بحمده واستعينه واستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ،
ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أوصيكم

(١) العامي : الذي أتى عليه عام ، قال الشاعر : « من أن شجارك طلل عامي » والعلهز : طعام
من الدم والوبر كان يتخذ في المجاعة ، والفسل : الرىء الرذل من كل شيء .
(٢) المربع الحصيب ، أى تخصب به الأرض التى ينزل عليها . (٣) أى متداولاً بين البلاد ، يقال
كل منها نصيبه منه ، والسجل بالفتح : النصيب والدلو المماوة العظيمة ، ويقال الحرب سجال : أى نصرتها
بين القوم متداولة سجل منها على هؤلاء وآخر على هؤلاء . (٤) الغدق : الماء الكثير .
(٥) أى ما كنا للأرض مغطياً لها ، يقال غيث طبق : أى عام واسع يطبق الأرض .
(٦) هو جمع درة بالكسر ، يقال للسحاب درة : أى صب واندفاق ، وقيل الدرر : الدار ، كقوله تعالى :
« دينا قوماً » أى قائماً .

(٧) أى غير بطيء . (٨) ألقى السحابة أرواقها : أى مطرها ووبلها .

(٩) انكشف . (١٠) النواحد : أقصى الأضراس .

عباد الله بتقوى الله ، وَأَحْتَسِبُ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَأَسْتَفْتِحُ^(١) بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ، أَمَا بَعْدُ : أَيُّهَا
النَّاسُ اسْمَعُوا مِنِّي أَيْبُرُ لَكُمْ ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا فِي مَوْقِفِي هَذَا .
أَيُّهَا النَّاسُ : إِن دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ ، إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ
هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا . أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد ! فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ
أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ أَيْتَمَنَهُ عَلَيْهَا ، وَإِنْ رُبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، وَإِنْ أَوْلَ رَبًّا أَبْدَأَ بِهِ
رُبَا عَمِّي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَإِنْ دِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ ، وَإِنْ أَوْلَ دِمًّا نَبْدَأُ بِهِ دِمَّ
عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحُرْثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ^(٢) ، وَإِنْ مَأْتَرُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ غَيْرَ السِّدَّانَةِ
وَالسَّقَايَةِ ، وَالْعَمْدُ قَوْدٌ^(٣) ، وَشَبَّهَ الْعَمْدَ مَا قُتِلَ بِالْعَصَا وَالْحِجْرِ وَفِيهِ مِائَةٌ بَعِيرٍ ، فَمَنْ زَادَ ،
فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِن الشَّيْطَانَ قَدْ يَتَّبِعُ أَنْ يُعْبَدَ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ ، وَلَكِنَّهُ^(٤) قَدْ رَضِيَ أَنْ
يَطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تُحَقِّرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا النَّسِيءُ^(٥) زِيَادَةٌ

(١) الاستفتاح : الافتتاح والاستنصار . (٢) وكان مسترضعا في بني ليث فقتلته بنو هذيل .
(٣) القود : القصاص ، أي من قتل عمدا يقتل . (٤) في رواية الكامل لابن الأثير : « إن
الشيطان قد يتبس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه يطاع فيما سوى ذلك ؛ وقد رضى بما تحقرون من
أعمالكم » . (٥) أي تأخير حرمة شهر إلى آخر ، وذلك أن العرب في الجاهلية كانوا إذا جاء شهر حرام
وهم محاربون أحلوه ، وحرّموا مكانه شهرا آخر فيحلون المحرم ، ويحرمون صفرا ، فإن احتاجوا أحلوه
وحرّموا ربيعا الأول ، وهكذا حتى استدار التجريم على الشهور السنة كلها ، وكانوا يعتبرون في التحريم
بمجرد العدد لا خصوصية الأشهر المعلومة ، وأول من أحدث ذلك جنادة بن عوف الكناني ، كان يقوم على جعل
في الموسم فينادي : إن آلتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ، ثم ينادي في القبائل : إن آلتكم قد حرمت
عليكم المحرم . فحرموه - زيادة في الكفر ، أي كفر آخر ضمّوه إلى كفرهم . ليواطئوا : أي يوافقوا عدة
الأشهر الأربعة المحرمة ، وكانوا ربما زادوا في عدد الشهور بأن يجعلوها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع
لهم الوقت ويجعلوا أربعة أشهر من السنة حراما أيضا ، ولذا نص على العدد المبين في الكتاب والسنة ؛ وكان
وقت حجهم يختلف من أجل ذلك ، وكان في السنة التاسعة التي حج فيها أبو بكر بالناس في ذي القعدة ،
وفي حجة الوداع في ذي الحجة ، وهو الذي كان على عهد إبراهيم الخليل ومن قبله من الأنبياء ، ولذا قال
عليه الصلاة والسلام « إن الزمان قد استدار . . . الخ » - راجع تفسير الألوسي ج ٣ ص ٣٠٥

في الكفر يُضَلُّ به الذين كفروا يُحَاوِنُهُ عَامًّا وَيُحْرِمُونَهُ عَامًّا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ،
وَإِنْ الزَّمَانُ قَدْ أُسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَإِنْ عِدَّةُ الشُّهُورِ عِنْدَ
اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ ، يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ،
ثَلَاثَةٌ مَتَوَالِيَاتٌ ، وَوَاحِدٌ فَرْدٌ : ذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ ، وَالْمُحَرَّمُ ، وَرَجَبٌ ^(١) الَّذِي بَيْنَ
جُمَادَى وَشَعْبَانَ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد !

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ لِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ ، لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلَا يُؤْتِيَنَّ
فَرْشَكُمْ غَيْرَكُمْ ، وَلَا يُدْخِلَنَّ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ بِيُوتِكُمْ إِلَّا بِإِذْنِكُمْ ، وَلَا يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ ، فَإِنْ فَعَلَنَّ
فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أُذِنَ لَكُمْ أَنْ تَعْضُلُوهُنَّ ^(٢) وَتَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ
مُبْرَحٍ ، فَإِنْ أَنْهَيْتِهِنَّ وَأَطَعْتِهِنَّ فَعَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَإِنَّمَا النِّسَاءُ عِنْدَكُمْ
عَوَانٍ ^(٣) لَا يَمْلِكُنَّ أَنْفُسَهُنَّ شَيْئًا ، أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ ، وَأَسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةٍ
اللَّهُ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ ، وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْرًا ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد !

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، وَلَا يَحِلُّ لِمَرِيٍّ مَالُ أَخِيهِ إِلَّا عَنِ طَيْبِ نَفْسٍ
مِنْهُ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد ! فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كِفَارًا يُضْرِبُ بَعْضَكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ
فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ ، كِتَابَ اللَّهِ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟
اللَّهُمَّ اشْهَد !

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ رَبِّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنْ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، كَلُّكُمْ لِيَادَمَ ، وَآدَمٌ مِنْ تَرَابٍ ،
أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ، وَلَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجْمِي فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟
اللَّهُمَّ اشْهَد ! قَالُوا نَعَمْ . قَالَ : فليبلغ الشاهد الغائب .

(١) قالوا في ثنية رجب وشعبان رجبان للتغليب .

(٢) العضل : الحبس والتضييق . (٣) جمع عانية من عنا ، أي خضع وذل ، والمعاني : الأسر

أيها الناس : إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، ولا يجوز لو ارث وصية ، ولا يجوز وصية في أكثر من الثلث ، والولد للفراش وللعاهر الحجر^(١) ، من ادعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل^(٢) ، والسلام عليكم ورحمة الله .

(البيان والتبيين ٢ : ١٥ ، العقد الفريد ٢ : ١٣ ، إيجاز القرآن ١١١ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤١ ، تاريخ الطبري ٣ : ١٦٨ ، الكامل لابن الأثير ٢ : ١٤٦ ، سيرة ابن هشام ٢ : ٣٩٠)

١٤ - خطبته في مرض موته

عن الفضل بن عباس قال : جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت إليه فوجدته مَوْعُوكًا قد عَصَبَ رأسه ، فقال : خذ بيدي يا فضل ، فأخذت بيده حتى جلس على المنبر ، ثم قال ناد في الناس ، فاجتمعوا إليه ، فقال :

« أما بعد : أيها الناس فإنني أحمدُ إليكم الله الذي لا إلهَ إلا هو ، وإنه قد دنا مني خُفُوقٌ^(٣) من بين أظهركم ، فمن كنتُ جلدتُ له ظَهْرًا ، فهذا ظَهْرِي فَلْيَسْتَقِدْ^(٤) منه ومن كنت شتمتُ له عِرْضًا ، فهذا عِرْضِي فَلْيَسْتَقِدْ منه ، ومن أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه ، ولا يَخْشَ الشَّحْنَاءَ مِنْ قِبَلِي ، فإنها لبست من شأني ، ألا وإنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ مَنْ أَخَذَ مِنِّي حَقًّا إِنْ كَانَ لَهُ ، أَوْ حَلَلَنِي فَلَقِيْتُ رَبِّي وَأَنَا طَيِّبُ النَّفْسِ ، وقد أرى أن هذا غير مُغْنٍ عَنِّي حَتَّى أَقُومَ فِيكُمْ مَرَارًا » .

(١) وللعاهر : أي الزاني ، أي لاحق له في النسب ولا حظ له في الولد ، وإنما هو لصاحب الفراش أي اصحاب أم الولد وهو زوجها أو مولاها ، وهو كقبوله الآخر : أي التراب ، أي لاشيء له .
(٢) الصرف : التوبة . والعدل : الفدية ، وقيل الصرف القيمة . والعدل المثل ، وأصله في الفدية يقال : لم يقبلوا منهم صرفاً ولا عدلاً ، أي لم يأخذوا منهم دية ولم يقتلوا بقتيلهم رجلاً واحداً ، أي طلبوا منهم أكثر من ذلك ، ثم جعل بعد في كل شيء حتى صار مثلاً فيمن لم يؤخذ منه الذي يجب عليه وأنزم أكثر منه .
(٣) خفق النجم يخفق خفوقاً : غاب ، والطارئ طار ، والليل ذهب أكثره . (٤) فليقتص (من القود) وهو القصاص ، أقاد القاتل بالقتيل قتله به ، واستقاد الحاكم سأله أن يقيد القاتل بالقتيل .

ثم نزل فصلي الظهر ، ثم رجع فجلس على المنبر فعاد لمقاتته الأولى ، فادعى عليه رجل بثلاثة دراهم ، فأعطاه عوضها ، ثم قال : « أيها الناس ، من كان عنده شيء فليؤده ولا يقل فضوح الدنيا ، ألا وإن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة » ثم صلى على أصحاب أحد وأستغفر لهم ، ثم قال : « إن عبداً خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده ، فبكي أبو بكر ، وقال : فدينك بأنفسنا وآبائنا . »

(تاريخ الطبري ٢ : ١٩١ : والكامل لابن الأثير ٢ : ١٥٤)

١٥ - خطبة أكرم بن صيفي يدعو قومه إلى الإسلام

لما ظهر النبي عليه الصلاة والسلام بمكة ، ودعا الناس إلى الإسلام بعث أكرم بن صيفي ابنه حبيشاً ، فاتاه بخبره ، فجمع بني تميم وقام فيهم خطيباً فقال :
 « يا بني تميم : لا تحضروني سفياً ، فإنه من يسمع يخال^(١) ، إن السفية يوهن من فوقه ، ويتبب من دونه^(٢) . لا خير فيمن لا عقل له . كبرت سنّي ودخلتني ذلة ، فإذا رأيتم مني حسناً فاقبلوه ، وإن رأيتم مني غير ذلك فقوموني أستقيم . إن ابني شافه هذا الرجل مشافهاً ، وأتاني بخبره ، وكتابه يأمر فيه بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويأخذ فيه بمحاسن الأخلاق ، ويدعو إلى توحيد الله تعالى ، وخالع الأوثان ، وترك الحلف بالنيران ، وقد عرف ذور الرأي منكم أن الفضل فيما يدعو إليه ، وأن الرأي ترك

(١) خال : ظن ، ومضارعه إخال بالكسر وهو الأفضح ، وبنو أسد يقولون أخال بانفتح وهو القياس ، وقوله « من يسمع يخال » مثل ، معناه من يسمع أخبار الناس ومعايهم يقع في نفسه عليهم المكروه .
 (٢) في مجمع الأمثال « ويثبت من دونه » من أثبتته : أي أثخنه بالجراح ، والمعنى يضعف ويوهن ، ومنه قوله تعالى : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك » ليثبتوك : أي يجرحوك جراحة لاتقوم معها أو يحبسوك ، وفي شرح العيون « ويتبب من دونه » من تببه بالتشديد : أي أهلكه ، ومنه قوله تعالى : « وما زادوهم غير تبديد » .

ما يَنْهَى عَنْهُ ، إن أحق الناس بمعونة محمد - صلى الله عليه وسلم - ومساعدته على أمره أنتم ، فإن يكن الذي يدعو إليه حقاً ، فهو لكم ^(١) دون الناس ، وإن يكن باطلا كنتم أحقّ النَّاسِ بالكفِّ عنه وبالستر عليه ، وقد كان أُسْقِفُ نَجْرَانَ يُحَدِّثُ بصفته ، وكان سُفْيَانُ بْنُ مُجَاشِعٍ يُحَدِّثُ بِهِ قَبْلَهُ ، وَسَمَّى ابْنَهُ مُحَمَّدًا ، فَكَوْنُوا فِي أَمْرِهِ أَوْلَا ، وَلَا تَكُونُوا آخِرًا ، ائْتُوا طَائِعِينَ قَبْلَ أَنْ تَأْتُوا كَارِهِينَ ، إن الذي يدعو إليه محمد - صلى الله عليه وسلم - لو لم يكن ديناً كان في أخلاق الناس حسناً ، أطيعوني واتَّبِعُوا أَمْرِي ، أَسْأَلُ لَكُمْ أَشْيَاءَ لَا تُنْزَعُ مِنْكُمْ أَبَدًا ، وَأَصْبَحْتُمْ أَعَزَّ حَيٍّ فِي الْعَرَبِ ، وَأَكْثَرَهُمْ عِدَدًا ، وَأَوْسَعَهُمْ دَارًا ، فَإِنِّي أَرَى أَمْرًا لَا يَجْتَنِبُهُ عَزِيزٌ إِلَّا ذَلَّ ، وَلَا يَبَازِمُهُ ذَلِيلٌ إِلَّا عَزَّ ، إِنْ الْأَوَّلُ لَمْ يَدَعْ لِلْآخِرِ شَيْئًا ، وَهَذَا أَمْرٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ ، مِنْ سَبَقِ إِلَيْهِ غَمْرِ الْمَعَالِي ^(٢) ، وَاقْتَدَى بِهِ التَّالِي وَالْعَزِيمَةُ حَزْمٌ ، وَالِاخْتِلَافُ عَجْزٌ .

فَقَالَ مَالِكٌ ^(٣) بِنُوبِرَةَ : قَدْ خَرَفَ شَيْخُكُمْ ، فَلَا تَتَعَرَّضُوا لِلْبَلَاءِ ، فَقَالَ أَكْثَمُ :
وَيْلٌ لِلشَّجِيِّ مِنَ الْخَلِيِّ ، وَالْهَفِيِّ عَلَى أَمْرٍ لَمْ أَشْهَدْهُ وَلَمْ يَسْعُنِي ^(٤) .
ثُمَّ رَحَلَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَاتَ فِي الطَّرِيقِ ، وَبَعَثَ بِإِسْلَامِهِ مَعَ مَنْ أَسْلَمَ
مَنْ كَانَ مَعَهُ ^(٥) . (مجمع الأمثال ٢ : ٢١٨ ، شرح العيون ص ١٤) .

(١) يريد للعرب .

(٢) من غمره الماء : أى غطاه . (٣) وقد أسلم ثم ارتد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم في بعض بني تميم ، وسار إليه خالد بن الوليد فقتله ، وقصته في التاريخ مشهورة .

(٤) وفي شرح العيون : ولم يسعني . (٥) وذكر عن ابن عباس أن قوله تعالى :

« وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ » نزل في أكثم ومن تبعه من أصحابه .

١٦ - وصية أبي طالب لوجوه قريش عند موته

لما حضرت أبا طالب^(١) الوفاة ، جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم فقال :

« يا معشر قريش : أنتم صفوة الله من خلقه ، وقلب العرب ، فيكم السيد المطاع ، وفيكم المقدم الشجاع ، الواسع الباع ، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه ، ولا شرفاً إلا أدركتموه ، فلستم بذلك على الناس الفضيلة ، ولهم به إليكم الوسيلة ، والناس لكم حرب ، وعلى حربكم ألب^(٢) ، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية - يعني الكعبة - فإن فيها مرصاة للرب ، وقواماً للعاش ، وثباتاً للوطأة ، صلوا أرحامكم فإن في صلة الرحم منسأة^(٣) في الأجل ، وزيادة في العدد ، اتركوا التغي والعقوق ، ففيهما هلكت القرون قبلكم ، أجيئوا الداعي ، وأعطوا السائل ، فإن فيهما شرف الحياة والمات ، وعليكم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، فإن فيهما محبة في الخالص ، ومكرمة في العام .

وإني أوصيكم بمحمد خيراً ، فإنه الأمين في قريش ، والصديق في العرب ، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به ، وقد جاءنا بأمر نبيه الجنان^(٤) ، وأنكره اللسان ، مخافة الشنان^(٥) ، وأيم الله كأي أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته ، وصدقوا كلمته ، وعظّموا أمره ، فحاض بهم غمرات الموت ، وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنانها ، ودورها خراباً ، وضعفاؤها أرباباً^(٦) ، وإذا

(١) توفي في السنة العاشرة من النبوة وهو ابن بضع وثمانين سنة ، وإسلامه مختلف فيه « اقرأ فصلاً طويلاً في ذلك في شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٣١١ » .

(٢) أي ذور ألب ، والألب : التدبير على العدو من حيث لا يعلم .

(٣) أي فسحة وامتداداً : من نساء ، أي آخره . (٤) القلب . (٥) البغض والكراهية .

(٦) سادة .

أعظمهم عليه أحوجهم إليه ، وأبعدهم منه أخطأهم عنده ، قد محضته^(١) العرب وِدَادَهَا
وأصفت له بلادها ، وأعطته قيادها ، يامعشر قريش : كونوا له وُلاةً ، وِلِيزِبِهِ حِمَاةً ،
والله لا يسلك أحد سبيله إلا رَشِدًا ، ولا يأخذ بهديه أحد ، إلا سَعِدَ ، ولو كان لنفسي
مُدَّةٌ ، وفي أَجَلِي تَأخِيرٌ ، لكففت عنه المَزَاهِرَ^(٢) ، ولدافعت عنه الدَّوَاهِيَ .

(بلوغ الأرب ١ : ٢٢٧)

(١) محضه الود ، وأحضه : أخلصه .

(٢) المزهز والمزهزة : تحريك البلياء والحروب الناس .

خطب الوفود

١٧ - خطبة عطار د بن حاجب بن زرارة

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع للهجرة عطار د بن حاجب بن زرارة ، في أشرف من بني تميم ، فلما دخل الوفد المسجد نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحُجرات : أن اخرج إلينا يا محمد ، فأذى ذلك من صياحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك لنفاخرك ، فأذن لنا وخطبنا ، قال نعم ، قد أذنت لخطيبكم فليقل ، فقام إليه عطار د فقال :

« الحمد لله الذي له علينا الفضل ، وهو أهله ، الذي جعلنا ملوكاً ، ووهب لنا أموالاً عظيماً ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق ، وأكثره عدداً ، وأيسره عدداً ، فمن مثلنا في الناس ، أسنا برءوس الناس وأولى فضلهم ؟ فمن يفاخرنا فليعدد مثل ما عددنا ، وإننا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكننا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وإننا نعرف بذلك أقول هذا الآن إلتأتونا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا ، ثم جلس . »
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن الشماس ، قم فأجب الرجل في خطبته ، فقام ثابت فقال :

١٨ خطبة ثابت بن قيس بن الشماس

« الحمد لله الذي : السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه علمه ، ولم يك شيء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً ، واصطفى

من خير خلقه رسولا ، أكرمهم نسبًا ، وأصدقهم حديثًا ، وأفضلهم حسابًا ، فأنزل عليه كتابه ، وأتمنه على خلقه ، فكان خيرَ الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان ، فأمن برسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون من قومه وذوى رحمة ، أكرم الناس أنسابًا ، وأحسن الناس وجوهًا ، وخير الناس فعالًا ، ثم كان أول الخلق استجابة لله ، حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحنُ ، فنحن أنصار الله . ووزراء رسوله ، نقائلُ الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منعه الله دمه ، ومن كفر جاهدناه في الله أبدًا ، وكان قتله علينا يسيرًا ، أقول قولى هذا ، وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم .

ثم قالوا يا محمد : ائذن لشاعرنا ، فقال نعم ، فقام الزبير بن بدر ، فأنشد قصيدة في الفخر ، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى حسان بن ثابت فردَّ عليه ، فقال الأقرع ابن حابس التميمي . إن هذا الرجل لمؤتى له ، نخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، وأصواتهم أعلى من أصواتنا ، فلما فرغ القوم أسلموا ، وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأحسن جوائزهم .

(تاريخ الطبرى ٣ : ١٥٠ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٣٩ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٣)

وصبح الأعشى ١ : ٣٧٣ .

١٩ - عمرو بن الأهتم والزبير بن بدر

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الأهتم عن الزبير بن بدر^(١) فقال عمرو : « مطاع في أدنائه^(٢) ، شديد العارضة^(٣) . مانع لما وراء ظهره » فقال الزبير بن بدر :

(١) هما سيدان من بني نعيم . (٢) أى فى الأذنين منه : أى الأقربين ، وأصله أدنين حذف نونه

(٣) العارضة : قوة الكلام وتنقيحه ، والرأى الجيد .

لإضافته إلى الضمير .

« والله يا رسول الله ، إنه ليعلم مني أكثر مما قال ، وإنه ليكنه حسدني شرفي » فقال عمرو :
 « أما لئن قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضيق الصدر ، زَمِرَ المروءة^(١) ، أحق الوالد ،
 لئيم الخال ، حديث الغني » فلما رأى أنه خالف قوله الآخر قوله الأول ، ورأى الإنكار
 في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يا رسول الله رضيت ، فقلت أحسن ما علمت ،
 وغضبت فقلت أفبح ما علمت ، وما كذبت في الأولى ، ولقد صدقت في الأخرى .
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك : « إِنَّ مِنْ الْبَيَانَ لَسِحْرًا » .

(البيان والتبيين ١ : ٣١ ، والمعقد الفريد ١ : ١١٧ ، ومجمع الأمثال للميداني ١ : ٥)

٢٠ - خطبة طهفة بن أبي زهير النهدي

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما قَدِمَت وفودُ العرب على النبي صلى الله عليه وسلم قام طهفة بن أبي زهير النهدي
 فقال : « يا رسول الله أتيناك من غوري^(٢) تهامة بأكوار الميس ، ترمى بنا العيس^(٣)
 نستحلب الصبير^(٤) ، ونستجاب الخبير^(٥) ، ونستعضد^(٦) البرير ، ونستخيل الرهام^(٧) ،
 ونستحيل الجهام^(٨) ، من أرض غائلة النطاء^(٩) ، غليظة الوطاء ، نشف المدهن^(١٠) ،

(١) قليل المروءة . (٢) الغور : كل ما انحدر مغرباً عن تهامة ، والأكوار : جمع كور بالضم ، وهو الرجل أو بأداته ، والميس : شجر عظام أي بالأكوار المصنوعة منه . (٣) العيس جمع عيساء : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . (٤) الصبير : السحاب الكثيف . (٥) العشب . (٦) استعضد الثمرة : اجتناها ، والبرير : ثمر الأراك ، وكانوا يأكلونه وقت الجذب لقلّة الزاد . (٧) الرهم جمع رهمة بالكسر : وهي المطر الضئيف الدائم . ونستخيل : نخال ونظن . وسحابة نخيلة بضم فكسر : أي تحسبها ماطرة . (٨) الجهام : السحاب قد أراق ماءه . (٩) النطاء : البعد ، أي بعينة بعد ما مهلكا . (١٠) مستنقع الماء : أو كل موضع حفره سيل ، ونشف الحوض الماء : شربه .

وَيَبِسَ الْجُعَيْنِ^(١) ، وَسَقَطَ الْأُمْلُوجُ^(٢) ، وَمَاتَ الْعُسْلُوجُ^(٣) ، وَهَلَكَ الْهَدْيُ^(٤) ،
 وَمَاتَ الْوَدْيُ^(٥) ، بَرِثْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْوَتْنِ وَالْعَثَنِ^(٦) ، وَمَا يَحْدِثُ الزَّمَنُ ،
 لَنَا دَعْوَةُ السَّلَامِ ، وَشَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ ، مَا طَمَعَى^(٧) الْبَحْرُ ، وَقَامَ تِعَارٌ^(٨) ، وَلَنَا نَعَمٌ ،
 كَهَمَلٍ^(٩) أَغْفَالٍ^(١٠) ، مَا تَبَيَضَ^(١١) بِيَلَالٍ ، وَوَقِيرٌ^(١٢) كَثِيرُ الرَّسَلِ ، قَلِيلُ الرَّسَلِ ، أَصَابَهَا
 سُنِّيَّةٌ حَمْرَاءُ مُؤَزَّلَةٌ^(١٣) ، لَيْسَ بِهَا عَالٌّ وَلَا نَهْلٌ .

٢١ - رده صلى الله عليه وسلم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اللَّهُمَّ بَارِكْ لِهِمْ فِي مَحْضِهَا^(١٣) وَنَحْضِهَا وَمَذْقِهَا ، وَابْعَثْ رَاعِيَهَا فِي الدَّثْرِ^(١٤)
 بِيَانِعِ الثَّمَرِ ، وَافْجُرْ لَهُ الثَّمَدَ^(١٥) ، وَبَارِكْ لَهُ فِي الْمَالِ وَالْوَلَدِ . مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ كَانَ مُسَلِّمًا ،
 وَمَنْ آتَى الزَّكَاةَ كَانَ مُحْسِنًا ، وَمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَانَ مُخْلِصًا ، يَا بَنِي نَهْدٍ ،
 وَدَائِعِ^(١٦) الشَّرِكِ ، وَوَضَائِعِ الْمُلْكِ ، لَا تُلْطِطِ فِي الزَّكَاةِ ، وَلَا تُلْجِدِ فِي الْحَيَاةِ ، وَلَا تَتَأَقَلْ
 (العقد الفريد ١ : ١١٣)

عن الصلاة

(١) أصل النبات . (٢) ورق كورق السرو لشجر بالبادية . (٣) مالان واخضر من
 القضبان . وعسلجت الشجرة : أخرجته . (٤) ما يهدى إلى مكة لينحر . (٥) الودى الفسيل (النخل
 الصغار) . (٦) الصنم الصغير . (٧) امتلأ وعلا . (٨) جبل بيلاد قيس . (٩) مهملة .
 والأغفال جمع غفل بالضم : وهو ما لاسمة عليه من الدواب . (١٠) بضع الماء يبض : سال قليلا
 قليلا ، والبلال : البلل ، والمراد قلة اللبن . (١١) القطيع من الغنم . (١٢) الرسل : القطيع من
 كل شيء ، والرسل : اللبن ، وسنية : تصغير تعظيم لسنة ، وهي القحط والمجاعة ، وحمراء : أى شديدة ،
 ومؤزلة : ذات أزل بسكون الزاي ، وهو الضيق والشدة . (١٣) اللبن الخالص ، ونحض اللبن : أخذ
 زبده : والمذيق : اللبن الممزوج بالماء ، مذاقه فامتدق . (١٤) الدثر : المال الكثير . وقيل هو الكثير
 من كل شيء ، وأراد به هنا الخصب والنبات الكثير .

(١٥) الماء القليل لامادة له ، أو ما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف . (١٦) أى الغنائم
 التي تغنم من المشركين وتودع بيت مال المسلمين ، ليقوموا بها على شئونهم ، والوضائع جمع وضيفة : وهى =

٢٢ - خطبة ظبيان بن حداد

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

وقد ظبيان بن حداد في سرة مذحج على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثناء على الله عز وجل بما هو أهله :

« الحمد لله الذي صدع^(١) الأرض بالنبات ، وفتق السماء بالرجع^(٢) ، ثم قال : نحن قوم من سرة مذحج من يمحابر^(٣) بن مالك ، ثم قال : فتوقلت^(٤) بنا القلاص من أعلى الحوف ورءوس الهضاب ، يرفعها عرر^(٥) الرُّبَا ، ويخفضها بطنان الرقاق ، وتلحقها دياحي الدجى ، ثم قال : وسرورات الطائف كانت لبني مهلائيل بن قينان ، غرسوا وديانته ، وذللوا خشانته^(٦) ورعوا قربانه ، ثم ذكر نوحًا حين خرج من السفينة بمن معه ، قال فكان أكثر بنيه بنات ، وأسرعهم نباتا ، عاد وثمود ، فرماهم الله بالدمالق^(٧) ، وأهلكهم بالصواعق ؛ ثم قال : وكانت بنوهانى من ثمود تسكن

= ما يأخذه السلطان من الخراج والعشور. يريد أن يقول لهم: إن موارد المال للأمة الإسلامية هما هذان الركنان الغنائم والزكاة ، فلا تعطلوا الزكاة ، ولذا عقب ذلك القول بقوله : لا تلتط في الزكاة أى لا تمنعها : لطلت حقه جمده كالتطت ، ولا تلحد في الحياة : أى لا يجرى منكم ميل عن الحق ما دمتم أحياء ، ولا تشاقل عن الصلاة : أى عن أدائها في وقتها ، ويروى : ولا يلطط في الزكاة ، ولا يلحد في الحياة (بالبناء للمجهول) ولا تشاقل عن الصلاة . (١) شق . (٢) المطر بعد المطر . (٣) هو مراد بن مالك (وهو مذحج) ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن يزيد بن كهلان . (٤) توقلت في الجبل . صعد ، والقلاص جمع قلوص : وهى الناقة الشابة أو الباقية على السير ، والحوف : بلاد بعمان . (٥) فى الأصل : « عوار » ولا معنى له هنا ، وأرى أن صوابه « عرر » جمع عرة كقبة وعره السنام : الشحمة العليا ، أى ذروته وأعلاه : أى أنها تسير فى أعلى الربا وذراها : وربما كان الأصل « عراعر » بفتح العين الأولى جمع عرعره بضمهما ، وعرعره الجبل والسنام وكل شيء : رأسه ، وبطنان جمع باطن : وهو الغامض من الأرض : أى المطمئن منها ، والرقاق جمع رق بالفتح ، وهى كل أرض إلى جنب واد ينسبط الماء عليها أيام المد ثم ينضب ودياجى الليل حناده كأنه جمع ديجاة ، والدجى جمع دجية : وهى الظلمة . (٦) الحشن والأخشن : الأخرش من كل شيء جمعه خشان . (٧) الأملس : المستدير من الحجارة .

الطائف ، وهم الذين خَطُّوا مشاربها ، وَأَتَوْا جَدَاوِلَهَا^(١) ، وَأَحْيَوْا غِرَاسَهَا ، ورفَعُوا عَرِيشَهَا ، ثم قال : وَإِنَّ حَمِيرَ مَلَكَوْا مَعَاقِلَ الْأَرْضِ وَقَرَّارَهَا ، وَكُهُولَ النَّاسِ وَأُغْمَارَهَا^(٢) وِرءِ مِوَسِ الْمُلُوكِ وَعَرَّارَهَا ، فَكَانَ لَهُمُ الْبَيْضَاءُ وَالسُّودَاءُ ، وَفَارِسَ الْحِمْرَاءَ ، وَالْجَزْيَةَ الصَّفْرَاءَ^(٣) ، فَبَطَرُوا النِّعَمَ ، وَاسْتَحَقُّوا النَّقْمَ ، فَضَرَبَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ، ثُمَّ قَالَ : وَإِنَّ قِبَائِلَ مِنَ الْأَزْدِ نَزَلُوا عَلَى عَهْدِ عَمْرٍو بْنِ عَامِرٍ ، فَفَتَحُوا فِيهَا الشَّرَائِعَ^(٤) ، وَبَنَوْا فِيهَا الْمَصَانِعَ^(٥) ، وَاتَّخَذُوا الدِّسَائِمَ^(٦) ، ثُمَّ تَرَامَتِ مَذْحِجٌ بِأَسَدَتِهَا ، وَتَنَزَّتْ^(٧) بِأَعْيُنَتِهَا ، فَغَلَبَ الْعَزِيزُ أَذَلَّهَا ، وَقَتَلَ الْكَثِيرَ أَقَلَّهَا ، ثُمَّ قَالَ : وَكَانَ بَنُو عَمْرٍو ابْنَ خَالِدِ بْنِ جَدِيمَةَ يَخْبِطُونَ عَضِيدَهَا^(٨) ، وَيَأْكُلُونَ حَصِيدَهَا ، وَيَرْشَحُونَ^(٩) حَصِيدَهَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ نَعِمَ الدُّنْيَا أَفْلٌ وَأَصْفَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ خُرءٍ بُعِيضَةٍ ، وَلَوْ عَدَلَتْ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحُ ذَبَابٍ لَمْ يَكُنْ لِكَافِرٍ مِنْهَا خَلَاقٌ ، وَلَا لِمُسْلِمٍ مِنْهَا لِحَاقٌ » .
(العقد الفريد ١ : ١١٠)

٢٣ - خطبة مالك بن نمط

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

وقدم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيهم مالك بن نمط أبو ثور
فقام بين يديه ثم قال :

(١) أتى الماء تأتيه سهل وأصلح مجراه ، أي سهلوا طرق المياه إليها . (٢) جمع غمر مثلث الغين : وهو الحدث لا تجربة له ، والعرار : الرفعة والسودد . (٣) أي الذهبية . (٤) جمع شريعة ، وهي مورد الشاربة كالشرعة . (٥) المباني من القصور والحصون . (٦) جمع دسيعة ، وهي الجفنة والسكرية . (٧) تنزى : توثب وتمرع . (٨) العصيد : ما قطع من الشجر ؛ أي يضربونه ليسقط ورقه فيتخذوه علفاً لإبلهم . (٩) الترشيح : التربية وحسن القيام على المال ، والحصيد : ما خضد من الشجر ونحى عنه ، وكل ما قطع من عود رطب (فعيل بمعنى مفعول) أي يصلحونه ويقومون بأمره .

« يا رسول الله ، نَصِيَّةٌ ^(١) من هَمْدَانَ ، من كل حَاضِرٍ وَبَادِيٍّ ، أَنْوَكٌ عَلَى قُلُوصٍ
 نَوَاجٍ ^(٢) ، متصلةٌ بِجبالِ الإسلامِ ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ، مِنْ مِخْلَافٍ ^(٣)
 خَارِفٍ ^(٤) ، وَيَامٍ ، وشَاكِرٍ ، أهل السَّوَادِ والقُرَى ، أَجابوا دعوة الرسول ، وفارقوا
 آلهةَ الأَنْصَابِ ^(٥) عهدُهُمْ لا يُنْقَضُ ، ما أقام لَعْلَعٌ ^(٦) ، وما جرى اليَغْفُورُ بِصُلْعٍ ^(٧) .
 (صبح الأعشى ٢ : ٢٤٤)

٢٤ - سفانة بنت حاتم

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

حَدَّثَ الإمامُ عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ قالَ : لما أتينا بسبايا طَيِّبٍ ، كانت في النساءِ
 جارية جميلة - وهي سَفَّانَةُ بنت حاتم ^(٨) - فلما رأيتها أُعْجِبْتُ بها ، فقلت لأطْلُبْنَهَا إلى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ليَجْمَلَهَا من فيئِي ، فلما تَكَلَّمْتُ أُنْسِبْتُ جَمالها ، لما سمعت
 من فصاحتها ، فقالت :

« يا محمد : هلاك الوالد ، وغاب الوافِد ، فإن رأيتَ أن تُخَلِّيَ عني ، فلا تُسَمِّتْ بي
 أحياء العرب ، فإنِّي بنت سيد قومي ^(٩) . كان أبي يَفُكُّ العاني ^(١٠) ، وَيَحْمِي الذَّمَّار ،

(١) النصية من القوم : الخيار ، وهمدان : من عرب اليمن . (٢) القلوص : جمع قلووص ؛ وهي
 من الإبل الشابة أو الباقية على السير ، والنواجي : جمع ناجية ، وهي المسرعة في السير . (٣) المخلاف
 الكورة . (٤) خارف : لقب مالك بن عبد الله أبي قبيلة من همدان ، ويام ، وشاكر ، قبيلتان من
 همدان باليمن . (٥) الأنصاب : جمع نصب بضم نين ، وهو حجر نصب وعبد من دون الله ، وقيل
 النصب جمع واحدها نصاب ، قيل هي الأصنام وقيل غيرها . (٦) اسم جبل . (٧) اليعفور : ولد
 البقرة الوحشية ، والصلع : الموضع لاينبت شيئا .

(٨) السفانة في الأصل : اللزوة . (٩) جواب الشرط محذوف وهذا تعليل له أي فافعل فإن . .

(١٠) العاني : الأسير .

وَيَقْرِي الضَّيْفَ ، وَيُشْبِعُ الجَائِعَ ، وَيُفَرِّجُ عَنِ المَكْرُوبِ ، وَيَطْعَمُ الطَّعَامَ ، وَيُفِشِي
السَّلَامَ ، وَلَمْ يَرُدَّ طَالِبَ حَاجَةٍ قَطُّ ، أَنَا بِنْتُ حَاتِمِ طَيْبٍ .
فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا جَارِيَةَ هَذِهِ صِفَةُ المُؤْمِنِ ، لَوْ كَانَ أبوكَ
إِسْلَامِيًّا لَتَرَحَّمْنَا عَلَيْهِ ، خَلَّوْا عَنْهَا ، فَإِنَّ أَبَاهَا كَانَ يَجِبُ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ ، وَاللَّهُ يَجِبُ
مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ » .
(الأغاني ۱۶ : ۹۳)

۲۵ - وصية دريد بن الصمة

قال دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ لِمَالِكِ بن عَوْفِ النَّصْرِيِّ قَائِدِ هَوَازِنَ يَوْمَ حُنَيْنٍ (۱) :
« يَا مَالِكُ ، إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ رَئِيسَ قَوْمِكَ ، وَإِنْ هَذَا يَوْمٌ لَهَ مَا بَعْدَهُ مِنْ أَيَّامٍ ،
مَالِي أَسْمَعُ رُغَاءَ البَعِيرِ ، وَنَهَيْقَ الحَمِيرِ ، وَبِكَاءَ الصَّغِيرِ ، وَيُعَارُ (۲) الشَّاءَ . قَالَ : سَقْتُ مَعَ
النَّاسِ أبنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالَ : أَرَدْتُ أَنْ أَجْعَلَ خَلْفَ كُلِّ رَجُلٍ أَهْلَهُ
وَمَالَهُ ، لِيُقَانِلَ عَنْهُمْ ، فَأَنْقَضَ بِهِ (۳) ، ثُمَّ قَالَ رَاعِي (۴) ضَانَ وَاللَّهِ ، وَهَلْ يَرُدُّ المَنْهَزِمُ شَيْءًا ؟
إِنِّهَا إِنْ كَانَتْ لَكَ ، لَمْ يَنْفَعَكَ إِلَّا رَجُلٌ بِسَيْفِهِ وَرِجْحِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ ، فَضِحَّتْ
فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، وَيَحْكُ ، إِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ بِتَقْدِيمِ البَيْضَةِ (۵) بِيضَةَ هَوَازِنَ إِلَى نَحْوِ الخَيْلِ
شَيْئًا ، أَرْفَعَهُمْ إِلَى مَمْتَنَعِ بِلَادِهِمْ ، وَعَلْيَاءِ قَوْمِهِمْ ، ثُمَّ أَلْقِ الصَّبَا (۶) عَلَى مَتُونِ الخَيْلِ ، فَإِنْ
كَانَتْ لَكَ لِحَقِّ بَكَ مِنْ وَرَاءِكَ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ ، كُنْتَ قَدْ أَحْرَزْتَ أَهْلَكَ وَمَالَكَ .

(۱) غزوة حنين كانت بين المسلمين وبين هوازن وثقيف سنة ثمان بعد الفتح انهزم فيها المسلمون أو لا
ثم لموا شعهم وشدوا على عدوهم فهزموهم . (۲) اليعار : صوت الغنم أو المعزى أو الشديد من أصوات
الشاء . (۳) يقال أنقض أصابعه : ضرب بها لتصوت ، وأنقض بالدابة : ألصق لسانه بالحنك ثم صوت
في حافتيه . (۴) يضرب به المثل في الحمق فيقال : « أحق من راعي ضأن » .
(۵) بيضة القوم : جماعتهم وأصلهم ، وفي الحديث : « ولا تسلط عليهم عدوا من عدوهم فيستبيح
بيضتهم » يريد جماعتهم وأصلهم . (۶) أي ذوى الصبا : أي الشبان .

قال لا والله ما أفعل ، إنك قد كبرت وذهل عقلك . قال دريد : هذا يوم لم أشهده ، ولم يفتني ، ثم أنشأ يقول :

يا ليتني فيها جذع^(۱) أحب فيها وأضع^(۲)
أقود وطفاء الزممع^(۳) كأنها شاة صدع^(۴)

(سيرة ابن هشام ۲ : ۲۸۹ ، العقد الفريد ۱ : ۴۱)

۱۶ - وصية عمير بن حبيب الصحابي لبنيه

أوصى عمير بن حبيب بنيه فقال :

« يا بني إياكم ومخالطة السفهاء ، فإن مجالستهم داء ، وإن من يحلم عن السفية يسر
بحلمه ، ومن يجبه يندم ، ومن لا يقرّ بقرّ بعايل ما يأتي به السفية ، يقر بالكثير . وإذا أراد
أحدكم أن يأمر بالمعروف ، أو ينهى عن المنكر ، فليوطن قبل ذلك على الأذى ، وليوقن
بالثواب من الله عز وجل ، إنه من يوقن بالثواب من الله عز وجل لا يجد مسّ الأذى » .

(الأماي ۲ : ۶۰)

۲۷ - وصية قيس بن عاصم المنقري لبنيه

أوصى قيس بن عاصم المنقري بنيه فقال :

« يا بني ، خذوا عني ، فلا أحد أصلح لكم مني ، إذا دفتموني فانصرفوا إلى
رحالكم ، فسودوا أكبركم ، فإن القوم إذا سودوا أكبرهم خلفوا أباهم ، وإذا سودوا

(۱) الحبيب : ضرب من العدو ، ووضعت الناقة وأوضعت : أمرت في سيرها .

(۲) الوظف ؛ كثرة شعر الحاجبين والعينين ، والزمع جمع زمعة ؛ وهي هنة زائدة وراء الظلف أو
الشمرات المدلاة في مؤخر رجل الشاة ، والصدع : من الأوعال والإبل الفتى الشاب القوى .

أصغرهم ، أزرى ذلك بهم في أكفائهم ، وإياكم ومعصية الله ، وقطيعة الرحم ، وتمسكوا
بطاعة أمرائكم ، فإنهم من رفعوا ارتفع ، ومن وضعوا اتضع ، وعليكم بهذا المال فأصلحوه
فإنه منبّهة للكريم ، وَجَنَّةٌ لِعِرْضِ اللَّيْمِ ، وإياكم والمسألة ، فإنها أخير^(١) كسب
الرجل ، وإن أحداً لم يسأل إلا ترك الكسب ، وإياكم والنياحة ، فإنى سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ينهى عنها ، وادفونى فى ثيابى التى كنت أصلى فيها وأصوم ، ولا يعلم
بكر بن وائل بمدفنى ، فقد كانت بينى وبينهم مشاحنات فى الجاهلية والإسلام ، وأخاف
أن يدخلوا عليكم بي عاراً ، وخذوا عنى ثلاث خصال : إياكم وكلَّ عِرْقٍ لئيم أن تلابسوه
فإنه إن يسرركم اليوم ، يسؤكم غداً ، واكظموا الغيظ ، واحذروا بنى أعداء آبائكم ،
فإنهم على منهاج آبائهم ، ثم قال :

أحيا الضغائنَ آباءنا سلفوا فلن تبيدَ والآباءُ أبناءنا

(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ص ١٥٥ ، وتهذيب الكامل ١ : ١١)

(١) آخر بقصر الهمزة لاغير : أى أدنى وأرذل ، ومن رواه بالله أخطأ .

خطب يوم السقيفة

لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا :
 نُوِّلِيْ هَذَا الْأَمْرَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ ، وَأَخْرَجُوا سَعْدًا إِلَيْهِمْ
 وَهُوَ مَرِيضٌ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قَالَ لِابْنِهِ أَوْ بَعْضِ بَنِي عَمِّهِ ، إِنِّي لَا أَقْدِرُ لَشِكْوَايَ أَنْ أُسْمِعَ
 الْقَوْمَ كُلَّهُمْ كَلَامِي ، وَلَكِنْ تَلَقَّ مِنِّي قَوْلِي فَأَسْمِعْهُمْهُ ، فَكَانَ يَتَكَلَّمُ وَيَحْفَظُ الرَّجُلُ
 قَوْلَهُ : فَيَرْفَعُ صَوْتَهُ ، فَيَسْمَعُ أَصْحَابُهُ :

٢٨ - خطبة سعد بن عبادة

فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، لَكُمْ سَابِقَةٌ فِي الدِّينِ ، وَفَضِيلَةٌ فِي الْإِسْلَامِ ، أَيْسَتْ لِقَبِيلَةٍ مِنَ
 الْعَرَبِ ، إِنَّ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَبِثَ بِيضَ عَشْرَةِ سَنَةٍ فِي قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ
 الرَّحْمَنِ ، وَخَلَعَ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانَ ، فَمَا آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا رَجَالٌ قَلِيلٌ ، وَمَا كَانُوا
 يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَمْنَعُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا أَنْ يُعَزِّزُوا دِينَهُ ، وَلَا أَنْ يَدْفَعُوا
 عَنْ أَنْفُسِهِمْ ضَيْمًا عُمُوا بِهِ ، حَتَّى إِذَا أَرَادَ بِكُمْ الْفَضِيلَةَ سَأَلَ إِلَيْكُمْ الْكِرَامَةَ ، وَخَصَّكُمْ
 بِالنِّعْمَةِ ، فَرَزَقَكُمْ اللَّهُ الْإِيمَانَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ ، وَالْمَنْعَ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ ، وَالْإِعْزَازَ لَهُ وَلِدِينِهِ ،
 وَالْجِهَادَ لِأَعْدَائِهِ ، فَكُنْتُمْ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَى عَدُوِّهِ مِنْ غَيْرِكُمْ ، حَتَّى اسْتَقَامَتِ الْعَرَبُ
 لِأَمْرِ اللَّهِ طَوْعًا وَكَرْهًا ، وَأَعْطَى الْبَيْدُ الْمَقَادَةَ صَاغِرًا دَاخِرًا^(١) ، حَتَّى أَتَيْنَا^(٢)

(١) صاغرا ذليلا : من دخر كنع وفرح دخورا ودخرا بالتحريك .

(٢) أتينا فلانا : أوهه ، والمراد أخضع .

الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ، ودانت بأسيا فكم له العرب ، وتوفاه الله وهو
عنكم راضٍ ، وبكم قرير عَيْنٍ ، أَسْتَبِدُّوا بهذا الأمر دون الناس ، فإنه لكم دون
الناس .

فأجابوه بأجمعهم أن قد وفقت في الرأي ، وأصبت في القول ، ولن نعدو ما رأيت
نوليك هذا الأمر ، وأتى عمر الخبر ، فأقبل إلى أبي بكر فقال : « أما علمت أن الأنصار
قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، يريدون أن يولوا هذا الأمر سعد بن عبادة ؟
وأحسنهم مقالة من يقول : **مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْ قُرَيْشٍ أَمِيرٌ** » فمضيا مسرعين نحوهم ،
فلقيا أبا عبيدة بن الجراح فماشوا إليهم ثلاثتهم ، فجاهوا وهم مجتمعون . فقال عمر :
أتيناكم وقد كنت زويت^(١) كلاماً أردت أن أقوم به فيهم ، فلما أن دفعت إليهم ذهبت
لأبتدىء المنطق . فقال لي أبو بكر : رويداً حتى أتسكلم ، ثم انطق بعد بما أحبيت
فنطق . فقال عمر : فما شيء كنت أردت أن أقوله إلا وقد أتى به أوزاد عليه .

٢٩ - خطبة أبي بكر رضي الله عنه

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« إن الله بعث محمداً رسولاً إلى خلقه ، وشهيداً على أمته ، ليعبدوا الله ويوحّدوه ،
وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة ، ولهم نافعة ، وإنما هي
من حَجَرٍ مَنْحُوتٍ ، وَخَشَبٍ مَنْجُورٍ^(٢) ، ثم قرأ : (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ
وَلَا يَنْفَعُهُمْ ، وَيَقُولُونَ هُوَ إِلَهُنا شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَقَالُوا مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى
اللَّهِ زُلْفَى) فَعَظَمَ عَلَى الْعَرَبِ أَنْ يَتْرَكُوا دِينَ آبَائِهِمْ . فَخَصَّ اللَّهُ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ

فيهاجرين الأولين

(١) زواه يزويه جمعه ، والمراد أعدت . ورواية العقد الفريد (٢ : ٢٠٤) زورت كلاماً في

نفسه ، وزور الشيء حسنه وقومه ، والمراد أيضا هيات وأعدت . (٢) النجر : نحت الخشب .

قومه بتصديقه ، والإيمان به ، والمؤاساة له ، والصبر معه ، على شدة أذى قومهم لهم ،
وتكذيبهم إياهم ، وكلّ الناس مخالفٌ زارٍ^(١) عليهم ، فلم يستوحشوا لقلّة عددهم ،
وشنّف^(٢) الناس لهم ، وإجماع قومهم عليهم ، فهم أوّل من عبّد الله في الأرض ، وآمن
بالله وبالرسول ، وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ، ولا ينافيهم
ذلك إلا ظالمٌ ، وأنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين ، ولا سابقتهم
العظيمة في الإسلام ، رضيكم الله أنصاراً لدينه ورسوله ، وجعل إليكم هجرته وفيكم
جيلة أزواجه وأصحابه ، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم ، فنحن الأمراء ،
وأنتم الوزراء ، لا تفتأون بمشورة ولا تقضى ذونكم الأمور .

« هذه رواية الطبري لتلك الخطبة ، وأوردها غيره بنص آخر ، وها كه : »

٣٠ - نص آخر لخطبة أبي بكر يوم السقيفة

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : نحن المهاجرون ، أوّل الناس إسلاماً ، وأكرمهم أحساباً . وأوسطهم
داراً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأكثر الناس ولادةً في العرب ، وأمسهم رحماً برسول الله
صلى الله عليه وسلم ، أسلمنا قبلكم ، وقد منّا في القرآن عليكم . فقال تبارك وتعالى :
« وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ »
فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار . إخواننا في الدين . وشركاؤنا في الفناء^(٣) ، وأنصارنا
على العدو ، آويتم وآسيتم ، فجزاكم الله خيراً ، فنحن الأمراء ، وأنتم الوزراء ،

(١) زرى عليه زراية : عابه . (٢) شنّف له كفرح : أبغضه وتكره فهو شنّف .

(٣) الغنيمة والحراج .

لَا تَدِينُ الْعَرَبُ إِلَّا هَذَا الْحَى مِنْ قَرِيشٍ ، فَلَا تَنْفَسُوا^(١) عَلَى إِخْوَانِكُمْ مَا مَنَحَهُمُ اللَّهُ
مِنْ فَضْلِهِ .

(العقد الفريد ٢ : ١٣٠ - ٢٠٤ ، عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٣٣ ، البيان والتبيين ٣ : ١٤٧)

(الإمامة والسياسة ١ : ٧)

٣١ - خطبة الحباب بن المنذر

ثمَّ قام الحباب بن المنذر بن الجحوح فقال :

« يا معشر الأنصار : امْلِكُوا عَلَيْكُمْ أَمْرَكُمْ ، فَإِنَّ النَّاسَ فِي قَبِيئِكُمْ وَفِي ظَلْمِكُمْ ،
وَلَنْ يَجْتَرِيَّ مَجْتَرِيٌّ عَلَى خِلافِكُمْ ، وَلَنْ يَصْدُرَ النَّاسَ إِلَّا عَنْ رَأْيِكُمْ ، أَنْتُمْ أَهْلُ الْعِزِّ
وَالثَّرْوَةِ ، وَأَوْلُو الْعَدَدِ وَالْمَنْعَةِ وَالتَّجْرِبَةِ ، وَذَوُو الْبَأْسِ وَالنَّجْدَةِ ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَى
مَا تَصْنَعُونَ ، وَلَا تَخْتَلَفُوا فَيَفْسُدَ عَلَيْكُمْ رَأْيِكُمْ ، وَيَنْتَقِضَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ ، فَإِنَّ أَبِي
هُوَ لَا ، إِلَّا مَا سَمِعْتُمْ ، فَمَنَا أَمِيرًا وَمِنْهُمْ أَمِيرٌ » .

٣٢ - خطبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

فقال عمر : « هيهات لا يجتمع اثنان في قرآن^(٢) ، والله لا ترضى العرب أن
يؤمروكم وتنبئها من غيركم ، ولا تكن العرب لا تمتنع أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم
وولي أمورهم منهم ، ولما بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة ، والسلطان المبين ،
من ذابنازنا سلطان محمد وإمارته ، ونحن أولياؤه وعشيرته ، إلامدل بباطل ، أومتجانف^(٣)
لإثم ، أومتورط في هلكة ؟ » .

(١) نفس عليه بخير (كفرح) حسه ، ونفس عليه الشيء نفاسة لم يره أهلا له .

(٢) حبل . (٣) مائل جانح .

٣٣ - خطبة أخرى للحباب بن المنذر

فقام الحباب بن المنذر ، فقال :

« يا معشر الأنصار املِكُوا على أيديكم ، وَلَا تسمعُوا مقالة هذا وأصحابه ، فيذهبوا بنصيبكم من الأمر ، فإن أبوا عليكم ما سألتموه ، فَأَجْلُوهُمْ عن هذه البلاد ، وَتَوَلَّوْا عليهم هذه الأمور ، فأنتم والله أحقُّ بهذا الأمر منهم ، فإنه بأسيا فكم دان لهذا الدين مَنْ دان ممن لم يكن يدين ؛ أنا جُذَيْلُهَا الْمُحَكِّكُ ، وَعُذَيْبُهَا الْمُرَجَّبُ (١) ، أما والله لئن شئتم لنعيدنها جَذَعَةً (٢) . »

فقال عمر : إذن يقتلك الله ، قال : بل إياك يقتل ، فقال أبو عبيدة :

يا معشر الأنصار : إنكم أولُّ من نصر وآزر ، فلا تكونوا أولَّ من بدَّلَ وَغَيَّرَ .

٣٤ - خطبة بشير بن سعد

فقام بشير بن سعد - أبو النعمان بن بشير - فقال :

« يا معشر الأنصار ، إنا والله لئن كُنَّا أَوْلَى فضيلة في جهاد المشركين ، وسابقة في هذا الدين ، ما أردنا به إلا رضا ربنا ، وطاعة نبينا ، والسكِّاحَ لأنفسنا ، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك ، ولا نبتغي به من الدنيا عَرَضًا ، فإنَّ اللهَ وَلىُّ الْمِنَّةِ علينا

(١) الجذيل : تصغير الجذل (بالكسر) ، وهو أصل الشجرة ، وعود ينصب للإبل الجربي لتحتك به وتمرس ، والمحكك الذي تتحرك به ، والعذيق تصغير العذق (بالفتح) ، وهو النخلة. والمرجب : الذي جعل له رجة ، وهي دعامة تبنى حولها من الحجارة ، وذلك إذا كانت النخلة كريمة وطالت تخوفوا عليها أن تنقر من الرياح العواصف ، والتصغير هنا يراد به التكبير والتعظيم ، وهو مثل ، والمراد أنه رجل يستشق برأيه وعقله . (٢) الجذعة : الشابة الفتية ؛ يريد الحروب والغارات .

بذلك ، ألا إن محمداً صلى الله عليه وسلم من قريش ، وقومه أحقُّ به وأولى ، وإيم الله لا يرانى الله أنازعهم هذا الأمرَ أبداً ، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم .

فقال أبو بكر : هذا عمر ، وهذا أبو عبيدة ، فأَيُّهما شتم فبايعوا ، فقالا لا والله لا نتولى هذا الأمرَ عليك ، فإنك أفضل المهاجرين ، وثانى اثنين إذ هما فى الغار ، وخليفة رسول الله على الصلاة ، والصلاة أفضل دين المسلمين ، فمن ذا ينبغى له أن يتقدمك ، أو يتولى هذا الأمرَ عليك ؟ ابسط يدك نبايعك ، وقام الناس إليه فبايعوه .

(تاريخ الطبرى ٣ : ٢٠٧ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٥٨)

خطب أبي بكر الصديق ووصاياه

رضي الله عنه

٣٥ - خطبته يوم قبض الرسول صلى الله عليه وسلم

دخل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه ، على النبي عليه الصلاة والسلام وهو مُسَجَّى^(١) بثوب ، فكشف عنه الثوب ، وقال :

« بأبي أنت وأمي ا طِيبَتْ حَيًّا ، وَطِيبَتْ مَيِّتًا ، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوة ، فَعَظُمَتْ عن الصفة ، وَجَلَّتْ عن البكاء ، وَخَصَّصَتْ حتى صرت مسلاة^(٢) ، وَعَمَمَتْ حتى صرنا فيك سَوَاءً^(٣) ، ولولا أن موتك كان اختياراً منك^(٤) ، لَجُدْنَا لموتك بالنفوس ، ولولا أنك نهيت عن البكاء ، لَأَنفَدْنَا عليك ماء الشُّنُونِ^(٥) ، فأما ما لا نستطيع نفيهُ عنا ، فَكَمَدُ وإدناف^(٦) ، يَتَخَالَفَانِ وَلَا يَبْرَحَانِ

(١) تسجية الميت : تغطيته . (٢) خص الشيء من باب تعدد خصوصاً فهو خاص : خلاف عم ، مثل اختص (وكلا الفعلين يستعمل متعدياً ولازماً) ، والمعنى إنك يا رسول الله قد صرت بموتك مسلاة للناس فإنك مع ما اختصصت به من مناقب النبوة قد نزل بك الموت ، فله باد فيك أسوة حسنة .
(٣) أي عمت مصيبتك جميع المسلمين فصرنا نحن وقرابتك سواء في الحزن عليك والتفجع لفقدك .
(٤) يشير إلى قواه عليه الصلاة والسلام : « لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخبر » قالت عائشة : فسمته وقد شخص بصره ؛ وهو يقول : « في الرفيق الأهل » فعلمت أنه خير ، فعلمت أنه لا يختارنا إذن ، وقلت هو الذي كان يحدثنا وهو صحيح . (٥) جمع شأن ، وهو مجرى الدمع إلى العين .
(٦) دنف المريض كفرح ، وأدنف : ثقل ، والشمس : دنت للغروب واصفرت .

اللهم فأبلغنا عن السلام ، اذ كرنا يا محمد عند ربك ، ولنكن من بالاك ، فلولا ما خلفت
من السكينة لم نُقيم لِمَا خَلَفْتَ مِنَ الوَحْشَةِ ، اللهم أبلغ نبيك عنا ، واحفظه فينا !
ثم خرج إلى الناس وهم في شديد غمّراتهم ، وعظيم سكراتهم ، فخطب خطبة
قال فيها :

« أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ،
وأشهد أن الكتاب كما أنزل ، وأن الدين كما شرع ، وأن الحديث كما حدّث ، وأن القول
كما قال ، وأن الله هو الحق المبين ... في كلام طويل ، ثم قال : أيها الناس ، من كان
يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وإن الله قد
تقدّم إليكم في أمره ، فلا تدعوه جزعاً ، وإن الله قد اختار لنبيه ماعنده على ما عندكم ، وقبضه
إلى ثوابه ، وخلف فيكم كتابه ، وسنة نبيه ، فمن أخذ بهما عرف ، ومن فرق بينهما أنكر .
(بأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط^(١)) ، ولا يشفلكم الشيطان بموت نبيكم ،
ولا يفتنكم عن دينكم ، فعاجلوه بالذي تعجزونه ، ولا تستنظروه فيلحق بكم » .
(زهر الآداب ١ : ٣٥)

كتاب
سنة

٣٦ - خطبته بعد البيعة

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« أيها الناس : إني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتُموني على حق فأعينوني ،
وإن رأيتُموني على باطل فسددوني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة
لي عليكم ، ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندي القوي
حتى آخذ الحق منه ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم » .

تأليف
صحيح

(العقد الفرید ٢ : ١٣٠ ، وإعجاز القرآن ص ١١٥ ، وعيون الأخبار م ٢ : ٢٣٤ ، وتهذيب
الكامل ١ : ٦ ، وتاريخ الطبري ٣ : ٢٠٣ ، وابن أبي الحديد م ٢ : ٨ ، وم ٤ : ١٦٧ ، وسيرة
ابن هشام ٢ : ٤٣٠ .)

٣٧ - خطبة أخرى له بعد البيعة

وقال الطبري : نادى منادى أبي بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم : لِيَمَّ بَعَثَ أَسَامَةَ : أَلَا لَا يَبْقَيْنَ بِالْمَدِينَةِ أَحَدٌ مِنْ جُنْدِ أَسَامَةَ إِلَّا خَرَجَ إِلَى عَسْكَرِهِ ، وَقَامَ فِي النَّاسِ ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا أَنَا مِثْلُكُمْ ، وَإِنِّي لَا أُدْرِي لِعَلَّكُمْ سَتُكَلِّفُونِي مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطِيقُ . إِنْ اللَّهُ اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَعَصَمَهُ مِنَ الْآفَاتِ ، وَإِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ ، وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ ، فَإِنْ أُسْتَقِمْتَ فَتَابِعُونِي ، وَإِنْ زِغْتَ فَقَوِّمُونِي : وَإِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبِضَ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يُطَلِّبُهُ بِمِظْلَمَةٍ^(١) ضَرْبَةٍ سَوِيَّةٍ فَمَا دُونَهَا ، أَلَا وَإِنْ لِي شَيْطَانًا^(٢) يِعْتَرِينِي ، فَإِذَا غَضِبْتَ فَاجْتَنِبُونِي ، لَا أُؤَثِّرُ فِي أَشْعَارِكُمْ وَأَبْشَارِكُمْ^(٣) ، أَلَا وَإِنْكُمْ تَغْدُونَ وَتَرْوِحُونَ فِي أَجْلِ قَدْ غُيِّبَ عَنْكُمْ عِلْمُهُ ، فَإِنْ أُسْتَطَعْتُمْ أَلَّا يَمُضِيَ هَذَا الْأَجْلُ إِلَّا وَأَنْتُمْ فِي عَمَلٍ صَالِحٍ فَافْعَلُوا ، وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَسَابِقُوا فِي مَهَلٍ آجَالِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُسَلِّمَ آجَالِكُمْ إِلَى انْقِطَاعِ الْأَعْمَالِ ، فَإِنْ قَوْمًا نَسُوا آجَالَهُمْ ، وَجَعَلُوا أَعْمَالَهُمْ لِغَيْرِهِمْ ، فَإِيَّاكُمْ أَنْ تَكُونُوا أَمْثَلَهُمْ ، الْجِدَّةُ الْجِدَّةُ ، وَالْوَحَا^(٤) وَالنَّجَاءُ^(٥) ، فَإِنْ وَرَاءَكُمْ طَالِبًا حَثِيثًا^(٦) ، أَجَلًا مَرَّةً سَرِيعًا ، احْذَرُوا الْمَوْتَ وَاعْتَبِرُوا بِالْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانَ ، وَلَا تَغْبِطُوا^(٧) الْأَحْيَاءَ إِلَّا بِمَا تَغْبِطُونَ بِهِ الْأَمْوَاتَ »

(تاريخ الطبري ٣ : ٢١١ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ : ص ١٦٧)

(١) الظلّامة . (٢) قال ابن أبي الحديد : وأراد بالشیطان الغضب ، ولم يرد أن له شیطانا من مردة الجن یعتریه إذا غضب ، ولو كان له شیطان من الجن یعتاده وینوبه لكان فی عداد المصروعین من المجانین ؛ وما ادعی أحد علی أبی بکر هذا لامن أولیائه ولا من أعدائه . (٣) أبشار جمع بشر ، وهو جمع بشرة : وهی ظاهر الجلد . (٤) العجلة والإسراع ، وحی وتوحی : أسرع ، ووحاه ، عجله . (٥) الإسراع أيضا . (٦) سریعا . (٧) غبطه : تمنی مثل حاله من غیر أن یرید زوال نعمته عنه .

۳۸ - خطبة أخرى

قال الطبري : وقام ايضاً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه ، فأريدوا الله بأعمالكم ، واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتتموها ، وحظ ظفرتكم به ، وضرائب أدتموها ، وسلف قدمتموه ، من أيام فانية لأخرى باقية ، لحين فقرم وحاجتكم ، اعتبروا عباد الله بمن مات منكم ، وتفكروا فيمن كان قبلكم . أين كانوا أمس ؟ وأين هم اليوم ؟ أين الجبارون ؟ وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب ؟ قد تضعع بهم الدهر ، وصاروا رمياً ، قد تركت عليهم القالات^(۱) الخبيثات ، وإنما الخبيثات للخبيثين ، والخبيثون للخبيثات ، وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها ؟ قد بعدوا ، ونسي ذكرهم ، وصاروا كلاً شياً ، ألا وإن الله قد أبقى عليهم التبعات ، وقطع عنهم الشهوات ، ومضوا والأعمال أعمالهم ، والدنيا دنيا غيرهم ، وبقينا خلفاً من بعدهم ، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا ، وإن أغتررنا كنا مثلهم ، أين الوضاء^(۲) الحسنه وجوههم ، المعجبون بشبابهم ؟ صاروا تراباً ، وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم ، أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط ، وجعلوا فيها الأعاجيب ؟ قد تركوها لمن خلفهم ، فتلك مساكنهم خاوية ، وهم في ظلمات القبور ، هل تحس منهم من أحد ، أو تسمع لهم ركزاً^(۳) ؟ أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم ؟ قد انتهت بهم آجالهم ، فوردوا على ما قدموا ، فحلوا عليه ، وأقاموا للشقوة والسعادة فيما بعد الموت ،

(۱) القول : في الخير ، والقال والقييل والقالة : في الشر . (۲) الوضاء جمع وضى : وهو الحسن

والنظيف ، وهو أيضا وضاء بضم الواو وتشديد الضاد ، وجمعه وضاءون . (۳) الصوت الخفى .

ألا إن الله لا شريك له ليس بينه وبين أحد من خلقه سببٌ يعطيه به خيراً، ولا يبصر عنه به سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره ، واعلموا أنكم عبيد مدينون ، وأن ما عنده لا يدرك إلا بطاعته ، أما وإنه لا خيرَ بخيرٍ بعده النارُ ، ولا شرَّ بِشَرِّ بعده الجنة .

(تاريخ الطبری ۳ : ۳۱۱ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۴ ص ۱۶۷)

۳۹ - خطبة له

ومن خطبه : « حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك ، فرفع الناس رؤوسهم ، فقال : مالكم
يامعشر الناس ؟ إنكم لطمعانون عجولون ، إن من الملوك من إذا مَلَكَ زَهَدَهُ اللهُ فيما في يده ،
ورغبه فيما في يدي غيره ، وانتقصه شَطْرَ أَجَلِهِ ، وَأَشْرَبَ قَلْبَهُ الإِشْفَاقَ ، فهو يَحْسُدُ
على القليل ، ويتسخط^(۱) الكثير ، ويسأم الرخاء ، وتنقطع عنه لذة البهاء ، لا يستعمل
العبرة ، ولا يسكنُ إلى الثقة ، فهو كالدرهم القيسي^(۲) ، والسراب الخادع ، جَدِلَ الظاهر ،
حزين الباطن . فإذا وَجِبَتْ^(۳) نفسه ، ونَصَبَ عمره ، وضحا ظله^(۴) ، حاسبه اللهُ فأشدَّ
حسابه ، وأقلَّ عفوهُ . ألا إن الفقراء هم المرحومون ، وخير الملوك من آمن بالله ، وحكم
بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإنكم اليوم على خلافة نبوة ، ومفرق محجة ،
وستروُن بعدى مُلكاً عَضُوضاً^(۵) ، وأمة شعاعاً^(۶) ، ودماً مُفاحاً^(۷) ، فإن كانت للباطل
نزوة^(۸) ، ولأهل الحق جولة ، يعفولها الأثرُ ، وتموت السنن ، فالزموا المساجد ،

(۱) تسخط عطاءه : استقله ولم يقع منه موقفا . (۲) الزائف . (۳) مات . ووجبت الشمس :

غابت ؛ والعين غارت . (۴) مات أيضا . (۵) العضوض : ما يعض عليه ، ومالك عضوض : فيه

عصف وظلم . (۶) متفرقة . (۷) أفاحه : أراقه . (۸) وثبة .

واستشبروا القرآن ، والزموا الجماعة ، وليكن الإبرام بعد التشاور ، والصفقة بعد طول
التناظر ، أي بلاد خَرَشَنَةَ^(١) إن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أدناها .

(عيون الأخبار م ٢ ص ٢٣٣ ، والبيان والتبيين ٢ : ٢١ ، والمعقد الفريد ٢ : ١٣١ ، وصبح
الأعشى ١ : ٢١٣ ، وزهر الآداب ١ : ٣٩) .

٤٠ — خطبة له

وخطب أيضا فقال :

« الحمد لله ، أحمده ، وأستعينه ، وأستغفره ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأستهدى الله
بالمهدى ، وأعوذ به من الضلالة والردى ، ومن الشك والعمى ، من يهد الله فهو المهتدى ،
وَمَنْ يُضِلُّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك
وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، يُعْزُّ مَنْ يُشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يُشَاءُ بيده الخير ،
وهو على كلِّ شئٍ قدير ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق
لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، إلى الناس كافةً ، رحمةً لهم ، وحجة عليهم
والناس حينئذ على شرِّ حال في ظلمات الجاهلية ، دينهم بدعة ، ودعوتهم فرية ، فأعزَّ الله
الدين بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وألَّفَ بين قلوبكم أيها المؤمنون ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ،
وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون .
فأطيعوا الله ورسوله ، فإنه قال عزَّ وجل : « مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ
تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا » .

أما بعد أيها الناس : إني أوصيكم بتقوى الله العظيم في كلِّ أمر ، وعلى كلِّ حال ،
ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم ، فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير ، مَنْ يَكْذِبْ

(١) خرشنة : بلد بالروم ، والمراد بلاد الروم .

يَفْجُرُ ، وَمَنْ يَفْجُرْ يَهْلِكْ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفَخْرَ ، وَمَا فُخِرُ مِنْ خَلْقٍ مِنَ التُّرَابِ ، وَإِلَى التُّرَابِ
يَعُودُ ؟ هُوَ الْيَوْمَ حَيٌّ ، وَغَدًا مَيِّتٌ ، فَاعْمَلُوا وَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ فِي الْمَوْتِ ، وَمَا أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ
فَرَدُّوا عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ ، وَقَدَّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ خَيْرًا تَجِدُوهُ مُحَضَّرًا ، فَإِنَّهُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ « يَوْمَ
تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا
وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ، وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ، وَاللَّهُ زَعِيمٌ بِالْعِبَادِ » . فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ
وَرِاقِبُوهُ ، وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ مَضَى قَبْلَكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ لِقَاءِ رَبِّكُمْ وَالْجِزَاءِ بِأَعْمَالِكُمْ
صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا ، إِلَّا مَا غَفَرَ اللَّهُ ، إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، فَأَنْفُسَكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، وَالْمُسْتَعَانَ اللَّهُ ،
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا
عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ ، أَفْضَلَ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ
خَلْقِكَ ، وَزَكَّنَّا بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، وَالْحَقْنَا بِهِ ، وَأَحْشَرْنَا فِي زُمْرَتِهِ ، وَأَوْرَدْنَا حَوْضَهُ .
اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى طَاعَتِكَ ، وَانصُرْنَا عَلَى عَدُوِّكَ .

(العقد الفريد ۲ : ۱۳۱)

۴۱ - خطبة له

وخطب أيضاً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَنْ تَتَنُّوْا عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَأَنْ تَخْلِطُوا الرِّغْبَةَ بِالرَّهْبَةِ ،
وَتَجْمَعُوا الْإِلْحَافَ بِالسَّأَلَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَثْنَى عَلَى زَكَرِيَّا وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ فَقَالَ : « إِنَّهُمْ كَانُوا
يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ » ثُمَّ أَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ
أَنَّ اللَّهَ قَدِ ارْتَهَنَ بِحَقِّهِ أَنْفُسَكُمْ ، وَأَخَذَ عَلَى ذَلِكَ مَوَاقِيْعَكُمْ ، وَعَوَّضَكُمْ بِالْقَلِيلِ الْفَاقِي
الكَثِيرَ الْبَاقِي ، وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ فِيكُمْ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ ، وَلَا يُطْفَأُ نُورُهُ ، فَتَقُوا بِقَوْلِهِ ،

وانتصحو^(١) كتابه ، واستبصروا فيه ليوم الظامة ، فإنه خلقكم لعبادته ، وَوَكَلَّ بِكُمْ
الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون^(٢) .

(العقد الفريد ٢ : ١٣١ ، وعيون الأخبار م ٢ ص ٢٣٢)

٤٢ — خطبة له في الأنصار

ووصل إليه مال من البحرين ، فساوى فيه بين الناس ، فغضبت الأنصار ، وقالوا
له فضّلنا ، فقال أبو بكر صدقتم ، إن أردتم أن أفضّلكم صار ما عملتموه للدنيا ، وإن
صبرتم كان ذلك لله عزّ وجل ، فقالوا : والله ما عملنا إلا لله تعالى وانصرفوا ، فرقى
أبو بكر المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم . ثم قال :

« يا معشر الأنصار : إن شئتم أن تقولوا إنا آويناكم في ظلالنا ، وشاظرناكم في
أموالنا ، ونصرناكم بأنفسنا ، قلتم : وإن لكم من الفضل مالا يُحصيه العدد وإن طال به
الأمْدُ . فنحن وأنتم كما قال طفَيْلُ الغنَوِيُّ :

جزى الله عنا جعفراً حين أزلت بنا نعلنا في الواطئين فزلت
أبوا أن يملؤنا ، ولو أن أمنا تلاقى الذي يلقون منا لملت
هم أسكنونا في ظلال بيوتهم ظلال بيوت أدفات وأظلت

(زهر الآداب ١ : ٣٩ وصبح الأمتى ١٣ : ١٠٨)

(١) انتصح فلان : قبل النصيحة ، يقال : انتصحني فإني لك ناصح . (٢) ورد عقب ذلك
« ثم اعلّموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في ليل قد غيب عنكم علمه . . . الخ » ما أورده ابن جرير
الطبري في الخطبة التي أسلفنا ذكرها ص ١٨١ .

۴۳ - وصيته لأسامة بن زيد

وأوصى أسامة بن زيد وجيشه حين سيره إلى أبنى^(۱) ، فقال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : قِفُوا أَوْصِيَكُمْ بِعَشْرٍ فَاحْفَظُوهَا عَنِّي : لَا تَخُونُوا ، وَلَا تَقْلُوا^(۲) ، وَلَا تَفْدَرُوا^(۳) ، وَلَا تَمْلُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا طِفْلاً صَغِيراً ، وَلَا شَيْخاً كَبِيراً وَلَا امْرَأَةً ، وَلَا تَقْعَرُوا^(۴) مَخْلاً وَلَا تَحْرِقُوهُ ، وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرَةً مِثْمَرَةً ، وَلَا تَذْبَحُوا شَاةً وَلَا بَقْرَةً وَلَا بَعِيراً إِلَّا لِمَا كَلَّةٌ^(۵) ، وَسَوْفَ تَمْرُؤُونَ بِأَقْوَامٍ قَدْ فَرَّغُوا أَنفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ فَدَعُوهُمْ وَمَا فَرَّغُوا أَنفُسَهُمْ لَهُ ، وَسَوْفَ تَقْدُمُونَ عَلَى قَوْمٍ يَأْتُونَكُمْ بِأَنْبِيَةٍ فِيهَا أَلْوَانُ الطَّعَامِ ، فَإِذَا أَكَلْتُمْ مِنْهَا شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ ، فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ، وَتَلْقَوْنَ أَقْوَامًا قَدْ فَحَصُوا أَوْسَاطَ رِعْوِهِمْ ، وَتَرَكَوا حَوْلَهَا مِثْلَ الْعَصَائِبِ ، فَاخْفِقُوهُمْ^(۶) بِالسَّيْفِ خَفِيقًا ، ائِدْفَعُوا بِاسْمِ اللَّهِ^(۷) . »

(تاريخ الطبري ۳ : ۲۱۳ ، والكامل لابن الأثير ۲ : ۱۶۲)

(وصيته لزيد بن زيد)

۴۴ - وصيته لعمر بن العاص والوليد بن عتبة

وشيع عمرو بن العاص والوليد بن عتبة مَبْعَثُهُمَا عَلَى الصَّدَقَةِ ، وَأَوْصَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا

بوصية واحدة :

« اتَّقِ اللَّهَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ

(۱) موضع بقرب مؤتة بمشارك الشام قتل فيه والده زيد بن حارثة . (۲) غل يغفل كنعصر : خان كأغل ، وغل صدره يغفل كضرب غليلا وغلا : حقد . (۳) غدره وغدر به كنعصر وضرب وسمع .

(۴) قعر النخلة : كنعف فانقمرت قطعها من أصلها فسقطت . (۵) المأكلة : ما أكل .

(۶) خفقة : ضربه بشيء عريض . (۷) وأورد العقد الفريد هذه الوصية وذكر أنها وصية من

أبي بكر لزيد بن أبي سفيان - راجع العقد ج ۱ ص ۴۰ .

لا يحتسب ، ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ، ويعظم له أجراً ، فإن تقوى الله خير ما تواسى به عباد الله ، إنك في سبيل من سبل الله ، لا يسعك فيه الإدهان^(١) والتفريط والغفلة عما فيه قوام دينكم ، وعصمة أمركم فلا تن ، ولا تفتن .

(تاريخ الطبري ٤ : ٢٩)

خطب الفتوح في عهد أبي بكر

٤٥ — وصيته لخالد بن الوليد

ووصى أبو بكر خالد بن الوليد فقال :

« سر على بركة الله ، فإذا دخلت أرض العدو ، فكن بعيداً من الحملة ، فإنني لا آمن عليك الجولة ، واستظهر بالزاد ، وسر بالأدلاء ، ولا تقابل بمجروح ، فإن بعضه ليس منه ، واحترس من البيات ، فإن في العرب غرة ، وأقلل من الكلام ، فإن مالك ما وُعي عنك ، واقبل من الناس علانيتهم ، وكلهم إلى الله في سريرتهم ، وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه . »

(المقدم الفريد ١ : ٤٠)

٤٦ — خطبة خالد بن الوليد

وكان أبو بكر رضي الله عنه قد بعث المشي بن حارثة على جيش إلى العراق ، فقدم العراق فقاتل وأغار على أهل فارس ونواحي السواد ، ثم بعث أخاه مسعوداً إلى أبي بكر يستمده . فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد - وكان باليمامة - أن يسير إلى العراق ، فلما قرأ خالد الكتاب قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

خطبة
٤٥

(١) الإدهان : المداينة والغش .

« الحمد لله والله أهله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد : فإن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلينا يحضنا على طاعة ربنا ، وجهاد عدونا وعدو الله ، وبالجهاد في سبيل الله أنجز الله دعوتنا ، وجمع كلمتنا وأمنيتنا ، والحمد لله رب العالمين ، ألا إني خارج ومعسكر وسائر إن شاء الله ومعجل ، فمن أراد ثواب العاجل والآجل فلينكش^(١) » :

٤٧ - خطبة لأبي بكر في ندب الناس لفتح الشام

وخطب يندب الناس لفتح الشام ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله ، وقال :
« ألا إن لكل أمرٍ جوامعَ ، فمن بلغها فهي حسبهُ ، ومن عمل لله كفاه الله ، عليكم بالجد والقصد ، فإن القصد أبلغ ، ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له ، ولا أجر لمن لا حسبة له ، ولا عمل لمن لا نية له ، ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله ، كما ينبغي للمسلم أن يحب أن يُخصَّ به ، هي التجارة التي دل الله عليها ، ونجى بها من الخزي ، وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة . » (تاريخ الطبري ٤ : ٣٠)

(١) انكش : امرع .

فتح الشام

حدث أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصري صاحب فتوح الشام قال : لما أراد أبو بكر رحمة الله عليه أن يجهز الجنود إلى الشام ، دعا عمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد ابن أبي وقاص وأبا عبيدة بن الجراح ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم ، فدخلوا عليه فقال :

٤٨ - خطبة أبي بكر

« إن الله تبارك وتعالى لا تحصى نعمه ، ولا تباع جزاءها الأعمال ، فله الحمد كثيراً على ما اصطنع عندكم ، فقد جمع كلمتكم ، وأصلح ذات بينكم ، وهداكم إلى الإسلام ، ونفى عنكم الشيطان ، فليس يطمع أن تشركوا بالله ، ولا أن تتخذوا إلهاً غيره ، فالعرب اليوم بنو أم وأب ، وقد أردت أن أستنفرهم إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين ، ويجعل الله كلمته العليا ، مع أن للمسلمين في ذلك الحظ الأوفر . فمن هلك منهم هلك شهيداً ، وما عند الله خير للأبرار ، ومن عاش منهم عاش مدافعاً عن الدين ، مستوجباً على الله عز وجل ثواب المجاهدين ، هذا رأي الذي رأيت فليشر على أمرؤ ببلغ رأيه . »

٤٩ - خطبة عمر

فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« الحمد لله الذي يخلص بالخير من يشاء من خلقه ، والله ما استبقنا إلى شيء من الخير قط إلا سبقتنا إليه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، قد والله أردت لقاءك لهذا الرأي

الذی ذکرته ، فما قضی الله أن یکون ذلك حتی ذکرته الآن ، فقد أصبت ، أصاب الله
بک سبلَ الرِشاد ، سرَّب إليهم الخیل فی إثر الخیل ، وابتعث الرجال تتبعها الرجال ،
والجنود تتبعها الجنود . فإن الله عز وجل ناصر دینہ ، ومُعز الإسلام وأهله ، ومنجز
ما وعدَ رسولہ . (فتوح الشام ص ۱ وتاریخ ابن عساکر ۱ : ۱۲۶ - ۱۲۷)

۵۰ - خطبة عبد الرحمن بن عوف

ثم إن عبد الرحمن بن عوف قام فقال :

« يا خليفة رسول الله ، إنها الروم وبنو الأصفر ، حدّ حديد ، وركن شديد ، والله
ما أرى أن تُقحم الخيل عليهم إقحاما ، ولكن تبعث الخيل ، فتغير في أداني أرضهم ، ثم
تبعثها فتغير ، ثم ترجع إليك ، ثم تبعثها فتغير ، ثم ترجع إليك ، فإذا فعلوا ذلك مرارا
أضروا بهدوم ، وغنموا من أداني أرضهم ، فقوموا بذلك على قتالهم ، ثم تبعث إلى أقاصي
أهل اليمن ، وإلى أقاصي ربيعة ومضر فتجمعهم إليك جميعا . فإن شئت عند ذلك غزوتهم
بنفسك ، وإن شئت بعثت على غزوتهم غيرك . »

ثم جالس وسكت وسكت الناس .

قال لهم أبو بكر ماترون ؟ رحمكم الله . فقال عثمان بن عفان رضوان الله عليه . فحمد
الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :
« رأيت أنك ناصح لأهل هذا الدين ، عليهم شفيق . فإذا رأيت رأيا علمته لهم رشدا
وصلاحا وخيرا ، فاعزم على إمضائه ، فإنك غير ظنين ولا متهم عليهم . »

فقال طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد وجميع من حضر ذلك المجلس من
المهاجرين والأنصار :

« صدق عثمان فيما قال ، ما رأيت من رأى فأمض ، فإننا سامعون لك مطيعون ،
لا نخالف أمرك ، ولا نهم رأيك ، ولا نتخلف عن دعوتك وإجابتك . »

فذكروا هذا وشبهه ، وعلى بن أبي طالب رحمة الله عليه في القوم لا يتكلم ، فقال له أبو بكر : ما ترى يا أبا الحسن ؟ قال :

« أرى أنك مبارك الأمر ، ميمون النقيبة ، وأنتك إن سرت إليهم بنفسك أو بعثت إليهم نصرت إن شاء الله » .

فقال له أبو بكر : بشرك الله بخير ، فن أين علمت هذا ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يزال هذا الدين ظاهرا على كل من ناوأه ، حتى يقوم الدين وأهله ظاهرين » فقال أبو بكر : سبحان الله ! ما أحسن هذا الحديث ! لقد سررتني شرك الله في الدنيا والآخرة .

۵۱ - خطبة أبي بكر

ثم إن أبا بكر رحمة الله عليه ورضوانه قام في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكره بما هو أهله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أيها الناس ، إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام ، وأعزكم بالجهاد ، وفضاكم بهذا الدين على أهل كل دين . فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام ، فإني مؤمّر عليكم أمراء وعاقدهم ألوية ، فأطيعوا ربكم ، ولا تخالفوا أمراءكم ، ولتحسن نيتكم وسيرتكم وطعمتكم ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

فسكت الناس ، فو الله ما أجابه أحد عيبة لغزو الروم لما يعلمون من كثرة عددهم وشده شوكتهم ، فقام عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ورضوانه فقال : يامعشر المسلمين ما لكم لا تجيبون خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ دعاكم لتأجيبكم .

۵۲ - خطبة خالد بن سعيد بن العاص

فقام خالد بن سعيد بن العاص ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، ثم قال :

« الحمد لله الذي لا إله إلا هو ، الذي بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، فإن الله منجز وعده ، ومُعز دينه ، ومُهلك عدوه » ثم أقبل على أبي بكر فقال : « نحن غير مخالفين لك ، ولا متخلفين عنك ، وأنت الوالى الناصح الشفيق ، ننفِر إذا استنفرتنا ، ونطيعك إذا أمرتنا ، ونجيبك إذا دعوتنا » .

ففرح أبو بكر بمقاتته ، وقال له : « جزاك الله من أخ و خليل خيراً ، فقد أسلمت مرتعباً ، وهاجرت محتسباً ، وهربت بدينك من الكفار ، لكي يطاع الله ورسوله ، وتكون كلمة الله هي العليا ، فتيسر رحمتك الله » .

فتجهز خالد بن سعيد بأحسن الجهاز وخرج هو وإخوته وغلمانه ومن تبعه من أهل بيته ، فكان أول من عسكر ، وأمر أبو بكر بلالا فنادى في الناس : أن انفروا إلى جهاد عدوكم الروم بالشام ، فنفروا إليه — وكان خالد من عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكره الإمارة واستغنى أبا بكر فأعفاه — (فتوح الشام ص ١) ورأى أبو بكر أن يكتب كتاباً إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الجهاد ، ويرغبهم في ثوابه ، وبعث الكتاب مع أنس بن مالك .

قال أنس : أتيت أهل اليمن جناحاً وجناحاً وقبيلة قبيلة ، أقرأ عليهم كتاب أبي بكر وإذا فرغت من قراءته قلت :

« الحمد لله ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فإن رسول خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول المسلمين إليكم ، ألا وإنى قد تركتهم معسكرين ، ليس يمنعهم من الشخصوس إلى عدوهم إلا انتظاركم ، فاجعلوا إلى إخوانكم رحمة الله عليكم أيها المسلمون » .

فكان كل من أقرأ عليه ذلك الكتاب ، ويسمع منى هذا القول يحزن الرد على ، ويقول : نحن سائرون وكاننا قد فعلنا .

٥٣ — خطبة ذى الكلاع

حتى انتهيت إلى ذى الكلاع ، فلما قرأت عليه الكتاب ، وقلت هذا المقال ؛ دعا بفرسه وسلاحه ؛ ونهض في قومه من ساعته ولم يؤخر ذلك ، وأمر بالمعسكر فما برحنا حتى عسكر وعسكر معه جموع كثيرة من أهل اليمن وسارعوا ، فلما اجتمعوا إليه قام فيهم :

فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : « أيها الناس إن من رحمة الله إياكم ، ونعمته عليكم ، أن بعث فيكم رسولا ، وأنزل عليه كتابا فأحسن عنه البلاغ ، فعلمكم ما يرشدكم ، ونهاكم عما يفسدكم ، حتى علمكم ما لم تكونوا تعلمون ، ورجبكم في الخير فيما لم تكونوا ترغبون ، ثم قد دعاكم إخوانكم الصالحون إلى جهاد المشركين ، واكتساب الأجر العظيم ، فاینفر من أراد النفير معي الساعة » .

فنفر بعدد من أهل اليمن كثير ، وقدموا على أبي بكر ففرح بمقدمهم .

(فتوح الشام ص ٦)

٥٤ - وصية خالد بن سعيد بن العاص لأبي بكر

ولما أراد خالد بن سعيد بن العاص أن يغدو سائرا إلى الشام ، ابس سلاحه ؛ وأمر إخوته فلبسوا أسلحتهم ، عمرا والحكم وأبان ، وغلمته ومواليه ، ثم أقبل إلى أبي بكر رضي الله عنه بعد صلاة الغداة وصلى معه ، فلما انصرفوا قام إليه هو وإخوته ، فجلسوا إليه فحمد الله خالد وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« يا أبا بكر ، إن الله أكرمنا وإياك والمسلمين طرّا بهذا الدين ، فأحق من أقام السنة ، وأما البدعة ، وعدل في السيرة ، الوالي على الرعية ، وكل امرئ من أهل هذا الدين محقوق بالإحسان ، ومعدلة الوالي أعم نفعاً ، فاتق الله يا أبا بكر فيمن ولاك الله أمره ، وارحم الأرملة واليتيم ، وأعن الضعيف المظلوم ، ولا يكن رجل من المسلمين إذا رضيت عنه آثر عندك في الحق منه إذا سخطت عليه ، ولا تغضب . ما قدرت على ذلك ، فإن الغضب يجر الجور . ولا تحقد على مسلم وأنت تستطيع ، فإن حقدك على المسلم يجعلك له عدواً ، وإن اطلع على ذلك منك عاداك ، فإذا عادى الوالي الرعية ، وعادت الرعية الوالي ، كان ذلك قمعاً أن يكون إلى هلاكهم داعياً ، وكن لنا للمحسن ، واشدد على المريب ، ولا تأخذك في الله لومة لائم » .

م قال : هات يدك ، فإني لا أدري : هل نلتقي في الدنيا بعد هذا اليوم ؟ فإن قضى الله لنا التقاء فنسأل الله عفوه وغفرانه ؛ وإن كانت هي الفرقة التي ليس بعدها التقاء ، فعرفنا الله وإياك وجه النبي صلى الله عليه وسلم في جنات النعيم » فأخذ أبو بكر رضى الله عنه بيده ، ثم بكى وبكى خالد والمسلمون ، وظنوا أنه يريد الشهادة .
(فتوح الشام ص ١٧)

٥٥ - وصية أبي بكر لخالد بن سعيد بن العاص

فلما خرج من المدينة قال له أبو بكر رضى الله عنه :

« إنك قد أوصيتني برشدى وقد وعيتك ، وأنا موصيك فاستمع وصيتي وعيها ، إنك امرؤ قد جعل الله لك سابقة في الإسلام ، وفضيلة عظيمة ، والناس ناظرون إليك ، ومستمعون منك ، وقد خرجت في هذا الوجه العظيم الأجر ، وأنا أرجو أن يكون خروجك فيه لحسبة ونية صادقة إن شاء الله ، فثبّت العالم ، وعلمّ الجاهل ، وعاتب السفية المترّف ، وانصح لعامة المسلمين ، واخصص الوالى على الجند من نصيحتك ومشورتك ما يحق الله للمسلمين عليك واعمل لله كأنك تراه ، واعدد نفسك فى الموتى ، واعلم أنا عما قليل ميتون ثم مبعوثون ثم مساءلون ومحاسبون ، جعلنا الله وإياك لأنعمه من الشاكرين ولنقمه من الخائفين ثم أخذ يده فودعه » .

وجهاز أبو بكر أربعة جيوش على أحدها عمرو بن العاص ووجهه إلى فلسطين ، وعلى الثانى شرحبيل ابن حسنة ووجهه إلى الأردن ، وعلى الثالث يزيد بن أبى سفيان ووجهه إلى البلقاء ، وعلى الرابع أبو عبيدة عامر بن الجراح ووجهه إلى حمص ، وشيع الأمراء ووصاهم .
(فتوح الشام ص ١٨)

٥٦ - وصية أبي بكر لعمرو بن العاص

ولما أجمع أبو بكر أن يبعث الجيوش إلى الشام كان أول من سار من عماله عمرو ابن العاص .

وخرج أبو بكر بمشى إلى جنب راحلة عمرو بن العاص وهو يوصيه ويقول :

« يا عمرو اتق الله في سر أمرك وعلانيته ، واستحجيه فإنه يراك ويرى عمالك ، وقد رأيت تقديمي إياك على من هو أقدم سابقاً منك ، ومن كان أعظم غناء عن الإسلام وأهله منك ، فكن من عمال الآخرة ، وأرد بما تعمل وجه الله ، وكن والدا لمن معك . ولا تكشفن الناس عن أستارهم ، واكف بعلايتهم ، وكن مجداً في أمرك ، واصدق اللقاء إذا لاقيت ولا تبجن ، وتقدم في العلوم^(١) وعاقب عليه ، وإذا وعظت أصحابك فأوجز وأصلح نفسك تصلح لك رعيتك في وصية له طويلة » .

(تاريخ ابن عساکر ١ : ١٢٩)

٥٧ - وصية أخرى

وأمد أبو بكر أبا عبدة بجيش عليه عمرو بن العاص ، فلما أراد الشخصوص خرج معه أبو بكر رضی الله عنه يشيعه وقال :

« يا عمرو إنك ذو رأي وتجربة بالأمر وتبصرة بالحرب . وقد خرجت مع أشرف قومك ، ورجال من صلحاء المسلمين ، وأنت قادم على إخوانك فلا تألم نصيحة ، ولا تدخر عنهم صالح مشورة ، فرب رأي لك محمود في الحرب ، مبارك في عواقب الأمور » فقال له عمرو : ما خلقتني أن أصدق ظنك وأن أقبل رأيك ، ثم ودعه وانصرف .

(فتوح الشام ص ٤١)

٥٨ - وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان

ودعا يزيد بن أبي سفيان فعقد له وأوصاه فقال :

« يا يزيد ، إني أوصيك بتقوى الله وطاعته ، والإيثارة له ، والخوف منه ، وإذا لقيت

(١) هكذا في الأصل .

العدو فأظفركم الله بهم ، فلا تغلّ ولا تمثّل ، ولا تغدروا ولا تجبن ، ولا تقتلوا وليدا ،
ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، ولا تحرقوا نخلا ولا تقعره ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ،
ولا تقفروا بهيمة إلا لما كلفت ، وستمرون بقوم في الصوامع ، يزعمون أنهم حبسوا أنفسهم
لله ، فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له ، وستجدون آخرين قد فحص الشيطان عن أوساط
رءوسهم ، حتى كأن أوساط رءوسهم أفاحيص^(١) القطا ، فاضربوا ما فحسوا من رءوسهم
بالسيوف ، حتى يُنهبوا إلى الإسلام ، أو يؤدروا الجزية عن يد وهم صاغرون ، ولينصرن الله
من ينصره ورسله بالغيب « ثم أخذ يده فقال : « إني أستودعك الله وعليك سلام الله
ورحمته » ثم ودّعه وقال : « إنك أول أمرائي ، وقد وليتك على رجال من المسلمين أشرف
غير أوزاع^(٢) في الناس ، فأحسن صحبتهم ، ولتكن لهم كنفاً واخفض لهم جناحك
وشاورهم في الأمر ، أحسن الله لك الصحابة وعلينا الخلافة » . (فتوح الشام ص ٨)

٥٩ - وصية أخرى ليزيد بن أبي سفيان

ووصى يزيد بن أبي سفيان أيضا حين وجهه لفتح الشام قال :
« إني قد وليتك لأبلوك وأجرّبك وأخرّجك^(٣) ، فإن أحسنت رددتك إلى عمك
وزدتك ، وإن أسأت عزلتك ، فعليك بتقوى الله ، فإنه يرّى من باطنك مثل الذي يرّى
من ظاهرك ، وإن أولى الناس بالله أشدهم توليا له ، وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا
إليه بعمله ، وقد وليتك عمل خالد^(٤) ، فأياك وعبيّة^(٥) الجاهلية ، فإن الله يبغضها ويبغض
إليها »

(١) جمع أفحوص وهو ما يجثم فيه القطا . (٢) أي ليسوا بأدنياء ولا ضعفاء ولا جفاة .

(٣) خرج : دربه وعلمه . (٤) هو خالد بن سعيد العاص ، وكان أبو بكر سيره إلى

الشام أولا ثم عزله . (٥) العبيّة : الكبر والفخر ، وفي الحديث : « إن الله قد وضع عنكم عبيّة الجاهلية »
يعني الكبر .

أهلها ، وإذا قدمت على جنك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير ، وعدهم إياه ، وإذا وعظهم فأوجز ، فإن كثير الكلام يُدسى بمضه بعضاً ، وأصلح نفسك يصلح لك الناس ، وصل الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها ، وإذا قدم عليك رسلُ عدوك فأكرمهم وأقلل لُبثهم حتى يخرجوا من عسكريك وهم جاهلون به ، ولا تُريثهم^(۱) فيروا خلك ، ويعلموا علمك ، وأنزلهم في ثروة عسكريك ، وامنع من قبلك من محادثتهم ، وكن أنت المتولى لكلامهم ، ولا تجعل سرك لعلايتك ، فيختلط أمرك ، وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ، ولا تخزن عن المشير خبرك ، فتوتى من قبل نفسك ، واسمر بالليل في أصحابك تأنيك الأخبار ، وتنكشف عندك الأستار ، وأكثر حرسك وبددهم في عسكريك ، وأكثر مفاجأتهم في محاربتهم بغير علم منهم بك ، فمن وجدته غفل عن محرسه ، فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط ، وعقب^(۲) بينهم بالليل ، واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة ، فإنها أيسرها لقربها من النهار ، ولا تخف من عقوبة المستحق ، ولا تليجن فيها ، ولا تسرع إليها ، ولا تأخذ لها مدقعا^(۳) ، ولا تغفل عن أهل عسكريك فتفسده ، ولا تجسس عليهم فتفضحهم ، ولا يكشف الناس عن أسرارهم ، واكتف بعلايتهم ، ولا تجالس العبّاثين ، وجالس أهل الصدق والوفاء ، واصدق اللقاء ، ولا تجبن فيجبن الناس ، واجتنب الغلول^(۴) فإنه يقرب الفقر ، ويدفع النصر ، وستجدون أقواما حبسوا أنفسهم في الصوامع ، فدعهم وما حبسوا أنفسهم له .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ۲ : ۱۹۶)

(۱) من الريث : وهو الإبطاء . (۲) عقبه تعقبيا : جاء بعقبه . (۳) لا تأخذ : من خذا يتخذو

كنصر وخذى يتخذى كرضى إذا استرخى ، والمدقع : المصق بالدقاء أو الهارب أو أشد الهزلي هزالا ؛ أى ولا تضعف ، ولا تجبن أمام تنفيذ العقوبة وهو مقابل لقوله : ولا تسرع إليها .

(۴) غل غلولا : خان .

۶۰ - دعاء أبي بكر

وكان أبو بكر رحمة الله عليه يدعو في كل يوم غُدُورَةً وَعَشِيَّةً في دُبُرِ صلاة الغداة

وبعد العصر يقول :

« اللهم إنك خلقتنا ولم نكُ شيئاً ، ثم بعثت إلينا رسولا ، رحمة منك لنا ، وفضلا
منك علينا ، فهديتنا وكنا ضلّالاً ، وحببت إلينا الإيمان وكنا كفارا ، وكثرتنا وكنا قليلا
وجمعتنا وكنا أشتاتا ، وقويتنا وكنا ضعافا ، ثم فرضت علينا الجهاد ، وأمرتنا بقتال المشركين
حتى يقولوا لا إله إلا الله أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، اللهم لأصبحنا أن نطلب
رضاك ، ونجاهد أعداءك ، من عدل بك ، وعبد معك إلهاً غيرك ، تعاليت عما يقولون علوا
كبيراً ، اللهم فانصر عبادك المسلمين على عدوك من المشركين ، اللهم افتح لهم فتحاً يسيراً ،
وانصرهم نصراً عزيزاً ، واجعل لهم من لدنك سلطاناً نصيراً ، اللهم شجّع جُبنهم وثبت
أقدامهم ، وزلزل بعدوهم ، وأدخل الرعب قلوبهم ، واستأصل شأفتهم ، واقطع دابرهم ،
وأبد خضراءهم ، وأورثنا أرضهم وديارهم وأموالهم ، وكن لنا ولياً ، وبنّا حفيّاً ، وأصلح
لنا شأننا كله ونياتنا وقضاءنا وتبعاتنا ، واجعلنا لأنعمك من الشاكرين ، واغفر لنا والمؤمنين
والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، ثبتنا الله وإياكم بالقول
الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، إنه بالمؤمنين رءوف رحيم » . (فتوح الشام ص ۹)

۶۱ - وصيته لشرحبيل بن حسنة

ووجه شرحبيل بن حسنة ، وودعه فقال له : يا شرحبيل ، ألم تسمع وصيتي ليزيد

ابن أبي سفيان ؟ قال : بلى ، قال : فإني أوصيك بمثلها ، وأوصيك بخصال أغفلت ذكرهن

ليزيد : أوصيك بالصلاة في وقتها ، وبالصبر يوم البأس حتى تظفر أو تقتل وبعيادة
المرضى ، وبحضور الجنائز ، وذكر الله كثيرا على كل حال «
(فتوح الشام ص ١١)

٦٢ - وصيته لأبي عبيدة بن الجراح

ولما أراد أن يبعث أبا عبيدة بن الجراح دعاه فودعه ثم قال له :
« اسمع سماع من يريد أن يفهم ما قيل له ، ثم يعمل بما أمر به ، إنك تخرج في
أشراف الناس ، وبيوتات العرب ، وصلاحاء المسلمين ، وفرسان الجاهلية ، كانوا يقاتلون
إذ ذاك على الحمية ، وهم اليوم يقاتلون على الحسبة والنية الحسنة ، أحسن صحبة من
صحبك ، وليكن الناس عندك في الحق سواء ، واستعن بالله وكفى بالله معيناً ، وتوكل على
الله وكفى بالله وكيلاً ، اخرج من غد إن شاء الله . »
(فتوح الشام ص ١٢)

٦٣ - وصيته لأبي عبيدة بن الجراح أيضا

فلما كان من الغد خرج أبو بكر رضى الله عنه يمشى في رجال من المسلمين ، حتى
أتى أبا عبيدة ، فسار معه حتى بلغ ثنية الوداع ، ثم قال حين أراد أن يفارقه :
« يا أبا عبيدة ، اعمل صالحاً . وعش مجاهداً ، وتوف شهيداً ، يعطك الله كتابك
بيمينك ، ولتقر عينك في دنياك وآخرتك ، فوالله إنى لأرجو أن تكون من التوابين
الأوابين الخبثين^(١) الزاهدين في الدنيا ، الراغبين في الآخرة ، إن الله قد صنع بك خيراً
وساقه إليك ، إذ جعلك تسير في جيش من المسلمين إلى عدوه من المشركين ، فقاتل من
كفر بالله وأشرك به ، وعبد معه غيره . »
(فتوح الشام ص ١٤)

(١) في الأصل « المعشئين » ، وأخبت : خشع وتواضع .

٦٤ - خطبة أبي بكر

وسار أبو عبيدة حتى إذا دنا من الجابية بلغه أن هرقل ملك الروم بأنطاكية ، وأنه قد جمع لهم جموعاً كثيرة ، فكتب أبو عبيدة إلى أبي بكر يخبره بذلك ، فقام أبو بكر رضى الله عنه في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فإن إخوانكم المسلمين معافون مكاثون^(١) ، مدفوع عنهم ، مصنوع لهم ، وقد ألقى الله الرعب في قلوب عدوهم منهم ، وقد اعتصموا حصونهم ، وأغلقوا أبوابها دونهم عليهم ، وقد جاءتني رسالهم يخبرونني بهرب هرقل ملك الروم من بين أيديهم ، حتى نزل قرية من قرى الشام في أقصى الشام ، وقد بعثوا إلى يخبرونني أنه قد وجه إليهم هرقل جنداً من مكانه ذلك ، فرأيت أن أمد إخوانكم المسلمين بجند منكم يشدد الله بكم ظهورهم ، ويكبت بهم عدوهم ، ويلق بهم الرعب في قلوبهم . فانتدبوا رحمكم الله مع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص . واحتسبوا في ذلك الأجر والخير فإنكم إن نصرتم فهو الفتح والغنيمة . وإن تهلكوا فهي الشهادة والكرامة » .
(فتوح الشام ص ٢٧)

٦٥ - وصية أبي بكر لهاشم بن عتبة

ولما سار هاشم بن عتبة ودعه أبو بكر رضى الله عنه وقال له :
« يا هاشم إنا إنما كنا ننتفع من الشيخ الكبير برأيه ومشورته وحسن تديره ، وكنا ننتفع من الشاب بصبره وبأسه ونجدته ، وإن الله عز وجل قد جمع لك تلك الخصال كلها ، وأنت حديث السن مستقبل الخير ، فإذا لقيت عدوك فاصبر وصابر ، واعلم أنك لا تخطو خطوة ، ولا تنفق نفقة ، ولا يصيبك ظمأ ولا نصب ولا مخمصة^(٢) في سبيل الله إلا كتب الله لك به عملاً صالحاً ، إن الله لا يضيع أجر المحسنين » .

(٢) جوع .

(١) محروسون .

فقال هاشم : إن يرد الله بي خيراً يجعلني كذلك ، وأنا أفعل ولا قوة إلا بالله ، وأنا أرجو إن أنا لم أقتل أن أقتل ثم أقتل إن شاء الله .

فقال له عمه سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه : « يا ابن أخي لا تطعن طعنة ولا تضرب بن ضربة إلا وأنت تريد بها وجه الله ، واعلم أنك خارج من الدنيا رشيداً ، وراجع إلى الله قريباً ، ولن يصحبك من الدنيا إلى الآخرة إلا قدم صدق قدمته ، أو عمل صالح أسلفته » .

فقال أى عم : لا تخالن^(١) منى غير هذا ، إني إذا لمن الخاسرين ، إن جعلت حلى وارتحالى وغدوى ورواحى وسيفى وطعنى برحى وضربى بسيفى رياء للناس .
ثم خرج فقدم على أبي عبيدة فتباشر بمقدمه المسلمون . (فتوح الشام ص ٢٨)

٦٩ - خطبة خالد بن الوليد يوم اليرموك

ووجه هرقل إلى كل جيش من جيوش المسلمين جيشاً يفوقه ، فأشار عمرو بن العاص على الأمراء بالاجتماع ، فأرسلوا إلى أبي بكر في ذلك فأشار عليهم بمثل رأى عمرو .
فاجتمعوا باليرموك وكل واحد من الأمراء أمير على جيشه ، والروم أمامهم ، وبين الفريقين خندق ؛ فكان الروم يقاتلون باختيارهم ، وإن شاءوا احتجزوا بخنادقهم ، فأرسل الأمراء إلى أبي بكر يستمدونه .
فكتب إلى خالد بن الوليد أمير جند العراق يأمره أن يستخلف على جنده بعد أن يأخذ معه نصفه ويتوجه إلى الشام مدداً لأمرائه ؛ فسار إلى الشام ؛ ووفى المسلمين وهم متضايقون ، إذ وصل باهان بجيش مدداً للروم ، فولى خالد قتاله ، وقاتل كل أمير من يازائه متساندين (٢) ، فرأى خالد أن هذا القتل لا يجدى نفعا مادامت كل فرقة من الجيش لها أمير فجمع الأمراء وخطبهم .

فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« إن هذا يوم من أيام الله ، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي ، أخلصوا جهادكم ، وأريدوا الله بعملكم ، فإن هذا يوم له ما بعده ، ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبية ، على تساند

(١) في الأصل « لا تخافن » . (٢) أى تحت رايات شتى لانجسهم راية أمير واحد .

وانتشار ، فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي ، وإن من وراءكم^(١) لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا ، فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون أنه الرأي من واليكم ومحبتته .

قالوا : فهات فما الرأي ؟ قال : إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أننا سنتياسر^(٢) ، ولو علم بالذي كان ويكون لما جمعكم . إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيتهم ، وأنفع للمشركين من أمدادهم ، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم ، فالله الله فقد أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان ، لا ينتقص منه أن دان لأحد من أمراء الجنود ، ولا يزيده عليه أن دانوا له ، إن تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله ، ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هلموا فإن هؤلاء قد تهيأوا ، وهذا يوم له ما بعده إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم ، وإن هزمونا لم نفلح بعدها ، فهلما فلنتعاور^(٣) الإمارة ، فليكن عليها بعضنا اليوم ، والآخر غدا ، والآخر بعد غد ، حتى يتأمر كلكم ودعوني أتأمر اليوم » فأمره وانتهت الموقعة بهزيمة الروم شر هزيمة (سنة ١٣ هـ) .

(تاريخ الطبري ٤ : ٣٣ والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٠٠)

٦٧ - خطبة أبي عبيدة في وقعة اليرموك

ولما برز المسلمون إلى الروم في وقعة اليرموك سار أبو عبيدة في المسلمين ثم قال : « يا عباد الله ، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، فإن وعد الله حق ، يا معشر المسلمين اصبروا ، فإن الصبر منجاة من الكفر ، ومرضاة للرب ، ومدحضة للعار ، فلا تبرحوا مصافكم ، ولا تخطوا إليهم خطوة ولا تبدءوهم بقتال ، وأشرعوا الرماح ، واستقروا بالدرق ، والزموا الصمت إلا من ذكر الله ، حتى آمركم إن شاء الله » .

(فتوح الشام ص ١٩٥)

(١) يعني أبا بكر . (٢) التياسر : التحامل . (٣) نتعاقب عليها .

٦٨ - قصص معاذ بن جبل

وخرج معاذ بن جبل يقص على الناس ويقول :

« يا قراء القرآن ، ومستحفظي الكتاب ، وأنصار الهدى ، وأولياء الحق ، إن رحمة الله - والله - لا تُنال ، وجنته لا تدخل بالأمانى ، ولا يؤتى الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادقين المصدقين بما وعدهم الله عز وجل ، ألم تسمعوا لقول الله « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ » .

أنتم إن شاء الله منصورون ، فأطيعوا الله ورسوله ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ، واستحيوا من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم ، وأنتم في قبضته ورحمته ، وليس لأحد منكم ملجأ ولا ملتجأ من دونه ولا متعزز بغير الله » .

فجعل يمشى في الصفوف ويحرضهم ويقص عليهم ثم انصرف إلى موقفه .
(فتوح الشام ص ١٩٥)

٦٩ - خطبة عمرو بن العاص

ومر عمرو بن العاص يومئذ على الناس ، فجعل يعظهم ويقص عليهم ، ويحرضهم

ويقول :

« أيها الناس : غضوا أبصاركم ، واجثوا على الركب ، وأشرعوا الرماح ، والزموا مراكم ومصافكم ، فإذا حمل عليكم عدوكم فأمهلوهم ، حتى إذا ركبوا أطراف الأُسنة ، فثبوا في وجوههم وثوب الأسد ، فوالذي يرضى الصدق ويمقت الكذب ويعاقب عليه ،

ويجزى بالإحسان ، لقد بلغنى أن المسلمين سيفتحونها كفرةً كفرةً^(١) ، وقصراً قصراً ،
فلا يهولنكم جموعهم ولا عددهم ، فإنكم لو قد صدقتموهم الشدة لقد اندعروا اندعار أولاد
الحجل^(٢) .
(فتوح الشام ص ١٩٦)

٧٠ - خطبة أبي سفيان بن حرب

وكان أبو سفيان بن حرب يسير في الناس يوم اليرموك ، ويقف على أهل كل راية
وعلى كل جماعة فيحرض الناس ويحضهم ويمظهم ويقول :

« إنكم يا معشر المسلمين أصبحتم في دار العجم ، منقطعين عن الأهل^(٣) ، نائنين عن
أمير المؤمنين وأمداد المسلمين ، وقد والله ، أصبحتم بإزاء عدو كثير عددهم ، شديد عليكم
حنقهم ، وقد وترتموهم في أنفسهم ونسائهم وأولادهم وأموالهم وبلادهم ، فلا والله لا ينجيكم
منهم اليوم وتبلغون رضوان الله إلا بصدق اللقاء ، والصبر في مواطن المكروه ، فامتنعوا
بسيوفكم ، وتقربوا بها إلى خالفكم ، ولتكن هي الحصون التي تلجئون إليها ،
وبها تمنعون . »

وقاتل أبو سفيان يومئذ قتالاً شديداً ، وأبلى بلاء حسناً . (فتوح الشام ص ١٩٧)

٧١ - وصية أبي بكر لعمر رضى الله عنهما عند موته

« إني مستخلفك من بعدى ، وموصيك بتقوى الله ، إن لله عملاً بالليل لا يقبله
بالنهار ، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا يُقبَلُ نافلةٌ حتى تُؤدَّى الفريضةُ ، فإنما
ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم ،

(١) القرية . (٢) الحجل : الذكر من القبيح .

(٣) في الأصل « الأبل » وهو تحريف .

وَحُقُّ لِمِيزَانٍ لَا يَوْضَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا ، وَإِنَّمَا خَفْتُ مُوَازِينَ مِنْ خَفْتُ مُوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ وَخَفْتِهِ عَلَيْهِمْ ، وَحُقُّ لِمِيزَانٍ لَا يَوْضَعُ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلَ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا . إِنْ اللَّهُ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَذَكَرَهُمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ ، وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ ، فَإِذَا ذَكَرْتُهُمْ قُلْتُ إِنِّي أَخَافُ إِلَّا أَنْ أَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ ، وَذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ فَذَكَرَهُمْ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ وَلَمْ يَذْكُرْ حَسَنَاتِهِمْ ، فَإِذَا ذَكَرْتُهُمْ قُلْتُ إِنِّي لِأَرْجُو إِلَّا أَنْ أَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ ، وَذَكَرَ آيَةَ الرَّحْمَةِ مَعَ آيَةِ الْعَذَابِ لِيَكُونَ الْعَبْدُ رَاغِبًا رَاهِبًا ، وَلَا يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ، وَلَا يُبَلِّغُنِي بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ ، فَإِذَا حَفِظْتُ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُنْ غَائِبًا أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ وَهُوَ آتِيكَ ، وَإِنْ ضَيَعْتَ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُنْ غَائِبًا أَبْغَضَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ وَلَسْتُ بِمُعْجِزِ اللَّهِ .»

(البيان والتبيين ۲ : ۲۲ ، والكامل لابن الأثير ۲ : ۲۰۸ ، والعقد الفريد : ۲۹۸)

۷۲ - كلامه لعبد الرحمن بن عوف في علمته التي مات فيها

وقال عبد الرحمن بن عوف :

« دخلت يوماً على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، في علمته التي مات فيها ، فقالت له : أراك بارئاً يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أما إني على ذلك لشديد الوجع ، ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشدَّ عليَّ من وجعي ، إني ولَّيتُ أموركم خيرَكم في نفسي ، فكلِّمكم وريمَ أنفه أن يكون له الأمرُ من دونه ، والله لَتَتَّخِذَنَّ نَضَائِدَ^(۱) الدَّيْبَاجِ وَسُتُورَ الْحَرِيرِ ، وَلِتَأْلَمَنَّ النَّوْمَ عَلَى الصُّوفِ الْأَذْرَبِيِّ^(۲) ، كَمَا يَأْلَمُ أَحَدُكُمْ النَّوْمَ عَلَى حَسَاكِ السَّعْدَانِ^(۳) ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لِأَنْ يُقَدِّمَ أَحَدُكُمْ فَتَضْرِبَ

(۱) جمع نضيدة ؛ وهي الوسادة وما ينضد من المتاع . (۲) نسبة إلى أذربيجان .

(۳) نبت كثير الحسك تأكله الإبل فتسمن عليه ويغذوها غذاء لا يوجد في غيره ، وفي المثل : مرعى

ولا كالسعدان .

عنفه في غير حدّ خير له من أن يخوض غمرات الدنيا ، يا هادي الطريق جرّت إنما هو والله
الفجر أو البجر^(۱) ،

فقلت : خفض عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن هذا يهيبك^(۲) إلى
ما بك ، فوالله ما زلت صالحاً مصلحاً ، لا تأسى على شيء فاتك من أمر الدنيا ، واقد
تخليت بالأمر وحدك فما رأيت إلا خيراً .

(تهذيب الكامل ۱ : ۶ ، وإعجاز القرآن ۱۱۶ ، والمعقد الفريد ۲ : ۲۰۸ ، وتاريخ الطبري ۴ : ۵۲)

۷۳ - خطبة السيدة عائشة في الانتصار لأبيها

يروى أنه بلغ عائشة رضی الله عنها أن أقواماً يتناولون أبا بكر رضی الله عنه
فأرسلت إلى أزفلة^(۳) من الناس ، فلما حضروا أسدلت^(۴) أستارها ، وعلت وسادها ،
ثم قالت :

« أبي وما أبيه ، أبي والله لا تعطوه الأيدي^(۵) ، ذاك طود منيف^(۶) ، وفرع^(۷)
مديد ، هيهات كذبت الظنون ، أنجح^(۸) إذا كديتم ، وسبق إذ ونيتم^(۹) ، سبق
الجواد إذا استولى على الأمد^(۱۰) ، فتي قریش ناشتاً ، وكهفها^(۱۱) كهلا ، يفك عانيها ،
ويريش^(۱۲) مملقها ، ويرأب شعبها^(۱۳) ، ويلم شعنها ، حتى حلّيته^(۱۴) قلوبها ، ثم

(۱) الشر والأمر العظيم . يقول : إن انتظرت حتى يضيء لك الفجر والطريق أبصرت قصدك ؛ وإن
خبطت الظلماء وركبت العشواء هجما بك على المسكروه ؛ وضرب ذلك مثلاً لغمرات الدنيا وتغييرها أهلها .
(۲) هاض العظم : كسره بعد الجبور .

(۳) جماعة . (۴) سدله يسدله : كنعصر وضرب وأسدله أرخاه . (۵) تتناولوه .

(۶) الطود : الجبل ، والمنيف : المشرف . (۷) فرع كل شيء أعلاه ، ومن القوم شريفهم .

(۸) أنجح : صار ذا نجح . (۹) الكدية : بضم فسكون الأرض الغليظة ، والصفة العظيمة

الشديدة ، وحفر فأكدي إذا صادفها فلا يمكنه الحفر (وسأله فأكدي وجده مثلها) : وونيتم أي فترتم وضعفتم

(۱۰) الغاية والمنتهى . (۱۱) الكهف : الوزر والملجأ ، والكهل من جاوز الثلاثين أو أربعاً

وثلاثين إلى إحدى وخمسين . (۱۲) راش السهم يريشه ألزق عليه الريش كريشه ؛ والمراد يعينه ويساعده .

(۱۳) يصلح . والشعب : الصدع . (۱۴) حلّ الشيء : استحلّاه .

استشرى^(١) في دين الله ، فما برحت شكيمته^(٢) في ذات الله عز وجل ، حتى اتخذ
 بفنائِه مسجداً ، يحيى فيه ما أمات المبتلون ، وكان رحمه الله غزير الدِّمعة ، وقيد^(٣)
 الجوانح ، شجى^(٤) الذَّشيج^(٤) ، فانقضت إليه نسوان مكة وولدانها ، يسخرون منه ويستهمزون
 به « الله يستهمز بهم ، ويمدُّهم في طغيانهم يعمهون »^(٥) فأكبرت ذلك رجالاً
 من قريش ، فحنت قسيها ، وفوقت سهامها^(٦) ، وامتلوه^(٧) غرضاً ، فما فلوا له صفاة^(٨) ،
 ولا قصفوا له قناة ، ومرّ على سيسائه^(٩) ، حتى إذا ضرب الدين بجرانه^(١٠) ، وورست
 أوتاده ، ودخل الناس فيه أفواجا ، ومن كل فرقة أرسالا^(١١) وأشتاتا ، اختار الله لنبيه
 ما عنده ، فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم ضرب الشيطان رواقه^(١٢) ، ومدَّ
 طنَّبه^(١٣) ، ونصب حباله ، وأجلب^(١٤) بخيله ورجله ، واضطرب حبل الإسلام ،
 ومرج^(١٥) عهده ، وماج أهله ، وبغى الفوائل ، فظنت رجال أن قد أكتبت^(١٦)
 أطاعهم ، ولات حين الذي يرجون ، وأنى والصدِّيقُ بين أظهرهم ، فقام حاسراً مشمراً ،

(١) غضب ولىج .

(٢) الشكيمة الأنفة وفي اللجام الحديدية المعترضة في فم للفرس . وهو شديد الشكيمة أنف أبي لاينقاد .
 (٣) الوقيذ : الصريع والشديد المرض المشرف . (٤) الشجى : الحزين ، والنشيج : صوت البكاء
 تشج الباكي ينشج كجلس غص بالبكاء في حلقة من غير انتحاب . (٥) العمه بفتحتين التردد في الضلال .
 (٦) فوق السهم : جعل له فوقاً ، وهو موضع الوتر من السهم . (٧) امتلوه : مثلوه .
 (٨) الحجر الصلد : الضخم . (٩) شدته . حمله على سيساء الحق أى على حده ، والسياء : عظم
 الظهر ، والعرب تضربه مثلاً لشدة الأمر . (١٠) جران البعير : مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره .
 (١١) جمع رسل بفتحتين ، وهو القطيع من كل شئ . (١٢) فسطاطه . (١٣) حبل طويل يشد به
 مرادق البيت أو الوتد . (١٤) أجلب : صاح ، والحليل : الخيالة ؛ ومنه « ياخيلى الله اركبى »
 والرجل : اسم جمع راجل كالصحب والركب ، أى صاح بالركاب والمشاة وقرى ورجلك بكسر
 الجيم وضمها .

(١٥) المرج : بفتحتين الفساد والقلق والاختلاط والاضطراب (وإنما يسكن مع المهرج) .

(١٦) أكتب : قرب ، والنهز جمع نهزة بضم النون وهى الفرصة .

فجمع حاشيتيه^(١) ، ورفع قطريه^(٢) ، فرد رَسَن^(٣) الإسلام على غزبه^(٤) ، ولمَّ
شَعَثَهُ بطبه ، وانتاش^(٥) الدين فنعشه ، فلما أراح^(٦) الحقَّ على أهله ، وقرَّر الرءوس
على كواهلها^(٧) ، وحقن الدماء في أهبها^(٨) ، أتته منيته ، فسدَّ ثلثه بنظيره في الرحمة ،
وشقيقه في السيرة والمعدلة ، ذاك ابن الخطاب ، فله دَرَّ أم^(٩) حملت به ، ودَرَّت عليه ،
لقد أوحدت^(١٠) به ، ففتن^(١١) الكفرة ، ودينحها^(١٢) ، وشرد الشرك شذر مذر^(١٣) ،
وبعج^(١٤) الأرض وبنجها^(١٥) ، فقاءت أكلها^(١٦) ولفظت خباها ، ترأمة^(١٧) ويصدفُ
عنها ، وتصدى^(١٨) له ويأبأها ، ثم وزع فيها فيها ، وودعها كما صحبها ، فأروني ماذا
ترثون ، وأيَّ يومئ أبي تنعمون ، أيوم إقامته إذ عدل فيكم أم يوم ظعنه إذ نظر لكم^(١٩) ؟
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ، ثم أقبلت على الناس بوجهها ، فقالت : أنشدكم الله
هل أنكرتم مما قلت شيئا ، قالوا : اللهم لا

(صبح الأعشى ١ : ٢٤٨ ، والعقد الفريد ٢ : ٢٠٦ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٣٠)

- (١) حاشية كل شيء : جانبه وطره . (٢) القطر : الناحية . (٣) الحبل .
(٤) الغرب : حد الشيء . (٥) انتشل ، ونعشه الله كأنه شه ، ونعشه : رفعه .
(٦) أراح على فلان حقه : رده عليه . (٧) السكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق .
(٨) جمع إهاب ، وهو الجلد ، والمراد الأجسام . (٩) الدر : اللبن والنفس والعمل .
(١٠) أوحدت المرأة : وادت واحدا ، أي جاءت به منفردا لا نظير له . (١١) أذل وقهر .
(١٢) داخ البلاد ودوخها ودينحها : قهرها واستولى على أهلها . (١٣) تفرقوا شذر مذر : ذهبوا
في كل وجه . (١٤) شقها : كناية عن الفتح . (١٥) قهر أهلها واستخرج ما فيها من الكنوز وأموال
الملوك . (١٦) الأكل : ما يؤكل ؛ أي أخرجت خيراتها . (١٧) تعطف عليه ، ويصدف أي
يعرض . (١٨) تعرض . (١٩) أي فيما يصلحكم فولي عليكم عمر .

(١٤ - جمهرة خطب العرب - أول)

۷۴ - رثاؤها لأبيها

لما توفى أبو بكر رضى الله عنه ، وقفت عائشة على قبره فقالت :

« نَضَّرَ^(۱) اللهُ وجهك يا أبتِ ، وشكر لك صالحَ سعيك ، فلقد كنتَ للدنيا مُذِلًّا
بإدبارك عنها ، وللآخرة مُعِزًّا بإقبالك عليها ، ولئن كان أجلُ الحوادث بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم رُزُوكَ ، وأعظم المصائب بعده فَقْدُكَ ، إن كتاب الله ليعِدُّ بحسن الصبر
فيك حُسْنَ العَوْضِ منك ، وأنا أستنجز موعود الله تعالى بالصبر فيك ، وأستقضيهِ^(۲)
بالاستغفار لك ، أما لئن قاموا بأمر الدنيا ، لقد قتت بأمر الدين ، لما وَهَى شَعْبَهُ^(۳) ،
وتفاقم صدءه^(۴) ، وَرَجَفَتْ^(۵) جوانبه ، فعليك سلام الله توديعَ غيرِ قالية^(۶) لحيانك ،
ولا زارية^(۷) على القضاء فيك . »

(زهر الآداب ۱ : ۴۰ ، العقد الفريد ۲ : ۷ ، نهاية الأرب ۵ : ۱۶۷ ، البيان والتبيين ۲ : ۱۶۰)

(۱) من النضرة والنضارة بفتح النون وهى الحسن .

(۲) أطلب قضاءه . (۳) وهى ضعف ، والشعب الجمع . (۴) الصدع : الشق .

(۵) اضطربت . (۶) مبهضة . (۷) عائبة ولائمة .

خطب عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

٧٥ - خطبته حين ولي الخلافة

لما استخلف عمر رضى الله عنه صعد المنبر فقال : « إني قائل كلمات فأمنوا عليهن » فكان أول منطق نطق به حين استخلف ، قال :

« إنما مثل العرب مثل جمل أنف^(١) اتبع قائده فليمنظر قائده حيث يقوده ، وأما أنا فو رب الكعبة لأحملهم على الطريق » . (تاريخ الطبرى ٤ : ٥٤ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٠٨)

٧٦ - خطبة أخرى

وقال ابن قتيبة فى عيون الأخبار : لما ولى عمر صعد المنبر فقال :

« ما كان الله ليرانى أرى نفسى أهلا لمجلس أبى بكر ، ثم نزل عن مجلسه مرقاة فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « اقرءوا القرآن تعرّفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله لأنه لم يبلغ حقّ ذى حقّ أن يطاع فى معصية الله ، ألا وإنى أنزلت نفسى من مال الله

(١) أنف البعير : اشتكى أنفه من البرة فهو أنف وأنف ؛ وفى الحديث : « المؤمن كالجمل الأنف إن قيد انقاد ؛ وإن استنبح على صخرة استناخ » وذلك للوجع الذى به فهو ذلول منقاد .

بمنزلة والى اليتيم ، إن أستغفنتُ عَفَفْتُ ، وإن افتقرتُ أكلتُ بالمعروف ، تَقَرَّمٌ^(۱)
الْبَهْمَةُ^(۲) الأعرابية ، القضمُ لا الخضمُ^(۳) .

(عيون الأخبار م ۲ ص ۲۳۵ ، والعقد الفريد ۲ : ۱۳۲)

۷۷ - خطبة له

وذكر الطبري أنه خطب فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم ذكر الناس بالله عزَّ
وجل واليوم الآخر ، ثم قال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : إني قد وليت عليكم ، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم ، وأقواكم
عليكم ، وأشدكم استضلاعاً^(۴) بما ينوب من مهمم أموركم ، ما توليت ذلك منكم ، ولكفى
عمرَ مهمماً مُحزناً انتظارُ موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف آخذها ، ووضعها أين أضعها ،
وبالسير فيكم كيف أسير ، فربى المستعان ، فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم
يتداركه الله عزَّ وجل برحمته وعونه وتأيدته . »

(تاريخ الطبري ۵ : ۲۵ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۳ ص ۱۲۴)

۷۸ - خطبة له

ثم خطب فقال :

« إن الله عز وجل قد ولاني أمركم ، وقد علمت أنفع ما بحضرتكم لكم ، وإني
أسأل الله أن يعينني عليه ، وأن يجرسني عنده كما حرسني عند غيره ، وأن يُلهمني العدل

(۱) تقرر الصبي أكل أكلا ضعيفا ، وذلك في أول أكله . (۲) البهمة : أولاد الضأن والمعز

والبقر . (۳) القضم : الأكل بأطراف الأسنان والخضم الأكل بأقصى الأضراس .

(۴) الذي في كتب اللغة « اضطلاع » يقال هو مضطلع بهذا الأمر ، أي قوى عليه .

فی قسمکم کالذی أمرنی به ، وإنی امرؤ مسلم وعبد ضعيف ، إلا ما أعان الله عز وجل ، ولن یغیر الذی ولیت من خلافتکم من خلقی شیئاً إن شاء الله ، إنما العظمة لله عز وجل ، وليس للعباد منها شیء ، فلا یقولن أحد منکم إن عمر تَغَیَّرَ منذ ولی ، أَعِقلُ الحق من نفسی ، وأتقدّم وأبین لکم أمری ، فأیما رجلٍ کانت له حاجة ، أو ظلمَ مَظْلَمَةً ، أو عتب علینا فی خلق فلیؤذنی ، فأیما أنا رجل منکم ، فعلیکم بتقوی الله فی مرکم وعلانیتکم وحرّماتکم وأعراضکم ، وأعطوا الحق من أنفسکم ، ولا یحمل بعضکم بعضاً علی أن تحاکموا إلیّ ، فإنه لیس بینی وبين أحد من الناس هوّادة ، وأنا حبیب إلیّ صلاحکم ، عزیز علی عنتکم ، وأنتم أناسٌ عامّةٌ کم حضر فی بلاد الله ، وأهل بلد لا زرع فیہ ولا ضرع ، إلا ما جاء الله به إلیه ، وإن الله عزّ وجل قد وعدکم کرامة کثیرة ، وأنا مسؤل عن أمانتی وما أنا فیہ ، ومُطَّلَع علی ما بحضرتی بنفسی إن شاء الله ، لا أکلهُ إلی أحد ، ولا أستطیع ما بعدّ منه إلا بالأمناء وأهل النصح منکم للعامة ، ولست أجعل أمانتی إلی أحد سواهم إن شاء الله .

(تاریخ الطبری ۵ : ۲۶ ، وشرح ابن الحدید ۳ : ۱۲۴)

۷۹ - خطبة أخرى

وقال ابن عبد ربّه : وخطب إذ ولی الخلافة : صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنی علیه ،

ثم قال :

« یأیها الناس ، إنی داعٍ فأمنوا ، اللهم إنی غلیظ فَلَیِّنِي لأهل طاعتک ، بموافقة

الحقّ ، ابتغاء وجهک والدار الآخرة ، وارزقنی الغلظة والشدة علی أعدائک ، وأهل

الدّعارة^(۱) والنفاق ، من غیر ظلم منی لهم ، ولا اعتداء علیهم ، اللهم إنی شحیح ، فَسَخِّنِي

(۱) الفجور .

فی نوائب المعروف ، قَصْدًا من غیر سَرَفٍ ولا تبذیر ولا رِیاء ولا مُسْمَعَةً ، واجعلنی أبتغی
 بذلك وجهک والدار الآخرة ، اللهم ارزقنی خَفْضَ الْجَنَاحِ ، وَابْنَ الْجَانِبِ لِمُؤْمِنِينَ ،
 اللهم إنی کثیر الغفلة والنسیان ، فألهمني ذکرك علی کل حال ، وَذِکْرَ الْمَوْتِ فی کل حین .
 اللهم إنی ضعیف عن العمل بطاعتک ، فارزقنی النشاط فیها ، والقوة علیها ، بالنية الحسنة
 التي لا تكون إلا بعزتك وتوفیقک ، اللهم ثبتنی بالیقین والبرِّ والتقوی ، و ذکر المقام بین
 یدیک ، والحیاء منک ، وارزقنی الخشوعَ فیما یرضیک عنی ، والمحاسبةَ لِنَفْسِی ، وإصلاحَ
 الساعاتِ والحذرَ من الشُّبُهَاتِ ، اللهم ارزقنی التفکر والتدبر لما یتلوه لسانی من کتابک ،
 والفهمَ له ، والمعرفةَ بمعانیه ، والنظر فی عجائبه ، والعمل بذلك ما بقیت ، إنک علی کل
 شیء قدير .

(العقد الفريد ۲ : ۱۲۳)

۸۰ - خطبة له

وخطب أيضاً ، فقال بعد ما حمد الله وأثنى علیه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم :
 « أيها الناس ، إن بعض الطمع فقر ، وإن بعض اليأس غنى ، وإنكم تجمعون
 ما لا تأكلون ، وتأملون ما لا تدركون ، وأنتم مؤجلون في دار غرور ، كنتم على عهد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤخذون بالوحي ، فمن أسر شيئاً أخذ بسريرته ، ومن أعلن
 شيئاً أخذ بعلايته ، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم ، والله أعلم بالسراير ، فإنه من أظهر لنا
 قبيحاً وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه ، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسناً ،
 واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق ، فأنفقوا خيراً لأنفسكم ، ومن يوق شح نفسه
 فأولئك هم المفلحون . أيها الناس أطيبوا منواكم ، وأصلحوا أموركم ، وانقوا الله
 ربكم ، ولا تلبسوا نساءكم القباطي^(۱) فإنه إن لم يشف فإنه يصف . أيها الناس : إني لو ددتُ

(۱) القباطي (بضم الأول وتشديد الآخر ، أو القباطي بفتح الأول وتخفيف الآخر) ثياب
 كتان بيض رفاق كانت تعمل في مصر جمع قبطية (بضم القاف نسبة إلى القبط على غير قياس وقد تكسر)
 وشف الثوب يشف رق فحكى ماتحته ، وتوله : فإنه يصف أي ماتحته من أجزاء البدن ويحدها لرقته وطرأوته

أن أنجو كغافاً لآلى ولا على ، وإني لأرجو إن عُمرت فيكم بسيراً أو كثيراً أن أعمل
بالحق فيكم إن شاء الله ؛ وأن لا يبقى أحد من المسلمين وإن كان في بيته إلا أتاه حقه
ونصيبه من مال الله وإن لم يُعمل إليه نفسه ، ولم يُنصب إليه بدنه ، وأصلحوا أموالكم
التي رزقكم الله ، وقليل في رفق خيرٌ من كثير في عنف ، والقتل حتف من الختوف ،
يصيب البرّ والفاجر ، والشهيد من احتسب نفسه ، وإذا أراد أحدكم بهيراً فليعمد إلى
الطويل العظيم فليضربه بعصاً ، فإن وجدته حديد الفؤاد فليشتره .

(تاريخ الطبري ۵ : ۲۶ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۳ : ص ۱۲۵)

۸۱ - خطبة له

وخطب أيضاً فقال :

« إن الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر ، واتخذ عليكم الحجج فيما آتاكم
من كرامة الآخرة والدنيا من غير مسألة منكم له ، ولا رغبة منكم فيه إليه ، فخلقكم
تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئاً ، لنفسه وعبادته ، وكان قادراً أن يجعلكم لأهون خلقه
عليه ، فجعل لكم عامّة خلقه ، ولم يجعل لكم لشيء غيره ، وسخر لكم مافي السموات
وما في الأرض ، وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة ، وحملكم في البرّ والبحر ،
ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ، ثم جعل لكم سمعاً وبصراً ، ومن نعم الله
عليكم نعم عمّ بها بني آدم ، ومنها نعم اختص بها أهل دينكم ، ثم صارت تلك النعم
خواصّها وعوامّها في دولتكم وزمانكم وطبقتكم ، وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ
خاصّة إلا لو قسّم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أنعمهم شكرها ، وقدحهم حقها إلا
بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله ، فأنتم مستخلفون في الأرض ، قاهرون لأهلها ، قد
نصر الله دينكم ، فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان ، أمة مستعبدة للإسلام وأهله ،

يتجرون لكم ، تستصفون^(۱) معايشهم وكدايحهم وَرَشَحَ جباههم ، عليهم المثونة ولكم
 المنفعة ، وأمة تنتظر وقائع الله وَسَطَوَاتِهِ في كل يوم وليلة ، قد ملأ الله قلوبهم رعبا ، فليس
 لهم مَعْقِلٌ يلجئون إليه ، ولا مَهْرَبٌ يتقون به ، قد دَهَمَتَهُمْ جنود الله عز وجل ، ونزلت
 بساحتهم مع رَفَاغَةٍ^(۲) العيش ، واستفاضة المال ، وتتابع البعوث ، وسدَّ الثغور بإذن الله
 في العافية الجليلة العامة ، التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الإسلام ، والله
 المحمود مع الفتوح العظام في كل بلد ، فما عسى أن يباغ مع هذا شكرُ الشاكرين ، وَذِكْرُ
 الذاكرين ، واجتهادُ المجتهدين ، مع هذه النعم التي لا يحصى عددها ، ولا يقدرُ قدرها ،
 ولا يستطيع أداء حقها ، إلا بعون الله ورحمته ولطفه . فنسأل الله الذي لا إله إلا هو ، الذي
 أبلانا هذا ، أن يرزقنا العمل بطاعته ، والمسارعة إلى مرضياته . فاذكروا عباد الله بلاء الله
 عندكم ، واستتموا نعمة الله عليكم ، وفي مجالسكم مثنى وَفُرَادَى فإن الله عز وجل قال
 لموسى : « أَخْرِجْ قُوَّةَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ » وقال لمحمد
 صلى الله عليه وسلم : « وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ » فلو كنتم
 إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق تؤمنون بها ، وتستريحون
 إليها ، مع المعرفة بالله ودينه ، وترجون بها الخير فيما بعد الموت لكان ذلك ، ولكنكم
 كنتم أشد الناس معيشة ، وأعظم الناس بالله جهالة . فلو كان هذا الذي ابتلاكم به لم يكن
 معه حظ في دنياكم . غير أنه ثقةٌ لكم في آخرتكم ؛ التي إليها المعاد وَالْمُنْقَلَبُ ، وأنتم
 من جهد المعيشة على ما كنتم عليه ، كنتم أحرىء أن تَشِحُّوا على نصيبكم منه ، وأن
 تُظهِرُوهُ على غيره فَبَلَهُ^(۳) ما أنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا ، وكرامة الآخرة ، أولمن شاء
 أن يجمع له ذلك منكم . فأذكركم الله الحائل بينكم وبين قلوبكم ، إلا ما عرفتم حق الله

(۱) استصفي الشيء : أخذ منه صفوه .

(۲) رفع عيشه ككرم رفاغة : اتسع ، والرفاغة والرفاغية : سعة العيش والخصب والسعة .

(۳) بله : اسم فعل بمعنى دع واترك ، فما بعدها منصوب ، ومصدر بمعنى الترك ، فما بعدها مجرور

بالإضافة ، واسم مرادف لكيف فما بعدها مرفوع بالابتداء .

فَعَمِلْتُمْ لَهُ ، وَقَسَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَجَمَعْتُمْ مَعَ السُّرُورِ بِالنَّعْمِ خَوْفًا لَزْوَالِهَا وَلَا نَتَقَالِهَا ،
وَوَجَلًا مِنْ تَحْوِيلِهَا ، فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَسْلَبَ لِلنَّعْمَةِ مِنْ كُفْرَانِهَا ، وَإِنْ الشُّكْرُ أَمِنَ لِلغَيْرِ ،
وَنَمَاءٌ لِلنَّعْمَةِ ، وَاسْتِجْلَابٌ لِلزِّيَادَةِ ، وَهَذَا اللَّهُ عَلَى مَنْ أَمْرَكُمْ وَنَهْيَكُمْ وَاجِبٌ .

(تاريخ الطبرى ۵ : ۲۷ وشرح ابن أبي الحديد م ۳ ص ۱۲۵)

۸۲ - خطبة له

وخطب أيضا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يُسْأَلَ عَنِ الْقُرْآنِ ، فَلْيَأْتِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ
يُسْأَلَ عَنِ الْفَرَائِضِ ، فَلْيَأْتِ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ . وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُسْأَلَ عَنِ الْفِقْهِ فَلْيَأْتِ مُعَاذَ
ابْنَ جَبَلٍ . وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُسْأَلَ عَنِ الْمَالِ فَلْيَأْتِنِي ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي لَهُ خَازِنًا وَقَاسِمًا ، إِنْ
بَادَى بِأَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمُعْطِيهِمْ ، ثُمَّ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا
مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ أَنَا وَأَصْحَابِي ، ثُمَّ بِالْأَنْصَارِ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ،
ثُمَّ مَنْ أَسْرَعَ إِلَى الْهَجْرَةِ أَسْرَعَ إِلَيْهِ الْعَطَاءُ ، وَمَنْ أَبْطَأَ عَنِ الْهَجْرَةِ أَبْطَأَ عَنْهُ الْعَطَاءُ ،
فَلَا يَلُومَنَّ رَجُلٌ إِلَّا مُنَآخَ رَاحِلَتِهِ ، إِنْ قَدْ بَقِيَتْ فِيكُمْ بَعْدَ صَاحِبِي ، فَابْتُلَيْتُمْ بِكُمْ ،
وَابْتُلَيْتُمْ بِي ، وَإِنِّي لَنْ يُحْضِرَنِي مِنْ أُمُورِكُمْ شَيْءٌ فَأَكُلُهُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِ الْجَزَاءِ وَالْأَمَانَةِ ،
فَلَنْ أَحْسِنُوا لِأَحْسِنَنَّ إِلَيْهِمْ ، وَلَنْ أَسَاءُوا لِأَنْكَرَنَّ بِهِمْ » . (العقدة الفريديد ۲ : ۱۳۲)

۸۳ - خطبة له

وخطب أيضا فقال :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَزَّنَا بِالْإِسْلَامِ ، وَأَكْرَمَنَا بِالْإِيمَانِ ، وَرَحَّمَنَا بِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَهَدَانَا بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَجَمَعَنَا بِهِ مِنَ الشَّتَاتِ ، وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا ، وَنَصَرَنَا عَلَى

عدونا ، وَمَكَّنَ لَنَا فِي الْبِلَادِ ، وَجَعَلَنَا بِهِ إِخْوَانًا مَتَحَابِّينَ ، فَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ ،
وَاسْأَلُوهُ الْمَزِيدَ فِيهَا وَالشُّكْرَ عَلَيْهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكُمْ الْوَعْدَ ، بِالنَّصْرِ عَلَى مَنْ خَالَفَكُمْ ،
وَإِيَّاكُمْ وَالْعَمَلَ بِالْمَعَاصِي ، وَكُفِّرَ النِّعْمَةَ ، فَقَلِمَا كَفَرَ قَوْمٌ بِنِعْمَةٍ ، وَلَمْ يَنْزِعُوا إِلَى التَّوْبَةِ ،
إِلَّا سُلِبُوا عِزَّهُمْ ، وَسُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ . أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ دَعْوَةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ،
وَجَمَعَ كَلِمَتَهَا ، وَأَظْهَرَ فَلَجَهَا^(۱) وَنَصَرَهَا وَشَرَّفَهَا ، فَاحْمَدُوهُ عِبَادَ اللَّهِ عَلَى نِعْمِهِ ، وَاشْكُرُوهُ
عَلَى آيَاتِهِ ، جَعَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الشَّاكِرِينَ .

(العقد الفريد ۲ : ۱۳۲)

۸۴ - خطبة له

وخطب عمر الناس فقال :

« والذي بعث محمدا بالحق لو أن جملا هلك ضياعا بشط الفرات ، خشيت أن يسأل

الله عنه آل الخطاب . »

قال أبو زيد « آل الخطاب » يعني نفسه ما يعني غيرها . (تاريخ الطبري ۵ : ۱۸)

۸۵ - خطبة له

وخطب أيضا فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّهُ أَنَّى عَلَيَّ حِينَ ، وَأَنَا أَحْسَبُ أَنْ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ إِنَّمَا يَرِيدُ بِهِ اللَّهُ
وَمَا عِنْدَهُ ، أَلَا وَإِنَّهُ قَدْ خُيِّلَ إِلَيَّ أَنْ أَقْوَامًا يَقْرءُونَ الْقُرْآنَ يَرِيدُونَ بِهِ مَا عِنْدَ النَّاسِ ،
أَلَا فَأَرِيدُوا اللَّهَ بِقِرَاءَتِكُمْ ، وَأَرِيدُوهُ بِأَعْمَالِكُمْ ، فَإِنَّمَا كُنَّا نَعْرِفُكُمْ إِذَ الْوَحْيِ يَنْزِلُ ،
وَإِذَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ، فَقَدْ رُفِعَ الْوَحْيُ ، وَذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَإِنَّمَا أَعْرِفُكُمْ بِمَا أَقُولُ لَكُمْ ، أَلَا فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا ظَنَمْنَا بِهِ خَيْرًا ، وَأَثْنَيْنَا بِهِ عَلَيْهِ

(۱) الفلج : الظفر والفوز .

ومن أظهر لنا شرًا ظننا به شرًا ، وأبغضناه عليه ، أقدعوا^(١) هذه النفوس عن شهواتها ،
فإنها طلعة^(٢) وإنكم إلا تقدعوها تنزع بكم إلى شرّ غاية ، إن هذا الحق ثقيل مرّ^(٣) ،
وإن الباطل خفيف وبّ^(٤) ، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة ، ورب نظرة زرعت
شهوة ، وشهوة ساعة أورثت حزنًا طويلًا .

وفي رواية صاحب العقد : « ألا وإني إنما أبعث عمالي ليعلموكم دينكم وسنتكم ،
ولا أبعثهم ليضربوا ظهوركم ، ويأخذوا أموالكم ، ألا من رابه شيء من ذلك فليرفعه
إلى ، فوالذي نفسي بيده لأقصنكم منه ، فقام عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين ،
أرأيت إن بعثت عاملاً من عمالك ، فأدب رجلاً من رعيته فضر به ، أتقصه منه؟ قال : نعم
والذي نفسي عمر بيده لأقصنه منه ، فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه . »

وفي رواية الطبري :

وخطب عمر الناس يوم الجمعة فقال :

« اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار ، أني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة
نبيهم ، وأن يقيموا فيهم فيهم ، وأن يعدلوا ، فإن أشكل عليهم شيء رفعوه إلى . »

« يا أيها الناس : إني والله ما أرسل إليكم عمالاً ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا
أموالكم ، ولكني أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ، فمن فعل به شيء سوى ذلك
فليرفعه إلى ، فوالذي نفسي عمر بيده لأقصنه منه . »

فوثب عمرو بن العاص فقال :

يا أمير المؤمنين : أرأيتك إن كان رجل من أمراء المسلمين على رعية فأدب بعض
رعيته إنك لتقصنه منه ؟ قال : إي والذي نفسي عمر بيده إذن لأقصنه منه ، وكيف

(١) قدعه كنهه : كفه . (٢) نفس طلعة : تكثر التطلع إلى الشيء . (٣) حيد العاقبة .

(٤) وخيم العاقبة .

لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ؟ ألا لا تضربوا
المسلمين فتذلوهم ولا تجمروهم فتفتنومهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم
الغياض فتضيعوهم .»

(البيان والتبيين ۳ : ۷۱ ، وصبح الأعشى ۱ : ۲۱۴ ، والعقد الفريد ۲ : ۱۳۲)

وتاريخ الطبري ۵ : ۱۹)

۸۶ - خطبته عام الرمادة

وخطب عام الرمادة^(۱) بالعباس رحمه الله :

حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ، ثم قال :

« أيها الناس : استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ، اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك ،
اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك وبقية آبائه وكبار رجاله ، فإنك تقول : (وَقَوْلِكَ الْحَقُّ)
« وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ، وَكَانَ
أَبُوهُمَا صَالِحًا » فحفظتهما لصالح أبيهما ، فاحفظ اللهم نبيك في عمه ، اللهم اغفر لنا إنك
كنت غفاراً ، اللهم أنت الراعي لا تهمل الضالّة ، ولا تدع الكسيرة بمضيعة ، اللهم قد
ضرع الصغير ورق الكبير ، وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم أسمعهم
بغياك ، قبل أن يقنطوا فيهلكوا ، فإنه لا يباس من روح الله إلا القوم الكافرون .»
فما برحوا حتى علقوا الحذاء ، وقلصوا المآزر ، وطفق الناس بالعباس يقولون :

(العقد الفريد : ۱۳۲)

« هنيئاً لك يا ساقى الحرمين » .

(۱) في السنة الثامنة عشرة أصابت الناس مجاعة شديدة بالمدينة وما حولها فكانت تسق إذا ريحت تراباً

كالرماد ؛ فسمى ذلك العام عام الرمادة (الطبري ۴ : ۲۲۳) .

۸۷ - خطبته وقد بلغه أن قوما يفضلونه على أبي بكر

و بلغه أن قوما يفضلونه على أبي بكر الصديق ، فوثب مُغضَبًا حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« أيها الناس : إني سأخبركم عنى وعن أبي بكر ، إنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ، ومنعت شاتها وبعيرها ، فأجمع رأينا كلنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن قلنا له يا خليفة رسول الله : إن رسول الله كان يقاتل العرب بالوحى والملائكة يُمدّه الله بهم ، وقد انقطع ذلك اليوم ، فالزم بيتك ومسجدك ، فإنه لا طاقة لك بقتال العرب ، فقال أبو بكر : أو كلكم رأيه على هذا ؟ فقلنا نعم ، فقال : والله لأن أخيراً من السماء فتخطفنى الطير ، أحب إلى من أن يكون رأيت هذا ، ثم صعد المنبر ، فحمد الله وكبره ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل على الناس فقال :

« أيها الناس : من كان يعبد محمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . أيها الناس : أن أكثر أعداؤكم ، وقل عددكم ، ركب الشيطان منكم هذا المركب ؟ والله ليظهرن الله هذا الدين على الأديان كلها ، ولو كره المشركون ، قوله الحق ، ووعدته الصدق ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق . وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين . والله أيها الناس : لو منعوني عقلاً^(۱) لجاهدتهم عليه ، واستعنت عليهم الله وهو خير معين » ثم نزل .

(تهذيب الكامل ۱ : ۸)

(۱) العقال : زكاة عام من الإبل والغنم ، أو المراد به الحبل مبالغة في الشدد .

خطب الفتوح في عهد عمر

في فتح فارس

كان المُثَنَّى بن حارثة الشَّيبَانِي أمير جيش العراق قدم على أبي بكر بالمدينة يستمده فألفاه مريضاً ، ووصى أبو بكر عمر بالمبادرة إلى إرسال الجيوش معه ، فكان أول ما عمل به عمر ، أن ندبَ الناس مع المثني إلى أهل فارس ، قبل صلاة الفجر ، من الليلة التي مات فيها أبو بكر - وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم ، وأثقلها عليهم لشدة سلطانهم ، وشوكتهم ، وعزيمهم ، وقهرهم الأمم - وجعل يندبهم ثلاثة أيام فلا ينتدب أحد إلى فارس ، فلما كان اليوم الرابع عاد فندب الناس إلى العراق ، فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفي - والد المختار - وتتابع الناس ، وتكلم المثني بن حارثة فقال :

٨٨ - خطبة المثني بن حارثة الشيباني

« أيها الناس : لا يَعْظَمَنَّ عليكم هذا الوجه ، فإننا قد تَبَحَّجْنَا^(١) ريف فارس ، وغلبناهم على خير شقِّي السَّوَاد ، وشاطرناهم ونلنا منهم ، واجترأنا من قبلنا عليهم ، ولها إن شاء الله ما بعدها .

٨٩ - خطبة عمر رضي الله عنه

وقام عمر في الناس فقال :

« إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النُّجْعَةِ^(٢) ، ولا يَقْوَى عليه أهله إلا بذلك ،

(١) تبجح : تمكن في المقام والحلول كبجبع ، والدار توسطها . (٢) طلب الكلا في موضعه .

أين الطُّرَّاءُ^(١) المهاجرون عن موعود الله ، سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها ، فإنه قال : « لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ » والله مُظْهِرُ دِينِهِ ، وَمُعِزُّ نَاصِرِهِ ، وَمَوْلَى أَهْلِ مَوَارِيثِ الْأُمَمِ ، أين عباد الله الصالحون ... ؟

فلما اجتمع له البعث أَمَرَ عَلَيْهِمُ أَوْ لَهِمُ انْتِدَاباً^(٢) وهو أبو عبيد وقال له :

« اسْمِعْ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَشْرِكْهُمْ فِي الْأَمْرِ ، وَلَا تَجْتَهِدْ مَسْرِعاً حَتَّى تَدْبِيرَ ، فَإِنَّهَا الْحَرْبُ ، وَالْحَرْبُ لَا يَصْلِحُهَا إِلَّا الرَّجُلُ الْمَكِيثُ^(٣) الَّذِي يَعْرِفُ الْفُرْصَةَ وَالْكَفَّ » .
(تاريخ الطبري ٤ : ٦٠ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ٢١١)

٩٠ - وصية عمر لأبي عبيد بن مسعود

وتقدم عمر إلى أبي عبيد بن مسعود فقال :

« إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى أَرْضِ الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ ، وَالْخِيَانَةِ وَالْجُبْرِيَّةِ ، تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ قَدْ جُرُّوا عَلَى الشَّرِّ فَعَلُوهُ ، وَتَنَاسُوا الْخَيْرَ فَجْهَلُوهُ ، فَانظُرْ كَيْفَ تَكُونُ ، وَاحْزَنْ لِسَانَكَ ، وَلَا تَفْشِينَ سِرَّكَ ، فَإِنْ صَاحَبَ السَّرَّ - مَا ضَبَطَهُ - مَتَحَصِّنٌ لَا يُؤْتِي مِنْ وَجْهِ بَكْرِهِ ، وَإِذَا ضَيَّعَهُ كَانَ بِمَضِيْعَةٍ » .
(تاريخ الطبري ٤ : ٦٦)

٩١ - خطبة له وقد شيع جيش سعد بن أبي وقاص

وشيع جيش سعد بن أبي وقاص ، حين وجهه لحرب العراق ، فقام في الناس خطيباً فقال :

« إِنْ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا ضَرَبَ لَكُمْ الْأَمْثَالَ ، وَصَرَّفَ لَكُمْ الْأَقْوَالَ ، ائْتِحِي بِهَا

(١) جمع طاري ، من طرأ عليهم كنع أتاها من مكان أو خرج عليهم منه فجأة .

(٢) ندب القوم إلى الأمر : دعاهم وحثهم ، وانتدبوا إليه أسرعوا . (٣) الرزين .

القلوب ، فإنَّ القلوب ميته في صدورها حتى يُحييها الله ، من علم شيئاً فلينتفع به ، وإنَّ للعدل أماراتٍ وتباشيرَ ، فأما الأمارات : فالحياء ، والسخاء ، والهمين ، واللين . وأما التباشير : فالرحمة ، وقد جعل الله لكل أمر باباً ، وَيَسَّرَ لكل باب مفتاحاً . فباب العدل الاعتبار ومفتاحه الزهد ، والاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات ، والاستعداد له بتقديم الأعمال ، والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق ، وتأدية الحق إلى كل أحد له حق ، ولا تُصانَع في ذلك أحداً ، واكتف بما يكفيه من الكفاف ، فإن من لم يكفه الكفاف ، لم يُغنه شيء ، إني بينكم وبين الله ، وليس بيني وبينه أحد ، وإن الله قد ألزمني دفع الدعاء عنه ، فَأَنْهَوْا شَكَاتِكُمْ إِلَيْنَا ، فمن لم يستطع ، فإلى من يُبَلِّغُنَاهَا ، نأخذ له الحق غير مُتَمَتِّعٍ .

(تاريخ الطبري ٤ : ٨٥)

٩٢ — وصيته لسعد بن أبي وقاص

وصى سعد بن أبي وقاص حين أمَّره على حرب العراق فقال :

« يَا سَعْدُ سَعْدَ بَنِي وَهَيْبٍ ، لَا يُغْرَبُكَ مِنَ اللَّهِ أَنْ قِيلَ خَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ وَلَكِنَّهُ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ نَسَبٌ إِلَّا طَاعَتُهُ ، فَالْإِنْسَانُ شَرِّ يَفْهَمُ وَوَضِيعُهُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ سَوَاءٌ ، اللَّهُ رَبُّهُمْ وَهُمْ عِبَادُهُ ، يَتَفَاضِلُونَ بِالْعَافِيَةِ ، وَيَدْرِكُونَ مَا عِنْدَهُ بِالطَّاعَةِ ، فَانظُرِ الْأَمْرَ الَّذِي رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْذُ بُعِثَ إِلَى أَنْ فَارَقْنَا فَأَلْزَمَهُ ، فَإِنَّهُ الْأَمْرُ ، هَذِهِ عَظْمِي إِيَّاكَ إِنْ تَرَكْتَهَا وَرَغِبْتَ عَنْهَا حَبِطَ عَمَلُكَ ، وَكُنْتَ مِنَ الْخَاسِرِينَ . »

(تاريخ الطبري ٤ : ٨٤ ؛ والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٠)

٩٣ — وصيته لسعد بن أبي وقاص أيضاً

ولما أراد أن يسرَّحه دعاه فقال :

« إني قد وليتك حرب العراق ، فاحفظ وصيتي فإنك تقدم على أمر شديد كريبه ، »

لا يَخْلَصُ مِنْهُ إِلَّا الْحَقُّ ، فَعَوِّذْ نَفْسَكَ وَمَنْ مَعَكَ الْخَيْرَ وَأَسْتَفْتِحْ بِهِ ، وَأَعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَادَةٍ عَتَادًا^(١) ، فَعَتَادُ الْخَيْرِ الصَّبْرُ ، فَالصَّبْرُ الصَّبْرَ عَلَى مَا أَصَابَكَ أَوْ نَابَكَ ، يَجْتَمِعُ لِكَ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَأَعْلَمْ أَنَّ خَشْيَةَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ فِي أَمْرَيْنِ : فِي طَاعَتِهِ ، وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ ، وَإِنَّمَا أَطَاعَهُ مَنْ أَطَاعَهُ بِبُغْضِ الدُّنْيَا وَحُبِّ الْآخِرَةِ ، وَعَصَاهُ مِنْ عَصَاهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا وَبُغْضِ الْآخِرَةِ ، وَلِلْقُلُوبِ حَقَائِقُ يُنْشِئُهَا اللَّهُ إِنْشَاءً ، مِنْهَا السِّرُّ ، وَمِنْهَا الْعِلَانِيَةُ . فَأَمَّا الْعِلَانِيَةُ فَأَنْ يَكُونَ حَامِدُهُ وَذَامُهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، وَأَمَّا السِّرُّ فَيَعْرِفُ بِظَهْوَرِ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ وَبِمَحَبَّةِ النَّاسِ ، فَلَا تَزْهَدُ فِي التَّعَجُّبِ ، فَإِنَّ النَّبِيِّينَ قَدْ سَأَلُوا مُحِبِّهِمْ ، وَإِنْ اللَّهُ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا حَبَّبَهُ ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا بَغَّضَهُ ، فَاعْتَبِرْ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِمَنْزِلَتِكَ عِنْدَ النَّاسِ مَنْ يَشْرَعُ مَعَكَ فِي أَمْرِكَ .

(تاريخ الطبري ٤ : ٨٥)

٩٤ - وصية أخرى كتبها إلى سعد بن أبي وقاص

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما ومن معه من الأجناد .

« أما بعد : فإنني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كلِّ حال ، فإن تقوى الله أفضلُّ العُدَّةِ على العدو ، وأقوى المَكِيدَةِ في الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشدَّ احترامًا من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوفُ عليهم من عدوهم ، وإنما يُنْصَرُّ المسلمون بمَعْصِيَةِ عَدُوهِمْ اللَّهُ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا بِهِمْ قُوَّةٌ ، لِأَنَّ عَدَدَنَا لَيْسَ كَعَدَدِهِمْ ، وَلَا عُدَّتُنَا كَعُدَّتِهِمْ ، فَإِنَّ اسْتَوِينَا فِي الْمَعْصِيَةِ ، كَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا فِي الْقُوَّةِ ، وَإِلَّا نُنْصَرُّ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا لَمْ نَقْلِبْهُمْ بِقُوَّتِنَا ، فَاعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُمْ فِي سِيرِكُمْ حَفَظَةً مِنْ اللَّهِ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ، فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ وَلَا تَفْعَلُوا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ،

(١) العتاد : العدة .

ولا تقولوا إنَّ عَدُوَّنَا شَرُّ مِنَّا ، فلن يُسَلِّطَ عَلَيْنَا ، فَرُبَّ قَوْمٍ سُلِّطَ عَلَيْهِمْ شَرُّ مِنْهُمْ كَمَا سُلِّطَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ (لَمَّا عَمَلُوا بِمَسَآخِطِ اللَّهِ) كُفَّارُ الْمُجْرِمِينَ ، فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَوْنَ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ، كَمَا تَسْأَلُونَهُ النَّصْرَ عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ . أَسْأَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ ذَلِكَ لَنَا وَإِلَيْكُمْ . وَتَرَفَّقَ بِالْمَسَامِينِ فِي مَسِيرِهِمْ ، وَلَا تَجَسَّمْهُمْ مَسِيرًا يُتَّعِبُهُمْ ، وَلَا تُقَصِّرْ بِهِمْ عَنِ مَنْزِلٍ يَرْفُقُ بِهِمْ ، حَتَّىٰ يَبْلُغُوا عَدُوَّهُمْ (وَالسَّفَرُ لَمْ يَنْقُصْ قُوَّتَهُمْ) فَإِنَّهُمْ سَاطِرُونَ إِلَىٰ عَدُوِّ مُقِيمٍ ، حَامِي الْأَنْفُسِ وَالْكَرَاعِ^(۱) ، وَأَقِمْ بَيْنَ مَعِكَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً ، حَتَّىٰ تَكُونَ لَهُمْ رَاحَةً يُحْيُونَ فِيهَا أَنْفُسَهُمْ ، وَيَرْمُونَ^(۲) أَسْلِحَتَهُمْ وَأَمْتَعَتَهُمْ ، وَنَحِّ مَنَازِلَهُمْ عَنِ قُرَىٰ أَهْلِ الصَّلْحِ وَالذِّمَّةِ ، فَلَا يَدْخُلُهَا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا مَنْ تَشَقَّ بِدِينِهِ ، وَلَا يَزَأْ^(۳) أَحَدًا مِنْ أَهْلِهَا شَيْئًا ، فَإِنَّ لَهُمْ حَرَمَةً وَذِمَّةً ابْتَلَيْتُمْ بِالْوَفَاءِ بِهَا ، كَمَا ابْتَلَوْا بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا ، فَمَا صَبَرُوا لَكُمْ فَتَوَلَّوْهُمْ خَيْرًا ، وَلَا تَسْتَنْصِرُوا عَلَىٰ أَهْلِ الْحَرْبِ بِظَلْمِ أَهْلِ الصَّلْحِ ، وَإِذَا وَطِئْتَ أَرْضَ الْعَدُوِّ فَأَذْكَ^(۴) الْعَيْونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، وَلَا يَخْفَ عَلَيْكَ أَمْرُهُمْ ، وَلا يَكُنْ عِنْدَكَ مِنَ الْعَرَبِ ، أَوْ مِنَ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ تَطْمَئِنُّ إِلَىٰ نَصْحِهِ وَصَدَقَهُ ، فَإِنَّ الْكَذُوبَ لَا يَنْفَعُكَ خَبْرُهُ ، وَإِنْ صَدَقَكَ فِي بَعْضِهِ ، وَالغَاشِ عَيْنَ عَلَيْكَ ، وَلا يَسِ عَيْنًا لَكَ ، وَلا يَكُنْ مِنْكَ عِنْدَ دَنُوكَ مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ أَنْ تُكْثِرَ الطَّلَائِعَ ، وَتَبُثَّ السَّرَايَا^(۵) بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، فَتَقْطَعَ السَّرَايَا أَمْدَادَهُمْ وَمَرَافِقَهُمْ ، وَتَتَّبِعَ الطَّلَائِعَ عَوْرَاتِهِمْ ، وَتَنَقَّ^(۶) لَلطَّلَائِعِ أَهْلَ الرَّأْيِ وَالْبَأْسِ مِنْ أَصْحَابِكَ ، وَتَخَيَّرْ لَهُمْ سَوَابِقَ الْخَيْلِ ، فَإِنْ لَقُوا عَدُوًّا كَانَ أَوْلَىٰ مَا تَلْقَاهُمْ الْقُوَّةُ مِنْ رَأْيِكَ ، وَاجْعَلْ أَمْرَ السَّرَايَا إِلَىٰ أَهْلِ الْجِهَادِ ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ الْجِلَادِ ، وَلَا تَخْصُصْ بِهَا أَحَدًا بِهَوَىٰ ، فَتَضْيِعَ مِنْ رَأْيِكَ وَأَمْرِكَ ، أَكْثَرُ مَا حَابَيْتَ بِهِ أَهْلَ

(۱) الكراع من كل شيء: طرفه واسم يجمع الخيل .

(۲) رمه يرمه : أصله . (۳) رزاه ماله : أصاب منه شيئاً . (۴) أذكى عليه العيون :

إذا أرسل عليه الطلائع . (۵) جمع سرية ، وهي من خمسة أنفس إلى ثلثمائة أو أربعمائة .

(۶) تنقاه وانتقاه : اختاره .

خاصتك ، ولا تبعن طليعة ، ولا سرية ، في وجه تتخوف فيه غلبة أو ضيعة ونكابة ،
فإذا عاينت العدو ، فاضم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك ، واجمع إليك مكيدتك
وقوتك ، ثم لاتعاجلهم المناجزة ، مالم يستكرهك قتال ، حتى تبصر عورة عدوك
ومقاتله ، وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها ، فتصنع بعدوك ، كصنعه بك ، ثم أذك
أحراسك على عسكريك ، وتيقظ من البيات جهدك ، ولا تؤتى بأسير ليس له عقد^(١)
إلا ضربت عنقه ، لترهب به عدو الله وعدوك ، والله ولي أمرك ومن معك ، وولى النصر
لكم على عدوكم ، والله المستعان .

(العقد الفريد ١ : ٤٠)

٩٥ - وصيته للجاهدين

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول عند عقد الألوية :

« بسم الله وبالله ، وعلى عون الله ، امضوا بتأييد الله ، وما النصر إلا من عند الله ،
ولزوم الحق والصبر ، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب
المعتدين ، ولا تجبنوا عند اللقاء ، ولا تمثلوا عند القدرة ، ولا أسرفوا عند الظهور^(٢)
ولا تقتلوا هريماً ولا امرأة ولا وليداً ، وتوقفوا قتلهم إذا التقى الزحفان ، وعند شن^(٣)
الغارات .

(العقد الفريد ١ : ٤٠)

(١) عهد .

(٢) الغلبة .

(٣) شن الغارة عليهم : صبا من كل وجه .

٩٦ - وصية عمر ليعلى بن أمية

في إجلاء أهل نجران

روى الطبرى قال :

كان أول بعث بعثه عمر بعث أبي عبيد ، ثم بعث يعلى بن أمية إلى اليمن ، وأمره بإجلاء أهل نجران ، لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه بذلك ، ولوصية أبي بكر رحمه الله بذلك في مرضه ، وقال :

« ائتمهم ولا تفتنهم عن دينهم ، ثم أجلبهم من أقالم منهم على دينه ، وأقرر المسلم ، وامسح أرض كل من تجلبى منهم ، ثم خيرهم البلدان ، وأعلمهم أنا نجلبهم بأمر الله ورسوله ألا يُترك بجزيرة العرب دينان ، فليخرجوا من أقالم على دينه منهم ، ثم نعطيهم أرضا كأرضهم إقرارا لهم بالحق على أنفسنا ، ووفاء بدمتهم ، فيما أمر الله من ذلك بدلا بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن وغيرهم فيما صار لجيرانهم بالريف . »
(تاريخ الطبرى ٤ : ٦٢)

٩٧ - خطبة لعمر

ولما انتهى إلى عمر قتل أبي عبيد بن مسعود نادى في المهاجرين والأنصار وخرج حتى أتى صرارا فمسك به ، واستشار الناس فكلهم أشار عليه بالسير إلى فارس واستشار ذوى رأى فأشاروا عليه أن يقيم ويبعث رجلا فقام في الناس فقال :

« إن الله عز وجل قد جمع على الإسلام أهله ، فألف بين القلوب ، وجعلهم فيه إخوانا ، والمسلمون فيما بينهم كالجسد لا يخلو منه شيء من شيء أصاب غيره . وكذلك يحق على المسلمين أن يكونوا (وأمرهم شورى بينهم) بين ذوى رأى منهم ، فالناس تبع لمن قام

بهذا الأمر ، ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعاً لهم ، ومن قام بهذا الأمر تبع لأولى رأيهم مارأوا لهم ورضوا به لهم من مكيدة في حرب كانوا فيه تبعاً لهم .

يأيها الناس إني إنما كنت كرجل منكم حتى صرفني ذوو الرأي منكم عن الخروج فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً ، وقد أحضرت هذا الأمر من قدمتُ ومن خلفتُ .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٨٣)

٩٨ - خطبة جرير بن عبد الله البجلي

وقال المثنى بن حارثة وهو على قتال فارس : من يتبع الناس إلى السَّيْب ؟ فقام جرير بن عبد الله البجلي في قومه فقال :

« يا معشر بَجِيلَة : إنكم وجميع من شهد هذا اليوم في السابقة والفضيلة والبلاء سواء ، وليس لأحد منهم في هذا الخمس غداً من النَّفْلِ مثل الذى لكم منه ، ولكم ربع خمسة نفلاً من أمير المؤمنين ، فلا يكونن أحد أسرع إلى هذا العدو ، ولا أشد عليه منكم للذى لكم منه ، ونيةً إلى ما ترجون ، فإنما تنتظرون إحدى الحسنين : الشهادة والجنة أو الغنيمة والجنة . »

(تاريخ الطبرى ٤ : ٧٦)

٩٩ - خطبة سعد بن أبي وقاص يوم أرمات

وخطب سعد بن أبي وقاص يوم أرمات^(١) (سنة ١٤ هـ) فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« إن الله هو الحق لا شريك له في الملك وليس لقوله خلف » قال الله جل ثناؤه :

(١) هو اليوم الأول من أيام القادسية .

(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) ،
 إن هذا ميراثكم وموعد ر بكم ، وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج ، فأنتم تطعمون منها
 وتأكلون منها ، وتقتلون أهلها وتجبنونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم بما نال منهم أصحاب
 الأيام منكم ، وقد جاءكم منهم هذا الجمع ، وأنتم وجوه العرب وأعيانهم ، وخيار كل قبيلة
 وعز من وراءكم ، فإن تزهّدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة ،
 ولا يقرب ذلك أحدا إلى أجله ، وإن تفشلوا وتهنأوا وتضعفوا تذهب ر بكم وتوبقوا
 آخرتكم .

(تاريخ الطبري ٤ : ١١٤)

١٠٠ - خطبة عاصم بن عمرو

وقام عاصم بن عمرو فقال :

« إن هذه بلاد قد أحل الله لكم أهلها ، وأنتم تنالون منها منذ ثلاث سنين ما لا ينالون
 منكم ، وأنتم الأعوان والله معكم ، إن صبرتم وصدقتموهم الضرب والطعن فلکم أموالهم
 ونساؤهم وأبناؤهم وبلادهم ، وإن خرتهم وفشلتهم - والله لكم من ذلك جارٌّ وحافظ - لم
 يُبق هذا الجمع منكم باقية ، مخافة أن تعودوا عليهم بعائدة هلاك ، الله الله ، اذكروا
 الأيام وما منحكم الله فيها ، أو لا ترون أن الأرض وراءكم بسابس^(١) قفار ليس فيها خمر^(٢)
 ولا وزر يعقل إليه ويمتنع به ؟ اجعلوا همكم الآخرة . »

(تاريخ الطبري ٤ : ١١٤)

١٠١ - خطبة طليحة بن خويلد الأسدي

وحمل أصحاب القبيلة من جيش الفرس على المسلمين ، وكادت بجيلة أن تؤكل ، فرت
 عنها خيلها نفارا ، فأرسل سعد إلى بني أسد : ذببوا^(٣) عن بجيلة ، وقام طليحة بن خويلد
 الأسدي في قومه حين استصرخهم سعد فقال :

(١) البسيس : القفر . (٢) الحمر : ماوارك من شجر وغيره . (٣) دافعوا عنها .

« يا عشيرتاه : إن المنوّه باسمه الموثوقُ به ، وإن هذا لو علم أن أحداً أحق بإغاثة هؤلاء منكم استغاثهم ، ابتدئوهم الشدة ، وأقدموا عليهم إقدام الليوث الحربية^(۱) فإنما تُسميم أسداً لتفعلوا فعله ، شدوا ولا تصدوا وكروا ولا تفروا ، لله درُّ ربيعة ! أى فرى يفرون ، وأى قرن يُفنون ! هل يوصل إلى مواقفهم ؟ فأغنوا عن مواقفكم أعانكم الله ، شدوا عليهم باسم الله . »
(تاريخ الطبرى ۴ : ۱۱۸)

۱۰۲ - الخنساء تحرض أولادها على القتال

حضرت الخنساء حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال ، فقالت لهم :
« يا بنى ، أنتم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، ووالله الذى لا إله غيره ، إنكم لبنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت^(۲) حسبكم ، ولا غبرت^(۳) نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب العظيم فى حرب الكافرين ، وأعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية ، يقول الله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) فإذا أصبحتم غداً ، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، والله على أعدائه مستنصرين . »

فلما أضاء لهم الصبح باكروا مرا كزهم ، فتقدموا واحداً بعد واحد ، يُنشِدون الأراجيز ، فقاتلوا حتى استشهدوا جميعاً ، فلما بلغها الخبر قالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو من ربي أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمة . فكان عمر رضى الله عنه يعطيها أرزاق أولادها الأربعة لكل واحد منهم مائة درهم ، حتى قبض وماتت الخنساء .
(خزانة الأدب : ۱ ، ۳۹۵)

(۱) حرب : كليب واشتد غضبه فهو حرب . (۲) التهجين : التقييح .

(۳) غيره : لطفه بالغيار ، أى دنست .

١٠٣ - خطبة عتبة بن غزوان

وفي سنة ١٤ هـ وجه عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان إلى البصرة وأمره بنزولها بمن معه وقطع مادة أهل فارس عن الذين بالمدائن ونواحيها منهم ، فرفعوا له منبرا وقام يخطب فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« أما بعد : فإن الدنيا قد توت حذاء^(١) مذبرة^(٢) ، وقد آذنت أهلها بصرم^(٣) ، وإنما بقي منها صباية^(٤) كصباية الإناء يضطبها صاحبها ، ألا وإنكم مفارقوها لا محالة ، ففارقوها بأحسن ما يحضركم ، ألا وإن من العجب أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الحجر الضخم يُلقى في النار من شفيرها^(٥) ، فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا^(٦) ، ولجهم سبعة أبواب ما بين البابين منها مسيرة خمسمائة سنة ، ولتأتين عليها ساعة وهي كظيظ^(٧) بالزحام ، ولقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابع سابعة ، مالنا طعام إلا ورق البشام^(٨) ، حتى قرحت أشداقنا ، فوجدت أنا وسعد بن مالك تمرة ، فشققتها بيني وبينه نصفين ، والتقطت بؤدة فشققتها بيني وبينه ، فأنزرت بنصفها ، وأنزرت بنصفها ، وما منا أحد اليوم إلا وهو أمير على مصر من الأمصار ، وإنه لم يكن نبوة قط إلا تناسختها^(٩) جبرية ، وأنا أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيما ، وفي أعين الناس صغيرا ، وستجربون الأمراء من بعدى ، فتعرفون وتذكرون . »

(١) تاريخ الطبري ٤ : ١٤٩٠ والعقد الفريد ٢ : ١٥٦ ، والبيان والتبيين ٢ : ٢٧ ،
والكامل لابن الأثير ٢ : ١٨٨)

(١) السريعة الماضية التي لا يتعلق بها شيء . (٢) آذنت : أعلمت ، والصرم : القطع .

(٣) الصباية : بقية الماء في الإناء . (٤) الشفير : حرف كل شيء .

(٥) سنة : والمراد أنها بعيدة الأقطار شاسعة الأرجاء . (٦) من كظله الطعام : ملاءه حتى لا يطبق النفس ، ورجل كظ وكظيظ ومكظوظ تبهظه الأمور حتى يعجز عنها . (٧) البشام : شجر عطر الرائحة يستاك به .

(٨) في الحديث « لم تكن نبوة إلا تناسخت » أي تحولت من حال إلى حال ، يعني أمر الأمة وتغاير أحوالها ، والجبرية الجبروت .

١٠٤ - خطبة لسعد بن أبي وقاص

ولما نزل سعد بهر سِير - وهي المدينة الدنيا - طلب السفن ليعبر بالناس إلى المدينة القصوى (على نهر دجلة) فلم يقدر على شيء ووجدهم قد ضموا السفن ، فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر ، فلا تخلصون إليه معه ، وهم يخلصون إليكم إذا شاءوا ، فيناوشونكم في سفنهم ، وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه ، فقد كفاكموه أهل الأيام ، وعطلوا ثغورهم ، وأفنوا ذاتهم . وقد رأيت من الرأي أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا ، ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم . »

فقالوا جميعا : عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل .

واقتمح دجلة وفتح المدينة القصوى (سنة ١٦ هـ) . (تاريخ الطبري ٤ : ١٧٠)

١٠٥ - خطبة عمر

ولما تجمعت جموع الفرس بنهاوند كتب سعد إلى عمر يخبره بذلك فاجتمع الناس وقام عمر على المنبر خطيبا فأخبرهم الخبر واستشارهم وقال :

« هذا يوم له ما بعده من الأيام ، ألا وإني قد همت بأمر وإني عارضه عليكم فاسمعوه ، ثم أخبروني وأوجزوا ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، ولا تكثروا ولا تطيلوا فتفشغ^(١) بكم الأمور ، ويلتوى عليكم الرأي ، أفمن رأى أن أسير فيمن قبلي ومن قدرت عليه ، حتى أنزل منزلا وسطا بين هذين المصرين فاستنفرهم ثم أكون

(١) فشغ كنهه : علاه حتى غطاء .

لهم ردها حتى يفتح الله عليهم ويقضى ما أحب ، فإن فتح الله عليهم أن أضربهم عليهم
في بلادهم ليتنازعوا ملكهم .

فقام عثمان بن عفان ورجال من أهل الرأي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتكلموا كلاما فقالوا :

« لا نرى ذلك ، ولكن لا يغيبن عنهم رأيك وأثرك ، وقالوا : بإزائهم وجوه
العرب وفرسانهم وأعلامهم ومن قد فضّ جوعهم ، وقتل ملوكهم ، وبأثر من حروبهم
ما هو أعظم من هذه ، وإنما استأذنوك ولم يستصرخوك فأذن لهم واندب إليهم وادع
لهم . »

(تاريخ الطبرى ٤ : ٢٣٧)

١٠٦ - خطبة لعلی

وقام علی بن أبی طالب فقال :

« أصاب القوم يا أمير المؤمنين الرأي ، وفهموا ما كتب به إليك ، وإن هذا الأمر
لم يكن نصره ولا خذلانه لكثرة ولا قلة ، هو دينه الذي أظهره ، وجنده الذي أعزه
وأيده بالملائكة حتى بلغ ما بلغ ، فنحن على موعود من الله ، والله منجز وعده ، وناصر
جنده ، ومكانك منهم مكان النظام من الخرز يجمعه ويمسكه ، فإن انحلّ تفرق ما فيه
وذهب ، ثم لم يجتمع بحذافيه أبدا ، والعرب اليوم وإن كانوا قليلا فهي كثير عزيز
بالإسلام ، فأقم واكتب إلى أهل الكوفة ، فهم أعلام العرب ورؤساؤهم ، ومن لم يحفل
بمن هو أجمع وأحد وأجد من هؤلاء ، فليأتهم الثلثان وليقم الثلث ، واكتب إلى أهل
البصرة أن يمدوهم ببعض من عندهم . »

(تاريخ الطبرى ٤ : ٢٣٧)

فسر عمر بحسن رأيهم وأعجبه ذلك منهم .

۱۰۷ - خطبة طلحة بن عبيد الله

وقام طلحة بن عبيد الله وكان من خطباء رسول الله صلى الله عليه وسلم فتشهد ثم قال :
« أما بعد يا أمير المؤمنين فقد أحسنتك الأمور، وعَجَمَتِكَ^(۱) البَلَايا، واحتَنَكَّتِكَ^(۲)
التجارب، وأنت وشأنك، وأنت ورأيك، لا ننبو في يديك ولا نكل عليك، إليك
هذا الأمرُ فمرنا نطع، وادعنا نجب، واحملنا نركب، ووقدنا نفيد، وقدنا ننقد، فإنك
ولى هذا الأمر، وقد بلوتَ وجربتَ واختبرت، فلم ينكشف شيء من عواقب قضاء الله
لك إلا عن خيار » ثم جلس .
(تاريخ الطبري ۴ : ۲۳۸)

۱۰۸ - خطبة عثمان بن عفان

فعاد عمر فقال : إن هذا يوم له ما بعده من الأيام فتكلموا ، فقام عثمان بن عفان
فتشهد وقال :
« أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشام فيسيروا من شأمهم ، وتكتب
إلى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم، ثم تسير أنت بأهل هذين الحرمين إلى المصريين : البصرة
والكوفة ، فتلقى جميع المشركين بجمع المسلمين ، فإنك إذا سرت بمن معك وعندك .
قل في نفسك ما قد تكاثر من عدد القوم ، وكنت أعزّ عزا وأكثر يا أمير المؤمنين ،
إنك لا تسبقني من نفسك بعد العرب باقية ، ولا تمتنع من الدنيا بعزير ، ولا تلوذ منها
بحريز ، إن هذا اليوم له ما بعده من الأيام ، فاشهده برأيك وأعوانك ولا تغب عنه »
ثم جلس .
(تاريخ الطبري ۴ : ۲۳۸)

(۱) عجم العود : عضه ليعرف صلابته من خوره .

(۲) أحسنتك .

۱۰۹ - خطبة علي بن أبي طالب

فعاد عمر فقال : إن هذا يوم له ما بعده من الأيام فتكلموا ، فقام علي بن أبي طالب فقال :

« أما بعد يا أمير المؤمنين فإنك إن أشخست أهل الشام من شامهم ، سارت الروم إلى ذراريهم ، وإن أشخست أهل اليمن من يمنهم ، سارت الحبشة إلى ذراريهم ، وإنك إن شخست من هذه الأرض ، انتقضت عليك الأرض من أطرافها وأقطارها ، حتى يكون ماتدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات ، أقرز هؤلاء في أمصارهم ، واكتب إلى أهل البصرة فليتفرقوا فيها ثلاث فرق : فلتقم فرقة لهم في حرّمهم وذراريهم ، ولتقم فرقة في أهل عهدهم لئلا ينتقضوا عليهم ، ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مددا لهم .

إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدا قالوا هذا أمير العرب وأصل العرب ، فكان ذلك أشد لكلّهم والبتهم^(۱) على نفسك ، وأما ما ذكرت من مسير القوم فإن الله أكره لمسيرهم منك ، وهو أقدر على تغيير ما يكره ، وأما ما ذكرت من عددهم فإننا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة وإنما كنا كنا نقاتل بالنصر .

فقال عمر : أجل والله لئن شخست من هذه البلدة لتنتقضن عليّ الأرض من أطرافها وأكنافها ، ولئن نظرت إلى الأعاجم لا يفارقن العرصة^(۲) ، وليمدّتهم من لم يمدهم ، وایقولن : هذا أصل العرب ، فإذا اقتطعتموه اقتطعتم أصل العرب :

فأشيروا عليّ برجل أوله ذلك الثغر غدا ، قالوا أنت أفضل رأيا ، وأحسن مقدرة ، قال : أشيروا عليّ به واجعلوه عراقيا ، قالوا يا أمير المؤمنين أنت أعلم بأهل العراق ،

(۱) ألب إليه القوم : أتوه من كل جانب . (۲) إلحاح .

وجندك قد وفدوا عليك ورأيتهم وكلمتهم ، فقال : أما والله لأولين أمرهم رجلا ليكونن
لأول الأسننة إذا لقيها غدا ، فقيل من يا أمير المؤمنين ؟ فقال : النعمان بن مقرن المزني ،
فقالوا : هو لها ، والنعمان يومئذ بالبصرة ، فولآه . (تاريخ الطبري ٤ : ٢٣٨)

١١٠ - خطبة النعمان بن مقرن

ونشب القتال بين المسلمين والفرس ، وكان النعمان يسير في الناس على بردون
أحوى^(١) قريب من الأرض فيقف على كل راية ويحمد الله ويثنى عليه ويقول :
« قد علمت ما أعزكم الله به من هذا الدين ، وما وعدكم من الظهور ، وقد أنجز لكم
هوادي^(٢) ما وعدكم وصدوره ، وإنما بقيت أعجازه وأكارعه ، والله منجز وعده ، ومتبع
آخر ذلك أوله ، واذكروا ماضي إذ كنتم أذلة ، وما استقبلتم من هذا الأمر وأنتم أعزة ،
فأنتم اليوم عباد الله حقا وأولياؤه ؛ وقد علمت انقطاعكم من إخوانكم من أهل الكوفة ،
والذي لهم في ظفركم وعزكم ، والذي عليهم في هزيمتكم وذلكم ، وقد ترون من أنتم بإزائه
من عدوكم ، وما أخطرتكم وما أخطروا لكم ، فأما ما أخطروا لكم فهذه الرثة^(٣) وما ترون
من هذا السواد ، وأما ما أخطرتكم لهم فدينكم وبيضتكم ، ولا سواها ما أخطرتكم وما أخطروا ،
فلا يكونن على دنياهم أحى منكم على دينكم ، واتق الله عبد صدق الله وأبلى نفسه فأحسن
البلاء ، فإنكم بين خيرين منتظرين : إحدى الحسينين ، من بين شهيد حي مرزوق أو فتح
قريب وظفر يسير ، فكفى كل رجل ما يليه ، ولم يكمل قرنه إلى أخيه ، فيجتمع عليه قرنه
وقرن نفسه ، وذلك من الملامة ، وقد يقاتل الكلب عن صاحبه ، فكل رجل منكم
مسلط على ما يليه ، فإذا قضيت أمري فاستعدوا ، فإنى مكبر ثلاثا ، فإذا كبرت التكبير

(١) وصف من الحوة وهي : حمرة إلى السواد .

(٢) أوائل جمع هاد .

(٣) الرثة : ضعفاء الناس .

الأولى فليتها من لم يكن تهيأ ، فإذا كبرت الثانية فليشد عليه سلاحه وليتها للنهوض ،
فإذا كبرت الثالثة فإني حامل إن شاء الله فاحملوا معا ، اللهم أعز دينك وانصر عبادك ،
واجعل النعمان أول شهيدٍ اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك .

(تاريخ الطبري ٤ : ٢٤٢)

وزلق فرسه في دماء القوم فصرع فاستشهد .

خطب رجال من الفاتحين

بين يدي يزيد جرد ملك الفرس وقواده

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص وهو على فتح العراق يأمره أن يبعث إلى يزيد جرد ملك الفرس رجلاً من أهل المنظرة^(١) والرأي والجلد يدعونه ، فاخترهم وأنفذهم إليه بالمدائن ، فلما دخلوا عليه أمر التزُّجَّانَ بينه وبينهم فقال : سلهم ما جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا ، أمن أجل أنا أجمعناكم^(٢) وتشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟ فقال لهم النعمان بن مقرن : إن شئتم أجبت عنكم ، ومن شاء آثرته ، فقالوا : بل تكلم ، فتكلم النعمان فقال :

١١١ - خطبة النعمان بن مقرن

« إن الله رَحِمَنَا فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا يَدُلُّنَا عَلَى الْخَيْرِ ، وَيَأْمُرُنَا بِهِ ، وَيَعْرِفُنَا الشَّرَّ ، وَيَنْهَانَا عَنْهُ ، وَوَعَدَنَا عَلَى إِجَابَتِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَلَمْ يَدْعُ إِلَى ذَلِكَ قَبِيلَةً إِلَّا صَارُوا فِرْقَتَيْنِ : فِرْقَةٌ تَقَارِبُهُ ، وَفِرْقَةٌ تَبَاعِدُهُ ، وَلَا يَدْخُلُ مَعَهُ فِي دِينِهِ إِلَّا الْخَوَاصُّ ، فَكَثُرَ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يَنْبِذَ إِلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنَ الْعَرَبِ ، وَبَدَأَ بِهِمْ وَفَعَلَ ، فَدَخَلُوا مَعَهُ جَمِيعًا عَلَى وَجْهَيْنِ : مُسْكِرَةً عَلَيْهِ فَاغْتَبَطَ ، وَطَائِعَاتٍ أَتَاهُ فَازْدَادَ ، فَعَرَفْنَا جَمِيعًا فَضْلَ مَا جَاءَ بِهِ عَلَى الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ ، مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالضِّيْقِ ، ثُمَّ أَمَرْنَا أَنْ نَبْدَأَ بِمَنْ يَلِينَا مِنَ الْأُمَمِ ، فَندَعُوهُمْ إِلَى الْإِنصَافِ ، فَنَحْنُ ندَعُوكُمْ إِلَى دِينِنَا ، وَهُوَ دِينُ حَسَنٍ

(١) المنظر . (٢) من أجم الماء إذا تركه يجتمع ، أي أرحناكم وانصرفنا عنكم .

الْحَسَنَ ، وَقَبَّحَ الْقَبِيحَ كُلَّهُ ، فَإِنِ ابْيَيتُمْ فَأَمْرٌ مِنَ الشَّرِّ ، هُوَ أَهْوَنُ مِنْ آخِرِ شَرِّهِ مِنْهُ ،
الْجِزَاءُ^(١) ، فَإِنِ ابْيَيتُمْ فَلِلْمَنَاجِزَةِ ، فَإِنِ أَجَبْتُمْ إِلَى دِينِنَا خَلَفْنَا فِيكُمْ كِتَابَ اللَّهِ ، وَأَقْنَاكُمْ
عَلَيْهِ ، عَلَى أَنْ تَحْكُمُوا بِأَحْكَامِهِ ، وَنَرْجِعَ عَنْكُمْ وَشَأْنَكُمْ وَبِلَادَكُمْ ، وَإِنِ اتَّقَيْتُمُونَا بِالْجِزَاءِ
قَبْلِنَا وَمَنْعَنَاكُمْ ، وَإِلَّا قَاتَلْنَاكُمْ .

فقال يزدجرد : إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ، ولا أسوأ
ذاتَ بَيْنٍ مِنْكُمْ ، قد نوكلُ بكم قُرى الضواحي فيكفونناكم ، لا تغزوكم فارس ،
ولا تطمعون أن تقوموا لهم ، فإن كان غرور لحقكم ، فلا يغرركم منا ، وإن كان
الجهد دعاكم ، فرضنا لكم قوتاً إلى خضبتكم ، وأكرمنا وجوهكم ، وكسوناكم ، وملكنا
عليكم ملكاً يرفق بكم ، فقام المغيرة بن زرارة فقال :

١١٢ - خطبة المغيرة بن زرارة

أيها الملك : إن هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم ، وهم أشراف يستحيون من
الأشراف ، وإنما يكرم الأشراف الأشراف . ويعظم حقوق الأشراف الأشراف ،
ويفخم الأشراف الأشراف ، وليس كل ما أرسلوا به جموعه لك ، ولا كل ما تكلمت
به أجاوبك عليه ، وقد أحسنوا ولا يحسنُ بمثلهم إلا ذلك ، فجاوبني لأكون الذي
أبلغك ، ويشهدون على ذلك ، إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالماً ، فأما ما ذكرت
من سوء الحال ، فما كان أسوأ حالاً منا ، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع ، كئنا نأكل
الخفافس ، والجعلان^(٢) والعقارب والحيات فترى ذلك طعامنا ، وأما المنازل فإنما هي ظهر
الأرض ، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل ، وأشعار الغنم ، ديننا أن يقتل بعضنا

(١) الجزاء : جمع جزية . (٢) جمع جمل بضم ففتح : وهو الحرباء .

بعضاً ، وَيُغَيِّرَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُنَا أَيْدِفُنْ ابْنَتَهُ وَهِيَ حَيَّةٌ كَرَاهِيَةٌ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ طَعَامِنَا ، فَكَانَتْ حَالُنَا قَبْلَ الْيَوْمِ عَلَى مَا ذَكَرْتُ لَكَ ، فَبِعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَجُلًا مَعْرُوفًا نَعْرِفُ نَسَبَهُ ، وَنَعْرِفُ وَجْهَهُ وَمَوْلَدَهُ ، فَأَرْضُهُ خَيْرُ أَرْضِنَا ، وَحَسَبُهُ خَيْرُ أَحْسَابِنَا ، وَبَيْتُهُ أَكْبَرُ بِيُوتِنَا ، وَقَبِيلَتُهُ خَيْرُ قَبِيلَتِنَا ، وَهُوَ بِنَفْسِهِ كَانَ خَيْرِنَا فِي الْحَالِ الَّتِي كَانَ فِيهَا ، أَصْدَقْنَا وَأَحْلَيْنَا ، فَدَعَانَا إِلَى أَمْرٍ ، فَلَمْ يَجِبْ أَحَدٌ أَوَّلَ مَنْ تَرَبَّأَ كَانَ لَهُ ، وَكَانَ الْخَلِيفَةُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَقَالَ وَقَلْنَا ، وَصَدَّقَ وَكَذَبْنَا ، وَزَادَ وَنَقَصْنَا فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا إِلَّا كَانَ ، فَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِنَا التَّصَدِيقَ لَهُ وَاتِّبَاعَهُ ، فَصَارَ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَمَا قَالَ لَنَا فَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ ، وَمَا أَمَرْنَا فَهُوَ أَمْرُ اللَّهِ ، فَقَالَ لَنَا : إِنْ رَبِّكُمْ يَقُولُ : إِنْ أَنَا اللَّهُ وَحْدِي لَا شَرِيكَ لِي ، كُنْتُ إِذْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ ، وَكُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهِي ، وَأَنَا خَلَقْتُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَإِلَى بَصِيرِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِنْ رَحْمَتِي أَدْرَكْتِكُمْ ، فَبِعَثْتُ إِلَيْكُمْ هَذَا الرَّجُلَ ، لِأَدُلُّكُمْ عَلَى السَّبِيلِ الَّتِي بِهَا أُبْجِيكُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ عَذَابِي ، وَلِأَحْيَاكُمْ دَارِي دَارَ السَّلَامِ ، فَذَشَّهْدَ عَلَيْهِ أَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ الْحَقِّ ، وَقَالَ : مَنْ تَابَعَكُمْ عَلَى هَذَا ، فَلَهُ مَا لَكُمْ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْكُمْ ، وَمَنْ أَبِي فَأَعْرَضُوا عَلَيْهِ الْجَزْبَةَ ثُمَّ امْنَعُوهُ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ ، وَمَنْ أُنِيَ فَقَاتَلُوهُ ، فَأَنَا الْحَكَمَ بَيْنَكُمْ ، فَمَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ أَدْخَلْتُهُ جَنَّتِي ، وَمَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ أَعْقَبْتُهُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ نَاوَاهُ ، فَاخْتَرِ إِنْ شِئْتَ الْجَزْبَةَ عَنْ يَدِي وَأَنْتَ صَاغِرٌ ، وَإِنْ شِئْتَ فَالسِّيفَ ، أَوْ تَسَلَّمْ فَتَنْجِي نَفْسَكَ .

فَقَالَ بَزْدَجَرْدٌ : أَسْتَقْبَلُنِي بِمِثْلِ هَذَا ؟ لَوْلَا أَنَّ الرِّسْلَ لَا تَقْتُلُ لَقَتَلْتَكُمْ ، لَا شَيْءَ لَكُمْ عِنْدِي ، ثُمَّ قَالَ : ائْتُونِي بِوِقْرِ^(۱) مِنْ تَرَابٍ ، فَقَالَ أَحْمَلُوهُ عَلَى أَشْرَفِ هَوْلَاءِ ، ثُمَّ سَوِّقُوهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ بَابِ الْمَدَائِنِ .

(تاريخ الطبري ۴ : ۹۲ ، والكامل لابن الأثير ۲ : ۲۲۳)

(۱) الوقر : الحمل الثقيل أو أعم .

١١٣ - مقال ربعي بن عامر عند رستم قائد جيش الفرس

وأرسل رستم قائد جيش الفرس ، إلى سعد بن أبي وقاص ، أن ابعث إلينا رجلاً نكلمه ويكلمنا ، فبعث إليه ربعي بن عامر ، فلما انتهى إليه قال له التَّزُجَّانُ (واسمه عبود من أهل الحيرة) ما جاء بكم ؟ قال :

« الله ابتعثنا ، والله جاء بنا ، لنُخرج من شَاء من عبادة العباد ، إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ، ورجعنا عنه وتركناه وأرضه بليها دوننا ، ومن أبي قاتلناه أبداً ، حتى نُنفِضِي إلى موعود الله ، قال وماموعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من آب ، والظفر لمن بقي » .

(تاريخ الطبري ٤ : ١٠٦ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٧)

١١٤ - خطبة المغيرة بن شعبه في حضرة رستم

وبعث إليه أيضاً المغيرة بن شعبه ، فتكلم بحضرته ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إن الله خالق كل شيء ورازقه ، فمن صنع شيئاً فإنه هو يصنعه والذي له ، وأما الذي ذكرت به نفسك وأهل بلادك من الظهور على الأعداء ، والتمكن في البلاد ، وعِظَم السلطان في الدنيا ، فنحن نعرفه ، ولسنا ننكره ، فالله صنعه بكم ، ووضع فيكم وهو له دونكم ، وأما الذي ذكرت فينا من سوء الحال ، وضيق المعيشة ، واختلاف القلوب ، فنحن نعرفه ، ولسنا ننكره ، والله ابتلانا بذلك ، وصيرنا إليه ، والدنيا دُول ، ولم يزل أهل شدائدها يتوقعون الرخاء ، حتى يصيروا إليه ، ولم يزل أهل رخاؤها يتوقعون الشدائد ، حتى تنزل بهم ، ويصيروا إليها ، ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوى شكر ، كان

شكركم يقصُرُ عما أوتيتم ، وأسَلَمَكُم ضعف الشكر إلى تغير الحال ، ولو كنا فيما ابتلينا به أهل كفر ، كان عظيم ما تقابع علينا ، مستجلباً من الله رحمة يُرَفِّهَ بها عنا ، ولكن الشأن غير ما تذهبون إليه ، أو كنتم تعرفوننا به ، إن الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولاً ، ثم ذكر مثل الكلام الأول .

(تاريخ الطبرى ٤ : ١٠٩ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٨)

١١٥ - خطبة المغيرة بن شعبه

لما اجتمعت جيوش المسلمين بنهاوند (سنة ٢١ هـ) وأميرهم النعمان بن مقرن المزني أرسل بُنْدَارُ العِليج إليهم أن أرسلوا إلينا رجلاً نكلمه ، فأرسلوا إليه المغيرة بن شعبه ، فأدخل إليه وترجم له قوله :

« إنكم معشر العرب أبعد الناس من كل خير ، وأطول الناس جوعاً ، وأشقى الناس شقاءً ، وأقدر الناس قدراً ، وأبعده داراً ، وما منعتني أن آمر هؤلاء الأساورة^(١) حولي أن ينتظموكم بالنشاب إلا تنجسوا لجيفكم ، فإنكم أرجاس ، فإن تذهبوا نُخَلَّ عنكم ، وإن تابوا نُرِكَم مصارعكم . »

قال : فحمدت الله وأثنت عليه فقلت : « والله ما أخطأت من صفتنا شيئاً ولا من نعمتنا . إن كنا لأبعد الناس داراً ، وأشد الناس جوعاً ، وأشقى الناس شقاءً ، وأبعد الناس من كل خير ، حتى بعث الله عز وجل إلينا رسوله صلى الله عليه وسلم ، فوعدنا النصر في الدنيا والجنة في الآخرة ، فوالله ما زلنا نتعرف من ربنا منذ جاءنا رسوله بالفتح والنصر حتى أتيناكم ، وإنا والله لا نرجع إلى ذلك الشقاء أبداً حتى تغلبكم على ما في أيديكم ، أو نقتل بأرضكم . »

(تاريخ الطبرى ٤ : ٢٣٤)

(١) الأساورة : جمع أسوار ، والأسوار : بالضم والكسر قائد الفرس .

١١٦ - خطبة عمر

وغزا الأحنف بن قيس خراسان وحارب يزدجرد سنة ٢٢ هـ ثم أقبل أهل فارس على الأحنف فصالحوه وعاقدوه ودفعوا إليه خزائن يزدجرد وتراجعوا إلى بلادهم ، وبعث الأحنف بالخبر والغنائم إلى عمر بن الخطاب فجمع الناس وخطبهم فقال في خطبته :

« إن الله تبارك وتعالى ذكر رسوله صلى الله عليه وسلم وما بعثه به من الهدى ، ووعد على اتباعه من عاجل الثواب وآجله خير الدنيا والآخرة فقال : (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) فالحمد لله الذي أنجز وعده ، ونصر جنده ، ألا إن الله قد أهلك ملك الجوسية وفرق شملهم ، فليسوا يملكون من بلادهم شيئا يضر بمسلم ، ألا وإن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبنائهم لينظر كيف تعملون .

ألا وإن المصريين من مسالحها^(١) اليوم كأنتم والمصريين فيما مضى من البعد ، وقد وغلوا في البلاد ، والله بالغ أمره ومنجز وعده ، ومُتبع آخر ذلك أوله ، فقوموا في أمره على رجل يوفى لكم بعهده ، ويؤتكم وعده ، ولا تبدلوا ولا تُغَيَّرُوا فيستبدل الله بكم غيره ، فإنني لا أخاف على هذه الأمة أن تُؤتى إلا من قبلكم .

(تاريخ الطبري ٤ : ٢٦٧)

١١٧ - خطبة عثمان بن أبي العاص

ولما فتح عثمان بن أبي العاص إصطخر^(١) (سنة ٢٣ هـ) وجمع إليه ما أفاء الله على المسلمين خمسة ، وبعث بالخمسة إلى عمر ، وقسم أربعة أخماس الغنم في الناس ،

(١) المسالح: جمع مسلحة ، وهي الثغر .

وعفت الجند عن النهاب ، وأدّوا الأمانة ، واستدقوا^(١) الدنيا ، فجمعهم عثمان ثم قام
فيهم وقال :

« إن هذا الأمر لا يزال مقبلا ، ولا يزال أهله معافين مما يكرهون ما لم يَغْلُوا ،
فإذا غلّوا رأوا ما يُنكرون : ولم يسدّ الكثير مسدّ القليل اليوم » .

(تاريخ الطبري ٥ : ٣)

(١) رأوها دقيقة حقيرة .

في فتح الشام

١١٨ - بين الروم ومعاذ بن جبل

وبعث الروم إلى أبي عبيدة أن « أرسل إلينا رجلا من صلحائكم نسأله عما تريدون ، وما تسألون ، وما تدعون إليه ، ونخبره بذات أنفسنا ، وندعوكم إلى حظكم إن قبلتم ، فأرسل إليهم أبو عبيدة معاذ بن جبل ، فاتاهم ، فقالوا للترجمان قل له :
« أخبرونا ما تطلبون ؟ وإلام تدعون إليه ؟ وما أدخلكم بلادنا ؟ وتركتم أرض الحبشة وليسوا منكم ببيعة ، وتركتم أرض فارس وقد هلك ملك فارس وهلك ابنه ، وإنما تملكهم اليوم النساء ونحن مديكنا حتى ، وجنودنا عظيمة كثيرة ، وإن اقتحمتم من مدائننا مدينة ، أو من قرانا قرية ، أو من حصوننا حصنا ، أو هزمت لنا عسكريا ، أظنتم أنكم قد ظفرتم بجماعتنا ؟ وأنكم قد قطعتم حربنا عنكم ؟ أو فرغتم ممن وراءنا منا ، ونحن عدد نجوم السماء وحصى الأرض ! وأخبرونا لم تستحلون قتالنا ، وأنتم تؤمنون بنبينا وكتابتنا ؟ » .

فلما قالوا هذا القول وفسره الترجمان لمعاذ سكتوا ، فقال معاذ للترجمان : قد فرغوا ؟ قال له : نعم ، قال : فأفهمهم عني أن أول ما أنا ذا ذكر حمد الله الذي لا إله إلا هو ، والصلاة على محمد نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأن أول ما أدعوكم إلى الله أن تؤمنوا بالله وحده ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأن تصلوا صلاتنا وتستقبلوا قبلتنا ، وأن تستنوا بسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وتكسروا الصليب ، وتجتنبوا شرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير ، ثم أنتم منا ونحن منكم ، وأنتم إخواننا في ديننا ، لكم ما لنا ، وعليكم ما علينا ، وإن

أبيتم فأدوا الجزية إلينا في كل عام وأنتم صاغرون ، ونكف عنكم ، وإن أنتم أبيتم هاتين الخصلتين فليس شيء مما خلق الله عز وجل نحن قابلوه منكم ، فابرزوا إلينا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ، فهذا ما نأمركم به وما ندعوكم إليه .

وأما قولكم : « ما أدخلكم بلادنا وتركتم أرض الحبشة وايسوا منكم بيعيد ، وتركتم أهل فارس ، وقد هلك ملكهم » فإنني أخبركم عن ذلك : ما بدأنا قتالكم لأنكم أقرب إلينا منهم ، وإنكم عندنا جميعاً بالسواء ، وما جاءنا كتابنا بالكف عنهم ، ولكن الله عز وجل أنزل في كتابه على نبينا صلى الله عليه وسلم فقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) وكنتم أقرب إلينا منهم ، فبدأنا بكم لذلك ، وقد أتاهم طائفة منا وهم يقاتلونهم ، وأرجو أن يظفرهم الله ويفتح عليهم فينصر .

وأما قولكم : « إن ملكنا حتى » ، وإن جنودنا عظيمة ، وإنا عدد نجوم السماء وحصى الأرض » وتوئسونا من الظهور عليكم فإن الأمر في ذلك ليس إليكم ، وإنما الأمور كلها إلى الله ، وكل شيء في قبضته وقدرته ، وإذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، وإن يكن ملككم هرقل فإن ملكنا الله عز وجل الذي خلقنا ، وأميرنا رجل منا ، إن عمل فينا بكتاب ديننا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم أقررناه علينا ، وإن عمل بغير ذلك عزلناه عنا ، وإن هو سرق قطعنا يده ، وإن زنى جلدناه ، وإن شتم رجلاً منا شتمه كما شتمه ، وإن جرحه أفاده^(١) من نفسه ، ولا يحتجب منا . ولا يتكبر علينا ، ولا يستأثر علينا في فيئنا الذي أفاءه الله علينا وهو كرجل منا .

وأما قولكم : « جنودنا كثيرة » فإنها وإن عظمت وكثرت حتى تكون أكثر من نجوم السماء وحصى الأرض ، فإننا لا نتق بها ولا نتكل عليها ، ولا نرجو النصر على

(١) أفضه .

عدونا بها ، ولكننا نتبرأ من الحول والقوة ، ونتوكل على الله عز وجل ، ونثق بربنا ،
فكم من فئة قليلة قد أعزها الله ونصرها وأغناها ، وغلبت فئة كثيرة بإذن الله ، وكم
من فئة كثيرة قد أذلها الله وأهانها ، قال تبارك وتعالى : « كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ
فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ » .

وأما قولكم « كيف تستحلون قتالنا وأنتم تؤمنون بنبينا وكتابتنا » فأنا أخبركم عن
ذلك : نحن نؤمن بنبيكم ونشهد أنه عبد من عبيد الله ، وأنه رسول من رسل الله ،
وأن مثله عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كُن فيكون ، ولا نقول إنه
الله ، ولا نقول إنه ثانی اثنين ، ولا ثالث ثلاثة ، ولا إن لله والِدًا ولا إن له صاحِبَةً
ولا وِلَدًا ، ولا إن معه آلهة أخرى ، لا إله إلا هو ، تعالى عما يقولون علواً كبيراً ، وأنتم
تقولون في عيسى قولاً عظيماً ، فلو أنكم قتلتم في عيسى كما نقول ، وآمنتم بنبوته
نبينا صلى الله عليه وسلم كما تجِدُونَهُ في كتابكم ، وكما نؤمن نحنُ بنبيكم ، وأقررتم
بما جاء به من عند الله ، ووحدتم الله ، ما قاتلناكم ، بل كنا نسالمكم ونواليكم ونقاتل
معكم عدوكم .

فلما فرغ معاذ من خطابه قالوا له : ما نرى بيننا وبينك إلا متباعدا ، وقد بقيت
خصلة نحن نعرضها عليكم ، فإن قبلتموها منا فهو خير لكم ، وإن أبيتم فهو شر لكم .
نعطيكم البلقاء وما والى أرضكم من سواد الأردن ، وتنحوا عن بقية أرضنا وعن مدائننا ،
ونكتب عليكم كتابا نسمى فيه خياركم وصلاحكم ، ونأخذ عهدكم ومواثيقكم على ألا
تطلبوا من أرضنا غير ما صالحناكم عليه ، وعليكم بأهل فارس فقاتلوهم ، ونحن معكم نعينكم
عليهم حتى تقتلوهم وتظهروا عليهم .

فقال معاذ : هذا الذي عرضتم علينا وتعطوناه كله في أيدينا ولو أعطيتهمونا جميع
ما في أيديكم مما لم نظهر عليه ، ومنعتمونا خصلة من الخصال الثلاثة التي وصفت
لكم ما فعلنا .

فغضبوا عند ذلك وقالوا : نتقرب إليك وتتباعد عنا ؟ اذهب إلى أصحابك فوالله إنا لندرجو أن نفرقكم في الجبال غداً ، فقال معاذ : أما الجبال فلا ، ولكن والله لتقتلنا عن آخرنا ، أو لنخرجنكم من أرضكم أذلة وأنتم صاغرون ، وانصرف معاذ .

١١٩ - بين أبي عبيدة ورسول الروم

وانصرف معاذ إلى أبي عبيدة فأخبره بما قالوا ، ثم أرسل الروم رسولا من قبلهم إلى أبي عبيدة فقال له : أنا أعرض عليكم أمراً لكم فيه حظ إن قبلتموه : نحن نعطيكم دينارين دينارين وثوباً ثوباً ، ونعطيك أنت ألف دينار ، ونعطى الأمير الذى فوقك - يعنون عمر - ألفى دينار ، وتنصرفون عنا ، وإن شئتم أعطيناكم أرض البلقاء وما والى أرضكم من سواد الأردن ، وخرجتم من مدائننا وأرضنا وبلادنا ، وكتبنا فيما بيننا وبينكم كتاباً يستوثق فيه بعضنا من بعض بالآيمان المغلظة ليقومن به وليقين بما عاهد الله عليه .

فحمد الله أبو عبيدة وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« إن الله بعث فينا رسولا نبيا ، وأنزل عليه كتابا حكيماً ، وأمره أن يدعو الناس إلى عبادة ربهم رحمة منه للعالمين ، وقال لهم : إن الله إله واحد ، عزيز حكيم ، عليّ مجيد ، وهو خالق كل شيء وايس كمثل شيء ، وأمرهم أن يوحدوا الله الذى لا إله إلا هو ، ولا يتخذوا له صاحبة ولا ولداً ، ولا يتخذوا معه آلهة أخرى ، وأن كل شيء يعبده الناس دونه فهو خلقه ، وأمرنا صلى الله عليه وسلم فقال : إذا أتيتم المشركين فدعوهم إلى الإيمان بالله ورسوله ، وبالإقرار بما جاء من عند الله عز وجل ، فمن آمن وصدق فهو أخوكم فى دينكم ، له ما لكم وعليه ما عليكم ، ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية حتى يؤدوها عن يديهم صاغرون ، فإن أبوا أن يؤمنوا أو يؤدوا الجزية

فاقتلوهم وقاتلوهم فإن قتلكم المحتسب بنفسه شهيد عند الله ، وهو في جنات النعيم ،
وقتل عدوكم في النار .

فإن قبلتم ما سمعتم مني فهو خير لكم ، وإن أبيتم ذلك فابرزوا إلينا حتى يحكم الله بيننا
وهو خير الحاكمين .

فقال الرومي : قد أبيتم إلا هذا ؟ فقال له أبو عبيدة : نعم ، فقال له الرومي : أما والله
على ذلك ، إني لأراكم تتمنون أنكم قبلتم منا دون ما عرضنا عليكم .
(فتوح الشام ص ١٠٠)

١٢٠ - بين باهان وخالد بن الوليد

وبعث باهان أمير الروم إلى خالد بن الوليد أن القني ، فأقبل إليه خالد ، فقال باهان :
إن شئت فتكلم ، وإن شئت بدأتك فتكلمت ، فقال له خالد : فتكلم ،
فقال باهان :

« الحمد لله الذي جعل نبينا أفضل الأنبياء ، ومملكنا أفضل الملوك ، وأمتنا خير الأمم ،
فلما بلغ هذا المكان ، قال خالد للترجمان : وقطع على صاحب الروم منطقه ثم قال :
« الحمد لله الذي جعلنا نؤمن بنبينا ونبينا ونبيكم وبجميع الأنبياء ، وجعل الأمير الذي وليناه
أمورنا رجلا كبعضنا ، فلو زعم أنه ملك علينا لعزلناه عنا ، ولسنا نرى أن له على رجل
من المسلمين فضلا ، إلا أن يكون أتقى منه عند الله وأبر ، والحمد لله الذي جعل أمتنا
تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتقر بالذنب وتستغفر الله منه ، وتعبد الله وحده
لا تشرك به شيئا » قل الآن ما بدا لك .

فاصفر وجه باهان ومكث قليلا ، ثم قال : « الحمد لله الذي أبلانا فأحسن البلاء
عندنا ، وأغنانا من الفقر ، ونصرنا على الأمم ، وأعزنا فلا نذل ، ومنعنا من الضيم ،
فلا يباح حريمنا ، ولسنا فيما أعزنا الله به وأعطانا من ديننا بيطرين ولا مريحين ولا

باغين على الناس ، وقد كانت لنا منكم يا معشر العرب جيران كُنَّا نحسِن جِوارهم ،
وَنُعَظِم قَدْرهم ، وَنُفَضِّل عليهم ، وَنَفِي لهم بالعهد ، وَخَيْرَناهم بلادنا ، ينزلون منها حيث
شاءوا ، فينزلون آمنين ، ويرحلون آمنين ، وكنا نرى أن جميع العرب ممن لا يجاورنا
سيشكر لنا ذلك الذي أتينا إلى إخوانهم ، وما اصطَنَعنا عندهم ، فلم يَرُغنا منكم
إلا وقد فاجأتمونا بالخيال والرجال ، تقاتلوننا على حصُوننا ، وتريدون أن تغلبونا على
بلادنا ، وقد طلب هذا منا قبلكم من كان أكثر منكم عدداً ، وأعظم مَكيدة ،
وأوفى جُنْدًا ، ثم رددناهم عنها ، فلم يرجعوا عَنَّا إلا وهم بين قتيلٍ وأسير ، وأراد ذلك
منا فارس ، فقد بلغكم كيف صنع الله عزَّ جلَّ بهم ، وأراد ذلك منا الترك فلقيناهم
بأشد مما لقينا به فارس ، وأرادنا غيركم من أهل المشرق والمغرب من ذوى المنعة والعزِّ
والجنود العظيمة ، فكلمهم أظفَرنا الله بهم ، وصنع لنا عليهم ، ولم تكن أمة من الأمم
بأرقَّ عندنا منكم شأنًا ، ولا أصغر أخطارا^(١) إنما جَلُّكم رِعاة الشاء والإبل ،
وأهل الصخر والحجر والبؤس والشقاء ، فأنتم تطمعون أن نجلى لكم عن بلادنا ؟ بئس
ما طعمتم فيه منا ، وقد ظننا أنه لم يأت بكم إلى بلادنا - ونحن يتقى كل من حولنا من الأمم
العظيمة الشأن الكثيرة العدد ، مع كثرتنا وشدة شوكتنا - إلا جهْدٌ نزل بكم من جدوبة
الأرض وقحط المطر ، وعِثْمٌ في بلادنا وأفسدتم كل الفساد ، وقد ركبتهم مراكبنا ، وليست
كمرا كِبكم ، ولبسم ثيابنا وليست كثيابكم ، وثياب الروم البيض كأنها صفائح الفضة ،
وطعمتم من طعامنا وليس كطعامكم ، وأصبتهم منا وما لَتم أيديكم من الذهب الأحمر والفضة
البيضاء والمتاع الفاخر ، وقد لقيناكم الآن وذلك كله لنا ، فهو في أيديكم ، فنحن نسلمه
لكم فاخرجوا به وانصرفوا عن بلادنا ، فإن أبت أنفسكم إلا أن تحرصوا وتشرهوا ،
وأردتم أن تزيدكم من بيوت أموالنا ما يقوى به الضعيف منكم ، ويرى الغائب أن قد

(١) أقدارا .

رجع إلى أهله بخير ، فعلنا ، ونأمر للأمير منكم بعشرة آلاف دينار ، ونأمر لك بمثلها ،
ونأمر لرؤسائكم بألف دينار ألف دينار ، ونأمر لجميع أصحابك بمائة دينار مائة دينار ،
على أن توثقوا لنا بالأيمان المغلظة ألا تعودوا إلى بلادنا ، ثم سكت .

۱۲۱ - جواب خالد

فقال خالد رحمه الله : الحمد لله الذي لا إله إلا هو ، فلما فسر له الترجمان قوله : الحمد لله
الذي لا إله إلا هو رفع يده إلى السماء ، ثم قال لخالد نعم ما قلت ، ثم قال خالد : وأشهد
أن محمداً رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فسر له الترجمان قال باهان : الله أعلم ،
ما أدري ، لعله كما تقول ، فأخبر خالد الترجمان . ثم قال خالد رحمه الله :

« أما بعد : فإن كل ما ذكرت به قومك من الغنى والعز ومنع الحریم والظهور
على الأعداء ، والتمكن في البلاد ، فنحن به عارفون ، وكل ما ذكرت من إنعامكم
على جيرانكم منا ، فقد عرفناه ، وذلك لأمر كنتم تصلحون به دنياكم ، وإصلاحكم
كان إليهم وإحسانكم إليهم ، كان ذلك زيادة في ملككم وعزا لكم ، ألا ترون أن
ثلثيهم أو شطرهم دخلوا معكم في دينكم فهم يقاتلوننا معكم ؟ .

وأما ما ذكرتنا به من رعى الإبل والغنم ، فما أقل من رأيت واحداً منابكرهه ، ومالم
يكن يبكرهه منا فضل على من يفعله ، وأما قولكم : إنا أهل الصخر والحجر والبؤس
والشقاء ، فخالنا والله كما وصفته ، ما نتقي من ذلك ولا نتبرأ منه ، وكنا على أسوأ
وأشد مما ذكرت ، وسأقص عليك قصتنا ، وأعرض عليك أمرنا ، وأدعوك إلى حظك
إن قبلت ، ألا إنا كنا معشر العرب أمة من هذه الأمم ، أنزلنا الله — وله الحمد —
منزلاً من الأرض . ليست به أنهار جارية ، ولا يكون به من الزرع إلا القليل ، وكل
أرضنا المهامة^(۱) والقفار ، فكنا أهل حجر ومدّر^(۲) وشاء وبعير ، وعيش شديد ، وبلاء

(۱) جمع مهمه : القفر . (۲) المدر : قطع الطين اليابس .

دائم لازم ، نقطع أرحامنا ونقتل خشية الإملاق أولادنا ، ويأكل قويتنا ضعيفنا ، وكثيرنا قليلنا ، ولا تأمن قبيلة منا قبيلة إلا أربعة أشهر من السنة^(۱) ، نعبد من دون الله أربابا وأصناما ، ننحتها بأيدينا من الحجارة التي نختارها على أعيننا ، وهي لا تضر ولا تنفع ، ونحن عليها مُكِبون ، فبينما نحن كذلك على شفا^(۲) حفرة من النار ، من مات من مات مشركا ، وصار إلى النار ، ومن بقي منا بقي كافراً مشركاً بربه ، قاطعاً لرحمه ، إذ بعث الله فينا رسولا من صميمنا وشرفائنا وخيارنا وكرمائنا وأفضلنا ، دعانا إلى الله وحده أن نعبده ولا نشرك به شيئا ، وأن نخلع الأنداد التي يعبدها المشركون دونه ، وقال لنا لا تتخذوا من دون الله ربكم إلهاً ولا ولياً ولا نصيراً ، ولا تجعلوا معه صاحبة ولا ولداً ولا تعبدوا من دونه ناراً ولا حجراً ، ولا شمساً ولا قرماً ، واكتفوا به رباً وإلهاً من كل شيء دونه ، وكونوا أوليائه ، وإليه فادعوا ، وإليه فارغبوا ، وقال لنا : قاتلوا من اتخذ مع الله آلهة أخرى ، وكل من زعم أن الله ولداً وأنه ثانی اثنین أو ثالث ثلاثة حتى يقولوا لا إله إلا الله وحده لا شريك له ويدخلوا في الإسلام ، فإن فعلوا حرمت عليكم دماؤهم وأموالهم وأعراضهم إلا بحقها ، وهم إخوانكم في الدين ، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ، فإن هم أبوا أن يدخلوا في دينكم وأقاموا على دينهم فأعرضوا عليهم الجزية أن يؤدوها عن يديهم صاغرون ، فإن هم فعلوا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم ، وإن أبوا فقاتلوهم فإنه من قتل منكم كان شهيداً حياً عند الله مرزوقاً ، وأدخله الله الجنة ، ومن قتل من عدوكم قتل كافراً ، وصار إلى النار مخلداً فيها أبداً ، ثم قال خالد :

وهذا والله الذي لا إله إلا هو أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم فعلنا وأمرنا به أن ندعو الناس إليه ونحن ندعوكم إلى ما دعانا إليه نبينا صلى الله عليه وسلم ، وإلى ما أمرنا به أن ندعو إليه الناس ، فندعوكم إلى الإسلام ، وإلى أن تشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وإلى أن تقيموا الصلاة ، وتؤتوا الزكاة ، وتقرؤوا بما جاء من عند الله

(۱) هي الأشهر الحرم : رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم . (۲) حرف .

عز وجل ، فإن فعلتم فأنتم إخواننا في الإسلام ، لكم مالنا ، وعليكم ما علينا ، وإن أبيتكم
فإننا نفرض عليكم أن تعطوا الجزية عن يدي وأنتم صاغرون ، فإن فعلتم قبلنا منكم وكففتنا
عنكم ، وإن أبيتكم أن تفعلوا فقد والله جاءكم قومٌ هم أحرص على الموت منكم على
الحياة ، فاخرجوا بنا على اسم الله حتى نحاكمكم إلى الله ، فإنما الأرض لله يورثها من
يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » ثم سكت خالد .

فقال باهان : أما أن ندخل في دينكم فما أبعد من ترى من الناس من أن يترك دينه
ويدخل في دينكم ، وأما أن تؤدّي الجزية - فتنفس الصعداء^(١) وثقلت عليه وعظمت
عنده - فقال : سيموت من ترى جميعاً قبل أن يؤدّوا الجزية إلى أحد من الناس ، وهم
ياخذون الجزية ولا يعطونها ، وأما قولك : فاخرجوا حتى يحكمكم الله بيننا ، فلعمرى ماجاءك
هؤلاء القوم وهذه الجموع إلا ليحاكموك إلى الله ، وأما قولك : إن الأرض لله يورثها من
يشاء من عباده فصدقت ، والله ما كانت هذه الأرض التي نقاتلكم عليها وتقاتلوننا فيها ،
إلا لأمة من الأمم كانوا قبلنا فيها ، فقاتلناهم عليها فأخرجناهم منها ، وقد كانت قبل ذلك
لقوم آخرين فأخرجهم منها هؤلاء الذين كنا قاتلناهم عنها ، فابرزوا على اسم الله فإننا
خارجون إليكم .

(فتوح الشام ص : ١٧٩)

١٢٢ - خطبة عمرو بن العاص

ولما نقض أهل الأردن العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين ، قام عمرو بن العاص ،
وجمع إليه من كان قبله من المسلمين :
فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
« أما بعد فقد برئت ذمّة الله من رجل من أهل عهدنا من أهل الأردن قدّم

(١) التنفس الطويل .

على رجل من أهل إبلينا ، أو كان عنده لم يأتنا به ، ولم يرفعه إلينا ، ألا ولا يَبْقَيْنَ رجل من أهل عهدنا إلا تَهَيَّأ واستعد ، حتى يسير معي إلى أهل إبلينا ، فإني أريد المسير إليهم ، والنزولَ بساحتهم ، ثم لا أزيِّلهم حتى أقتل مقاتلتهم ، وأسبي ذراريهم ، أو يؤدوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون .

(فتوح الشام ص ١٤٦)

١٢٣ - خطبة عمر

ولما حصر أبو عبيدة أهل إبلينا ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحربه سأله الصلح على أن يكون عمر هو الذي يعطيهم العهد ، ويكتب لهم الأمان ، فأقبل عمر إلى الشام حتى انتهى إلى الجابية فقام في الناس فقال :

« الحمد لله الحميد المستحمد المجيد ، الدافع الغفور الودود ، الذي من أراد أن يهديه من عباده اهتدى ، ومن يضل فلن تجد له وائيا مرشدا .

أما بعد - فإني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن خيار أمتي الذين يلونكم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يفسوا الكذب حتى يشهد الرجل على الشهادة ولم يُستشهد عليها ، وحتى يحلف على اليمين ولم يُسألها ، فمن أراد بَجْبُوحَةٍ^(١) الجنة فليلزم الجماعة ، ولا يبالي الله شذوذ من شذ ، ألا لا يخلون رجل منكم بامرأة إلا أن يكون لها محرماً فإن ثالثهما الشيطان .

(فتوح الشام ص ٢٢٦)

١٢٤ - خطبة عمر

ولما كان عمر رضى الله عنه بالشام ، قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

(١) وسطها .

« يا أهل الإسلام ، إن الله قد صدقكم الوعد ، ونصركم على الأعداء ، وورثكم البلاد ، ومكن لكم في الأرض ، فلا يكن جزاء ربكم إلا الشكر ، وإياكم والعمل بالمعاصي ، فإن العمل بالمعاصي كفرٌ للنعم ، وقلمًا كفر قوم بما أنعم الله عليهم ثم لم يفتروا إلى التوبة ، إلا سلبوا عزهم ، وسلط عليهم عدوهم » ثم نزل .
(فتوح الشام ص ۲۳۱)

۱۲۵ - خطبة لعمر

وقفل عمر من الشام إلى المدينة في ذي الحجة سنة ۱۷ هـ ، وخطب حين أراد القبول فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« ألا إني قد وليت عليكم ، وقضيت الذي عليّ في الذي ولاني الله من أمركم إن شاء الله ، قسطنًا^(۱) بينكم فيئكم ومنازلكم ومغازيكم ، وأبلغنا ما لديكم ، فجنّدنا لكم الجنود ، وهبنا لكم الفروج^(۲) ، وبوأناكم ووسعنا عليكم ما بلغ فيئكم ، وما قاتلتم عليه من شامكم ، وسمينا لكم أطماعكم ، وأمرنا لكم بإعطائكم أرزاقكم ومعاونتكم ، فمن علم علم شيء ينبغي العمل به فبلغنا نعمل به إن شاء الله ، ولا قوة إلا بالله »

(تاريخ الطبري ۴ - ۲۰۴)

۱۲۶ - خطبة عمر

ولما رجع عمر رضي الله عنه إلى المدينة ، استقبله الناس يهنئون بالنصر والفتح ، فجاء حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصلى ركعتين عند المنبر ، ثم صعد المنبر فاجتمع الناس إليه ، فقام :

(۲) الثغور .

(۱) فرقنا .

فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقال : « أَيُّهَا النَّاسُ ،
إِنَّ اللَّهَ قَدْ اصْطَنَعَ عِنْدَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ يَحْمَدُوهُ وَيُشْكِرُوهُ ، وَقَدْ أَعَزَّ دَعْوَتَهَا ، وَجَمَعَ كَلِمَتَهَا ،
وَأَظْهَرَ فَلْجَهَا ^(١) ، وَنَصَرَهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَشَرَّفَهَا وَمَكَّنَ لَهَا فِي الْأَرْضِ ، وَأَوْرَثَهَا
بِلَادَ الْمُشْرِكِينَ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، فَأَحْدِثُوا لِلَّهِ شُكْرًا يَزِيدُكُمْ ، وَاحْمَدُوهُ عَلَى نِعْمِهِ عَلَيْكُمْ
يُدِيمَهَا لَكُمْ ، جَعَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الشَّاكِرِينَ » ثم نزل . (فتوح الشام ص ٢٣٩)

١٢٧ - وصية أبي عبيدة للمسلمين

وقد أصابه طاعون عمواس

وكان طاعون عمواس قد عمَّ أهل الشام (سنة ١٨ هـ) ومات فيه بشرٌ كثير ،
ومات فيه أبو عبيدة رحمه الله .

ولما طعن أبو عبيدة وهو بالأردن ، دعا المسلمين ، فلما دخلوا عليه قال :
« إِنِّي أَوْصِيكُمْ بِوَصِيَّةٍ إِنْ قَبِلْتُمُوهَا لَمْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا بَقِيتُمْ ، وَبَعْدَ مَا تَهْلِكُونَ ،
أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ، وَصُومُوا وَتَصَدَّقُوا ، وَحُجُّوا وَاعْتَمِرُوا ، وَتَوَاصَلُوا وَتَحَابَبُوا
وَاصْدَقُوا أُمَّرَاءَكُمْ وَلَا تَغْشَوْهُمْ ، وَلَا تُلْهِكُمْ الدُّنْيَا ، فَإِنْ أَمْرًا لَوْ عُمِّرَ أَلْفُ حَوْلٍ مَا كَانَ
لَهُ بَدٌّ مِنْ أَنْ يَصِيرَ إِلَى مَضْرَعِي هَذَا الَّذِي تَرَوْنَ ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ الْمَوْتَ عَلَى بَنِي آدَمَ
فَهُمْ مَيِّتُونَ ، وَأَكْرَمُهُمْ مِنْهُمْ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ ، وَأَعْلَمُهُمْ لِيَوْمِ مَعَادِهِ » ثم قال : يَا مَعَاذُ صَلِّ
بِالنَّاسِ ، فَصَلِّ مَعَاذَ النَّاسِ ، وَمَاتَ أَبُو عُبَيْدَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ . (فتوح الشام ص : ٢٤٠)

(١) النبلج : الفوز والظفر .

١٢٨ - خطبة معاذ بن جبل عند موت أبي عبيدة

فقام معاذ بن جبل في الناس فقال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، تَوَبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ ذُنُوبِكُمْ تَوْبَةً ، فَإِنَّ عَبْدًا أَنْ يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَائِبًا مِنْ ذَنْبِهِ ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ ذُنُوبَهُ ، وَمَنْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ فَلْيَقْضِهِ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ مَرَّتَيْنِ بَدِينَهُ ، وَمَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مِصَارِمًا^(١) مُسَلِّمًا فَلْيَلِيقْهُ وَلْيَصَالِحْهُ إِذَا لَقِيَهِ وَلْيَصَافِحْهُ ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَالذَّنْبُ فِي ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ ، وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ قَدْ فَجَعْتُمْ بِرَجُلٍ وَاللَّهِ مَا أَزْعَمَ أَنْيَ رَأَيْتُمْ مِنْكُمْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَطُّ أَقْلَ غَمْرًا^(٢) ، وَلَا أَبْرَ صَدْرًا ، وَلَا أَبْعَدَ مِنَ الْغَائِلَةِ^(٣) ، وَلَا أَنْصَحَ لِلْعَامَةِ ، وَلَا أَشَدَّ عَلَيْهِمْ تَحَنُّنًا وَشَفَقَةً مِنْهُ ، فَتَرْتَحِمُوا عَلَيْهِ ثُمَّ احْضَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَاللَّهِ لَا يَلِي عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ مِثْلُهُ أَبَدًا » .

فاجتمع النَّاسُ ، وَأَخْرَجَ أَبُو عُبَيْدَةَ ، وَتَقَدَّمَ مِعَاذٌ فَصَلَّى عَلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا أَتَى بِهِ قَبْرَهُ ، دَخَلَ قَبْرَهُ مِعَاذٌ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَالضُّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ ، فَلَمَّا وَضَعُوهُ فِي قَبْرِهِ وَخَرَجُوا مِنْهُ فَسَفَّوْا عَلَيْهِ التُّرَابَ ، قَالَ مِعَاذٌ :

١٢٩ - رثاء معاذ بن جبل لأبي عبيدة

« رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ ، فَوَاللَّهِ لِأَثْنَيْنِ عَلَيْكَ بِمَا عَلِمْتُ ، وَاللَّهِ لَا أَقُولُ بَاطِلًا ، أَخَافُ أَنْ يَلْحَقَنِي مِنَ اللَّهِ مَقْتٌ ، كُنْتُ وَاللَّهِ - مَا عَلِمْتُ - مِنْ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا ، وَمِنَ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونًَا ، وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ، وَمِنْ

(١) مقاطما .

(٢) الغمر : الحقد .

(٣) الأمر النكر .

الذين يبیتون لربهم سُجَّداً وقياماً ، ومن الذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يَقْتَرُوا ، وكان بين ذلك قواماً ، وكنتَ والله - ما علمتُ - من المحبِّتين المتواضعين ، ومن الذين يرحمون اليتيم والمسكين ، ويُبغضون الجفأة والتكبرين .

ولم يكن أحدٌ من الناس كان أشدَّ جزعاً على فقد أبي عبيدة وعلى موته ولا أطول حُزناً عليه من معاذ بن جبل .
(فتوح الشام ص : ٢٤٢)

١٣٠ - ابن العاص ومعاذ والطاعون

وصلى معاذ بالناس أياماً ، واشتد الطاعون ، وكثر الموت في الناس ، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص قال : أيها الناس ، إن هذا الطاعون هو الرَّجْز الذي عذب الله به بني إسرائيل مع الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، وأمر الناس بالفرار منه ، فأخبر معاذ بقول عمرو ، فقال : ما أريد إلى ما يقول مالا علم له به ، ثم جاء معاذ حتى صعد المنبر .

فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ذكر الوباء فقال : ليس كما قال عمرو ولكنه رحمة بكم . ودعوة نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم ، اللهم أعط معاذاً وآل معاذ منه النصيب الأوفر .

١٣١ - وصية لمعاذ بن جبل

ثم صلى ورجع إلى منزله ، فإذا هو بابنه عبد الرحمن قد طعن ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات يرحمه الله ، وصلى عليه معاذ ثم دفنه ، فلما رجع معاذ إلى منزله طعن ، فاشتدَّ به وجعه ، وجعل أصحابه يَخْتَلِفُونَ إليه ، فإذا أتاه أصحابه أقبل عليهم فقال لهم :

« اَعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي مُهَلَّةٍ وَحَيَاةٍ ، وَفِي بَقِيَّةٍ مِنْ آجَالِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْنُوا الْعَمَلَ فَلَا تَجِدُوا إِلَيْهِ سَبِيلًا . وَأَنْفِقُوا مِمَّا عِنْدَكُمْ لِمَا عِنْدَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَنْهِكُوا وَتَدْعُوا ذَلِكَ كُلَّهُ مِيرَاثًا لِمَنْ بَعْدَكُمْ ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لَكُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ إِلَّا مَا أَكْتُمُ وَشَرِبْتُمْ وَلَبِستُمْ وَأَنْفَقْتُمْ وَأَعْطَيْتُمْ فَأَمْضَيْتُمْ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَلِلْوَارِثِينَ . » (فتوح الشام ص ٢٤٣)

١٣٢ - وصية لمعاذ بن جبل أيضا

وَأَتَاهُ رَجُلٌ فِي مَرَضِهِ فَقَالَ : يَا مَعَاذَ عَلْمِي شَيْئًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ قَبْلَ أَنْ تُفَارِقَنِي ، فَلَا أُرَاكَ وَلَا تَرَانِي ، وَلَا أَجِدُ مِنْكَ خَلْفًا ، ثُمَّ لَعَلِّي أَنْ أُحْتَاجَ إِلَى سُؤَالِ النَّاسِ عَمَّا يَنْفَعُنِي بَعْدَكَ ، فَلَا أَجِدُ فِيهِمْ مِثْلَكَ ، فَقَالَ مَعَاذُ : كَلَّا إِنَّ صَلْحَاءَ الْمُسْلِمِينَ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ -

كثِيرٌ ، وَلَنْ يُضَيِّعَ اللَّهُ أَهْلَ هَذَا الدِّينِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :

« خُذْ عَنِّي مَا أَمْرُكَ ، كُنْ مِنَ الصَّائِمِينَ بِالنَّهَارِ ، وَمِنَ الْمُصَلِّينَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، وَمِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ، وَمِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ كَثِيرًا ، وَلَا تَشْرَبِ الْخَمْرَ ، وَلَا تَزْنِينَ ، وَلَا تَعُقَّ وَالِدَيْكَ ، وَلَا تَأْكُلْ مَالَ الْيَتِيمِ ، وَلَا تَفِرَّ مِنَ الزَّحْفِ ، وَلَا تَأْكُلْ الرِّبَا ، وَلَا تَدْعَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ ، وَلَا تُضَيِّعَ الزَّكَاةَ الْمَقْرُوضَةَ ، وَصِلْ رَحِمَكَ وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ، وَلَا تَظْلِمُ مُسْلِمًا ، وَحُجِّجْ وَاعْتَمِرْ وَجَاهِدْ ، ثُمَّ أَنَا لَكَ زَعِيمٌ بِالْجَنَّةِ . » (فتوح الشام ص ٢٤٤)

ومات رحمه الله ، وقد استخلف عمرو بن العاص فصرى عليه عمرو .

فلما دفنه قال :

« رَحِمَكَ اللَّهُ يَا مَعَاذَ ، فَقَدْ كُنْتَ - مَا عَلِمْنَاكَ - مِنْ نَصَحَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَمِنْ خِيَارِهِمْ وَأَعْلَامِهِمْ ، ثُمَّ كُنْتَ مُؤَدِّبًا لِلْجَاهِلِ ، شَدِيدًا عَلَى الْفَاجِرِ ، رَحِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ ، وَأَيْمُ اللَّهُ لَا يُسْتَخَافُ مِنْ بَعْدِكَ مِثْلَكَ . » (فتوح الشام ص ٢٤٥)

ولما انتهى إلى عمر رضى الله عنه هلاك أبي عبيدة وهلاك معاذ فرق عماله على كور الشام ، فبعث عبد الله ابن قرط على حصن ثم عزله وولى عبادة بن الصامت الأنصارى ، واستعمل على دمشق أبا الدرداء الأنصارى وكتب إلى يزيد بن أبي سفيان أن يسير إلى قيسارية .

١٣٣ - خطبة عبادة بن الصامت

فلما قدم عبادة على أهل حصن قام في الناس خطيباً .

فحمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أما بعد ، ألا إن الدنيا عرض حاضر ، يأكلُ منه البرّ والفاجر ، ألا وإن الآخرة وعدّ صادقٌ يحكم فيه ملكٌ قادرٌ ، ألا وإنكم معروضون على أعمالكم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، ألا وإنّ للدنيا بينين وللآخرة بينين ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإنّ كلّ أمةٍ يتبّعها بنوها يوم القيامة » .
(فتوح الشام ص ٢٤٨)

١٣٤ - خطبة شداد بن أوس

ثم قال لشداد بن أوس قم يا شداد فعيظ الناس وكان شداد مفوهاً ، قد أعطى لساناً وحكمةً وفضلاً وبيانا ، فقام شداد فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أما بعد ، أيها الناس راجعوا كتاب الله وإن تركه كثيرٌ من الناس ، فإنكم لم تروا من الخير إلا أسبابه ، ولا من الشرِّ إلا أسبابه ، وإن الله جمع الخير كلهً بحذافيه فجعله في الجنة ، وجمع الشرِّ بحذافيه فجعله في النار ، ألا وإنّ الجنة وعرّة حزنّة ، ألا وإنّ النار سهلةٌ ليّنةٌ ، ألا وإنّ الجنة حُفّت بالكُرّه والصبر ، ألا وإنّ النار حُفّت

بالهوى والشهوة ، ألا فمن كشف حجاب الكره والصبر أشنى على الجنة ، ومن أشنى على الجنة كان من أهلها ، ألا ومن كشف حجاب الهوى والشهوة أشنى على النار ، وكان من أهلها ، فاعملوا بالحق تنزلوا منازل أهل الحق يوم لا يقضى إلا بالحق .
(فتوح الشام ص ٢٤٩)

١٣٥ - خطبة أبي الدرداء

وقام أبو الدرداء في أهل دمشق خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أما بعد ، يا أهل دمشق اسمعوا مقالة أخ لكم ناصح ، فما بالكم تجمعون مالا تأكلون ، وتبنون مالا تسكنون ، وتأمّلون مالا تدركون ؟ وقد كان من كان قبلكم جمعوا كثيراً ، وبنوا شديداً ، وأمّلوا بعيداً ، وماتوا قريباً ، فأصبحت أعمالهم بُوراً ، ومساكنهم قبوراً ، وأمّلتهم غروراً ، ألا وإن عاداً وثموداً كانوا قد ملّثوا ما بين بصرى وعدن أموالاً وأولاداً ونعماً ، فمن يشتري منى ما تركوا بدرهمين ؟ »
(فتوح الشام ص ٢٥٠)

١٣٦ - خطبة يزيد بن أبي سفيان

وسار يزيد بن أبي سفيان إلى قيسارية فقام في جنده فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أما بعد : فإن كتاب أمير المؤمنين عمر المبارك الفاروق أتاني يحثني على المسير إلى قيسارية ، وأن أدعومهم إلى الإسلام ، وأن يدخلوا فيما دخل فيه أهل الكور من

أهل الشام ، فيؤدّوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ، فإن أبوا نزلت عليهم فلم أزالهم
حتى أقتل مقاتلتهم وأسبي ذراريهم ، فسيروا ، رحمكم الله ، إليهم فإنني أرجو أن يجمع الله لكم
الغنيمة في الدنيا والآخرة .
(فتوح الشام ص ٢٥١)

١٣٧ - وصية العباس بن عبد المطلب (المتوفى سنة ٣٢ هـ)

لابنه عبد الله

قال عبد الله بن عباس : قال لي أبي :

يا بُنَيَّ ، إني أرى أمير المؤمنين - يعني عمر بن الخطاب - قد اختصك دون من ترى
من المهاجرين والأنصار ، وإني موصيك بخلال أربع : لا يجربنَّ عليك كذباً ،
ولا تفتابنَّ عنده مسلماً ، ولا تُفشينَّ له سراً ، ولا تطو عنه نصيحة ، قال : فقلت يا أبا .
كلّ واحدة منها خير من ألف ، فقال : كلّ واحدة منها خير من عشرة آلاف .

(تهذيب الكامل ١ : ١٥ والعقد الفريد ١ : ١١)

١٣٨ - وصية عمر للخليفة من بعده

وأوصى عمر الخليفة من بعده . ، فقال :

« أوصيك بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً ، أن تعرف
لهم سابقةتهم ، وأوصيك بالأنصار خيراً ، فاقبل من محسنهم ، وتجاوز عن مسيئتهم ،
وأوصيك بأهل الأمصار خيراً ، فإنهم رذء العدو ، وجباة النّيء ، لا تحمل فيهم ، إلا عن
فضل منهم ، وأوصيك بأهل البادية خيراً ، فإنهم أصل العرب ، ومادّة الإسلام ، أن
تأخذ من حواشي أموال أغنيائهم ، فتردّ على فقراهم ، وأوصيك بأهل الذمة خيراً ، أن

تقاتل من ورأيهم ، ولا تكلفهم فوق طاقتهم ، إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعاً ، أو عن
يدٍ وهم صاغرون ، وأوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه ، ومخافة مقتته ، أن يَطَّلِعَ منك
على ريبة ، وأوصيك أن تخشى الله في الناس ، وتخشى الناس في الله ، وأوصيك بالعدل
في الرعية ، والتفرغ لحوادثهم وثورهم ، ولا تؤثر غنيمهم على فقيرهم ، فإن ذلك ياذن الله
سلامة لقلبك ، وحطّ لوزرك ، وخير في عافية أمرك ، حتى تُفِضِيَ من ذلك إلى من
يعرف سريرتك ، ويحول بينك وبين قلبك ، وأمرك أن تشد في أمر الله ، وفي حدوده
ومعاصيه ، على قريب الناس وبعيدهم ، ثم لا تأخذك في أحد رافة حتى تنتهك منه ،
مثل ما انتهك من حرمة الله ، واجعل الناس عندك سواء ، لا تبالى على من وجب الحق ، ثم
لا تأخذك في الله لومة لائم ، وإياك والأثرة والمحاباة فيما ولأك الله ، مما أفاء الله على المؤمنين ،
فتجور وتظلم ، وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك ، وقد أصبحت بمنزلة من منازل
الدنيا والآخرة ، وأنت إلى الآخرة جد قريب فإن اقترفت لذنباك عدلاً وعفة عما بسط الله لك ،
اقترفت به إيماناً ورضواناً ، وإن غلبك الهوى ، اقترفت به سخط الله ، وأوصيك ألا ترخص
لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة ، وقد أوصيتك وحضتكم ونصحتكم ، فابتغ بذلك
وجه الله والدار الآخرة ، واخترت من دلائلك ما كنت دالاً عليه نفسي وولدي ، فإن
عملت بالذي وعظمتك ، وانتهيت إلى الذي أمرتك ، أخذت به نصيباً وافراً ، وحظاً وافياً ،
وإن لم تقبل ذلك ، ولم يهّمك ، ولم تنزل معازم الأمور عند الذي يرضى الله به عنك ،
يكن ذلك بك انتقاصاً ، ورأيك فيه مدخولاً ، لأن الأهواء مُشتركة ، ورأس كل خطيئة
إبليس ، وهو داع إلى كل هلكة ، وقد أضلّ القرون السالفة قبلك ، فأوردتهم النار ،
ولبئس الثمن أن يكون حظّ امرئ موالاة عدو الله الداعي إلى معاصيه ، ثم اركب الحق
وخض إليه العمرات ، وكن واعظاً لنفسك ، أنشدك الله لما ترخّمت على جماعة المسلمين ،
فأجلت كبيرهم ، ورحمت صغيرهم ، ووقرت عالمهم ، ولا تضربهم فيذلوها ، ولا تستأثر

عليهم بالنيء فتبغضهم ، ولا تحزهم عطاياهم عند حملها فتفقرهم ، ولا تجمرهم^(١)
في البعوث ، فتقطع نسلهم ، ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم ، ولا تغلق بابك
دونهم ، فيأكل قوتهم ضعيفهم . هذه وصيتي إياك ، وأشهد الله عليك ، وأقرأ
عليك السلام . (شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ٩٦ والبيان والتبيين ٢ : ٢٢ وتاريخ الطبري ٥ : ١٣)

وفي رواية الطبري :

قال : « وأوصى الخليفة من بعدى بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان أن يحسن
إلى محسنهم ، وأن يعفو عن مسيئهم ، وأوصى الخليفة من بعدى بالعرب ، فإنها مادة
الإسلام ، أن يؤخذ من صدقاتهم حقها فتوضع في فقرائهم ، وأوصى الخليفة من بعدى
بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يوفى لهم بمهدهم ، اللهم هل بلغت ؟
تركت الخليفة من بعدى على أنقى من الراحة » .

(١) جمر الجيش : حبسهم في أرض العدو ولم يقفلهم .

خطب يوم الشورى

بعد دفن عمر اجتمع أهل الشورى ، وهم : عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ،
وعلى بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله
- وكان طلحة غائباً - فبدأ عبد الرحمن بن عوف بالكلام ، فقال :

١٣٩ - خطبة عبد الرحمن بن عوف

« يا هؤلاء ، إن عندي رأياً ، وإن لكم نظراً ، فاسمعوا تعلموا ، وأجيبوا تفقهوا ،
فإن حايباً^(١) خير من زاهق^(٢) ، وإن جرعة من شراب^(٣) بارد ، أنفع من عذب
مؤب^(٤) ، أنتم أئمة يهتدى بكم ، وعلماء يصدّر^(٥) إليكم ، فلا تفلوا المدى بالاختلاف
بينكم ، ولا تغمدوا السيوف عن أعدائكم ، فتوتر^(٦)وا ثأركم ، وتؤلتوا^(٧) أعمالكم ،
لكل أجل كتاب ، ولكل بيت إمام ، بأمره يقومون ، وبنيه يرعون^(٨) ، قلّدوا
أمركم واحداً منكم ، تمشوا الهوينى ، وتلحقوا الطلب ، لولا فتنة عمياء ، وضلالة حيراء ،
يقول أهلها ما يرون ، وتحمّلهم الحبّ كرى^(٩) ، ما عدت نياتكم معرفتكم ، ولا أعمالكم

(١) الحايب من السهام : ما يزحف إلى الهدف . (٢) السهم الزاهق : ما جاوز الهدف .

(٣) الشراب والشريب والشروب : ما يشرب . (٤) أصله موبى ، مسهل عن موبى .

(٥) يرجع . (٦) قال في اللسان : « قال الأزهرى : هو من الوتر (الثأر) يقال : وترت فلانا

إذا أصبته بوتر ؛ وأوترته أوجدته ذلك (أى أظفرته به ، أوجدت فلانا مطلوبه أى أظفرته به) قال : والثأر
هاهنا العدو لأنه وضع الثأر ، والمعنى لا توجدوا عدوكم الوتر في أنفسكم » .

(٧) ألتة حقه يألته وآلته : نقصه . (٨) ورع برع : كورث يرث من الورع ، وهو التقوى .

(٩) رمل يضل فيه السالك ، والداهية .

نیاتکم ، احذروا نصیحة الهوی ، ولسان الفرقة ، فإن الحيلة فی المنطق أبلغ من السیوف
فی الکلم ، علّقوا أمرکم رَحْب الذراع فیما حلّ ، مأمون الغیب فیما نزل ، رِضًا منکم
وکلکم رضًا ، ومُقْتَرَعًا^(۱) منکم وکلکم منتهی ، لاتطیعوا مُفسدا ینصّح^(۲) ،
ولا تخالفوا مرشدا ینتصر ، أقول قولی هذا ، وأستغفر الله لی ولکم :
ثم تکلم عثمان بن عفان ، فقال :

۱۴۰ - خطبة عثمان بن عفان

« الحمد لله الذی اتخذ محمداً نبیاً ، وبعثه رسولا ، صدّقه وغدّه ، ووهب له نصره
على کلّ من بعدَ نَسَبًا ، أو قرُب رَحِمًا صلى الله علیه وسلم ، جعلنا الله له تابعین ، وبأمره
مُهْتَدِينَ ، فهو لنا نور ، ونحن بأمره نقوم عند تفرُّق الأهواء ، ومجادلة الأعداء ، جعلنا الله
بفضله أئمة ، وبطاعته أمراء ، لا یخُج أمرنا منا ، ولا یدخُل علينا غیرنا ، إلا من سَفِه
الحقّ ، ونکَل عن القصد ، وأخر بها یابن عوف أن تُترک ، وأجدِر بها أن تكون ،
إن خولف أمرک ، وترک دعاؤک ، فأنا أوّل مجیب لك ، وداع إلیک ، وکفیل بما أقول
زعیم ، وأستغفر الله لی ولکم . »

ثم تکلم الزبیر بن العوام بعده فقال :

۱۴۱ - خطبة الزبیر بن العوام

« أما بعد : فإن داعی الله لا یُجهل ، ومجیبه لا یُخذَل ، عند تفرُّق الأهواء ،
ولی الأعناق ، ولن یقصر عما قلت إلا غوی ، ولن یترک ما دعوت إلیه إلا شقی ، لولا
حدود الله فرضت ، وفرائض الله حدّت ، تُرّاح^(۳) على أهلها ، ونحیا لاتموت ، لکان

(۱) مختاراً . (۲) تنصح : تشبه بالنصحاء . (۳) أراح حقه علیه : رده علیه .

الموت من الإمارة نجاتاً ، والفرار من الولاية عصمة ، ولكن الله علينا إجابة الدعوة ، وإظهار السنة ، لثلاث موت ميمية عمية (١) ، ولا نعمى عمى الجاهلية ، فأنا مجيبك إلى ما دعوت ، ومعينك على ما أمرت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وأستغفر الله لى ولكم .

١٤٢ - خطبة سعد بن أبي وقاص

ثم تكلم سعد بن أبي وقاص فقال :

« الحمد لله بديئاً (٢) كان ، وآخرًا يعود ، أحمده لما نجاني من الضلالة ، وبصرني من الغواية ، فبهدي الله فاز من نجا ، وبرحمته أفلح من زكا ، وبمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم أنارت الطرق ، واستقامت السبل ، وظهر كل حق ، ومات كل باطل ، إياكم أيها النفر وقول الزور ، وأمنية أهل الغرور ، فقد سلبت الأمانى قوماً قبلكم ، ورثوا ما ورثتم ، ونالوا ما نلتم ، فاتخذهم الله عدواً ، ولعنهم لعناً كبيراً ، قال الله عز وجل : (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنْكَرٍ فَعَلُوهُ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) إني نكبت (٣) قرني ، فأخذت سهمي الفالج (٤) ، وأخذت لطلحة ابن عبيد الله ما ارتضيت لنفسى ، فأنا به كفيل ، وبما أعطيت عنه زعيم ، والأمر إليك يا ابن عوف بجهد النفس ، وقصد النصح ، وعلى الله قصد السبيل ، وإليه الرجوع ، وأستغفر الله لى ولكم ، وأعوذ بالله من مخالفتكم . »

(١) العمية : الكبر أو الضلال .

(٢) البديء : الأول . (٣) النكب : الطرح . والقرن : الجمعة . (٤) الفائز الظافر ،

١٤٣ - خطبة علي بن أبي طالب

ثم تكلم علي بن أبي طالب فقال :

« الحمد لله الذي بعث محمداً منا نبياً ، وبعثه إلينا رسولا ، فنحن بيت النبوة ، ومعدن الحكمة ، وأمان أهل الأرض ، ونجاة لمن طلب ، لنا حق إن نعطه نأخذه ، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل ، ولو طال السرى ، لو عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً لأنفذنا عهده ، ولو قال لنا قولاً جاد لنا عليه حتى نموت ، لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق ، وصلة رحم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، اسمعوا كلامي ، وعوا منطقي ، عسى أن ترورا هذا الأمر من بعد هذا المجمع ، تُنتَضَى^(١) فيه السيوف ، وتُخَان فيه العهود ، حتى تكونوا جماعة ، ويكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة ، وشيعة لأهل الجهالة ، ثم أنشأ يقول :

فإن تك جاسم^(٢) هلكت فإني بما فعلت بنو عبد بن ضخم
مُطِيع في الهواجر كل عي بصير^(٣) بالنوى من كل نجم

(تاريخ الطبري ٥ : ٣٨ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ٣٦)

(١) تسل .

(٢) بنو جاسم حتى قديم .

خطب عثمان بن عفان

رضى الله عنه

١٤٤ - خطبته حين بايعه أهل الشورى

روى الطبرى قال : « لما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشدم كآبة ، فأتى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال :

« إنكم فى دار قُلعة^(١) ، وفى بقية أعمار ، فبادرُوا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ، فلقد أتيتكم ، صَبَّحْتُمْ أَوْ مُسَّيْتُمْ ، ألا وإن الدنيا طُوِّبَتْ على الغرور ، فلا تَغْرَنَكُم الحياة الدنيا ، ولا يَغْرَنَكُم بالله الغرورُ ، اعتبروا بمن مضى ثم جدُّوا ولا تَغْفُلُوا ، فإنه لا يُغْفَلُ عنكم ، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين آثروها وعمرُّوها ، ومُتَّعُوا بها طويلاً ، ألم تَلْفِظُهُمْ ؟ أَرُمُوا بالدنيا حيث رَمَى الله بها ، واطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب لها مثلاً ، والذي هو خير ، فقال عز وجل : (وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ، الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) وأقبل الناس يبايعونه . »

(تاريخ الطبرى ٥ : ٤٣)

(١) أى انقلاع ، ومنزلنا منزل قلعة « بتسكين اللام وضمها وفتحها » أى ليس بمستوطن ، أو لانملكه ،

أو لاندرى متى نتحول عنه .

۱۴۵ - خطبته بعد البيعة

وقال أيضاً : خطب عثمان الناس بعد ما بويع ، فقال :

« أما بعد ، فإنني قد حُملتُ وقد قَبِلْتُ ، ألا وإني متَّبِعٌ ، ولست بمبتدِعٌ ، ألا وإن لكم عليّ بعد كتاب الله عزّ وجل ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثلاثاً : اتَّبَاعٌ من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسنتم ، وَسَنَّةٌ أهلِ الخَيْرِ فيما لم تُسُنُّوا عن مَلَأُ ، وَالكَفَّ عَفْـكُمُ إِلَّا فيما استوجبتم . أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ قد شُهِيتَتْ إلى الناس ، ومال إليها كثير منهم ، فلا ترزّكنوا إلى الدنيا ، ولا تَثِقُوا بها ، فإنها ليست بثقة ، واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها . »

(تاريخ الطبري ۵ : ۱۴۹)

۱۴۶ - خطبة أخرى

وقال ابن قتيبة : لما ولي عثمان صعد المنبر ، فجلس على ذروته ، فرماه الناس بأبصارهم ، فقال :

« إن أول مرّكَبٍ صعب ، وإن مع اليوم أيّاماً ، وما كنا خطباءً ، وإن نعيش لكم تأتكم الخطبة على وجهها إن شاء الله تعالى . »

(عيون الأخبار م ۲ ص ۲۳۵ ، والعقد الفريد ۲ : ۱۳۳)

۱۴۷ - خطبة لعثمان

وبعث عثمان بدء الفتنة إلى عمال الأمصار فقدموا عليه ، فقال : ويحكم ، ما هذه الشكاية وما هذه الإذاعة ؟ إني والله لخائف أن تكونوا مصدّوقا عليكم ، وما يُعصَبُ هذا إلا بي ، ثم قال : أشيروا عليّ ، فأشار عليه كلُّ بما يراه .

وقام عثمان فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« كل ما أشرتم به عليّ قد سمعت ، ولكل أمر بابٌ يؤتى منه ! إن هذا الأمر الذي يخافُ على هذه الأمة كائن ، وإن بابهُ الذي يُغلق عليه فيكفكف به اللينُ والمؤاتاة والمتابعة إلا في حدود الله تعالى ذكره ، التي لا يستطيع أحدٌ أن يُبَادِي بعيب أحدها ، فإن سدّه شيء فرفق ، فذاك والله لِيُفْتَحَن ، وليست لأحد عليّ حجة حق ، وقد علم الله أني لم آلُ الناس خيرا ولا نفسي ، والله إن رحى الفتنة لدائرة ، فطوبى لعثمان إن مات ولم يجرَّ كها ، كفكفوا الناس وهبوا لهم حقوقهم ، واغفروا لهم ، وإذا تعوطيت حقوق الله فلا تُدهِنوا فيها . »

(تاريخ الطبري ٥ : ١٠٠)

١٤٨ - خطبة عثمان

ولما حدثت الأحداث بالمدينة خرج منها رجالٌ إلى الأمصار ، ثم رجعوا جميعا إلى المدينة إلا من كان بالشام ، فأخبروا عثمان بخبرهم ، فقام عثمان في الناس خطيباً فقال :

« يا أهل المدينة ، أنتم أصل الإسلام ، وإنما يفسد الناس بفسادكم ، ويصلحون بصلاحكم ، والله والله والله لا يبلغني عن أحدٍ منكم حدثٌ أحدثه إلا سيرته ، ألا فلا أعرفن أحدًا عرض دون أولئك بكلام ولا طلب ، فإن من كان قبلكم كانت تُقطع أعضاؤهم دون أن يتكلم أحد منهم بما عليه ولا له .

وأيُّم الله لاخذن العفو من أخلاقكم ولا بذلته لكم من خلقي ، وقد دنت أمور ، ولا أحب أن تحل بنا وبكم ، وأنا على وجل وحذر ، فاحذروا واعتبروا . »

(تاريخ الطبري ٥ : ١٣٥)

١٤١ - خطبته حين نقم عليه الناس

وخطب عثمان حين نقم عليه الناس ما نقموا فقال :

« أما بعد : فإن لكل شيء آفة ، وإن لكل نعمة عاهة ، وإن آفة هذه الأمة ، وعاهة هذه النعمة ، عَيَّابون ظَنَّانون ، يُظهرون لكم ما تُحبون ، وَيُسرُّون ما تَكْرهون ، يقولون لكم وتقولون ، طَغَامٌ^(١) مثل النعام ، يَتَّبِعُونَ أول نَاعِقٍ ، أحبُّ مواردِهِم إليهم النَّازِح^(٢) ، لا يشربون إلا نَعَصًا^(٣) ، ولا يردُّون إلا عَسْكَرًا ، لا يقوم لهم رائد ، وقد أعييتهم الأمور ، وتعدَّرت عليهم المكاسب .

لقد أفررتُم لابن الخطاب بأكثر مما نَقِمْتُم عليّ ، ولكنَّه وطَّيَّكُمْ برجله ، وضرَبكم بيده ، ووَقَمَكُمْ وَقَمَكُمْ^(٤) وزجركم زجر النعام المَخْزُومَةِ^(٥) ، فدِنْتُم له على ما أُحِبْتُم أو كرهْتُم ، ولِئْت لَكُمْ وَأوطأت لَكُمْ كَنَفِي ، وكففت يدي ولساني عنكم ، فاجترأتم عليّ .

أما والله إنى لأقرب ناصرًا ، وأعزَّ نَفَرًا ، وأكثَر عددًا ، وأقَمَنُ - إن قلت هلم - أن تجاب دعوتي من عمر .

ولقد أعددت لكم أقرانكم ، وأفضلت عليكم فضولا ، وكشرت لكم عن نأبي ، وأخرجتم مني خُلُقًا لم أكن أحسنه ، ومنطقًا لم أنطق به .

(١) أوغاد الناس ، الواحد والجمع فيه سواء ، أو واحد كسحابة . (٢) المورد النازح : الذي نزع ماؤه ، أي غاص وقل أو بعد . (٣) نعص البعير كفريح : لم يتم شربه . (٤) وقم الدابة جذب عنانها ، ووقه قهره وأذله أو رده أقبح للرد وحزنه أشد الحزن وقعه : ضربه بالمقعدة وقهره وأذله . (٥) خزم البعير : جعل في جانب منخره الخزامة ، والطير كلها مخزومة ومخزومة لأن وترات أنوفها مخزومة ؛ وكذا النعام .

فكفوا عليكم ألسنتكم وطعنكم ، وعيبكم على ولائكم ، فإنى قد كفتُ عنكم من
لو كان هو الذى يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا .

ألا فما تفقدون من حقيكم ؟ فوالله ما قصرت فى بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلى ،
ومن لم تكونوا تختلفون عليه ، فَضَلَ فَضْلٌ من مالى ، فمالي لا أصنع فى الفضل ما أريد ؟
إذن فلم كنت إماماً ؟ » .

(تاريخ الطبرى ۵ : ۹۷ وإعجاز القرآن ص ۱۱۸ ،

رصبح الأعشى ۱ : ۲۱۴ والبيان والتبيين ۱ : ۲۰۰) .

۱۵۰ - خطبته التى نزع فيها ، وأعطى الناس من نفسه التوبة

حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

« أما بعد أيها الناس : فوالله ما عاب من عاب منكم شيئاً أجهله ، وما جئت شيئاً
إلا وأنا أعرفه ، ولكنى مَنَنْتَنى نفسى وَكَذَبْتَنى ، وَضَلَّ عَنِ رَشْدِي ، ولقد سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ زَلَّ فَلْيَتُبْ ، وَمَنْ أَخْطَأَ فَلْيَتُبْ ، وَلَا يَتِمَّادَى
فِي الْهَلَكَةِ ، إِنَّ مَنْ تَمَّادَى فِي الْجَوْرِ ، كَانَ أَبْعَدَ مِنَ الطَّرِيقِ » فأنا أول من اتعظ ،
أستغفر الله مما فعلت . وأتوب إليه ، فثلى نَزَعَ وتاب ، فإذا نزلت فليأتنى أشرافكم ،
فليرونى رأيهم ، فوالله لئن رَدَّنِي الْحَقُّ عَبْدًا لَأَسْتَبِنَنَّ بِسِنَةِ الْعَبْدِ ، وَلَا أَذِئَنَّ ذُلَّ الْعَبْدِ ،
وَلَأُكُونَنَّ كَالْمَرْقُوقِ ، إِنْ مُلِكَ صَبْرٌ ، وَإِنْ عُتِقَ شُكْرٌ ، وما عن الله مذهب إلا إليه ،
فلا يَعْجِزَنَّ عَنْكُمْ خِيَارُكُمْ أَنْ يَدْنُوا إِلَيَّ ، لئن أبت يمينى لمتابعينى شمالي » .

(تاريخ الطبرى ۵ : ۱۱۱ ، والكامل لابن الأثير ۳ : ۸۰)

١٥١ - خطبته في الرد على الثوار

وقال يرد على الثوار :

« الحمد لله ، أحمدده ، وأستعينه ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ؛ أما بعد : فإنكم لم تعدلوا في المنطق ، ولم تنصفوا في القضاء ، أما قولكم تخلع نفسك ، فلا أنزع قميصاً قمصنيه الله عز وجل ، وأكرمني به ، وخصني به على غيري ، ولكني أتوب وأنزع ، ولا أعود لشيء عابه المسلمون ، فإني والله الفقير إلى الله ، الخائف منه . »

قالوا : إن هذا لو كان أول حدث أحدثته ثم تبت منه ، ولم تُقيم عليه ، لكان علينا أن نقبل منك ، وأن ننصرف عنك . . . إلى آخر ما قالوا .

فقال عثمان : « أما أن أتبرأ من الإمارة ، فإن تصلبوني أحب إلي من أن أتبرأ من أمر الله عز وجل وخلافته ، وأما قولكم تقتلون من دوني ، فإني لا أمر أحداً بقتالكم ، فن قاتل دوني وإنما قاتل بغير أمري ، ولعمري لو كنت أريد قتالكم ، لقد كنت كتبت إلى الأجناد ، فقادوا الجنود ، وبعثوا الرجال ، أو لحقت ببعض أطرافي بمصر أو عراق ، فأنه الله في أنفسكم ، فأبقوا عليها ، إن لم تبقوا علي ، فإنكم مجتلبون بهذا الأمر إن قتلتموني دماً » فانصرفوا عنه ، وآذوه بالحرب .

(تاريخ الطبري ٥ : ١٢١ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ٨٤)

۱۵۲ - خطبته وقد اشتد عليه الحصار

ولما اشتد الحصار عليه أرسل إلى عليّ وطلحة والزبير فحضروا ، فأشرف عليهم ، فقال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : اجلسوا ، فجلسوا : المحاربُ والمسلمُ ، فقال لهم يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ ، أَسْتَوْدِعُكُمْ اللَّهَ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَحْسِنَ عَلَيْكُمْ الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِي ، ثُمَّ قَالَ : أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ دَعَوْتُمْ اللَّهَ عِنْدَ مَصَابِ عَمْرٍو أَنْ يَخْتَارَ لَكُمْ ، وَيَجْمَعَكُمْ عَلَى خَيْرِكُمْ ؟ أَنْتَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْتَجِبْ لَكُمْ ، وَهُنْتُمْ عَلَيْهِ ، وَأَنْتُمْ أَهْلُ حَقِّهِ ؟ أَمْ تَقُولُونَ هَانَ عَلَى اللَّهِ دِينُهُ ، فَلَمْ يَبَالِ مَنْ وَلى ، وَالِدِينَ لَمْ يَتَفَرَّقْ أَهْلُهُ يَوْمَئِذٍ ؟ أَمْ تَقُولُونَ لَمْ يَكُنْ أَخْذٌ عَنْ مَشُورَةٍ ، إِنَّمَا كَانَ مَكَابِرَةً ، فَوَكَّلَ اللَّهُ الْأُمَّةَ إِذْ عَصَيْتَهُ ، وَلَمْ يَشَاوِرُوا فِي الْإِمَامَةِ ، أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَعْلَمْ عَاقِبَةَ أَمْرِي ؟ أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ أَتَعْلَمُونَ لِي مِنْ سَابِقَةٍ خَيْرٌ ، وَقَدَّمَ خَيْرٌ ، قَدَّمَهُ اللَّهُ لِي يَحِقُّ عَلَى كُلِّ مَنْ جَاءَ بَعْدِي أَنْ يَعْرِفُوا لِي فَضْلَهَا ؟ فَهَلَّا لَا تَقْتُلُونِي ، فَإِنَّهُ لَا يَجِلُّ إِلَّا قَتْلُ ثَلَاثَةٍ : رَجُلٍ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ ، أَوْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ ، أَوْ قَتَلَ نَفْسًا بَغَيْرِ حَقٍّ ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قَتَلْتُمُونِي وَضَعْتُمُ السَّيْفَ عَلَى رِقَابِكُمْ ، ثُمَّ لَمْ يَرْفَعْ اللَّهُ عَنْكُمْ الْاِخْتِلَافَ أَبَدًا . »

(تاريخ الكامل لابن الأثير ۳ : ۸۴)

۱۵۳ - آخر خطبة خطبها عثمان

« إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ الدُّنْيَا لِتَطْلُبُوا بِهَا الْآخِرَةَ ، وَلَمْ يُعْطِكُمْوَهَا لِتَرْتَكُونُوا إِلَيْهَا ، إِنَّ الدُّنْيَا تَفْنَى وَالْآخِرَةُ تَبْقَى ، فَلَا تُبْطِرَنَّكُمْ الْفَانِيَةُ ، وَلَا تَشْغَلَنَّكُمْ عَنِ الْبَاقِيَةِ ، فَاتَرُؤْا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَنْقُوعَةٌ ، وَإِنَّ الْمَصِيرَ إِلَى اللَّهِ ، اتَّقُوا اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ ،

فإن تقواه جنة من بأسه ، ووسيلة عنده ، واحذروا من الله الغير ، والزموا جماعتكم ، لا تصيروا أحزاباً ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم

(تاريخ الطبرى ٥ : ١٢٦ ، ١٤٩)

بنعمته إخواناً .

١٥٤ - خطبة الوليد بن عقبة

قال الطبرى :

لما أصاب الوليد بن عقبة حاجته من أرمينية (سنة ٢٤ هـ) - وكان أهلها قد منعوا ما صالحوا عليه أهل الإسلام أيام عمر - ودخل الموصل فنزل الحديثه ، أتاه كتاب من عثمان رضى الله عنه :

« أما بعد فإن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى يخبرنى أن الروم قد أجلبت على المسلمين بجموع عظيمة ، وقد رأيت أن يمدم إخوانهم من أهل الكوفة ، فإذا أتاك كتابى هذا فابعث رجلاً ممن ترضى نجاته وبأسه وشجاعته وإسلامه ، فى ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف ، من المكان الذى يأتىك فيه رسولى والسلام . »

فقام الوليد فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد : أيها الناس فإن الله قد أبلى المسلمين فى هذا الوجه بلاء حسناً فرد عليهم بلادهم التى كفرت ، وفتح بلاداً لم تكن فتحت ، وردهم سالمين غانمين مأجورين ، فالحمد لله رب العالمين . »

وقد كتب إلى أمير المؤمنين يأمرنى أن أندب منكم ما بين العشرة الآلاف إلى الثمانية الآلاف تمدون إخوانكم من أهل الشام ، فإنهم قد جاشت عليهم الروم ، وفى ذلك الأجر العظيم ، والفضل المبين ، فانتدبوا رحمكم الله مع سلمان بن ربيعة الباهلى -

(تاريخ الطبرى ٥ : ٤٦)

فانتدب الناس

۱۵۵ - خطبة سعيد بن العاص حين قدم الكوفة واليا عليها

عزل عثمان رضى الله عنه الوليد بن عقبة بن ابي معيط من إمارة الكوفة ، وكان قد اتهم بشرب الخمر وولى مكانه سعيد بن العاص سنة ۳۰ هـ ، فلما قدم الكوفة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« والله لقد بعثت إليكم وإني لكاره ، ولاكنى لم أجد بدأ إذ أمرت أن أتبمير ، ألا إن الفتنة قد أطلعت خطمها^(۱) وعينها ، ووالله لأضربن وجهها حتى أقمها أو تُفيعيني^(۲) ، وإني لراؤد^(۳) نفسى اليوم » ثم نزل (تاريخ الطبرى ۵ : ۶۳)

۱۵۶ - خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح إفريقية^(۴)

قدم عبد الله بن الزبير على عثمان بن عفان بفتح إفريقية ، فأخبره مشافهة ، وقص عليه كيف كانت الواقعة ، فأعجب عثمان ما سمع منه ، فقال له : أتقوم بمثل هذا الكلام على الناس ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إني أهيب لك منى لهم ، فقام عثمان فى الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس : إن الله قد فتح عليكم إفريقية ، وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم خبرها إن شاء الله ، وكان عبد الله بن الزبير إلى جانب المنبر ، فقام خطيباً - وكان أول من خطب إلى جانب المنبر - فقال :

« الحمد لله الذى ألف بين قلوبنا ، وجعلنا متحابين بعد البغضة ، الذى لا يُجحد نعاؤه ، ولا يزول ملكه ، له الحمد كما حمد نفسه ، وكما هو أهله ، انتخب محمداً صلى الله

(۱) الخطم : جمع خطام ، وهو ما وضع فى أنف البعير ليققاد به ، والمراد ظهورها ونشوبها .

(۲) أى تمجرتنى . (۳) الرود : الطلب .

(۴) فتحها عبد الله بن سعد بن أبى سرح سنة ۲۶ هـ ، وأمه عثمان بجيش يراسه عبد الله بن الزبير .

عليه وسلم ، فاختره بعلمه ، وَأَتَمَّنَهُ عَلَى وَحْيِهِ ، واختار له من الناس أعوانا ، قذف في قلوبهم تصديقه ومحبته ، فَأَمَّنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ ^(۱) وَوَقَّرُوهُ ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، فاستشهد ^(۲) الله منهم من استشهد على المنهاج الواضح ، والبيع الرابع ، وبقى منهم من بقي ، لا تأخذه في الله لومة لأثم .

أيها الناس : رحمكم الله إنا خرجنا للوجه الذي علمتم ، فكنا مع والٍ حافظ ، حفظ وصية أمير المؤمنين ، كان يسير بنا الأبردان ^(۳) ، وَيَخْفِضُ ^(۴) بنا في الظهار ، ويتخذ الليل جملاً ، يُعَجِّلُ الرحلة من المنزل الجذب ، ويطيل اللبث في المنزل الخصب ، فلم نزل على أحسن حالة نعرفها من ربنا ، حتى انتهينا إلى إفريقية ، فنزلنا منها حيث يسمعون صهيل الخيل ، وَرُغَاءَ الإبل ، وقعقة السلاح ، فأقمنا أياماً ، نُجِمْ كُرَاعِنَا ^(۵) ، ونصاح سلاحنا ، ثم دعوناهم إلى الإسلام والدخول فيه ، فأبعدوا منه ، فسألناهم الجزية عن صغار أو الصلح ، فكانت هذه أبعد ، فأقمنا عليهم ثلاث عشرة ليلة نَتَانًا ، وتختلف رسلنا إليهم ، فلما يئس منهم قام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر فضل الجهاد ، وما لصاحبه إذا صبر واحتسب ، ثم نهضنا إلى عدونا ، وقاتلناهم أشد القتال ، يومنا ذلك ، وصبر فيه الفريقان فكانت بيننا وبينهم قتلى كثيرة ، واستشهد الله فيهم رجالا من المسلمين ، فبئنا وبأتوا ، وللمسلمين دوى بالقرآن كدوى النحل ، وبات المشركون في خورهم وملاعبهم ، فلما أصبحنا أخذنا مصافنا التي كنا عليها بالأمس ، فزحف بعضنا على بعض ، فأفرغ الله علينا صبره ، وأنزل علينا نصره ، ففتحناها من آخر النهار ، فأصبنا غنائم كثيرة ، وفيئنا واسعاً ، بلغ فيه الخمس خمسمائة ألف ، فَصَفَّقَ ^(۶) عليها مروان بن الحكم ، فتركت المسلمين قد

(۱) التعزيز : التعظيم والتعظيم والإعانة ، وهو أيضا ضرب دون الحد أو هو أشد الضرب ضد .

(۲) استشهد (مبنياً للمجهول) قتل في سبيل الله .

(۳) الأبردان : الغداة والعشى . (۴) خفض بالمكان : أقام ، والظهار : جمع ظهيرة .

(۵) الكراع : جماعة الخيل ، وأجم الفرس : ترك ركوبه . (۶) صفق الباب يصفقه وأصفقه

أغلقه : أى أغلق عليها باب الخزائن .

قَرَّتْ أَعْيُنُهُمْ ، وَأَغْنَاهُم النَّفْلَ ، وَأَنَا رَسُولُهُمْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أُبَشِّرُهُ وَإِيَّاكُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ
مِنَ الْبِلَادِ ، وَأَذَلَّ مِنَ الشَّرِكِ ، فَاحْمَدُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ عَلَى آلَائِهِ ، وَمَا أَحَلَّ بِأَعْدَائِهِ ،
مِنَ بَأْسِهِ الَّذِي لَا يُرَدُّ عَنِ الْقَوْمِ الْمَجْرِمِينَ .

ثم سكت فنهض إليه أبوه الزبير ، فقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ : (ذُرِّيَّةٌ بَغَضُهَا مِنْ
بَعْضِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) يَا بُنَيَّ مَا زِلْتَ تَنْطِقُ بِلِسَانِ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى صَمَمْتَ .

(العقد الفريد ٢ : ١٤٩)

١٥٧ - خطبة عبد الله بن مسعود

(المتوفى سنة ٣٢ هـ)

أصدقُ الحديثِ كتابُ اللهِ ، وأوثقُ العُرَا كلمةُ التقوى . أكرمُ المَلَلِ ملةُ إبراهيمَ ،
وخيرُ السننِ سنةُ محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم . خيرُ الأُمُورِ أوساطُها ، وشرُّ الأُمُورِ مُخَدَّاتُها .
ما قلَّ وكفى خيرَ مما كثر وألمى . خيرُ الغنى غنى النفس ، وخيرُ ما أُلقيَ في القلبِ اليقين .
الخمرُ جَماعُ الآثامِ . النَّساءُ حِبالةُ الشيطانِ . الشبابُ شُعبةٌ مِنَ الجنونِ . حبُّ الكفايةِ
مفتاحُ المعجزةِ . شرُّ النَّاسِ مَنْ لَا يَأْتِي الْجَماعَةَ إِلَّا دُبُرًا ، وَلَا يَذْكُرُ اللَّهَ إِلَّا هَجْرًا^(١) .
أعظمُ الخطايا اللسانُ الكذوبُ ، سبُّ المؤمنِ فسقٌ ، وقتاله كفرٌ ، وأكلُ لحمه معصيةٌ .
مَنْ يَتَأَلَّ^(٢) عَلَى اللَّهِ يَكْذِبُهُ ، وَمَنْ يَغْفِرُ يَغْفِرْ لَهُ . مَكْتُوبٌ فِي دِيوانِ الْحَسَنِينَ : مَنْ عَفَا
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ . الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وَعَظَ بِغَيْرِهِ . الأُمُورُ بِعَوَاقِبِها .
مِلاكُ العَمَلِ خَوَاتِيمُهُ . أَشْرَفُ المَوْتِ الشَّهادَةُ . مَنْ يَعْرِفُ البِلاءَ يَصْبِرُ عَلَيْهِ . وَمَنْ لَا يَعْرِفُ
البِلاءَ يَفْكَرُهُ . (إعجاز القرآن ١٢٢ ، العقد الفريد ٢ : ١٥٦ ، البيان والتبيين ٢ : ٢٧)

(١) المجر كسكتف : الذي يمشى مثقلا ضعيفا : أي لا يعرف الله إلا وقت الشدة .

(٢) تأل : أقسم .

١٥٨ - أبو زيد الطائي يصف الأسد

قال عثمان بن عفان رضى الله عنه يوماً لأبي زبيد : حَرَمَلَةَ بن المنذر الطائي - وكان نصرانياً - يا أَخَا تَبَعِ المَسيحِ ، أُنَمِّمْنَا بَعْضَ قَوْلِكَ ، فَقَدْ أُنْبِئْتُ أَنَّكَ تَجِيدُ ، فَأَنشَدَهُ قَصِيدَةَ لَهُ فِي وَصْفِ الأَسَدِ ، فَقَالَ عُثْمَانُ : تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ الأَسَدَ مَا حَيَّيْتُ ! وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحْسِبُكَ جَبَانًا هَرَّابًا ، قَالَ : كَلًّا ، يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُ مِنْهُ مَنظَرًا ، وَشَهِدْتُ مِنْهُ مَشْهَدًا ، لَا يَبْرَحُ ذِكْرُهُ يُتَجَدَّدُ وَيَتَرَدَّدُ فِي قَلْبِي ، وَمَعذُورٌ أَنَا يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ غَيْرُ مَلُومٍ ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : وَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ ؟ قَالَ :

« خَرَجْتُ فِي صُيَّابَةٍ ^(١) أَشْرَافٍ مِنْ أبنَاءِ قَبَائِلِ العَرَبِ ، ذَوِي هَيْئَةٍ وَشَارِقٍ ^(٢) حَسَنَةٍ ، تَرْمِي بِنَا المَهَارَى ^(٣) بِأَكْسَائِهَا ^(٤) ، وَنَحْنُ نَزِيدُ الحَارِثِ بنِ أَبِي شِمْرٍ العَسَّائِي مَلِكِ الشَّامِ ، فَأَخْرَوْط ^(٥) بِنَا السَّيْرِ فِي حَمَارَةٍ القَيْظِ ، حَتَّى إِذَا عُصِبَتِ الأَفْوَاهُ ، وَذَبُلَتِ الشَّفَاهُ ، وَشَالَتِ ^(٦) المِيَاهُ ، وَأَذَكَّتِ الجُوزَاءُ المِعْزَاءُ ^(٧) ، وَذَابَ الصَّيْهَبُ ^(٨) ، وَصَرَ الجُنْدُوبُ ^(٩) وَأَضَافَ العُصْفُورُ الضَّبَّ فِي وَكْرِهِ ، وَجَاوَرَهُ فِي جُجْرِهِ ، قَالَ قَائِلٌ : أَيُّهَا الرِّكْبُ ، غُورُوا ^(١٠) بِنَا فِي دَوْحِ هَذَا الوَادِي ، وَإِذَا وادٍ قَدْ بَدَأْنَا كَثِيرَ الدَّغْلِ ^(١١) ، دَائِمَ الغَلْلِ ^(١٢) »

(١) الصيابة بالتشديد وتخفف : الخالص والصميم والحيار من الشيء . (٢) الشارة : الهيئة واللباس والزينة ، والجمال . (٣) مهرة بن حيدان (بفتح الميم والحاء) : حى تنسب إليه الإبل المهرية ، وجمعها مهاري (بفتح الميم والراء) ومهارة (منقوصا) ومهاري . (٤) الأكساء : جمع كساء (كقفل وعنق) وكساء كل شيء : مؤخره . (٥) اخروط بهم الطريق : طال وامتد .

(٦) قلت . (٧) أذكت : أشعلت ، والمعزاء من المعز بالتحريك : وهو الصلابنة ، مكان أمعز وأرض معزاء ، كناية عن اشتداد الحر . (٨) الصيهب : الصخرة الصلبة والموضع الشديد وكل موضع تحمى عليه الشمس حتى يندوى اللحم عليه . (٩) نوع من الجراد ، وصر : صوت .

(١٠) الغور والغور : الدخول في الشيء . والدوح : جمع دوحه ، وهي الشجرة العظيمة .

(١١) الدغل : الشجر الكثير الملتف ، واشتباك الثبت وكثرته . (١٢) الغلل : المساء الذي يجرى

أشجاره مُغِنَّة^(١) ، وأطياره مُرِنَةٌ^(٢) ، فَحَطَطْنَا رِحَالَنَا بِأَصُولِ دَوْحَاتِ كَنْهَبَاتٍ^(٣) ،
فَأَصَدَبْنَا مِنْ فَضَلَاتِ الْمَزَاوِدِ ، وَأَتْبَعْنَاهَا الْمَاءَ الْبَارِدَ ، فَإِنَّا لَنْصِفُ حَرًّا يَوْمَنَا وَمَمَاطَلْتَهُ ،
إِذْ صَرََّ أَقْصَى الْخَيْلِ أذْنِيهِ^(٤) ، وَفَحَّصَ الْأَرْضَ بِيَدِيهِ ، فَوَاللَّهِ مَا لَبِثَ أَنْ جَالَ ،
ثُمَّ تَحَمَّحَمَ^(٥) فَبَالَ ، ثُمَّ فَعَلَ فَعْلَهُ الْفَرَسُ الَّذِي يَلِيهِ وَاحِدًا فَوَاحِدًا ، فَتَضَعَضَعَتِ الْخَيْلُ ،
وَتَكَمَّكَمَّتِ^(٦) الْإِبِلُ ، وَتَقَهَّقَرَّتِ الْبِغَالُ ، فَمِنْ نَافِرٍ بِشِكَاكِهِ^(٧) ، وَنَاهِضٍ بِعِقَالِهِ ،
فَعَلَمْنَا أَنَا قَدْ أُتِينَا ، وَأَنَّهُ السَّبْعُ لِاشْكِ فِيهِ ، فَفَزَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَى سَيْفِهِ ، فَاسْتَلَّهُ مِنْ
جُرْبَانِهِ^(٨) ، ثُمَّ وَقَفْنَا رَزْدَقًا أَرْسَالًا^(٩) ، وَأَقْبَلَ أَبُو الْحَارِثِ مِنْ أَجْمَتِهِ ، يَتَظَالَعُ^(١٠)
فِي مَشِيدَتِهِ ، كَأَنَّهُ مَجْنُوبٌ أَوْ فِي هِجَارٍ^(١١) ، لِيَصْدُرِهِ نَحِيْطٌ^(١٢) ، وَلِبَلَاغِهِ غَطِيْطٌ^(١٣) ،
وَلِطَرْفِهِ وَمِيْضٍ ، وَلِأَرْسَاغِهِ نَقِيْضٌ^(١٤) ، كَأَنَّمَا يَنْخَبِطُ هَشِيمًا ، أَوْ يَطَأُ صَرِيْمًا^(١٥) ، وَإِذَا
هَامَةً كَالْمِجَنِّ^(١٦) وَخَدَّ كَالْمِسْنِ ، وَعَيْفَانِ سَجْرَاوَانَ^(١٧) كَأَنَّهُمَا سِرَاجَانِ يَتَّقِدَانِ ،

- (١) أغن الذباب : صوت ، ويقال : واد مغن ، وهو الذي صار فيه صوت الذباب ، ولا يكون
الذباب إلا في واد مخصب ممشب ، والغنة (بالضم) صوت في الخيشوم ؛ والأغن : الذي يتكلم من قبل
خيائمه غن يغن بالفتح فهو أغن ، ومنه قالوا واد أغن : أي كثير العشب لأنه إذا كان كذلك ألقه الذباب وفي
أصواتها غنة ، وروضة غناء كذلك ، أو تمر فيها الرياح غير صافية الصوت لكثافة عشبها .
(٢) رنت وأرنت : صاحت . (٣) الكنهبيل : شجر عظام ، والمزاود : جمع مزود كبير ،
وهو وهاء الزاد . (٤) صر الحمار بأذنه وصرها وأصر بها : سواها ونصبها الاستماع .
(٥) الحمحة والتحمم : صياح الفرس حين يقصر في الصهيل ويستمين بنفسه ، وصوته إذا طلب
العلف . (٦) خافت وفزعت ، كما كعت فتكمكع : جنبته وخوفته . (٧) الشكال : الحبل الذي
تشده به قوائم الدابة . (٨) الجربان : غمد السيف . (٩) الرزدق : الصف من الناس والأرسال
جمع رسل كسبب ، وهو القطيع من كل شيء .
(١٠) من ظلع كنع : إذا غمز في مشيه . (١١) جنبه : قاده إلى جنبه ، فهو جنب وجنب ومجنب
والهجار : حبل يشد في رسغ رجل البعير ثم يشد إلى حقه ، وإن كان مرحولا شد إلى الحقب .
(١٢) النحيط : الزفير ، والناحط : من يعمل شديدا . (١٣) غط البعير غطيطا : هدر ، والنائم
صوت وكذا المذبوح والمخنوق . (١٤) نقيض الأصابع والأضلاع والمفاصل : أصواتها .
(١٥) ثمر صريم : أي مقطوع . (١٦) المجن : الترس . (١٧) عين سجرا : خالطت
بياضها حمرة .

وَقَصْرَةٌ رِبْلَةٌ^(١) ، وَلِهَزِيمَةٌ رَهْلَةٌ^(٢) ، وَكَتَدٌ مُغْبَطٌ^(٣) وَزَوْرٌ مُفْرَطٌ^(٤) وَسَاعِدٌ
مَجْدُولٌ ، وَعَضُدٌ مَفْتُولٌ ، وَكَفٌّ شَدْنَةٌ الْبِرَائِنُ^(٥) إِلَى مَخَالِبِ كَالْمَحَاجِنِ^(٦) ،
فَضْرَبَ بِيَدَيْهِ فَأَرْهَجَ^(٧) ، وَكَثَّرَ^(٨) فَأَفْرَجَ عَنْ أَنْيَابِ كَالْمَعَاوِلِ ، مَصْقُولَةٌ ، غَيْرَ مَقُولَةٍ ،
وَقَمٌّ أَشْدَقُ^(٩) كَالْفَارِ الْأَخْوَقِ^(١٠) ، ثُمَّ تَمَطَّى فَأَسْرَعَ بِيَدَيْهِ ، وَحَفَزَ^(١١) وَرَكِبَهُ بِرَجْلَيْهِ ،
حَتَّى صَارَ ظِلُّهُ مِثْلِيهِ ، ثُمَّ أَقَى^(١٢) فَأَقْشَرَ ، ثُمَّ مَثَّلَ فَكَفَّرَ^(١٣) ، ثُمَّ تَجَهَّمَ فَازْبَارَ^(١٤)
فَلَاوَذُو^(١٥) بَيْتَهُ فِي السَّمَاءِ ، مَا اتَّقِينَاهُ إِلَّا بِأَخٍ لَنَا مِنْ فَرَازَةَ ، كَانَ ضَخْمَ الْجَزَارَةِ^(١٦) ،
فَوَقَصَا^(١٧) ثُمَّ نَقَضَهُ نَقْضَةً ، فَقَضَقَصَ^(١٨) مَتْنِيهِ ، فَجَعَلَ يَبْلُغُ فِي دَمِهِ ، فَذَمَرَتْ^(١٩)
أَسْحَابِي ، قَبَعَدَ لِأَيِّ^(٢٠) مَا اسْتَقْدَمُوا ، فَهَجَّهَجْنَا^(٢١) بِهِ ، فَكَّرَ مَقْشِعِرِ الزُّبْرَةِ^(٢٢) ،

- (١) القصرة : أصل العنق؛ والربالة بالفتح : كثرة اللحم ، وهي ربله ومتربله .
(٢) اللهزمتان ناتان تحت الأذنين ، والجمع لهازم ، ورهل لحمه : كفرح انتفخ وورم من غير داء .
(٣) الكتد : مجتمع الكتفين ، أو الكاهل ، أو ما بين الكاهل إلى الظهر ، وأغبط النبات : غطى الأرض ، وكشف وتدانى ، وأرض مغبطة بفتح الباء ، أى وكاهل مغطى بالشعر .
(٤) من أفرطه : إذا ملأه حتى أسال الماء فهو مفرط . (٥) شتنة : أى غليظة خشنة ، شنت كفه : كفرح وكرم ، والبرائن : جمع برثن كبرقع ، وهو مخلب الأسد . (٦) المحاجن : جمع محجن كنبير ومكنسة : العصا المموجة وكل معطوف معوج . (٧) أرهج : أثار الغبار ، والرهج (كشمس وسبب) الغبار . (٨) كثر عن أسنانه : أبدى . (٩) من الشدق (كسبب) وهو سعة الشدق . (١٠) من الخوق (كسبب أيضا) وهو السعة ومنه مفازة خوقاء . (١١) حفزه : دفعه . (١٢) أقى : جلس على استه مفترشا رجله ناصبا يديه . (١٣) مثل : قام متصبيا ، والمكفهر من الوجوه : الضارب لونه إلى الغبرة مع غلظ ، والمتعيس . (١٤) تجهمه وجهمه (كنع وسمع) استقبله بوجه كرية ، وازبار : تنفش . (١٥) ذو : بمعنى الذى فى لغة طيىء :
• فحسبى من ذو عندهم ما كفانيا •
(١٦) الجزارة : بالضم اليدان والرجلان والعنق . (١٧) وقص عنقه : كمرها . (١٨) من نقض البناء : أى هدمه ، وقضه : مزق . (١٩) اللامر : الملامة ، والحض والتهدد . (٢٠) اللأى : الإبطاء والاحتباس . (٢١) هججهج بالأسد : صاح . (٢٢) الزبرة (كفرصة) هى الشعر المجتمع بين كنفى الأسد .

كان به شَيْهَمًا^(١) حَوِيلِيًّا ، فاخْتاج^(٢) رجلاً أَعَجَرَ ذَا حَوَايَا ، فنَقَضَهُ نَقْضَةً تَزَايَلَتْ مِنْهَا مَفَاصِلُهُ ، ثُمَّ هَمَّهُمْ فَفَرَّقَر^(٣) ، ثُمَّ زَفَرَ فَبَزَبَرَ^(٤) ، ثُمَّ زَارَ فَجَرَ جَرَّ^(٥) ، ثُمَّ لَحَظَ ، فَوَاللَّهِ لَحِثْتُ الْبَرْقَ يَتَطَايَرُ مِنْ تَحْتِ جَفْوَنِهِ ، عَنْ شِمَالِهِ وَيَمِينِهِ ، فَأَرْعَشَتِ الْأَيْدِي ، وَأَصْطَكَّتِ الْأَرْجُلَ ، وَأَطَّتِ^(٦) الْأَضْلَاعَ ، وَارْتَجَّتِ الْأَسْمَاعَ ، وَشَخَّصَتِ^(٧) الْعَيْونَ ، وَتَحَقَّقَتِ الظُّنُونُ ، وَانْحَزَلَتْ^(٨) الْمُتُونُ ، وَلَحِقَتْ الظُّهُورَ بِالْبَطُونِ ، ثُمَّ سَاءَتِ الظُّنُونُ ، فَقَالَ لَهُ عُمَانُ : اسْكُتْ قَطَعَ اللَّهُ لِسَانَكَ ! فَقَدْ أَرَعَبْتَ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ .

(الأغانى ١١ : ٢٣ والمحاسن والأضداد ص ١١٢)

(١) الشيهم : ما عظم ثوكه من ذكران القنافة ، والحولى : ما أتى عليه حول .

(٢) اختلاج : جذب وانزع ، والأعجر : السمين ، عجر : كفرح غلظ وسمن وضخم بطنه ، والحوايا جمع حاوية ؛ وهى ما تحوى من الأمعاء أى استدار ، والمعنى أنه عظيم البطن . (٣) المهمة : تردد الزئير فى الصدر ، وكل صوت معه بحج ، والقرقرة : هدير البعير . (٤) البربرة : الجلبة والصياح . (٥) الجرجرة : صوت يردده البعير فى حنجرتة . (٦) الأطييط : صوت الرحل والإبل إذا أنت تهبأ أو حنينا ، وصوت الظهر ، والجوف من الجوع . (٧) شخص بصره كنع : فتح عينيه وجعل لا يطرف . (٨) الانخزال والتخزل : مشية فى تناقل . وهتنا الظهر : مكتنفا الصلب عن يمينه وشماله

خلافة الإمام علي

كرم الله وجهه

١٥٩ - وصية عليّ لقيس بن سعد

ولما قتل عثمان رضي الله عنه وولي عليّ بن أبي طالب الأمر ، دعا قيس بن سعد ابن عبادة الأنصاري وولاه مصر سنة ٣٦ هـ .

وقال له :

« سر إلى مصر فقد وليتكمها ، واخرج إلى رحلك ، واجمع إليك ثقاتك ، ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند ، فإن ذلك أربع لعدوك ، وأعز لوليك ، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن ، واشتد على المريب ، وارفق بالعامّة والخاصة فإن الرفق يُمنّ » .
(تاريخ الطبري ٥ : ٢٢٧)

١٦٠ - خطبة لقيس بن سعد

ولما دخل قيس مصر قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم وقال :

« الحمد لله الذي جاء بالحق وأمات الباطل ، وكبت الظالمين .
أيها الناس إنا قد بايعنا خير من نعلم بعد محمد نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقوموا أيها الناس فبايعوا على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن نحن لم نعمل لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم » .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٢٨)

فقام الناس فبايعوا .

فتنة أصحاب الجمل

ولما قدمت السيدة عائشة رضي الله عنها البصرة ، للطلب بدم عثمان ، خرج إليها من أهلها من أراد أن يكون معها ، واجتمع القوم بالمربد ، وجعلوا يشوبون ، حتى غصّ بالناس ، فتكلم طلحة ، فأنصتوا له :

١٦١ - خطبة طلحة

حمد الله وأثنى عليه ، وذكر عثمان رضي الله عنه وفضله ، والبلد وما أُسْتُجِلَ منه ، وعظم ما أتى إليه ، ودعا إلى الطلب بدمه وقال :

« إن في ذلك إعزازَ دين الله عز وجل وسلطانَه ، وأما الطلب بدم الخليفة المظلوم ، فإنه حَدٌّ من حدود الله ، وإنكم إن فعلتم أصبتم ، وعاد أمركم إليكم ، وإن تركتم لم يقيم لكم سلطان ، ولم يكن لكم نظام . »

وتكلم الزبير بمثل ذلك ، ثم تكلمت السيدة عائشة وكانت جهورية الصوت .

١٦٢ - خطبة السيدة عائشة بالمربد

حمدت الله عز وجل ، وأثنت عليه وقالت :

« كَأَنَّ النَّاسَ يَتَجَنَّبُونَ^(١) عَلَى عِثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَيَتَزَرَّوْنَ^(٢) عَلَى عَمَالِهِ ، وَيَأْتُونَنا بِالْمَدِينَةِ ، فَيَسْتَشِيرُونَنا فِيمَا يَخْبِرُونَنا عَنْهُمْ ، فَنَنْظُرُ فِي ذَلِكَ فَنَجِدُهُ بَرِيًّا ، تَقِيًّا وَفِيًّا ،

(٢) زرى عليه : عابه كأزرى لكنه قليل .

(١) تجنى عليه : ادعى ذنبا لم يفعله .

ونجدهم فجرة غدره كذبة ، يحاولون غير ما يُظهرون ، فلما قووا على المكاثرة كاثروه ،
واقترحوا عليه داره ، واستحلوا الدم الحرام ، والمال الحرام ، والبلد الحرام ، بلا ترة (١)
ولا عذر ، إلا إن مما ينبغي ، لا ينبغي لكم غيره ، أخذ قتلة عثمان رضى الله عنه ، وإقامة
كتاب الله عز وجل : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى
كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) الآية .

(تاريخ الطبرى ٥ : ١٧٥ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ١٠٥)

١٦٣ - خطبة لعلی

وخطب علی لما سار الزبير وطلحة من مكة ومعهما عائشة يريدون البصرة فقال :
« أيها الناس : إن عائشة سارت إلى البصرة ومعها طلحة والزبير ، وكل منهما يرى
الأمر له دون صاحبه ، أما طلحة فابن عمها ، وأما الزبير فختها ، والله لو ظفروا بما
أرادوا - ولن ينالوا ذلك أبدا - ليضربن أحدهما عنق صاحبه بعد تفرع منهما شديد ،
والله إن راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبة ولا تحل عقدة ، إلا في معصية الله وسخطه ،
حتى تُورد نفسها ومن معها موارد الهلكة ، إى والله ليقتلن ثلثهم ، وليهزبن ثلثهم ،
وليتوبن ثلثهم ، وإنها التي تنبجها كلاب الحوآب ، وإنهما ليعلمان أنهما مخطئان ، ورب
عالم قتله جهله ، ومع علمه لا ينفعه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، فقد قامت الفتنة فيها الفئة
الباغية ، أين المحتسبون ؟ أين المؤمنون ؟ مالى ولقریش ! أما والله لقد قتلتم كافرين ،
ولأقتلنهم مفتونين ، وما لنا إلى عائشة من ذنب إلا أننا أدخلناها في حيزنا ، والله لأبقرن
الباطل حتى يظهر الحق من خاصرته ، فقل لقریش فلتضج ضجيجها » ثم نزل .

(ابن أب الحديد م ١ : ص ٧٨)

۱۶۴ - خطبة لعلی

ولما رجعت رسل علیّ من عند طلحة والزبير وعائشة يؤذنونه بالحرب قام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال :

« أيها الناس : إني قد راقت هؤلاء القوم كي يرعووا أو يرجعوا ، ووبختهم بنكثهم ، وعرفتهم بغيهم فلم يستحيوا ، وقد بعثوا إلى أن ابرؤ للطعان ، واصبر للجلاد ، وإنما تمنيت نفسك أمانى الباطل ، وتعدك الغرور ، ألا هبيلتهم^(۱) الهبول ، لقد كنت وما أهدد بالحرب ، ولا أرهب بالضرب ، ولقد أنصف القارة^(۲) من رامها ، فليعدوا وليبرقوا ، فقد رأوني قديما ، وعرفوا نكايتي ، فكيف رأوني ؟ أنا أبو الحسن الذي فلتت حدّ المشركين ، وفرقت جماعتهم ، وبذلك القلب ألقى عدوّي اليوم ، وإني لعلی ما وعدني ربي من النصر والتأييد ، وعلى يقين من أمری ، وفي غير شبهة من دينی .

أيها الناس : إن الموت لا يفوته المقيم ، ولا يعجزه الهارب ، ليس عن الموت محيد ولا تحييص ، من لم يُقتل مات ، إن أفضل الموت القتل ، والذي نفس علیّ بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موة واحدة على الفراش .

اللهم إن طلحة نكث بيعتي ، وألب على عثمان حتى قتله ، ثم عضيتني^(۳) به ورماني ، اللهم فلا تمهله .

اللهم إن الزبير قطع رحمي ، ونكث بيعتي ، وظاهر علیّ عدوي ، فاكفنيه اليوم بما شئت « ثم نزل .

(ابن أبي الحديد م ۱ : ۱۰۱)

(۱) هبيلته أمه : شكته .

(۲) القارة : قبيلة ، وهم قوم رماة . (۳) عضهه : بهته وقال فيه مالم يكن .

١٦٥ - خطبة لعلی

حمد الله وصلى على رسوله ثم قال :

« أما بعد فإنه لما قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، قلنا نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون الناس ، لا يَنازعنا سلطانه أحد ، ولا يطمع في حقنا طامع ، إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا ، فصارت الإمرة لغيرنا ، وصرنا سُوقَه يطمع فينا الضعيف ، وبتعزز علينا الذليل ، فبكت الأعين منا لذلك ، وخشنت الصدور ، وجزعت النفوس . وأيمُّ الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين ، وأن يعود الكفر ويبور الدين ، لكنا على غير ما كنا لهم عليه ، فولي الأمر ولادة لم يألوا الناس خيرا ، ثم استخرجتموني أيها الناس من بيتي ، فبايعتموني على شئني مني لأمركم ، وفراسة تصدقني ماني قلوب كثير منكم ، وبايعني هذان الرجلان في أول من بايع - تعلمون ذلك - وقد نكثا وغدرا ونهضا إلى البصرة بعائشة ، ليفرقا جماعتكم ، ويلقيا بأسمكم بينكم ، اللهم فخذها بما عملا أخذة واحدة رابية ، ولا تنعش لها صرعة ، ولا تُقل لها عثرة ، ولا تمهلها فواقا^(١) ، فإنهما يطلبان حقا تركاه ، ودما سفكاه ، اللهم إني أقتضيك وعدك ، فإنك قلت وقولك الحق « ثم بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ اللهُ » اللهم فأنجز لي موعودك ، ولا تكلني إلى نفسي إنك على كل شيء قدير .

(ابن أبي الحديد م ١ : ١٠١)

١٦٦ - خطبة عدی بن حاتم

يستنفر قومه لنصرة الإمام عليّ

ولما شَخَصَ الإمام عليّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ من المدينة إلى البصرة وقد علم بمسير طلحة والزبير وعائشة إليها ، قام عدی بن حاتم إليه فقال : يا أمير المؤمنين لو تقدمتُ إلى قومي

(١) الفواق بالضم ويفتح : ما بين الحلبتين من الوقت ، أو ما بين فتح يدك وقبضها على الضرع .

(١٩ - جمهرة حطب العرب - أول)

أخبرهم بمسيرك ، وأستنفِهم ، فإن لك من طيبي مثل الذي معك ، فقال عليّ : نعم فافعل ،
فتقدم عدى إلى قومه ، فاجتمعت إليه رؤساء طيبي ، فقال لهم :
« يا معشر طيبي : إنكم أمسكنم عن حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشرك ،
ونصرتهم الله ورسوله في الإسلام على الرّدة ، وعلى قادمٍ عليكم ، وقد ضمنتُ له مثلَ عدّةِ
من معه منكم ، فخِفُوا^(١) معه ، وقد كنتم تقاتلون في الجاهلية على الدنيا ، فقاتلوا في
الإسلام على الآخرة ، فإن أردتم الدنيا فعند الله مغنمٌ كثيرةٌ ، وأنا أدعوكم إلى الدنيا
والآخرة ، وقد ضمنتُ عنكم الوفاء ، وباهيت بكم الناس ، فأجيبوا قولي ، فإنكم أعز
العرب داراً ، لكم فضلٌ معاشكم وخيلكم ، فاجعلوا فضل المعاش للميآل^(٢) ، وفضول
الخيل للجهاد ، وقد أظلمكم على والناس معه من المهاجرين والبدرين^(٣) والأنصار ،
فكونوا أكثرهم عدداً ، فإن هذا سبيلٌ للحى فيه الغنى والسرور ، وللقتيال فيه
الحياة والرزق . »

فصاحت طيبي : نعم نعم ! حتى كاد أن يُصمَّ من صياحهم .

(الإمامة والسياسة ١ : ٤٥)

١٦٧ - خطبة زفر بن زيد

يستنفِر قومه لنصرة عليّ أيضاً

وقام إلى عليّ زفر بن زيد الأسدي - وكان من سادة بني أسد - فقال :
يا أمير المؤمنين ، إن طيئنا إخواننا وجيراننا قد أجابوا عدياً ، ولى في قومي طاعة ،
فأذن لي فاتيهم ، قال : نعم ، فاتاهم فجمعهم ، وقال :

(١) أي ارتحلوا مسرعين .

(٢) جمع عيل (كجيد) وهو من يجب الإنفاق عليه .

(٣) أي الذين حضروا وقعة بدر .

« يا بني أسد : إن عدى بن حاتم ضمن لعلي قومه ، فأجابوه ، وقضوا عنه ذمّاه^(١) ، فلم يعتل الغني بالغني ، ولا الفقير بالفقر ، وواسى بعضهم بعضاً حتى كأنهم المهاجرون في الهجرة ، والأنصار في الأثر^(٢) ، وهم جيرانكم في الديار ، وخلطواكم^(٣) في الأموال ، فأنشدكم الله لا يقولُ الناسُ غداً : نصرت طيئاً ، وخذلتُ بنو أسد ، وإن الجار يُقاس بالجار ، كالنعل بالنعل ، فإن خفتم فتوسّعوا في بلادهم ، وانضموا إلى جبلهم ، وهذه دعوة لها ثوابٌ من الله في الدنيا والآخرة . »

(الإمامة والسياسة ١ : ٤٦)

١٦٨ — خطبة علي بالربذة

روى الطبري قال :

لما أتى عليا الخبر - وهو بالمدينة - بأمر عائشة وطلحة والزبير أنهم قد توجهوا نحو العراق ، خرج يبادر وهو يرجو أن يدركهم ويردهم ، فلما انتهى إلى الربذة^(٤) أتاه عنهم أنهم قد أمعنوا ، فأقام بالربذة أياماً ، وبقي بها يتهمياً ، وأرسل إلى المدينة فلحقه ما أراد من دابة وسلاح ، وقام في الناس فخطبهم وقال :

« إن الله عز وجل أعزنا بالإسلام ، ورفعنا به ، وجعلنا به إخواناً بعد ذلة وقلة ، وتباغض وتباعد ، فجرى الناس على ذلك ما شاء الله ، الإسلام دينهم ، والحق فيهم ، والكتاب إمامهم ، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان ، لينزغ بين هذه الأمة ، ألا إن هذه الأمة لا بد مفترقة كما افترت الأمم قبلهم ، فنعوذ بالله من شر ما هو كائن . »

(١) العهد والحرمة . (٢) أي يؤثر كل منهم أخاه على نفسه ، ويفضله كما فعل الأنصار بالمهاجرين

« وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » (٣) الخلطاء: جمع خليط، وهو الشريك.

(٤) قرب المدينة .

ثم عاد ثانية فقال : إنه لا بد مما هو كائن أن يكون . ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، شرها فرقة تنتحلني ولا تعمل بعلمي ، فقد أدركتم ورأيتم ، فالزموا دينكم واهدوا بهدي نبيكم صلى الله عليه وسلم واتبعوا سنته ، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن ، فما عرفه القرآن فالزموه ، وما أنكره فردوه ، وارضوا بالله عز وجل رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ، وبالقرآن حكماً وإماماً .
(تاريخ الطبري ۵ : ۱۸۵)

۱۶۹ خطبة سعيد بن عبيد الطائي

ولما كان الإمام عليّ كرم الله وجهه بالرَبْدَةِ ، أتته جماعة من طي ، فقيل لعليّ : « هذه جماعة من طي قد أتتك ، منهم من يريد الخروج معك ، ومنهم من يريد التسليم عليك » قال : « جزي الله كلاً خيراً ، وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » ثم دخلوا عليه ، فقال عليّ : ما شهدتمونا به ؟ قالوا : شهدناك بكل ما تحب ، قال : « جزاكم الله خيراً ، فقد أسلمتم طائعين ، وقاتلم المرتدين ، ووافيتم بصدقاتكم المسلمين »
فنهض سعيد بن عبيد الطائي فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن من الناس مَنْ يُعَبِّرُ لِسَانَهُ عَمَّا فِي قَلْبِهِ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا كُنْتُ مَا أُجِدُّ فِي قَلْبِي يُعَبِّرُ عَنْهُ لِسَانِي ، وَسَأَجْهَدُ (وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ) أَمَا أَنَا فَسَأَنْصَحُ لَكَ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَأُقَاتِلُ عَدُوَّكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ، وَأَرَى لَكَ مِنَ الْحَقِّ مَا لَا أَرَاهُ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ زَمَانِكَ ، لِفَضْلِكَ وَقَرَابَتِكَ » .

قال : رحمك الله ! قد أدى لسانك عما يُجِنُّ^(۱) ضميرك ، فقتل معه صفيين رحمه الله !

(تاريخ الطبري ۵ : ۱۸۴)

(۱) يجن : أي يستر ويخفي .

۱۷۰ - خطبة الحسن بن علي

ولما دخل الحسن وعمار الكوفة اجتمع إليهما الناس فقام الحسن فاستنفر الناس .

فحمد الله وصلى على رسوله ثم قال :

« أيها الناس إننا جئنا ندعوكم إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله ، وإلى أفقه من تفقه من المسلمين وأعدل من تعدلون ، وأفضل من تفضلون ، وأوفى من تبايعون ، من لم يعبه القرآن ، ولم تجهله السنة ، ولم تقعد به السابقة ، إلى من قرّبه الله تعالى ورسوله قرابتين قرابة الدين وقرابة الرحم ، إلى من سبق الناس إلى كل مآثرة ، إلى من كفى الله ورسوله والناس متخاذلون ، فقرّب منه وهم متباعدون ، وصلى معه وهم مشركون ، وقاتل معه وهم منهزمون ، وبارز معه وهم محجمون ، وصدّقه وهم يكذبون ، إلى من لم تردّ له ولا تكافأ له سابقة ، وهو يسألكم النصر ، ويدعوكم إلى الحق ، ويأمركم بالمسير إليه لتوازيه وتنصروه على قوم نكثوا بيعته ، وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه ، ومثلوا بعماله ، وانتهبوا بيت ماله ، فاشخصوا إليه رحمكم الله ، فمروا بالمعروف وانهبوا عن المنكر ، واحضروا بما يحضر به الصالحون » .

(شرح ابن أبي الحديد ج ۳ : ۲۹۲)

۱۷۱ - خطبة أخرى للحسن

« الحمد لله العزيز الجبار ، الواحد القهار ، الكبير المتعال ، سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ، ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ، أحمدته على حسن البلاء ، وتظاهر النعماء ، وعلى ما أحببنا وكرهنا من شدة ورخاء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، امتن علينا بنبوته ، واختصه برسالته ، وأنزل عليه وحيه ، واصطفاه على جميع خلقه ، وأرسله إلى الإنس والجن ، حين عبّدت الأوثان ، وأطيع الشيطان ، وجحد الرحمن ، وصلى الله عليه وعلى آله ، وجزاه أفضل ماجزى المسلمين .

أما بعد ، فإنني لا أقول لكم إلا ما تعرفون ، إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ،
أرشد الله أمره ، وأعز نصره ، بعثني إليكم يدعوكم إلى الصواب ، وإلى العمل بالكتاب ،
والجهاد في سبيل الله ، وإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون ، فإن في آجله ما تحبون
إن شاء الله .

ولقد علمتم أن علياً صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وحده . وإنه يوم صدق به
لني عشرة من سنه ، ثم شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله جميع مشاهدته ، وكان من
اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله وآثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلغكم ، ولم يزل
رسول الله صلى الله عليه وآله راضياً عنه ، حتى غمضه بيده ، وغسله وحده ، والملائكة
أعوانه ، والفضل ابن عمه ينقل إليه الماء ، ثم أدخله حفرته ، وأوصاه بقضاء دينه وعِداته
وغير ذلك من أموره ، كل ذلك من من الله عليه .

ثم والله ما دعا إلى نفسه ، ولقد تذاك الناس عليه تذاك الإبل الهيم عند ورودها ،
فبايعوه طائعين ، ثم نكث منهم نا كثون بلا حدث أحدثه ، ولا خلاف أتاه ، حسداً
له وبغياً عليه .

فعلیکم عباد الله بتقوى الله وطاعته والجد والصبر والاستعانة بالله والخوف إلى ما دعاكم
إليه أمير المؤمنين ، عصمنا الله وإياكم بما عصم به أوليائه وأهل طاعته ، وألهمنا وإياكم
نقواء ، وأعاننا وإياكم على جهاد أعدائه ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

(شرح ابن أبي الحديد م ۳ : ۲۹۲)

۱۷۲ - خطبة عمار بن ياسر

وقام بعده عمار ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال :
أيها الناس أخو نبيكم وابن عمه يستنفركم لنصر دين الله وقد بلاكم الله بحق دينكم ،
وحرمة أمكم ، فحق دينكم أوجب ، وحرمة أعظم .

« أيها الناس عليكم بإمام لا يؤدّب ، وفقه لا يعلم ، وصاحب بأس لا ينكّل ،
وذى سابقة فى الإسلام ليست لأحد ، وإنكم لو قد حضرتموه بين لكم أمركم إن
شاء الله . »

١٧٣ - خطبة أبى موسى الأشعري

فلما سمع أبو موسى الأشعري خطبة الحسن وعمار قام فصعد المنبر وقال :

الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد فجمعنا بعد الفرقة ، وجعلنا إخواناً متحابين بعد العداوة
وحرّم علينا دماءنا وأموالنا، قال الله سبحانه : (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ)
وقال تعالى : (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا) فانقوا الله عباد الله .
وضعوا أسلحتكم ، وكفوا عن قتال إخوانكم .

أما بعد ، يا أهل الكوفة إن تطيعوا الله بادية ، وتطيعونى ثانياً تكونوا جرثومة^(١) من
جرائم العرب ، ياوى إليكم المضطر ، ويأمن فيكم الخائف ، إن علياً إنما يستنفركم لجهاد
أمكم عائشة وطلحة والزبير حوارى رسول الله ومن معهم من المسلمين، وأنا أعلم بهذه الفتن .
إنها إذا أقبلت شبّهت ، وإذا أدبرت أسفرت ، إني خائف عليكم أن يلتقى غاراً منكم
فيقتلوا ، ثم يُتركوا كالأحلاس الملقاة بنجوة من الأرض لا يُدرى من أين تؤتى ، ترك
الحليم حيران ، كأنى أسمع رسول الله صلى الله عليه وآله بالأمس يذكر الفتن فيقول :
أنت فيها نأتما خير منك قاعداً ، وأنت فيها جالسا خير منك قائماً ، وأنت فيها قائماً خير
منك ساعياً ، فناموا سيوفكم ، وقصّفوا رماحكم ، وأنصّلوا^(٢) سهامكم ، وقطعوا أوتاركم ،
وخلوا قريشاً ترتق فتقها ، وترأب صدعها ، فإن فعلت فلا نفسها ما فعلت ، وإن أبت فعلى
أنفسها ما جنت ، سمنها فى أديمها ، استنصحونى ولا تستغشونى ، وأطيعونى ولا تعصونى ،
يتبين لكم رشدكم ، وتصلى هذه الفتنة من جناها .

(شرح ابن الحديد م ٢٩٣)

(١) جرثومة الشيء: أصله . (٢) أنصل السهم ونصله بالتشديد: جعل فيه نصلاً وأزاله عنه - ضد .

صورة أخرى

١٧٤ - خطبة أبي موسى الأشعري

وكتب الإمام عليّ من الرّبذة أبا موسى الأشعري - وكان عامله على الكوفة -

ليستنفر الناس لقتال عائشة ومن معها ، فثبّطهم وخطبهم ، فقال :

« أيها الناس : إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين صحبوه في المواطن ، أعلم بالله
جلّ وعزّ وبرسوله صلى الله عليه وسلم ممن لم يصحبه ، وإن لكم علينا حقا ، فأنا مؤدّيه
إليكم ، كان الرأي ألاّ تستخفوا بسلطان الله عزّ وجلّ ، ولا تجترثوا على الله عزّ وجلّ ،
وكان الرأي الثاني أن تأخذوا من قديم عليكم من المدينة فتردوهم إليها ، حتى يجتمعوا ، وهم
أعلم بمن تصلح له الإمامة منكم ، ولأ تكلّفوا الدخول في هذا ، فأما إذ كان ما كان ،
فإنها فتنة صماء ، الدائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان فيها خير من القاعد . والقاعد خير
من القائم ، والقائم خير من الراكب ، فكونوا جرّثومة^(١) من جرائم العرب ،
فأغمّدوا^(١) السيوف ، وأنصّلوا الأسنة ، واقطعوا الأوتار ، وآووا المظلوم والمضطهد ،
حتى يلتئم هذا الأمر ، وتفجلى هذه الفتنة . »

(تاريخ الطبري ٥ : ١٨٧ ، والكمال لابن الأثير ٣ : ١١٣)

(١) غمد السيف يغمده كئصر وضرب وأغمده : جعله في الغمد .

١٧٥ - صورة أخرى

وخطب أيضاً في هذا الصدد ، فقال :

« أيها الناس : أطيعوني تكونوا جرثومة من جراثيم العرب ، ياوى إليكم المظلوم ، ويأمن فيكم الخائف ، إنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أعلم بما سمعنا ، إن الفتنة إذا أقبلت شُبِّهت ، وإذا أدبرت بيّنت ، وإن هذه الفتنة باقرة^(١) كداء البطن ، تجرى بها الشمال والجنوب ، والصبأ^(٢) والدبور ، فتسكن أحياناً ، فلا يدري من أين تأتي ، تذر الحلیم كابن أمس ، شيموا^(٣) سيوفكم ، وقصدوا^(٤) رماحكم ، وأرسلوا سهامكم ، واقطعوا أوتاركم ، والزموا بيوتكم ، خلّوا قریشاً إذا أبوا إلا الخروج من دار الهجرة ، وفراق أهل العلم بالإمرة ، ترتق^(٥) فتقها ، وتَشَعِب^(٦) صدعها ، فإن فعلت فلا نفسها سعت ، وإن أبت فعلى أنفسها جنت ، سمنها هريق في أديمها ، استنصحنوني ولا تستغشوني ، وأطيعوني يسلم لكم دينكم ودنياكم ، ويشقى بحرّ هذه الفتنة من جناها . »

١٧٦ - خطبة زيد بن صوحان

فقام زيد بن صوحان ، فسال^(٧) يده المقطوعة ، فقال :

« يا عبد الله^(٨) بن قيس ، رُدَّ الفُرات عن أدراجه^(٩) ، أُرِدَّه من حيث يجيء ، »

(١) فتنة باقرة : صادعة للألفة شاقة للعصا . وفي الكامل لابن الأثير : فاقرة بالفاء ، وهي الداهية تكسر فقار الظهر . (٢) الصبأ : ريح تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار . والدبور : ريح تقابلها . (٣) شام سيفه يشمه : غمده واستله ، ضد . (٤) التقصيد والقصد : الكسر بأى وجه كان أو بالنصف ، ورمح قصد ككتف وقصيد وأقصاد متكسر . (٥) رتق الفتق : سده . (٦) الشعب : الإصلاح والإفساد ، والجمع والتفريق ، ضد . (٧) شال : رفع ؛ قطعت يده يوم جلولاه ، وقيل بالقادسية في قتال الفرس ؛ وقتل يوم الجمل (أسد الغابة ٢ : ٢٣٤) . (٨) هو اسم أبي موسى . (٩) جمع درج بفتحيتين ، وهو الطريق .

حتى يعود كما بدأ ، فإن قدرت على ذلك ، فستقدر على ما تريد ، فدع عنك ما لست
مُدْرِكُهُ ، ثم قرأ : (ألم ، أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكَوْا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ،
وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) سبوا
إلى أمير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، وَأَنْفِرُوا^(١) إِلَيْهِ أَجْمَعِينَ ، تصيبوا الحق .

١٧٧ - خطبة القعقاع بن عمرو

فقام القعقاع بن عمرو فقال :
« إني لكم ناصح ، وعليكم شفيق ، أحب أن ترشدوا^(٢) ، وَلَا أَقُولَنَّ لَكُمْ قَوْلًا
هُوَ الْحَقُّ ، أما ما قال الأمير فهو الأمر ، لو أن إليه سبيلاً ، وأما ما قال زيد فزيد عدو هذا
الأمر ، فلا تدنصحوه ، فإنه لا ينتزع أحد من الفتنة طعن فيها ، وجرى إليها ، والقول
الذي هو الحق أنه لا بد من إمامة تنظم الناس ، وتزع^(٣) الظالم ، وتعين المظلوم ، وهذا
على بلى بما ولى ، وقد أنصف في الدعاء ، وإنما يدعو إلى الإصلاح ، فانفروا وكونوا من هذا
الأمر بمرأى ومسمع . »

١٧٨ - خطبة سيحان بن صوحان

وقال سيحان :
« أيها الناس : إنه لا بد لهذا الأمر وهؤلاء الناس من وال ، يدفع الظالم ويُعز
المظلوم ، ويجمع الناس ، وهذا واليكم يدعوكم لينظر فيما بينه وبين صاحبيه^(٤) ، وهو المأمون
على الأمة ، الفقيه في الدين ، فمن نهض إليه ، فإننا سائرون معه . »

(١) اذهبوا . وكانت السيدة عائشة قد كتبت إليه كتابا تأمره فيه بملازمة بيته أو نصرتها ، فقال :
أمرت أن تقرر في بيتها ، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة ، فأمرتنا بما أمرت به ، وركبت ما أمرنا به .
(٢) رشد : كنصر وفرح . (٣) تردع وتكف . (٤) طلحة والزبير .

١٧٩ - خطبة الحسن بن علي

وقام الحسن بن علي رضي الله عنه ، فقال :

« أيها الناس : أجيئوا دعوة أميركم ، وسيروا إلى إخوانكم ، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفّر إليه ، والله لأن يلبيه أولو النهى أمثل في العاجلة ، وخير في العاقبة ، فأجيئوا دعوتنا ، وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم ، وإن أمير المؤمنين يقول : قد خرجت مخرجي هذا ظالماً أو مظلوماً ، وإني أذكر الله رجلاً رعى حق الله إلا أنفر ، فإن كنت مظلوماً أعانني ، وإن كنت ظالماً أخذ مني ، والله إن طلحة والزبير لأول من بايعني ، وأول من غدر ، فهل استأثرت ببال ، أو بدلت حكماً ؟ فانفروا ، فمروا بالمعروف ، وانفروا عن المنكر » .

(تاريخ الطبري ٥ : ١٨٨ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ١١٤)

١٨٠ - وفادة القعقاع بن عمرو إلى أصحاب الجمل

ولما نزل الإمام عليّ كرم الله وجهه بذي قار ، دعا القعقاع بن عمرو ، فأرسله إلى أهل البصرة ، وقال له : اتق هذين الرجلين - طلحة والزبير - يابن الحنظلية ، « وكان القعقاع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم » فادعُهما إلى الألفة والجماعة ، وعظّم عليهما الفرقة ، وقال له : كيف أنت صانع فيما جاءك منهما ، مما ليس عندك فيه وصاة^(١) مني ؟ فقال : نلقاهم بالذي أمرت به ، فإذا جاء منهما أمر ليس عندنا منك فيه رأي ، اجتهدنا الرأي ، وكلمناهم على قدر ما نسمع ونرى أنه ينبغي ، قال : أنت لها .

(١) وصية .

وخرج القعقاع حتى قدم البصرة فبدأ بعائشة رضى الله عنها ، فسلم عليها ، وقال :
أى أمة : ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة ؟ قالت : أى بنى : إصلاح بين الناس ،
قال : فابعتى إلى طلحة والزبير ، حتى تسمى كلامى وكلامهما ، فبعثت إليهما فجاءا ، فقال :
إنى سألت أم المؤمنين ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد ؟ فقالت : إصلاح بين الناس ،
فما تقولان أنما ؟ أمتابعان أم مخالفتان ؟ قالا : متابعان ، قال : فأخبرانى ، ما وجه هذا
الإصلاح ؟ فوالله لئن عرفناه أنصليحن ، ولئن أنكرناه لا نصليح ، قالا : قتلة عثمان
رضى الله عنه ، فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن ، وإن عمل به كان إحياء للقرآن ،
فقال : قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة ، وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم
اليوم ، قتلتما ستمائة إلا رجلاً ، فغضب لهم ستة آلاف ، واعتزلوكم ، وخرجوا من بين
أظهركم ، وطلبتم ذلك الذى أفلتت - يعنى حر قوص بن زهير - ففنع ستة آلاف
وهم على رجل ، فإن تركتموه كنتم تاركين لما تقولون ، فإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم
فأدبوا^(١) عليكم ، فالذى حذرتم وقربتم^(٢) به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون ،
وأنتم أحميتهم مضر وربيعة من هذه البلاد ، فاجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرته هؤلاء
كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدّ العظيم ، والذنب الكبير .

فقالت أم المؤمنين : فتقول أنت ماذا ؟ قال : أقول هذا الأمر دواؤه التسكين ، وإذا
سكن اختلجوا^(٣) ، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير ، وتباشير رحمة ، ودرك بشر هذا
الرجل ، وعافية وسلامة لهذه الأمة ، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه ،
كانت علامة شرّ وذهاب هذا الثار ، وبعثة الله فى هذه الأمة هزاهزاً^(٤) ، فأثروا العافية
ترزقوها ، وكونوا مفاتيح الخير ، كما كنتم تكونون ، ولا تعرّضونا للبلاء ، ولا تعرّضوا

(١) أى غلبوكم وانتصروا عليكم . (٢) قربه (كسمع) قرب منه (ككرم) .

(٣) اضطربوا وتفككوا . (٤) الهززة والهزاهز : تحريك البلايا والحروب الناس .

له ، فَيَصْرَعَنَا وَإِيَّاكُمْ ، وَأَيُّمُ اللَّهِ إِنِّي لَأَقُولُ هَذَا وَأَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ ، وَإِنِّي لَخَائِفٌ الْآيِبِينَ
حَتَّى يَأْخُذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَاجَتَهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، الَّتِي قَلَّ مَتَاعُهَا ، وَنَزَلَ بِهَا مَا نَزَلَ ، فَإِنِ
هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي حَدَثَ لَيْسَ يَقْدَرُ ، وَلَيْسَ كَالْأُمُورِ ، وَلَا كَقَتْلِ الرَّجُلِ الرَّجُلَ ، وَلَا
النَّفْرِ الرَّجُلَ ، ، وَلَا الْقَبِيلَةَ الرَّجُلَ .

فَقَالُوا : نَعَمْ ، إِذْنِ قَدْ أَحْسَنْتَ وَأَصَبْتَ الْمَقَالَةَ فَارْجِعْ ، فَإِنِ قَدِمَ عَلَيَّ ، وَهُوَ عَلَى مِثْلِ
رَأْيِكَ ، صَلِحَ هَذَا الْأَمْرُ ، فَارْجِعْ إِلَى عَلِيٍّ فَأَخْبِرْهُ ، فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ ، وَأَشْرَفَ الْقَوْمَ عَلَى الصَّلْحِ (١) .

(تاريخ الطبري ٥ : ١٩١)

١٨١ - خطبة علي بن أبي طالب

فَلَمَّا رَجَعَ الْقَعْقَاعُ مِنْ عِنْدَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ ، جَمَعَ الْإِمَامَ عَلِيًّا النَّاسَ ، ثُمَّ قَامَ
عَلَى الْغُرَاثِ ، فَحَمِدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذَكَرَ
الْجَاهِلِيَةَ وَشَقَايَا ، وَالْإِسْلَامَ وَالسَّعَادَةَ ، وَإِنْعَامَ اللَّهِ عَلَى الْأُمَّةِ بِالْجَمَاعَةِ بِالْخَلِيفَةِ ، بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ الَّذِي بَلِيَهُ ، ثُمَّ الَّذِي بَلِيَهُ ، ثُمَّ حَدَّثَ هَذَا الْحَدِيثَ ، الَّذِي جَرَّهَ
عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَقْوَامٌ طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا ، حَسَدُوا مِنْ أَفَاءِهَا اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى الْفَضِيلَةِ ، وَأَرَادُوا
رَدَّ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَدْبَارِهَا ، وَاللَّهُ بِالْبَالِغِ أَمْرَهُ ، وَمُصِيبٌ مَا أَرَادَ ، إِلَّا إِنِّي رَاحِلٌ غَدًا فَارْتَحِلُوا ،
أَلَا وَلَا يَرْتَحِلُنَّ غَدًا أَحَدٌ أَعَانَ عَلِيَّ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِشَيْءٍ ، فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ ،
وَلْيُغْنِ السَّفَهَاءُ عَنِّي أَنْفُسَهُمْ .

(تاريخ الطبري ٥ : ١٩٤)

(١) وَلَكِنِ السَّبْئِينَ أَحْبَطُوا مَسَاعِيَ الصَّلْحِ ، إِذْ خَرَجُوا فِي الْغُلَسِ دُونَ أَنْ يَشْمُرَ بِهِمْ أَحَدٌ ، فَتَمَّصَدَ
مَضْرَهُمْ مَضْرَ الْبَصْرَةِ ، وَرَبِيعَتَهُمْ رَبِيعَةَ الْبَصْرَةِ ، وَبِمَنْعِهِمْ يَمْنُ الْبَصْرَةِ ، وَوَضَعُوا فِيهِمُ السَّلَاحَ . فَتَارَكَ كُلَّ
قَوْمٍ فِي رَجْوِهِمْ أَصْحَابَهُمْ ، وَدَارَتْ رَحَى الْقِتَالِ بَيْنَهُمْ ، وَكَلَا الْفَرِيقَيْنِ لَا يَعْلَمُ بِكُنْهٍ تِلْكَ الْمَكِيدَةَ ، وَكَانَ
بَيْنَهُمَا مَا كَانَ .

١٨٢ - خطبة لعلی

ولما أراد علیّ المسیر إلى البصرة قام فخطب الناس فقال بعد أن حمد الله وصلى علیّ رسوله :

إن الله لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله . استأثرت علينا قريش بالأمر ، ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة ، فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين ، وسفك دماهم ، والناسُ حديثو عهد بالإسلام ، والدين يُمخضُ مخض الوطْب^(١) يفسده أدنى وهن ، وينكسه^(٢) أقل خلق ، فولى الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهادا ، ثم انتقلوا إلى دار الجزاء ، والله ولى تمحيص سيئاتهم ، والعفو عن هفواتهم ، فما بال طلحة والزبير - وليس من هذا الأمر بسبيل - لم يصبرا على حولا ولا أشهر حتى وثبا ومرقا ، ونازعانى أمرا لم يجعل الله لهما إليه سبيلا ، بعد أن بايعانى طائعين غير مكرهين ، يرتضعان أمّا قد فطمت ، ويحييان بدعة قد أميتت ، أدمَ عثمان زعمًا ؟ والله ما التبعة إلا عندهم وفيهم ، وإن أعظم حجبتهم لعلیّ أنفسهم ، وأنا راض بحجة الله عليهم وعلمه فيهم ، فإن فاءً وأنا با فحظهما أحرزا ، وأنفسهما غنيا ، وأعظمُ بهما غنيمَةً ، وإن أبا أعطيتهما حدَّ السيف ، وكفى به ناصرا لحقَّ ، وشافيا لباطل « ثم نزل .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ١٠٢)

(١) الوطْب : سقاء اللبن . (٢) فى الأصل « ويعكسه » وأراه محرفا ، فكسه : قلبه

على رأسه .

١٨٣ - خطبة لعلی

وخطب فقال :

« الحمد لله على كل أمر وحال ، في الغدو والآصال ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، ابتعثه رحمة للعباد ، وحياء للبلاد ، حين امتلأت الأرض فتنة ، واضطرب حيلها ، وعُبد الشيطان في أكنافها ، واشتمل عدو الله إبليس على عقائد أهلها ، فكان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذي أطفأ الله به نيرانها ، وأخذ به شرارها ، ونزع به أوتادها ، وأقام به ميلها ، إمام الهدى ، والنبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، فلقد صدع بما أمر به ، وبلغ رسالات ربه ، فأصلح الله به ذات البين ، وآمن به السبل ، وحقن به الدماء ، وألف به بين ذوى الضغائن الواغرة في الصدور ، حتى أتاه اليقين ، ثم قبضه الله إليه حميدا .

ثم استخلف الناس أبا بكر فلم يأل جهده ، ثم استخلف أبو بكر عمر فلم يأل جهده ، ثم استخلف الناس عثمان ، فقال منكم ونام منه ، حتى إذا كان من أمره ما كان ، أتيتموني لتبايعوني فقلت لا حاجة لي في ذلك ودخلت منزلي فاستخرجتموني ، فقبضت يدي فبسطتموها ، وتداغكنم على حتى ظننت أنكم قاتلي ، وأن بمضكم قاتل بعض ، فبايعتموني وأنا غير مسرور بذلك ولا جذل ، وقد علم الله سبحانه أني كنت كارها للحكومة بين أمة محمد صلى الله عليه وآله ، ولقد سمعته صلى الله عليه وآله يقول : « ما من وائل يلى شيئاً من أمر أمتي إلا أتى به يوم القيامة مغلولاً يده إلى عنقه على رؤوس الخلائق ، ثم يُنشر كتابه ، فإن كان عادلاً نجاً ، وإن كان جائراً هوى » حتى اجتمع على ملوكم ، وبايعني طلحة والزبير ، وأنا أعرف الغدر في أوجههما ، والنكث في أعينهما ، ثم استأذنانى في العمرة فأعلمتهما أن ليس العمرة يريدان ، فسارا إلى مكة واستخفعا نشة وخذاعها ، وشخص معهما أبناء الطلقاء ، فقدِموا البصرة فقتلوا بها المسلمين وفعّلوا المنكر ، ويا عجباً

لاستقامتهما لأبي بكرٍ وعمر وبغيتهما عليّ وهما يعلمان أني لست دون أحدهما ، ولو شئت
أن أقول لقلتُ ، ولقد كان معاوية كتب إليهما من الشام كتاباً يخدعهما فيه ، فكناه
عني ، وخرجا يوهمان الطغمان أنهما يطلبان بدم عثمان ، والله ما أنكرا عليّ منكرا ،
ولا جملا بيني وبينهم نصفا ، وإن دم عثمان لمعصوب بهما ومطلوبٌ منهما ، يا خيبة
الدّاعي لإلام دعا؟ وبماذا أجيب؟ والله لإيهما لعليّ ضلالة صمّاء ، وجهالة عمياء ، وإن
الشیطان قد ذمر لها حزبه ، واستجلب منهما خيله ورّجله ، ليعيد الجور إلى أوطانه ،
ويردّ الباطل إلى نصابه .

ثم رفع يديه فقال : اللهم إنّ طلحة والزبير قطعاني وظلماني وألبا عليّ ، فاحلل
ما عقدا ، وانكث ما أبرما ، ولا تفقر لها أبداً ، وأرهما المساءة فيما عملا وأملا .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ١٠٢)

١٨٤ - خطبة الأشتر

فقام إليه الأشتر فقال :

« الحمد لله الذي منّ علينا فأفضل ، وأحسن إلينا فأجمل ، قد سمينا كلامك
يا أمير المؤمنين ، ولقد أصبت ووفقت وأنت ابن عم نبيّنا ، وصهره ووصيه ، وأوّل
مصدّق به ومصلّ معه ، شهدت مشاهدته كلها ، فكان لك الفضل فيها على جميع الأمة ،
فمن اتبعك أصاب حظّه ، واستبشر بفدّجته^(١) ، ومن عصاك ورغب عنك فإلى أمه الهاوية ،
لعمرى يا أمير المؤمنين ما أسر طلحة والزبير وعائشة علينا بمُخيل^(٢) ، ولقد دخل الرّجلان
فيما دخلا فيه ، وفارقا عليّ غير حدّث أحدثت ولا جور صنعت ، فإن زعما أنهما يطلبان بدم عثمان
فليقيدا من أنفسهما ، فإنهما أوّل من ألب عليه وأغرى النّاس بدمه ، وأشهد الله أنن لم
يدخلا فيما خرّجا منه انلحقنهما بعثمان ، فإن سيوفنا في عواتقنا ، وقلوبنا في صدورنا ، ونحن
اليوم كما كنّا أمس » ثم قعد .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ١٠٢)

(١) الفلج : الفوز . (٢) من أخالت الناقة إذا كان في ضرعها لبن ، والأرض بالنبات ازدانت .

١٨٥ - خطبة السيدة عائشة (توفيت سنة ٥٥٧ هـ)

وخطبت السيدة عائشة وقد أخذ الناس مصافهم للحرب فقالت :

« أما بعد : فإننا كنا نعلمنا على عثمان ضرب السوط ، وإسرة الفتيان ، وموقع السحابة الحمية ، ألا وإنكم استعبتموه فأعتبكم ، فلما مُصتموه (١) كما يخاص الثوب الرّحيض (٢) عدوتم عليه ، فارتكبتم منه دما حراما ، وإيم الله إن كان لأحصنكم فرجا ، وأتقاكم الله . »

(شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٨١)

١٨٦ - خطبة لعلی

وخطب علی لما تواقف الجمعان فقال :

« لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم ، فإنكم محمد الله على حجة ، وكنفكم عنهم حتى يبدءوكم حجة أخرى ، وإذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح ، وإذا هزمتموهم فلا تتبعوا مدبرا ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثلوا بقتيل ، وإذا وصلتكم إلى حال القوم فلا تهتكوا سترا ، ولا تدخلوا دارا ، ولا تأخذوا من أموالهم شيئا ، ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم ، وسببن أمراءكم وصلحاءكم ، فإنهن ضعاف القول والأنفس والعقول ، لقد كنا نؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات ، وإن كان الرجل ليتناول المرأة بالهراوة والجريدة ، فيعير بها وعقبه من بعده »

(شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٨١)

(١) الموص : ذلك باليد . (٢) رخص الثوب كمنعه : غسائه فهو رحيض ومرحوض .

(٢٠ - جمهرة خطب العرب - أول)

١٨٧ - خطبة السيدة عائشة يوم الجمل

وخطبت السيدة عائشة رضی اللہ عنہا أهل البصرة يوم الجمل فقالت :

« أيها الناس : صه صه ، إن لي عليكم حقّ الأُمومة ، وحرمة المؤيظة ، لا يتهمني إلا من عصي ربه ، مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري^(١) ونحري ، فأنا إحدى نسائه في الجنة ، له ادخرني ربي ، وخلصني من كل بضاعة ، وبني مياز منافقكم من مؤمنكم ، وبني أرخص الله لكم في صيد الأَبواء^(٢) ، ثم أبي ثاني اثنين الله ثالثهما وأول من سمي صديقاً ، مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم راضياً عنه ، وطوّقه أعباء الإمامة ، ثم اضطرب حبل الدين بعده ، فسك أبي بطرفيه ، ورتق لكم فتق النفاق ، وأغاض نبع الردّة . وأطفأ ما حش^(٣) يهود ، وأنتم يومئذ جحظ العيون ، تنظرون الغدرة ، وتسمعون الصيحة ، فرأب الثأى^(٤) وأود^(٥) من الغلظة ، وانتاش من الهوة ،

(١) السحر : الرثة . (٢) الصعيد : التراب أو وجه الأرض ، والأبواء : قرية بها قبر آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم ، تشبر إلى ما حدث ببركتها من ترخيص المولى (جل وعلا) للمسلمين في التيمم إذا لم يجدوا ماء يتوضئون به . وفي الحديث : « عن عائشة رضی اللہ عنہا : قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقدي ، فأقام رسول الله على التماسه ، وأقام الناس معه وليسوا على ماء ، فأق الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا ألا ترى ما صنعت عائشة ؟ أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ، وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فجاء أبو بكر ورسول الله قد نام ، فقال حبست رسول الله والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فقالت عائشة فعاقبني أبو بكر ، وقال ما شاء الله أن يقول ، وجعل يطعنني بيده في خصاصرتي ، فقام رسول الله حين أصبح على غير ماء ، فأنزل الله آية التيمم ، فتيمموا ، فقال أسيد بن الحضير (بصيغة التصغير) ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر ، قالت فبعثنا البعير الذي كنت عليه فأصبنا العقد تحته » (راجع الحديث كاملاً في باب التيمم من صحيح البخاري ١ : ٧٠ ، وصحيح مسلم ١ : ١٤٦) . (٣) حش النار : أوقدها . (٤) الثأى والثأى بسكون الهزة وفتحها : الإفساد . (٥) أوده فتأود : عطفه فانعطف .

وَأَجْتَحَى^(١) دَفِينَ الدَّاءِ ، حَتَّى أَعْطَنَ^(٢) الْوَارِدُ ، وَأَوْرَدَ الصَّادِرُ ، وَعَلَّ^(٣) النَّاهِلُ ،
فَقَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَاطَّأَ عَلَى هَامَاتِ^(٤) النِّفَاقِ ، مُذْ كَيًّا^(٥) نَارَ الْحَرْبِ الْمُشْرِكِينَ ، فَانْتَضَمَتْ
طَاعَتِكُمْ بِجَبَلِهِ ، فَوَلَّى أَمْرَكُمْ رَجُلًا مُرْعِيًّا إِذَا رُكِنَ إِلَيْهِ ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ اللَّابَتَيْنِ^(٦) ،
عُرْكَةً لِلْأَذَاةِ بِجَنْبِهِ^(٧) ، صَفُوحًا عَنِ أَذَاةِ الْجَاهِلِينَ ، يَقْظَانُ اللَّيْلَ فِي نَصْرَةِ الْإِسْلَامِ ،
فَسَلَّكَ مَسَلَّكَ السَّابِقَةَ ، فَفَرَّقَ شَمْلَ الْفِتْنَةِ ، وَجَمَعَ أَعْضَادَ مَا جَمَعَ الْقُرْآنَ ، وَأَنَا نَضَبُ الْمَسْأَلَةِ
عَنْ مَسِيرِي هَذَا ، لَمْ أَلْمَسْ إِثْمًا ، وَلَمْ أُوْنِسْ فِتْنَةً أُوطِئْتُكُمْوهَا ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا صِدْقًا وَعَدْلًا ،
وَإِعْذَارًا وَإِنْذَارًا ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدًا ، وَأَنْ يُخَلِّفَهُ فِيكُمْ بِأَفْضَلِ خِلَافَةِ الْمُرْسَلِينَ .»

(العقد الفريد ٢ : ١٥٦ - ٢٢٦)

١٨٨ - خطبة زفر بن قيس

وكتب الإمام على كرم الله وجهه ، مع زفر بن قيس إلى جرير بن عبد الله البجليّ
- وكان على ثغر همدان استعمله عليه عثمان - كتاباً يخبره فيه بما كان بينه وبين أصحاب
الجل ، وما أوتى من الانتصار عليهم ، واستعمال ابن عباس على البصرة ، فلما قدم زفر على
جرير بكتاب علىّ وقرأه جرير ، قام زفر خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إن علياً كتب إليكم بكتاب ، لا نقول بعده إلا رجيعاً^(٨) من
القول ، إن الناس بايعوا علياً بالمدينة غير محاباةٍ ببيعتهم ، لعنه بكتاب الله وبرى الحق

(١) اجتراه : استأصله . (٢) أعطن الإبل : حبسها عند الماء . (٣) العل والعلل : (بفتحبتين)

الشرب بعد الشرب تباعا عل يعل بكسر العين وضماها ، والنهل : أول الشرب نهل ينهل كفرح .

(٤) جمع هامة : وهي الرأس . (٥) مشعلا . (٦) اللابة : الحرة بفتح الحاء (أرض ذات حجارة

نخرة سود) ولايتا المدينة : حرتان تكتنفانها . أرادت أنه واسع الصدر واسع العطن فاستعارت له اللابة ، كما

يقال : رجب الفناء واسع الجناب . (٧) أي يعرك الأذى بجانبه : أي يحتمله. وفي هذه الخطبة تحريف شديد

في الأصل وقد أصلحته كما يتبين بالمراجعة . (٨) الرجيع : كل مردد .

فيه ، وإن طلحة والزبير نَقَضَا بَيْعَةَ عَلِيٍّ عَلَى غَيْرِ حَدَثٍ ، ثُمَّ لَمْ يَرْضِيَا حَتَّى نَصَبَا لَهُ
الْحَرْبَ ، وَالْبَاءُ (١) عَلَيْهِ النَّاسُ ، وَأَخْرَجَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ مِنْ حِجَابِ ضَرْبِهِ اللَّهُ وَرَسُولِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا ، فَلَقِيَهُمَا فَأَعْذَرَ فِي الدَّعَاءِ ، وَخَشِيَ الْبَغْيَ ، وَحَمَلَ النَّاسَ عَلَى
مَا يَعْرِفُونَ ، فَهَذَا عَيَانٌ (٢) مَا غَابَ عَنْكُمْ ، وَإِنْ سَأَلْتُمْ الزِّيَادَةَ زِدْنَاكُمْ .

(الإمامة والسياسة ١ : ٦٩)

١٨٩ - خطبة جرير بن عبد الله البجلي

وقام جرير بن عبد الله البجلي خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« أيتها الناس : هذا كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وهو اللامون على الدين
والدنيا ، وكان من أمره وأمر عدوه ما قد سمعتم ، والحمد لله على أفضيئته ، وقد بايعه
السابقون الأولون ، من المهاجرين والأنصار ، والتابعون بإحسان ، ولو جعل الله هذا الأمر
شورى بين المسلمين لكان عليٌّ أحقَّ بها ، ألا وإن البقاء في الجماعة ، والفناء في الفرقة ،
وَعَلِيٌّ حَامِلُكُمْ مَا اسْتَقَمْتُمْ لَهُ ، فَإِنْ مِلْتُمْ أَقَامَ مَيْلَكُمْ . »
قال الناس : سمعاً وطاعة ، ورضانا رضاً من بعدنا .

(الإمامة والسياسة ١ : ٦٩)

١٩٠ - خطبة زياد بن كعب

وكتب الإمام علي كرم الله وجهه ، إلى الأشعث بن قيس - وكان عاملاً
بأذربيجان ، استعمله عليها عثمان - بمثل ما كتب به إلى جرير بن عبد الله ، ووجه
بالكتاب مع زياد بن كعب ، فلما قرأ الأشعث كتاب علي ، قام زياد بن كعب خطيباً
فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

(١) حرصاً . (٢) مصدر عابن الشيء : إذا رآه بعينه .

« أيها الناس : إنه من لم يكفه القليل ، لم يكفه الكثير ، وإن أمر عثمان لم ينفع فيه العيان ، ولم يشف منه الخبر ، غير أن من سمعه ليس كمن عاينه ، وإن المهاجرين والأنصار بايعوا علياً راضين به ، وإن طلحة والزبير نقضا بيعة علي غير حدث ، وأخرجوا أم المؤمنين علي غير رضا ، فسار إليهم ولم ينلهم ، فتركهم وما في نفسه منهم حاجة فأورثه الله الأرض ، وجعل له عاقبة المتقين » .
(الإمامة والسياسة ١ : ٧٠)

١٩١ - خطبة الأشعث بن قيس

فقام الأشعث بن قيس فقال :

« أيها الناس : إن عثمان رحمه الله ولاني أذربيجان ، وهلك وهي في يدي ، وقد بايع الناس علياً ، وطاعتنا له لازمة ، وقد كان من أمره وأمر عدوه ما قد بلغكم ، وهو المأمون على ما غاب عنا وعنكم من ذلك » .
(الإمامة والسياسة ١ : ٧٠)

١٩٢ - خطبة جرير بن عبد الله البجلي

وبعث علياً إلى معاوية مع جرير بن عبد الله البجلي بكتاب يدعو إلى بيعته ، فلما قرأ الكتاب قام جرير فخطب فقال :

« الحمد لله الحمود بالعوائد ، المأمول فيه الزوائد ، المرتجى منه الثواب ، المستعان على النوائب ، أحده وأستعينه في الأمور التي تحيّر دونها الألباب ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كل شيء هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه ترجعون ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بعد فترة من الرسل الماضية ، والقرون الخالية ، فبلغ الرسالة ، ونصح للامة ، وأدّى الحق الذي استودعه الله وأمره بأدائه إلى أمته ، صلى الله عليه وآله ، من رسول ومبتعث ومنتخب وعلى آله .

أيها الناس إن أمر عثمان قد أعيا من شهده ، فكيف بمن غاب عنه ، وإن الناس بايعوا عليا غير وائر ولا موتور ، وكان طلحة والزبير ممن بايعاه ، ثم نكثنا بيعته على غير حدث ، ألا وإن هذا الدين لا يحتمل الفتن ، وقد كانت بالبصرة أمس روعة مُلمّة ، إن يشفع البلاء بمثلها فلا بقاء للناس ، وقد بايعت الأمة عليا ، ولو ملكنا والله الأمور لم نختر لها غيره ، فادخل معاوية فيما دخل فيه الناس ، فإن قلت استعملني عثمان ثم لم يعزلني فإن هذا قول لو جاز لم يقرم لله دين ، وكان لكل امرئ ما في يديه ، ولكن الله جعل للآخر من الولاة حقّ الأول ، وجعل الأمور موطأة ينسخ بعضها بعضها « ثم قعد .
(شرح ابن أبي الحديد ۱ : ۲۴۸)

۱۹۳ - خطبة معاوية

فقال معاوية : أنظر وتنظر وأستطلع رأي أهل الشام ، فمضت أيام ، وأمر معاوية مناديا ينادي : الصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس صعد المنبر ثم قال :
« الحمد لله الذي جعل الدعائم للإسلام أركاننا ، والشرائع للإيمان برهاننا ، يتوقد قلبه في الأرض المقدسة ، جعلها الله محل الأنبياء والصالحين من عباده ، فأحلهم أرض الشام ، ورضيهم لها ، لما سبق في مكنون علمه من طاعتهم ومناصحتهم خلفاءه والقوام بأمره ، والذابين عن دينه وحرمانه ، ثم جعلهم لهذه الأمة نظاما ، وفي سبيل الخيرات أعلاما ، يردع الله بهم الناكثين ، ويجمع بهم ألفة المؤمنين ، والله نستعين على ما تشعب من أمر المسلمين بعد الانتقام ، وتباعد بعد القرب .

اللهم انصرنا على أقوام يوقظون نائمنا ، ويخيفون آمننا ، ويريدون إراقة دماننا ، وإخافة سبلنا ، وقد علم الله أنا لا نريد لهم عقابا ، ولا نهتك لهم حجابا ، ولا نوطهم زلقا ، غير أن الله الحميد كسانا من الكرامة ثوبالين نزرعه طوعا ، ما جاوب الصدى ، وسقط الندى ، وعرف الهدى ، حملهم على ذلك البغي والحسد ، فنستعين بالله عليهم .

« أيتها الناس قد علمتم أني خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وأمير المؤمنين عثمان ابن عفان عليكم ، وأنى لم أقم رجلا منكم على خزاية قط ، وأنى ولى عثمان وقد قتل مظلوما ، والله تعالى يقول « وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا » وأنا أحب أن تعلمونى ذات أنفسكم فى قتل عثمان .

فقام أهل الشام بأجمعهم فأجابوا إلى الطلب بدم عثمان وبايعوه على ذلك ، وأوثقوا له على أن يبذلوا بين يديه أموالهم وأنفسهم حتى يدركوا بثأره أو تلحق أرواحهم بالله .
(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٤٨)

فتنة معاوية

استطلاع الإمام عليّ كرم الله وجهه آراء أصحابه

وقد أراد المسير إلى الشام

لما أراد الإمام عليّ كرم الله وجهه المسير إلى الشام ، دعا من كان معه من المهاجرين
والأنصار فجمعهم .

١٩٤ - خطبة الإمام عليّ

ثم حمد الله وأثنى عليه ، وقال :
« أما بعد : فإنكم مَيَّامِينُ الرَّأْيِ ، مَرَّاجِيحُ الْحَلْمِ ، مُبَارِكُوا الْأَمْرَ ، مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ ،
وقد عزمنا على المسير إلى عدونا وعدوكم ، فأشيروا علينا برأيكم » .

١٩٥ - خطبة هاشم بن عتبة

فقام هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :
« أما بعد - يا أمير المؤمنين - فأنا بالقوم جِدُّ خَبِيرٍ ، هَمُّ لَكَ وَالْأَشْيَاعُكَ أَعْدَاءُ ،
وهم لمن يطلب حَرْثَ^(١) الدنيا أولياء ، وهم مقاتلوك ومجادلوك ، لَا يُبْقُونَ جُهْدًا ،
مُسَاحَةً^(٢) على الدنيا ، وَضِيئًا^(٣) بما في أيديهم منها ، ليس لهم إِرْزَبَةٌ^(٤) غيرها ،

(١) أي متاعها . (٢) بخلا عليها وحرصا . (٣) ضن ضنا : بالكسر وضنانه بالفتح : بخل .

(٤) الإربة : الأرب .

إِلَّا مَا يَخْدَعُونَ بِهِ الْجَهَّالَ ، مِنْ طَلَبِ دَمِ ابْنِ عَفَّانَ ، كَذَبُوا لَيْسُوا لِدَمِهِ يَنْفِرُونَ^(۱) ،
ولكن الدنيا يطلبون ، انهض بنا إليهم ، فإن أجابوا إلى الحق فليس بعد الحق إلا الضلال ،
وإن أبوا إلا الشقاق ، فذاك ظني بهم ، والله ما أراهم يبايعون ، وقد بقي فيهم أحد ممن
يُطَاعُ إِذَا نَهَى ، وَلَا يَسْمَعُ إِذَا أَمَرَ .

۱۹۶ - خطبة عمار بن ياسر

وقام عمار بن ياسر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :
« يا أمير المؤمنين ، إن استطعت أن لا تقيم يوماً واحداً فافعل ، اشخص بنا قبل
استعمار^(۲) نار الفجيرة ، واجتماع رأيهم على الصدود والفرقة ، وادعهم إلى حظهم ورؤسدهم ،
فإن قبلوا سعدوا ، وإن أبوا إلا حربنا ، فوالله إن سفك دماؤهم ، واجتهد في جهادهم ،
لقربة عند الله ، وكرامة منه . »

۱۹۷ - خطبة قيس بن سعد بن عبادة

ثم قام قيس بن سعد بن عبادة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« يا أمير المؤمنين : انكش^(۳) بنا إلى عدونا ولا تخرج ، فوالله لجهادهم أحب إلى
من جهاد الترك والروم ، لإدهانهم^(۴) في دين الله ، واستذلالهم أولياء الله من أصحاب محمد
صلى الله عليه وآله ، من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، إذا غضبوا على رجل
حبسوه وضربوه وحرّموه وسبّروه^(۵) ، وقبضنا لهم في أنفسهم حلالاً ، ونحن لهم فيما
يزعمون قطين^(۶) . »

(۱) نفر للأمر : ذهب له . (۲) أي اشتعال . (۳) انكش وتكش : أسرع .
(۴) الإدهان : المداينة والغش . (۵) المراد أبعده . (۶) القطين : الرقيق والخدم .

فقال أشياخ الأنصار ، منهم خزيمة بن ثابت وأبو أيوب وغيرها : لِمَ تَقَدَّمْتَ
أشياخ قومك ، وبدأتهم بالكلام يا قيس ، فقال : أما إني عارف بفضلكم ، مُعْظَم
لشأنكم ، ولكنني وجدت في نفسي الضغن الذي في صدوركم ، جاش حين ذكرت
الأحزاب ، فقال بعضهم لبعض : ليقم رجل منكم ، فليُجِيبَ أمير المؤمنين عليه السلام
عن جماعتكم .

١٩٨ - خطبة سهل بن حنيف

فقام سهل بن حنيف ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا أمير المؤمنين : نحن سِلمٌ لمن سالت ، وَحَرْبٌ لمن حاربت ، وَرَأْيُنَا رَأْيُكَ ،
ونحن يمينك ، وقد رأينا أن تقوم في أهل الكوفة ، فتأمرهم بالشخوص ، وتُنْخِبرهم بما صُنِعَ
لهم في ذلك من الفضل ، فإنهم أهل البلد ، وهم الناس ، فإن استقاموا لك ، استقام لك
الذي تريد وتطلب ، فأما نحن فليس عليك خِلاَفٌ منا ، متى دعوتنا أجبتك ، ومتى
أمرتنا أطعناك . »

١٩٩ - خطبة الامام علي

وقام الإمام علي خطيباً على منبره ، يحرض الناس ويأمرهم بالمسير إلى صفين ، لقتال
أهل الشام ، فقال :

« سيروا إلى أعداء الله ، سيروا إلى أعداء القرآن والشَّيْءِ ، سيروا إلى بقية الأحزاب ^(١)
وَقَتَلَةَ المهاجرين والأنصار . »

(١) يشير إلى الأحزاب التي تآلقت وتظاهرت على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ،
وغطفان ، وبنو مرة ، وبنو أشجع ، وبنو سليم ، وبنو أسد في غزوة الأحزاب - غزوة الخندق - التي كانت
سنة خمس للهجرة ، وكانت عدة الجميع عشرة آلاف مقاتل وقائدهم العام أبو سفيان .

فقام رجل من بني فزارة فقال له : أتريد أن تسير بنا إلى إخواننا من أهل الشام
نقتلهم كُلاً ، كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة فقتلتهم كُلاً ؟ ها الله^(۱)
إذن لا نفعل ذلك ، فقام الأشر فقال : من هذا المارق ؟ فهربَ الفزاري ، واشتد الناس
على أثره ، فُلِحِقَ في مَكان من السوق ، تباع فيه البراذين^(۲) ، فوطئوه بأرجلهم ،
وضربوه بأيديهم ونصال سيوفهم ، حتى قُتِلَ ، فأتى عليُّ عليه السلام ، فقيل له :
يا أمير المؤمنين قُتِلَ الرجل ، قال : ومن قتله ؟ قالوا : قتلته همدان ومعهم شوب^(۳)
من الناس ، فقال : قتيل عمية^(۴) لا يدري من قتله ، ديتُه من بيت مال المسلمين ،
فقام الأشر فقال :

۲۰۰ - خطبة الأشر النخعي

« يا أمير المؤمنين لا يهدنك ما رأيت ، ولا يؤلنك من نصرنا ما سمعت من
مقالة هذا الشقي الخائن ، إن جميع من ترى من الناس شيعتك ، لا يرغبون بأنفسهم
عن نفسك ، ولا يحبون البقاء بعدك ، فإن شئت فسِرْ بنا إلى عدوك ، فوالله ما ينجو من
الموت من خافه ، ولا يعطى البقاء من أحبه ، وإنا لعلَى بدينة من ربنا ، وإن أنفسنا
لن تموت حتى يأتى أجلها ، وكيف لا نقاتل قوماً هم كما وصف أمير المؤمنين ، وقد
وثبت عصابهم منهم على طائفة من المسلمين بالأمس ، وباعوا خلاقهم^(۵) بعرض من
الدنيا يسير . »

فقال عليُّ : الطريق مُشْتَرَك ، والناس في الحق سواء ، ومن اجتهد رأيه في نصيحة
العامة ، فقد قضى ما عليه . ثم نزل فدخل منزله .

(۱) هي ها التنبية ، وهي تدخل على اسم الله في القسم عند حذف الحرف ، تقول : ها الله بقطع
الهمزة ووصلها ، وكلاهما مع إثبات ألف « ها » وحذفها . (۲) البراذين : الدواب ، جمع برذون .
(۳) خليط . (۴) قتل عميا بكسر العين والميم مشددة مع تشديد الياء : لم يدر من قتله . (۵) الخلاق :
النصيب الوافر من الخير .

٢٠١ - مقال من ثبطوه عن المسير

ولما أمر الإمام بالمسير إلى الشام ، دخل عليه عبد الله بن المعتم القمبي وحنظلة ابن الربيع التميمي ، في رجال كثير من غطفان وبنى تميم ، فقال له حنظلة :
« يا أمير المؤمنين : إنا قد مشينا إليك في نصيحة فاقبلها ، ورأينا لك رأياً فلا تردنه علينا ، فإنا نظرنا لك ولمن معك ، أقيم وكناب هذا الرجل ، ولا تعجل إلى قتال أهل الشام ، فإنا والله ما ندري ولا تدري لمن تكون الغلبة إذا التقيتم ، ولا على من تكون الدبرة^(١) » .

وقال ابن المعتم مثل قوله ، وتكلم القوم الذين دخلوا معها بمثل كلامهما .

٢٠٢ - رد الإمام عليهم

فحمد علي عليه السلام الله وأثنى ، ثم قال :

« أما بعد : فإن الله وارث العباد والبلاد ، ورب السموات السبع والأرضين السبع ، وإليه ترجعون ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، أما الدبرة ، فإنها على الضالين العاصين ، ظفروا أو ظفروا بهم ، وإني لأسمع كلام قوم ما أراهم يعرفون معروفاً ، ولا ينكرون منكراً » .

فقام إليه معقل بن قيس الرياحي فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن هؤلاء والله ما آثروك بنصح ، ولا دخلوا عليك إلا بغش ،

فاحذرهم ، فإنهم أدبى العدو » .

(١) الدبرة بسكون الباء وفتحها: الغزيمة في القتال .

وقال له مالك بن حبيب : « إنه بلغني يا أمير المؤمنين أن حفظة هذا يكاتب معاوية ، فادفعه إلينا نحبسهُ ، حتى تَنْقِضِي غَزَاتِكَ وتتصرف » .
وقام من بني عبس قائدُ بنُ بكير ، وعَيَّاش بن ربيعة ، فقالا :
« يا أمير المؤمنين ، إن صاحبنا عبد الله بن المعتم قد بلغنا أنه يكاتب معاوية ، فاحبسهُ أو مَكَّنَّا مِنْ حَبْسِهِ ، حتى تَنْقِضِي غَزَاتِكَ ثم تتصرف » .
فقالا : « هذا جزاء لمن نظر لكم ، وأشار عليكم بالرأى فيما بينكم وبين عدوكم ؟ »
فقال لهما عليٌّ عليه السلام : « الله بيني وبينكم وإليه أكلُكم ، وبه أَسْتَظْهَرُ عليكم ، اذهبوا حيث شئتم ^(١) » .

٢٠٣ - خطبة عدى بن حاتم الطائي

وقام عدِيُّ بن حاتم الطائي ، بين يدي عليٍّ عليه السلام ، فحَمِدَ الله ، وأثنى عليه ، وقال :

« يا أمير المؤمنين ، ما قلتُ إلا بعلم ، ولا دَعَوْتُ إلا إلى حق ، ولا أمرتُ إلا بِرُشْدٍ ، ولكن إذا رأيت أن تستأني ^(٢) هؤلاء القوم وتستدبهم ، حتى تَأْتِيَهُمْ كِتَابُكَ ، وَتَقْدَمَ عَلَيْهِمْ رُسُلُكَ ، فَمَلَّتْ ، فإن يقبلوا يُصِيبُوا رُشْدَهُمْ ، والعافية أوسعُ لنا ولهم ، وإن يتمادوا في الشقاق ، ولا يَبْزِعُوا عن النعَى ، نَسِرْ إليهم ، وقد قدَّمنا إليهم العذر ، ودعوناهم إلى مافي أدينا من الحق ، فوالله لهم من الحق أبعدُ ، وعلى الله أهون

(١) هذا ، وقد خرجا إلى معاوية في رجال من قومهما ، ولكنهما لم يقاتلا معه واعتزلا الفريقين جميعا .

(٢) تنتظر .

من قوم قاتلناهم أمسِ بناحية البصرة ، لَمَّا دعوناهم إلى الحق فتركوه ، ناوخنهم بَرَآكَاءِ القتال^(١) ، حتى بلغنا منهم ما نحب ، وبلغ الله منهم رضاه .

٢٠٤ - خطبة زيد بن حصين الطائي

فقام زيد بن حُصَيْن الطائي - وكان من أصحاب البرانس المجتهدين - فقال :

« الحمد لله حتى يَرْضَى ، ولا إله إلا الله رَبُّنَا ، أما بعد : فوالله إن كنا في شك في قتال من خالفنا ، ولا تَصْلُحُ لنا النِّيَّةُ في قتالهم حتى نستديمهم ونستأنبهم ، فما الأعمال إلا تَبَابٌ^(٢) ، ولا السعي إلا في ضلال ، والله تعالى يقول : (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) إننا والله ما ارتبنا طَرْفَةَ عين فيمن يتبعونه ، فكيف بأتباعه القاسية قلوبهم ، القليل من الإسلام حَظُّهم ، أعوان الظلمة ، وأصحاب الجور والعدوان ؟ ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار ، ولا التابعين بإحسان .

فقام رجل من طيِّ فقال : « يا زَيْدُ بنَ حَاصِن ، أكلامُ سيدنا عدى بن حاتم يُهَجَّن^(٣) ؟ » فقال زيد : « ما أتم بأعْرَفَ بحق عَدِيٍّ مني ، ولا كنى لا أدع القول بالحق وإن سَخَطَ الناس . »

٢٠٥ - خطبة أبي زينب بن عوف

ودخل أبو زينب بن عوف على الإمام علي فقال :

« يا أمير المؤمنين ، لئن كنا على الحق لأنت أهدانا سبيلا ، وأعظمتنا في الخير نصيباً ، ولئن كنا على ضلال إنك لأنقلتنا ظمراً^(٤) ، وأعظمتنا وزراً ، قد أمرتنا بالسير

(١) براكاء القتال وبروكاء: موضع اصطدام القوم، وناوخنهم مفاعلة، من أناخ الإبل: إذا أبركها، والمعنى التقينا وإياهم في ساحة القتال. (٢) خسران. (٣) يقبح. (٤) لأنه حينئذ يكون أكثرهم ذنوباً.

إلى هذا العدو ، وقد قطعنا ما بيننا وبينهم من الوِلاية ، وأظهرنا لهم العداوة ، نريد بذلك ما يعلم الله تعالى من طاعتك ، أليس الذي نحن عليه هو الحق المبين ، والذي عليه عدونا هو الحُوب^(١) الكبير ؟ » .

فقال عليه السلام : « بلى ، شهدت أنك إن مَضَيْت معنا ناصراً لدعوتنا ، صحيح النية في نصرنا ، قد قطعت منهم الولاية ، وأظهرت لهم العداوة ، كما زعمت ، فإنك ولي الله تَسْبَح في رضوانه ، وترزُكُض في طاعته ، فأبشِرْ أبا زينب » وقال له عمار بن ياسر : « أثبت أبا زينب ، ولا تشك في الأحزاب أعداء الله ورسوله » فقال أبو زينب : « ما أحبُّ أن لي شاهدين من هذه الأمة ، شهيداً لي عما سألت من هذا الأمر الذي أقمّني مكانكما » .

٢٠٦ - خطبة يزيد بن قيس الأرحبيّ

ودخل يزيد بن قيس الأرحبيّ^(٢) على علي عليه السلام فقال :
« يا أمير المؤمنين : نحن أولو جهاز^(٣) وعدّة ، وأكثرُ الناس أهلَ قوة ، ومَن ليس به ضعف ولا علة ، فمرُّ مُناديك فلينادِ الناس يخرجوا إلى معسكرهم بالثخيلة ، فإن أخوا الحرب ليس بالسثوم ولا النثوم ، ولا مَن إذا أمكنته الفرصُ أجلمها ، واستشار فيها ، ولا مَن يؤخر عمل الحرب اليومَ لغدٍ ، وبعد غد » .

٢٠٧ - خطبة زياد بن النضر

فقال زياد بن النضر :

« لقد نصح لك يزيد بن قيس يا أمير المؤمنين ، وقال : ما يعرف ، فتوكل »

(١) الحوب بالفتح والضم : الإثم . (٢) نسبة إلى أرحب : وهي قبيلة من همدان .
(٣) جهاز المسافر والروس والميت (بالكسر والفتح) ما يحتاجون إليه .

على الله وثق به ، واشخص بنا إلى هذا العدو راشداً معاناً ، فإن يرد الله بهم خيراً لا يتركوك ، رغبةً عنك إلى من ليس له مثل سابقتك وقدمك ، وإلا يُنبئوا ويقتبلوا ، وأبوا إلا حربنا نجد حربهم علينا هيئنا ، وزدو أن يصرعهم الله مصارع إخوانهم ثم^(١) بالأمس .

٢٠٨ - خطبة عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي

ثم قام عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إن القوم لو كانوا ، الله يريدون ، والله يعملون ، ما خالفونا ، ولكن القوم إما يقاتلوننا فراراً من الأسوة^(٢) ، وحُباً للأثرة^(٣) . ووضناً بسطانهم ، وكرهاً لفراق دنياهم التي في أيديهم ، وعلى إحن^(٤) في نفوسهم ، وعداوة يجدونها في صدورهم ، لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قديمة ، قتلت فيها آباءهم وأعوانهم » ثم التفت إلى الناس فقال : « كيف يبائع معاوية علياً ، وقد قتل أخاه حنظلة ، وخاله الوليد ، وجدّه عتبة ، في موقف واحد^(٥) والله ما أظنهم يفعلون ، ولن يستقيموا لكم دون أن تُقصف فيهم قنأ المران^(٦) ، وتقطع على هامهم^(٧) السيوف ، وتثر حواجبهم بعمد الحديد ، وتكون أمور جمة بين الفريقين » .

(١) هناك ، يريد البصرة . (٢) الأسوة بالضم والكسر : القدوة : أي فراراً من أن يكونوا تابعين لك مسودين وأن تكون لهم إماماً وسيداً . (٣) استأثر على أصحابه : اختار لنفسه أشياء حسنة ، والاسم الأثرة . (٤) جمع إحنة ، وهي الحقد والعداوة . أي ويقاتلوننا على إحن : أي من أجلها . (٥) هو جده لأمه عتبة بن أبي ربيعة ، وقد قتلهم على يوم بدر . وفي كتاب بعث به الإمام إلى معاوية يقول : « فأننا أبو حسن قاتل جدك وخالك وأخيك شدخا يوم بدر وذلك السيف معي » . (٦) القنا : الرماح جمع قناة ، والمران : الرماح الصلبة اللدنة الواحدة مرانة ، وشجر ، والإضافة على المعنى الأول على حد قوله تعالى (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) - إن فسر العرم بالمطر الشديد - (وفسر أيضا بالأحباس والسدود تبنى في الأودية ، وبالجرذ ، وبواد جاء السيل من قبله) وعلى المعنى الثاني : أي القنا المتخذة من الشجر . (٧) الهام جمع هامة : وهي الرأس .

۲۹ - أدب الامام علي ، وكرم خلقه

وخرج حُجْرُ بن عَدِيّ ، وعمرو بن الحُمُق ، يُظهِرَان البراءة من أهل الشام ، فأرسل عليّ عليه السلام إليهما أنْ كُفِّمَا عما يبلغني عنكما ، فأتياه فقالا : « يا أمير المؤمنين : ألسنا مُحَقِّقَيْن ؟ » قال : بلى ، قالا : « أو ليسوا مُبْطِلَيْن ؟ » قال : بلى ، قالا : « فَلِمَ مَنَعْتَنَا من شتمهم ؟ » قال :

« كَرِهْتُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا لِعَانِينَ شَتَّامِينَ ، تَشْتُمُونَ وتَبْرَهُونَ ، ولكن لو وصفتم مساوئ أعمالهم فقلتم : من سيرتهم كذا وكذا ، ومن أعمالهم كذا وكذا ، كان أصوبَ في القول ، وأبلغ في العذر ، وقلتم مكان لعنكم إياهم ، وبراءتكم منهم : اللهم احقن دماءهم ودماءنا ، وأصلح ذات بينهم وبيننا ، واهدهم من ضلالتهم ، حتى يعرف الحقَّ منهم مَنْ جَهَلَهُ ، ويرعوى عن الغي والعدوان منهم مَنْ لَهَجَ بِهِ ، لكان أحبَّ إليَّ ، وخيراً لكم . »

فقالا : يا أمير المؤمنين ، نقبل عظمتك ، ونتأدب بأدبك .

۲۱۰ - مقال عمرو بن الحمق

وقال له عمرو بن الحمق يومئذ :

« والله يا أمير المؤمنين ، إني ما أحببتك ولا بايعتك على قرابة بيني وبينك ، ولا إرادة مال تُؤْتِينِيهِ ، ولا التماس سلطان ترفع ذِكْرِي بِهِ ، ولكنني أحببتك بخصال خمسٍ ، إنك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله ، ووصيه ، وأبو الذرية التي بقيت فينا من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأسبق الناس إلى الإسلام ، وأعظم المهاجرين منهم . »

(۲۱ - جمهرة خطب العرب - أول)

فی الجهاد ، ولو أنى كُلفَتْ نُقلَ الجبال الرّواسى ، ونزحَ البحور الطّوامى^(۱) حتى يأتى
عَلَى يومى فى أمرٍ أقوى به وَرَأَيْكَ وأهين عدوك ، ما رأيت أنى قد أدبت فيه كُلاً الذى
يَحِقُّ عَلَى من حَقَّكَ .

فقال على عليه السلام : « اللهم نور قلبه بالتقى ، واهدده إلى صراطك المستقيم ،
ليت أن فى جندى مائة مثلك » فقال حجر : إذن والله يا أمير المؤمنين صح جنديك ، وقل
فيهم من يغشك .

۲۱۱ - مقال حجر بن عدى

وقام حجر بن عدى فقال :

« يا أمير المؤمنين نحن بنو الحرب ، وأهلها الذين نُلَقِّبُهُمْ^(۲) وَنُنْتَجِبُهُمْ ، قد ضارَسْنَا^(۳)
وضارَسناها ، ولنا أعوانٌ وعشيرةٌ ذاتُ عددٍ ، ورأى مجرّبٌ ، وبأس محمود ، وأزيمتُنا ،
منقادة لك بالسمع والطاعة ، فإن شرفقت شرفنا ، وإن غربت غربنا ، وما أمرتنا به من
أمر فعلنا . »

فقال على عليه السلام : أكلُّ قومك يرى مثل رأيك ؟ قال : ما رأيتُ
منهم إلا حسناً ، وهذه يدى عنهم بالسمع والطاعة وحسن الإجابة ، فقال له على
عليه السلام خيراً .

۲۱۲ - مقال هاشم بن عتبة

وقال زياد بن النضر الحارثى لعبد الله بن بُدَيْل الخزاعى :

« إن يومنا ليوم عَصَبُصَبٍ^(۴) ، ما يصبر عليه إلا كلُّ مُشْبَعِ القلب ، صادق النية

(۱) جمع طام ، من طمى البحر : إذا امتلأ . (۲) أصله من القح الفحل الناقة . (۳) ضرسته
الحرب تضربها : جربته وأحكمته ، وضارَس الأمور : جربها وعرفها . (۴) أى شديد .

رابط الجأش ، وإيم الله ما أظن ذلك اليوم يُبقي منهم ولا منا إلا الرُّذَالُ^(۱) » فقال عبد الله بن بديل : أنا والله أظن ذلك ، فبلغ كلامهما علياً عليه السلام ، فقال لهما : « ليكن هذا الكلام مخزوناً في صدوركما ، لا تُظهِراه ، ولا يسمعه منكما سامع ، إن الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين ، وكلُّ آتية مَنِيَّتُهُ كما كتب الله له ، فطوبى للمجاهدين في سبيله ، والمقتولين في طاعته » فلما سمع هاشم بن عتبة ما قالاه أتى علياً عليه السلام فقال :

« سر بنا يا أمير المؤمنين ، إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم ، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، وعملوا في عباد الله ، بغير رضا الله ، فأحلوا حرامه ، وحرّموا حلاله ، واستهوى^(۲) بهم الشيطان ، ووعدهم الأباطيل ، ومنّاهم الأمانى ، حتى أزاغهم عن الهدى ، وقصد بهم قصد الردى ، وحبّب إليهم الدنيا ، فهم يقاتلون على دنياهم رغبةً فيها ، كرهبتنا في الآخرة ، وانتجاز موعده ربنا ، وأنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وآله رحماً ، وأفضل الناس سابقةً وقدماً ، وهم يا أمير المؤمنين يعلمون منك مثل الذى نعلم ، ولكن كتب عليهم الشقاء ، ومالت بهم الأهواء ، وكانوا ظالمين . فأيدينا مبسوطة لك بالسمع والطاعة ، وقلوبنا منشرحة لك ببذل النصيحة ، وأنفسنا تنصرك على من خالفك ، وتولى الأمر دونك ، جذلةً ، والله ما أحب أن لى ما على الأرض فما أقلت^(۳) ، ولا ماتحت السماء فما أظلمت ، وأنى ولىت عدوّاً لك ، وعاديت ولياً لك . »

فقال عليُّ عليه السلام : « اللهم ارزقه الشهادة في سبيلك والموافقة لنبيك » .

(۱) الدون : الخسيس ، أو الردى من كل شيء . (۲) استهوى : استماله والفعل متعد ومفعوله هنا

محذوف : أى استهوى الشيطان أتباعهم بهم — فالجاء للسببية . (۳) أى حملت .

۲۱۳ - خطبة الامام علي

ثم إن علياً عليه السلام صعد المنبر ، فخطب الناس ودعاهم إلى الجهاد ، فبدأ بحمد الله
والثناء عليه ، ثم قال :

« إن الله قد أكرمكم بدينه ، وخلقكم لعبادته ، فانصبوا أنفسكم في أداء حقه ،
وتنجزوا موعوده ، واعلموا أن الله جعل أمراً^(۱) الإسلام متينةً ، وعُراه وثيقةً ،
ثم جعل الطاعة حظاً الأنفس ورضا الرب ، وغنيمَةً الأَكياس^(۲) عند تفريط العَجَزَةِ ،
وقد حملت أمر أسودها وأحمرها ، ولا قوَّةَ إلا بالله ، ونحن سائرون إن شاء الله إلى من
سَفِهَ^(۳) ، نَفْسَهُ وتناول ما ليس له ، وما لا يدركه ، معارِيةً وجنده ، الفئة الطاغية الباغية ،
يقودهم إبليس ، وَيَبْرِقُ لهم ببارق تسويفه ، ويدلِّيهم^(۴) بغيروره ، وأنتم أعلم الناس
بالحلال والحرام ، فاستغنوا بما علمتم ، واحذروا ما حذرَكم الله من الشيطان ، وارغبوا
فيما عنده من الأجر والكرامة ، واعلموا أن المسلوب من سُلِبَ دينه وأمانته ، والمغرور
من آثر الضلالة على الهدى ، فلا أعرفن أحداً منكم تقاعس^(۵) عني ، وقال في غيري
كفاية ، فإن الذرد إلى الذودِ إبل^(۶) : * وَمَنْ لَا يَذُدُّ عَنْ حَوْضِهِ يَتَهَدَّمْ *

ثم إنى أمركم بالشدة في الأمر ، والجهاد في سبيل الله ، وأن لا تغتابوا مسلماً ، وانتظروا
النصر العاجل من الله ، إن شاء الله .

(۱) جمع مرس بفتحتين ، ومرس جمع مرسة بفتحتين أيضاً : وهو الجبل . (۲) جمع كياس : وهو
ضد الأحمق . (۳) أصله سفهت نفسه ، فلما حول الفعل إلى الرجل انتصب ما بعده بوقوع الفعل
عليه لأنه صار في معنى سفه نفسه بالتشديد ، ومثله : رشد أمره وبطر عيشه . (۴) أى يحطهم عن
منزلتهم . قال تعالى : (فدلَّاهمَ بغيرُورٍ) (۵) تأخر وتقاعد . (۶) الذود : ثلاثة أبعرة إلى
العشرة أو خمسة عشر أو عشرين أو ثلاثين وهو مثل : أى إذا جمعت القليل مع القليل صار كثيراً ، فإلى بمعنى مع .

۲۱۴ - خطبة الحسن بن علي

ثم قام بعده ابنه الحسن رضى الله عنه فقال :

« الحمد لله لا إله غيره ، ولا شريك له ، ثم قال : إن مما عظم الله عليكم من حقه وأسبغ عليكم من نعمه ، ما لا يحصى ذكره ، ولا يؤدى شكره ، ولا يبلغه قول ولا صفة ، ونحن إنما غضبنا الله وإسقامكم ، إنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد إلا اشتد أمرهم ، واستحكمت عقدهم ، فاحتشدوا في قتل عدوكم معاوية وجنوده ، ولا تحاذلوا ، فإن الخذلان يقطع نياط القلوب^(۱) ، وإن الإقدام على الأسنة نخوة وعصمة ، لم يتمنع قوم قط إلا رفع الله عنهم العلة ، وكفاهم جوائح الذلة ، وهداهم إلى معالم الملة ، ثم أنشد :

والصلح تأخذ منه ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

۲۱۵ - خطبة الحسين بن علي

ثم قام الحسين رضى الله عنه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا أهل الكوفة : أنتم الأجابة الكرماء ، والشعار^(۲) دون الدثار ، جدوا في إطفاء ما وتر^(۳) بينكم ، وتسهيل ما توغر عليكم ، ألا إن الحرب شرها وربيع^(۴) ، وطعمها

(۱) عرق غليظ نيط به القلب إلى الوتين ، جمعه أنوطة . « والوتين : عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه

جمعه أرتنة . . (۲) الشعار : ما يلبس على شعر الجسد ، والدثار : ما فوق الشعار من الثياب .

(۳) الوتر والتر : الثار ، وتره يره ، ووره حقه : نقصه إياه ، ووتره : أدركه بمكروه .

(۴) الوريح : الكاف . أى إن شرها عظيم يدعو الناس إلى أن يكفوا عن خوض غمارها .

فطيع ، فمن أخذ لها أهبتها ، واستعد لها عدتها ، ولم يألم كلومها^(۱) قبل حلولها ، فذاك صاحبها ، ومن عاجلها قبل أوان فرصتها ، واستبصار سعيه فيها ، فذاك قمن^(۲) أن لا ينفع قومه ، وأن يهلك نفسه ، نسأل الله بقوته أن يدعمكم بالفيئة^(۳) « ثم نزل .
(شرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۲۷۸)

۲۱۶ - خطبة عبد الله بن عباس

وكتب على إلى ابن عباس بالبصرة .

« أما بعد فاشخص إلى بمن قبلك من المسلمين والمؤمنين ، وذكركم بلائى عندهم ، وعفوى عنهم فى الحرب ، وأعلمهم الذى لهم فى ذلك من الفضل والسلام .
فلما وصل كتابه إلى ابن عباس قام فى الناس فقرأ عليهم الكتاب وحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أيها الناس : استعدوا للشخص إلى إمامكم ، وانفروا خفافاً وثقالاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم ، فإنكم تقاتلون المجلين القاسطين ، الذين لا يقرءون القرآن ولا يعرفون حكم الكتاب ، ولا يدينون دين الحق ، مع أمير المؤمنين وابن عم رسول الله ، الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والصادع بالحق ، والقيم بالهدى ، والحاكم بحكم الكتاب ، الذى لا يرتشى فى الحكم ، ولا يدهن الفجار ولا تأخذه فى الله لومة لائم .
(شرح ابن أبي الحديد ۱ : ۲۸۳)

(۱) كلوم : جمع كلم ، وهو الجرح . (۲) جدير وحقيق . (۳) الفيئة : بفتح الفاء وكسرهما ،

والنوء : الغنيمة ، أى نبال الله أن يقويكم بما تمنون من عدوكم .

٢١٧ - خطبة معاوية

ولما نزل على النخيلة متوجها إلى الشام ، وبلغ معاوية خبره ، وهو يومئذ بدمشق قد ألبس منبر دمشق قميص عثمان مخضبا بالدم وحول المنبر سبعون ألف شيخ ليكون حوله لا تجف دموعهم على عثمان خطبهم وقال :

« يا أهل الشام قد كنتم تكذبونني في علي ، وقد استبان لكم أمره ، والله ما قتل خليفتم غيري ، وهو أمر بقتله ، وألب الناس عليه ، وآوى قتلته ، وهم جنده وأنصاره وأعوانه ، وقد خرج بهم قاصدا بلادكم ودياركم لإبادتكم .

يا أهل الشام ، الله الله في دم عثمان فأنا وليه وأحق من طلب بدمه ، وقد جعل الله لولى المقتول ظلما سلطانا ، فانصروا خليفتم المظلوم ، فقد صنع القوم ما تعلمون ، قتلوه ظلما وبغيا ، وقد أمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية حتى تنفيء إلى أمر الله ، ثم نزل . فأعطوه الطاعة وانقادوا له وجمع إليه أطرافه واستعد للاقاء على .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٨٦)

وفد عليّ على معاوية

بعد أن نزل الإمام عليّ كرم الله وجهه بصفين ، دعا بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري ، وسعيد بن قيس الهمداني ، وشبث بن ربعي التيمي ، فقال : ائتوا هذا الرجل ، فادعوه إلى الله ، وإلى الطاعة والجماعة ، فقال له شبث بن ربعي : يا أمير المؤمنين : ألا تطمعه في سلطان توليه إياه ، ومنزلة يكون له بها أثر عندك إن هو بايعك ؟ فقال عليّ : ائتوه فاقوه واحتجوا عليه ، وانظروا ما رأيته ؟ - وهذا في أول ذي الحجة سنة ٣٦ هـ - فاتوه ، ودخلوا عليه .

٢١٨ - خطبة بشير بن عمرو

حمد الله أبو عمرة بشير بن عمرو ، وأثنى عليه وقال :

« يا معاوية : إن الدنيا عنك زائلة ، وإنك راجع إلى الآخرة ، وإن الله عز وجل محاسبك بممالك ، وجازيك بما قدمت يداك ، وإني أنشدك الله عز وجل أن تفرق جماعة هذه الأمة ، وأن نسفك دماءها بينها . »

فقطع عليه الكلام ، وقال : هلا أوصيت بذلك صاحبك ؟ فقال أبو عمرة :

« إن صاحبي ليس مثلك ، إن صاحبي أحق البرية كلها بهذا الأمر ، في الفضل ، والدين ، والسابقة في الإسلام ، والقراية من الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال : فيقول ماذا ؟ قال : يا أمرك بتقوى الله عز وجل ، وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق ، فإنه أسلم لك في دنياك ، وخير لك في عاقبة أمرك . »

قال معاوية : وَنُطِلَ دَمَ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ! لَا وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ أَبَدًا ، فَذَهَبَ
سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ يَتَكَلَّمُ ، فَبَادَرَهُ شَبْثُ بْنُ رَبِيعٍ ، فَتَكَلَّمَ :

۲۱۹ - خطبة شبث بن ربعي

فحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال :

« يا معاوية ، إني قد فهمت ما رددت علي ابنِ مُحْصَنٍ ، إنه والله لا يخفى علينا ما تغزوا
وما تطلب ، إنك لم تجد شيئاً تستغوي به الناس ، وتستميل به أهواءهم ، وتستخلص به
طاعتهم ، إلا قولك : « قَتِلَ إِمَامُكُمْ مَظْلُومًا ، فَنَحْنُ نَطْلُبُ بَدَمَهُ » فاستجاب لك سفهاء
طغام ، وقد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنصر ، وأحببت له القتل ، لهذه المنزلة التي أصبحت
تطلب . ورُبَّ مَتَمَنَى أَمْرٍ وَطَالِبِهِ ، اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَحُولُ دُونَهُ بِقُدْرَتِهِ ، وَرَبِّمَا أُوتِيَ الْمَتَمَنَى
أَمْنِيَّتَهُ ، وَفَوْقَ أَمْنِيَّتِهِ ، وَوَاللَّهِ مَالِكٌ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا خَيْرٌ ، أُنَّ أَخْطَأَتْ مَا تَرْجُو ، إِنَّكَ
لَشَرُّ الْعَرَبِ حَالًا فِي ذَلِكَ ، وَإِنَّ أَصْبَتَ مَا تَتَمَنَّى لَا تَصِيبُهُ حَتَّى تَسْتَحِقَّ مِنْ رَبِّكَ صُليًّا^(۱) ،
النار ، فاتق الله يا معاوية ، ودع ما أنت عليه ، ولا تنازع الأمر أهله . »

۲۲۰ - خطبة معاوية

فحمد الله معاوية وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فإن أول ما عرفتُ فيه سفهك ، وَخِيفَةَ حِلْمِكَ ، قَطَعْتُكَ عَلَى هَذَا الْحَسِيبِ
الشريف سيّد قومه منطقه ، ثم عُنَيْتَ بَعْدُ فِيمَا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ ، فَقَدْ كَذَبْتَ وَوَلَّوْمْتَ^(۲) ،

(۱) صل النار : كرضي ، وصل بها صلياً بكسر الصاد وضمها ، قاسى حرها .

(۲) لومه لوما : عدله ، وألامه ولومه للمبالغة .

أيها الأعرابي الجلف^(١) الجاني ، في كل ما ذكرت ووصفت ، انصرفوا من عندي ، فإنه ليس بيني وبينكم إلا السيف .

وغضب وخرج القوم وشبث يقول : أفعلىنا تهوّل بالسيف ؟ أقسم بالله ليُعْجَلَنَّ بها إليك ، فأتوا علياً ، وأخبروه بالذي كان من قوله ، وأخذ علي يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج معه جماعة ، ويخرج إليه من أصحاب معاربية آخر معه جماعة ، فيقتتلان في خيلهما ورجلها ، ثم ينصرفان ، وكانوا يكرهون أن يلقوا بجمع أهل العراق أهل الشام ، لما يتخوفون أن يكون في ذلك الاستئصال والهلاك .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٤٢)

(١) الجلف : للرجل الجاني .

وفد على عليّ معاوية أيضاً

ولما دخلت سنة ٣٧ هـ توادعا على ترك الحرب في المحرم إلى انقضائه ، طمعاً في الصلح واختلفت فيما بينهما الرسل في ذلك دون جدوى ، فبعث عليّ عدى بن حاتم ، ويزيد بن قيس ، وشبث بن ربعي ، وزياد بن خصفة إلى معاوية .

٢٢١ - خطبة عدى بن حاتم

فلما دخلوا حمد الله عدى بن حاتم ، ثم قال :

« أما بعد : فإننا أتيناك ندعوك إلى أمر يجمع الله عزّ وجلّ به كلمتنا وأمتنا ، ويحقن به الدماء ، ويؤمن به السبل ، ويصلح به ذات البين ، إن ابن عمك سيّد المسلمين ، أفضلها سابقاً ، وأحسنها في الإسلام أثراً ، وقد استجمع له الناس ، وقد أرشدهم الله عزّ وجلّ بالذي رأوا ، فلم يبق أحدٌ غيرك وغير من معك ، فانتبه يا معاوية ، لا يصيبك الله وأصحابك بيومٍ مثل يوم الجمل . »

٢٢٢ - جواب معاوية

فقال معاوية : « كأنك إنما جئت متهدداً ، لم تأت مُصلِحاً ! هيهات يا عدى ، كلاً والله ، إنى لأبئن حرب^(١) ما يقع^(٢) لي بالشنان ، أما والله إنك لمن المُجلبين على

(١) هو جدّه . (٢) القمعة : تحريك النوى اليابس الصلب مع صوت ، والشنان : جمع شن بالفتح ، وهو للقربة البالية ، وإذا قمع بالشنان للإبل نفرت ، وهو مثل يضرب لمن لا يروعه ما لاحقيقة له .

ابن عفان رضى الله عنه ، وإني لأرجو أن تكون ممن بقتل^(۱) الله عز وجل به ، هيئات يا عدى بن حاتم ، قد حلبت بالساعد الأشد^(۲) .

فقال له شبت بن ربي وزياد بن خصفة - وتنازعا جواباً واحداً -

« أتيناك فيما يصلحنا وإياك ، فأقبلت تضرب لنا الأمثال ، دع مالا ينتفع به من القول والفعل ، وأجبنا فيما يعمننا وإياك نفعه » .

۲۲۳ - خطبة يزيد بن قيس

وتكلم يزيد بن قيس فقال :

« إنا لم نأتك إلا لنبلغك ما بعثنا به إليك ، ولنوؤدى عنك ما سمعنا منك ، ونحن - على ذلك - لن ندع أن ننصح لك ، وأن نذكر ما ظننا أن لنا عليك به حجة ، وأنتك راجع به إلى الالفة والجماعة ، إن صاحبنا من قد عرفت وعرف المسلمون فضله ، ولا أظنه يخفى عليك ، إن أهل الدين والفضل لن يعدلوا بعلى ، ولن يميلوا^(۳) بينك وبينه فاتق الله يا معاوية ، ولا تخالف علياً ، فإننا والله ما رأينا رجلاً قط أعمل بالتقوى ، ولا أزهّد في الدنيا ، ولا أجمع بالحصل الخير كلها منه » .

۲۲۴ - خطبة معاوية

فحمد الله معاوية وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد : فإنكم دعوتكم إلى الطاعة والجماعة ، فأما الجماعة التي دعوتكم إليها فمعاوية ،

(۱) أى يقتله . (۲) يعنى بذلك قوة استعداده للقتال وتأهبه له . (۳) التميل بين الشيطان ، كالترجيح بينهما .

وَأَمَّا الطاعة لصاحبكم فإننا لا نراها ، إن صاحبكم قَتَلَ خليفتنا ، وفرَّق جماعتنا ، وآوَى ثَأْرَنَا^(١) وَقَتَلْتَنَا ، وَصَاحِبُكُمْ يزعم أنه لم يقتله ، فنحن لانرد ذلك عليه ، أَرَأَيْتُمْ قَتَلَةَ صَاحِبِنَا ، أَلَسْتُمْ تعلمون أنهم أصحابُ صاحبكم ؟ فليدفعهم إلينا فلنقتلهم به ، ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة .

فقال له شبت : أيسرك يا معاوية أنك أمكِنْت من عَمَّار^(٢) تقتله ؟ فقال معاوية :

(١) الثأر : قاتل حيمك . (٢) هو عمار بن ياسر رضى الله عنه ، أحد السابقين الأولين ، وقد عذبه المشركون في بدء الدعوة الإسلامية فاحتمل العذاب ، وكان يعذب هو وأخوه وأبوه وأمه بالنار ، فر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « صبرا آل ياسر فوعدكم الجنة . اللهم اغفر لآل ياسر » ومراد شبت بهذا القول إحراج معاوية . لقوله عليه الصلاة والسلام لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » : أى إنك يا معاوية إن قتلت عمارا - وكان من أصحاب علي - كنت من الفئة الباغية . وتفصيل الخبر في ذلك ما روته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : « لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده بالمدينة أمر باللبن يضرب وما يحتاج إليه ، ثم قام فوضع رداءه فلما رأى ذلك المهاجرون والأنصار وضعوا أرويتهم وأكسياتهم يرتجزون ويقوون ويعملون .

لئن قعدنا والنبي يعمل ذاك إذن لعمل مضلل

قالت : وكان عثمان بن عفان رجلا نظيفا متظفيا ، فكان يحمل اللبنة ويجاقى بها عن ثوبه ، فإذا وضعها نفص كفيه ، ونظر إلى ثوبه ، فإذا أصابه شيء من التراب نفصه فنظر إليه على رضى الله عنه فأشدد :

لا يستوى من يعمر المساجدا يدأب فيها راكعا وساجدا
وقائما طورا وطورا قاعدا ومن يرى عن التراب حائدا

فسمعها عمار بن ياسر فجعل يرتجزها وهو لا يدري من يعنى ، فسمعه عثمان فقال : يا ابن سمية (وسمية أمه) ما أعرفنى بمن تعرض ، ومعه جريدة ، فقال اتكفن أو لأعرضن بها وجهك ، فسمعه النبي وهو جالس في ظل حائط فقال : « عمار جلدة ما بين عيني وأنى » فن بلغ ذلك منه فقد بلغ منى . وأشار بيده فوضعها بين عينيه فكف الناس عن ذلك ، وقالوا لعمار : إن رسول الله قد غضب فيك ، ونخاف أن ينزل فينا قرآن ، فقال : أنا أرضيه كما غضب ، فأقبل عليه فقال : يا رسول الله مالى ولأصحابك ؟ قال : مالك ولم ؟ قال يريدون فتلى ، يحامون ابنة ويحملون على لبنتين ، فأخذ به وطاف به في المسجد وجعل يمسح وجهه من التراب ويقول « يا ابن سمية لا يقتلك أصحابى ، ولكن تقتلك الفئة الباغية » فلما قتل بصفين ، وروى هذا الحديث عبد الله ابن عمرو بن العاص ، قال معاوية : هم قتلوه ، لأنهم أخرجوه إلى القتل ، فلما بلغ ذلك عليا قال : ونحن قتلنا أيضا حمزة لأننا أخرجناه (العقد الفرید ٢ : ٢٣٧) .

وما يمنعني من ذلك؟ والله لو أمكنت من ابن سميّة ما قتلتُه بعثمان رضي الله عنه ولكن كنت قاتلهُ بناتل مولى عثمان، فقال شيبث:

« وَإِلَهَ الْأَرْضِ وَإِلَهَ السَّمَاءِ ، مَا عَدَلْتُ مَعْتَدِلًا ^(۱) ، لَا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، لَا تَصِلُ إِلَى عَمَّارٍ ، حَتَّى تَنْدُرَ ^(۲) الْهَامُ عَنْ كَوَاهِلِ الْأَقْوَامِ ، وَتَضِيقَ الْأَرْضُ الْفَضَاءَ عَلَيْكَ بِرُحْبَاهَا ^(۳) » فقال له معاوية: « إنه لو قد كان ذلك كانت الأرضُ عليك أضيقَ » وتفرّق القوم عن معاوية، فلما انصرفوا بعث معاوية إلى زياد بن خصفة التميمي فخلا به.

فحمد الله وأثنى عليه، وقال:

« أَمَا بَعْدَ يَا أَخَا رَبِيعَةَ ، فَإِنِ عَلِيًّا قَطَعَ أَرْحَامَنَا ، وَأَوَى قَتَلَةَ صَاحِبِنَا ، وَإِنِي أَسْأَلُكَ النَّصْرَ بِأَمْرَتِكَ وَعَشِيرَتِكَ ، ثُمَّ لَكَ عَهْدُ اللَّهِ جَلًّا وَعِزًّا وَمِيثَاقُهُ أَنْ أَوْلِيكَ إِذَا ظَهَرْتُ ^(۴) أَيَّ الْمَصْرِينَ أَحْبَبْتَ ، قَالَ زِيَادُ: فَلَمَّا قَضَى مَعَاوِيَةَ كَلَامَهُ حَمِدَتِ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا وَأَثْنَيْتَ عَلَيْهِ ثُمَّ قُلْتَ: « أَمَا بَعْدَ فَإِنِّي عَلَى بَيْئَةِ مَنْ رَبِّي ، وَبِمَا أَنْعَمَ عَلَيَّ ، فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا ^(۵) لِلْمَجْرُمِينَ » ثُمَّ قَمَتَ .

(تاريخ الطبري ۶ : ۲)

(۱) أي إنك إذا عدت عمارا بناتل مولى عثمان: أي سويت بينهما لم تكن معتدلا في حكمك .
(۲) ندر الشيء: كنصر ندورا: سقط من جوف شيء أو من بين أشياء فظهر. والهام الرءوس: جمع هامة .
(۳) الرحب بالضم: الاتساع . (۴) أي غلبت وانتصرت . (۵) معينا وناصرًا .

وفد معاوية إلى عليّ

ومث معاوية إلى عليّ حبيب بن مسلمة الفهري ، وشريحبيل بن السمط ، ومعن ابن يزيد بن الأخنس ، فدخلوا عليه .

٢٢٥ - خطبة حبيب بن مسلمة

فحمد الله حبيب وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد فإن عثمان بن عفان رضى الله عنه كان خليفة مَهْدِيًّا ، يعمل بكتاب الله عزَّ وجلَّ ، وَيُنِيبُ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَاسْتَقَلَّمْ حَيَاتِهِ ، وَاسْتَبْطَأْتُمْ وَفَاتِهِ ، فَعَدَّوْتُمْ عَلَيْهِ ، فَقَتَلْتُمُوهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَادْفَعْ إِلَيْنَا قَتْلَةَ عُثْمَانَ - إِنْ زَعَمْتَ أَنْكَ لَمْ تَقْتُلْهُ - نَقْتُلْهُمْ بِهِ ، ثُمَّ اعْتَزَلَ أَمْرَ النَّاسِ ، فَيَكُونُ أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ، يُؤَلِّى النَّاسَ أَمْرَهُمْ مِنْ أَجْمَعٍ عَلَيْهِ رَأْيِهِمْ » .

فقال له عليّ بن أبى طالب : « وما أنت لا أم لك والعزّل ، وهذا الأمر ؟ اسكت ، فإنك لست هناك ، ولا بأهل له » فقام وقال له : « والله لترينى بحيث تكروه » ، فقال عليّ : « وما أنت ولو أجنبت بخيالك ورجلك ؟ لا أبى الله عليك إن أبقيت علىّ ، أَحْقَرَةً^(١) وسوءاً ، أذهب فصوب وصعد ما بدا لك . وقال شرحبيل بن السمط :

(١) فى كتب اللغة : حقره حقرا بفتح الحاء وحقرية بضمها وتشديد الياء ولم أجد كلمة « حقرة » وأرى أنها مثل هزأة وضحكة ، يقال رجل هزأة بضم الهاء وسكون الزاى أى يهزأ به وضحكة كذلك أى يضحك منه ، فالمنى أنكون حقرة أى حقيرا وتوونى سوءا .

لاني إن كلمتك فلمعري ما كلامي إلا مثل كلام صاحبي قبل ، فهل عندك جواب غير الذي أجبت به ؟ فقال علي : نعم لك ولصاحبك جواب غير الذي أجبت به .

٢٢٦ - خطبة علي بن أبي طالب

فحميد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد ، فإن الله جل ثناؤه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق ، فأنتقد به من الضلالة ، وانتاش^(١) به من الهداية ، وجمع به من الفرقة ، ثم قبضه الله إليه ، وقد أدى ما عليه ، صلى الله عليه وسلم ، ثم استخلف الناس أبا بكر رضى الله عنه ، واستخلف أبو بكر عمر رضى الله عنه ، فأحسننا السيرة ، وعدلنا في الأمة ، وقد وجدنا^(٢) عليهما أن تولينا علينا ، ونحن آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففغرنا ذلك لها ، وولى عثمان رضى الله عنه فعمل بأشياء جابها الناس عليه ، فساروا إليه فقتلوه ، ثم أتاني الناس وأنا معتزل^(٣) أمورهم ، فقالوا لي : بايع ، فأبيت عليهم ، فقالوا لي : بايع ، فإن الأمة لا ترضى إلا بك ، وأنا نخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس ، فبايعتهم ، فلم يرعني إلا شقاق رجلين قد بايعاني^(٤) ، وخلاف معاوية الذي لم يجعل الله عز وجل له سابقة في الدين ، ولا سلف صدق في الإسلام ، طليق^(٥) بن طليق ، حزب^(٥) من هذه الأحزاب ، لم يزل الله عز وجل ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وللمسلمين عدواً ، هو وأبوه ، حتى دخلا في الإسلام كارهين ،

(١) انتشل وأخرج . (٢) وجد عليه : غضب . (٣) يعني طلحة والزبير وما كان منهما من الخلف عليه ، وانضمهما إلى السيدة عائشة . (٤) الطلقاء : هم الذين عفا عنهم النبي عليه الصلاة والسلام بعد فتح مكة ، فتمال لهم : اذهبوا فانتم الطلقاء . (٥) حزب بدل من طليق الثاني : أي ابن حزب من هذه الأحزاب التي تألبت وتظاهرت على حربه صلى الله عليه وسلم من قريش ، وغطفان ، وبنى مرة ، وبنى أشجع ، وبنى سليم ، وبنى أسد (في غزوة الأحزاب ، وهي غزوة الخندق سنة ٥ هـ) وكانت عدة الجميع عشرة آلاف مقاتل ، وقادهم العام أبو سفيان .

فلا غرؤ^(۱) إلا خِلافُكم معه ، وانقيادكم له ، وَتَدْعُونَ آلَ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
الذين لا ينبغي لكم شِقَاقُهُمْ ولا خِلافُهُمْ ، ولا أَنْ تَعْدِلُوا بِهِمْ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا ، أَلَا إِنِّي
أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِمَامَةِ الْبَاطِلِ ،
وَإِحْيَاءِ مَعَالِمِ الدِّينِ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ ، وَلِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ،
وَمُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ .

فقالا : « اشهد أن عثمان رضي الله عنه قُتل مظلوماً » فقال لهما : « لا أقول إنه قُتل
مظلوماً ، ولا إنه قتل ظالماً » . قالوا : « فمن لم يزعم أن عثمان قتل مظلوماً ، فنحن منه برآء »
ثم قاما فانصرفا ، فقال علي : « إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ، وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وُلُّوا
مُدْبِرِينَ ، وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ، إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ،
فَهُمْ مُسْلِمُونَ » .

(تاريخ الطبري ۶ : ۴)

(۱) فلا غرؤ : أي لا عجب ، وقوله إلا خِلافُكم معه : أي خِلافُكم علىّ معه ، أو هو « خِلافُكم معه »
بالحاء : أي مخالفتكم له ، ومناصرتكم إياه .

التحريض على القتال من قبل معاوية

٢٢٧ - خطبة عمرو بن العاص (المتوفى سنة ٤٣ هـ)

لما بلغ معاوية أن الإمام علياً (كرم الله وجهه) يجهز الجيوش لقتاله ، دعا عمرو ابن العاص ، فاستشاره ، فقال : « أما إذ بلغك أنه يسير فسر بنفسك ، ولا تغيب عنه برأيك ومكيدتك » . قال : « أما إذا يا أبا عبد الله فجهز الناس » . فجاء عمرو فحضض الناس ، وضعف علياً وأصحابه ، وقال :

« إن أهل العراق قد فرّقوا جمعهم ، وأرهنوا شوكتهم ، وفلّوا حدم ، ثم إن أهل البصرة مخالفون لعليّ ، قد وترهم وقتلهم ، وقد تفانت صنابيرهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل ، وإنما سار في شِرْذِمَةٍ قَلِيلَةٍ ، منهم من قتل خليفتم ، فالله الله في حكم أن تُضَيِّعُوهُ ، وفي دمكم أن تُطَلُّوهُ » .
(تاريخ الطبري ٥ : ٢٣٦)

٢٢٨ - خطبة أخرى لعمرو بن العاص

وخطب عمرو بن العاص قبل الوقفة العظمى بصفين ، يحرض أهل الشام « وقد كان منحنيًا على قوس » فقال :

« الحمد لله العظيم في شأنه ، القوي في سلطانه ، العليّ في مكانه ، الواضح في برهانه ، أحمده على حُسن البلاء ، وتظاهر النعماء ، في كل رَزِيَّةٍ من بلاء^(١) ، أو شدة أو رخاء ،

(١) البلاء : يكون محنة ، ويكون منحة .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، ثم إنا نحتسب عند الله ربّ العالمين ما أصبح في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، من اشتعال نيرانها ، واضطراب حبلها ، ووقوع بأسها بينها ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله ربّ العالمين .

أَوْ لَا تَعْلَمُونَ أَنَّ صَلَاتِنَا وَصَلَاتِهِمْ ، وَصِيَامَنَا وَصِيَامِهِمْ ، وَحُجَّتَنَا وَحُجَّتِهِمْ ، وَقَبْلَتَنَا وَقَبَاتِهِمْ ، وَدِينَنَا وَدِينَهُمْ وَاحِدٌ ؟ وَلَكِنِ الْأَهْوَاءُ مُخْتَلِفَةٌ ، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِمَا أَصْلَحْتَ بِهِ أَوْلَهَا ، وَاحْفَظْ فِيهَا بَيْنَنَا ، مَعَ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ وَطِنُوا بِلَادَكُمْ ، وَبَغَوْا عَلَيْكُمْ ، فَجِدُّوا فِي قِتَالِ عَدُوِّكُمْ ، وَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ، وَحَافِظُوا عَلَى حُرْمَاتِكُمْ^(۱) « ثم جلس .

(شرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۵۰۴)

۲۲۹ - خطبة معاوية بن أبي سفيان يحرص أهل الشام

وقام معاوية في أهل الشام خطيباً ، فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : أَعِيرُونَا جَمَاجِمَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ^(۲) ، لَا تُقْتَلُوا^(۳) ، وَلَا تَتَّخِذُوا^(۴) ، فَإِنَّ الْيَوْمَ يَوْمٌ أَخْطَارٌ ، وَيَوْمٌ حَقِيقَةٌ وَحِفَاطٌ^(۵) ، إِنَّكُمْ لَعَلَى حَقٍّ ، وَبِأَيْدِيكُمْ حُجَّةٌ ، إِنَّمَا تَقَاتِلُونَ مِنْ نَكَاةِ الْبَيْعَةِ ، وَسَفْكَ الدَّمِ الْحَرَامِ ، فَلَيْسَ لَهُ مِنَ السَّمَاءِ عَازِرٌ ، قَدَّمُوا أَصْحَابَ السَّلَاحِ الْمُسْتَلِيمَةَ^(۶) ، وَأَخْرُوا الْحَاسِرَ^(۷) ، وَاجْتَلُوا بِأَجْمَعِكُمْ ، فَقَدْ بَلَغَ الْحَقُّ مَقْطَعَهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ ظَالِمٌ وَمُظْلَمٌ . »

(شرح ابن أبي الحديد ۱ : ۴۸۱)

- (۱) جمع حرمة ، وهي ما لا يجزئ انتهاكها . (۲) أي جودوا برءوسكم ، ولا تبخلوا بنفوسكم على القتل . (۳) في الأصل « لا تقتلوا » على أن الفعل مجزوم بلا الناهية ، وأراد محرفاً ، وإنما هو « لا تقتلوا » مجزوم في جواب الأمر ، أي إن تسخروا ببذل رءوسكم ونفوسكم وتقاتلوا مستبسلين تنجوا من القتل . (۴) في الأصل « ولا تتجادلوا » وأراه مصحفاً عن « ولا تتخاذلوا » أي لتعاونوا ، ولا يتخذل بعضكم بعضاً . (۵) أي يوم محافظة على الأرواح والأهراض والأموال ودفاع عنها . (۶) استلام : لبس اللأمة ، وهي الدرع . (۷) الحاسر : من لا مغفر له ، ولا درع ، أو لا جنة له .

٣٣٠ - خطبة ذى الكلاع الحميرى^(١)

وطلب معاوية إلى ذى الكلاع الحميرى أن يخاطب الناس ، ويحرضهم على قتال على رضى الله عنه ومن معه من أهل العراق ، فعقد فرسه « وكان من أعظم أصحاب معاوية خطراً^(٢) » وخطب الناس فقال :

« الحمد لله حمداً كثيراً ، نامياً واضحاً مُنيراً ، بُكَرَةً وأصيلاً ، أحمده وأستعينه ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وكفى بالله وكيلاً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالعرفان إماماً ، وبالهدى ودين الحق ، حين ظهرت المعاصى ، وَدَرَسَتْ^(٣) الطاعة ، وامتلات الأرض جوراً وضلالة ، واضطربت الدنيا نيراناً وفتنة ، وَوَرِكَ^(٤) عدوُّ الله إبليسُ على أن يكون قد عُبدَ فى أكنافها ، واستولى على جميع أهلها ، فكان محمد صلى الله عليه وآله هو الذى أطفأ الله به نيرانها ، وَنَزَعَ به أوتادها ، وأوهن به قوى إبليس ، وآيسه مما كان قد طَمِعَ فيه من ظفره بهم ، وأظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون .

ثم كان من قضاء الله أن ضمَّ بيننا وبين أهل ديننا بصيفين ، وإنا لنعلم أنَّ فيهم قوماً ، قد كانت لهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله سابقةٌ ذاتُ شأنٍ وخطرٍ عظيم ، ولكنى ضربت الأمر ظهراً وبطناً ، فلم أرَ بسعنى أن يُهدَرَ دَمُ عثمان ، صِهْرُ نبينا صلى الله عليه وآله ، الذى جَهَّز جيش العُسرة^(٥) ، وألحق فى مُصَلَّى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بيتاً ،

(١) هو ذو الكلاع الأصغر سميفع بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن ذى الكلاع الأكبر يزيد بن النعمان وهما من أدواء اليمن . (٢) أى شأنا وقدرا . (٣) اتحت . (٤) ورك على الأمر وروكا: قدر . (٥) وذلك أنه فى غزوة تبوك - وكانت سنة تسع للهجرة - أنفق فى تجهيز المقاتلة من المسلمين عشرة آلاف دينار ، وأعطى ثلاثمائة بغير بأحلاسها وأقتابها (والأحلاس: جمع حلس بالكسر: وهو كساء على ظهر البعير تحت البرذعة . والأقتاب جمع قتب بالتحريك : وهو ما يوضع على سنام البعير) وخمين فرسا، فقال =

وَبَنِي سِقَايَةَ^(۱) ، وَبَايَعَ لَهُ نَبِيُّ اللَّهِ بِيَدِهِ الْيَمْنَى عَلَى الْيَسْرَى^(۲) ، وَاخْتَصَمَهُ بِكَرِيمَتِيهِ أُمِّ كَلْثُومٍ وَرُقِيَّةَ^(۳) ، فَإِنْ كَانَ قَدْ أَذْنَبَ ذَنْبًا ، فَقَدْ أَذْنَبَ مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ، قَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِنَبِيِّهِ : (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) وَقَتَلَ مُوسَى نَفْسًا^(۴) ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللَّهُ

= عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ : « اللَّهُمَّ ارْضُ عَنِ عَثْمَانَ ، فَإِنِّي رَاضٍ عَنْهُ » وَكَانَ ذَلِكَ فِي زَمَنِ عَصْرَةِ النَّاسِ وَجَدَّ بِلَادِ ، وَشَدَّةِ الْحَرِّ ، قَالَ تَعَالَى : « لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ » أَى وَقْتِهَا ، وَهِيَ حَالُهُمْ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ ، ذَكَرُوا أَنَّ الرَّجُلَيْنِ كَانَا يَقْتَسِمَانِ تَمْرَةً ، وَأَنَّ الْعُسْرَةَ كَانُوا يَعْتَقِبُونَ الْبَعِيرَ الْوَاحِدَ . (۱) وَذَلِكَ أَنَّهُ اشْتَرَى بِئْرَ رُومَةَ (بِضْمِ الرَّاءِ : بِئْرٌ بِالْمَدِينَةِ) ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَكَانَ رِشَاؤُهُ فِيهَا كَرِشَاءِ أَحَدِهِمْ ، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « مَنْ حَفَرَ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ » وَأَشْرَفَ عَثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الثَّوَارِ حِينَ حَصَرُوهُ وَمَنَعُوا الْمَاءَ عَنْهُ ، فَقَالَ : أَنْشَدَكُمْ اللَّهُ ، هَلْ عَلِمْتُمْ أَنِّي اشْتَرَيْتُ رُومَةَ مِنْ مَالِي يَسْتَعْذِبُ بِهَا ، فَجَعَلْتُمْ رِشَائِي مِنْهَا كَرِشَاءِ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؟ قِيلَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَشْرَبَ مِنْهَا حَتَّى أَفْطِرَ عَلَى مَاءِ الْبَحْرِ ؟ ثُمَّ قَالَ : أَنْشَدَكُمْ اللَّهُ هَلْ عَلِمْتُمْ أَنِّي اشْتَرَيْتُ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْأَرْضِ ، فَزَدْتَهُ فِي الْمَسْجِدِ ؟ قِيلَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَهَلْ عَلِمْتُمْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ مَنَعَ أَنْ يَصَلِّيَ فِيهِ قَبْلِي ؟ ثُمَّ قَالَ : أَنْشَدَكُمْ اللَّهُ ، هَلْ سَمِعْتُمْ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكَرُ كَذَا وَكَذَا - أَشْيَاءَ فِي شَأْنِهِ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ : مَهَلًا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

(۲) وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَصَدَ إِلَى مَكَّةَ فِي غَزْوَةِ الْحَدِيبِيَّةِ (سَنَةِ سِتِّ لِلْهِجْرَةِ) بَعَثَ عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ إِلَى أَبِي سَفْيَانَ وَأَشْرَافِ قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا لِلْبَيْتِ وَمَعْظَمًا لِحُرْمَتِهِ ، فَخَرَجَ عَثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ وَبَلَغَ الرِّسَالَةَ ، وَاحْتَبَسَتْهُ قُرَيْشٌ عِنْدَهَا ، فَشَاعَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ عَثْمَانَ قَدْ قَتَلَ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : لَا نَبْرَحُ حَتَّى نَنَاجِزَ الْقَوْمَ ، وَدَعَا الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْبَيْعَةِ عَلَى الْمَوْتِ فَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، وَبَايَعَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعَثْمَانَ ، فَضْرَبَ بِيَدِهِ الْيَمْنَى عَلَى يَدِهِ الْيَسْرَى وَقَالَ : هَذِهِ يَدُ عَثْمَانَ .

(۳) تَزَوَّجَ عَثْمَانَ السَّيِّدَةَ رُقِيَّةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَلَمَّا مَاتَتْ جَزَعَ عَثْمَانُ عَلَيْهَا وَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ انْقَطِعْ صَهْرِي مِنْكَ ، قَالَ : إِنْ صَهْرُكَ مِنِّي لَا يَنْقَطِعُ ، وَقَدْ أَمَرَنِي جَبْرِيْلُ أَنْ أَزُوجَكَ أُخْتَهَا بِأَمْرِ اللَّهِ : السَّيِّدَةَ أُمَّ كَلْثُومٍ .

(۴) وَذَلِكَ أَنَّهُ فِي إِبَانَ نَشَاتِهِ بِمِصْرَ دَخَلَ مَدِينَةَ مَنْفٍ ذَاتَ مَرَّةٍ ، فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ قِبْطِيًّا يَسْخُرُ إِسْرَائِيلِيًّا لِيَحْمَلَ حَطْبًا إِلَى مَطْبِخِ فِرْعَوْنَ ، فَاسْتَغَاثَهُ الْإِسْرَائِيلِيُّ ، فَقَالَ مُوسَى الْقِبْطِيُّ : خَلِّ سَبِيلَهُ ، فَقَالَ لَهُ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَحْمِلَهُ عَلَيْكَ ، فَوَكَّزَهُ مُوسَى (أَى ضَرَبَهُ بِجَمْعِ كَفِّهِ) وَكَانَ شَدِيدَ الْقُوَّةِ وَالْبَطْشِ فَقَتَلَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ يَقْصِدُ قَتْلَهُ (وَذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ إِذْ ذَاكَ ابْنَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً) وَقَدْ اغْتَمَّ لِذَلِكَ خَوْفًا مِنْ عِقَابِ اللَّهِ . =

فغفر له ، وقد أذنب نوح (۱) ، ثم استغفر الله فغفر له ، وقد أذنب أبوكم آدم (۲) ، ثم استغفر الله فغفر له ، ولم يعر أحدكم من الذنوب ، وإنا لنعلم . قد كانت لابن أبي طالب سابقة حسنة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإن لم يكن مالا (۳) على قتل عثمان فقد

= ومن اقتصاص فرعون واستغفر الله فغفر له ، وفي ذلك يقول الله تعالى : « وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ، هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ، وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ، فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ، فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ، قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ، قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » (سورة القصص) وقال تعالى : « وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ » (سورة طه)

(۱) يشير إلى ما كان من نوح عليه السلام بشأن ابنه كنعان حين حدث الطوفان ، قال تعالى : « وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ، يَا بُنَيَّ أَرْكَبْ مَعَنَا ، وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ، قَالَ سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ، قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ، وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ » إلى أن قال : « وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي (أى وقد وعدتني بنجاتهم) وَإِنْ وَعَدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ، قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ، قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ، وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ » (سورة هود) .

(۲) وذلك أنه إذ أسكنه الله هو وزوجه حواء الجنة وأباح لهما أن يأكلا من حيث شاءا ، نهاه أن يقرب شجرة عينها له ، فوسوس له إبليس أن يأكل منها فطاعه : وفي ذلك يقول الله تعالى :

« وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ، فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ، وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ أَيْهَامَا وَقَالَ مَا نَهَا كَمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ » . «سورة الأعراف» . (۳) ناصر وشايح .

خذله ، وإنه لأخوه في دينه ، وابنُ عمَّة^(١) ، وسلفه^(٢) ، وابنُ عمته^(٣) ، ثم قد أقبلوا من عراقهم حتى نزلوا شامكم وبلادكم وبيضتكم^(٤) ، وإنما عامتهم بين قاتل وخاذل ، فاستعينوا بالله واصبروا ، فلقد ابتليتم أيتها الأمة ، ولقد رأيت في منامي في ليلتي هذه ، لكاننا وأهل العراقِ أعتورنا^(٥) مُصْحَفًا نضربه بسيوفنا ، ونحن في ذلك جميعا ننادى : وَيَحْكُمُ اللهُ ! ومع أنا والله لانفارق العرصة^(٦) حتى نموت ، فعليكم بتقوى الله ، وليكن الثبات لله ، فإني سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « إِنَّمَا يُبْعَثُ الْمُقْتَلُونَ عَلَى الثَّبَاتِ » أفرغ الله علينا وعليكم الصبر ، وأعزنا لنا ولكم النصر ، وكان لنا ولكم في كل أمر ، وأستغفر الله لي ولكم .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨٤)

٢٣١ - خطبة يزيد بن أسد البجلي

وقام يزيد بن أسد البجلي في أهل الشام يخطب الناس بصفين ، وعليه قبالة من خزر وعمامة سوداء ، آخذاً بقائم سيفه ، واضعاً نصل السيف في الأرض متوكئاً عليه ، فقال :

« الحمد لله الواحد الفرد ، ذي الطول^(٧) والجلال ، العزيز الجبار ، الحكيم الغفار ، الكبير المتعال ، ذي العطاء والفعال^(٨) ، والسخاء والنوال ، والبهاء والجمال ، والمن

(١) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وعلى بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف . (٢) السلف (بفتح فكسر وبكسر فسكون) من الرجل : زوج أخت امرأته وقد علمت أن عثمان تزوج السيدة رقية أخت السيدة فاطمة زوج الإمام علي . (٣) أم عثمان هي أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم عمه النبي صلى الله عليه وسلم . (٤) البيضة : ساحة القوم . (٥) اعتوروا الشيء : تداولوه . (٦) العرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء . (٧) الطول : الفضل والقدرة والغنى . (٨) الفعال : اسم الفعل الحسن ، والكرم .

والإفضال ، مالكِ اليوم الذي لا يَبِيعُ فيه^(١) ولا خِلال^(٢) ، أحمده على حسن البلاء ،
وتظاهر النعماء ، وفي كل حال من شدة أورشاء ، أحمده على نعمه القوام ، وآلائه
العظام ، حمداً يستنير بالليل والنهار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كلمة
النَّجاة في الحياة الدنيا وعند الوفاة ، وفيها الخلاص يوم القصاص ، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله النبي المصطفى ، وإمام الرحمة والهدى ، صلى الله عليه وآله .

ثم كان من قضاء الله أن جمعنا وأهل ديننا في هذه الرقعة من الأرض ، والله يعلم أني
كنت كارهاً لذلك ، ولكنهم لم يباعدونا ريقنا ، ولم يتركونا نرتاد لأنفسنا ، وننظر لمعادنا ،
حتى نزلوا بين أظهرنا ، وفي حريمنا وبيضتنا^(٣) ، وقد علمنا أن في القوم أحلاماً
وطعاماً^(٤) ، ولسنا نأمن طعامهم على ذرارينا ونسائنا ، ولقد كنا نحب أن لا نقاتل أهل ديننا ،
فأخرجونا حتى صارت الأمور إلى أن قاتلناهم عدا حمية^(٥) ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ،
والحمد لله رب العالمين .

أما والذي بعث محمداً بالرسالة لَوَدِدْتُ أني مِتُّ منذ سنة ، ولكن الله إذا أراد أمراً
لم يستطع العباد رده ، فذستمين بالله العظيم ، وأستغفر الله لي ولكم .
(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨٥ والأغانى ١٩ : ٥٥)

(١) لا يبيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره ، أو يفدى به نفسه . (٢) الخلال والمخالة مصدر
خال : المصادقة ، أي ولا مخالة فيه فيشفع لك خليلك . (٣) البيضة : ساحة القوم . (٤) الحلم
بالكسر : الأناة والعقل ، وهو حلم والجمع حلماء وأحلام ، والطعام : أوغاد الناس . (٥) الحمية :
الأنفة (وفي الأصل غدا ، وأرى صوابه عدا أي أعداء) .

التحريض على القتال

من قبل الإمام عليّ أيضاً

٢٣٢ - خطبة الإمام علي

وخطب الإمام عليّ كرم الله وجهه أصحابه ، متوكئاً على قوسه ، وقد جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عنده فهم يُلُونَهُ - كأنه أحبّ أن يعلم الناس أن الصحابة متوافرون معه - فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد : فإنّ الخيلاء ^(١) من التجبر ، وإنّ النخوة ^(٢) من التكبر ، وإنّ الشيطان عدوٌّ حاضرٌ ، يعدُّكم الباطل . ألا إنّ المسلم أخو المسلم ، فلا تنابذوا ، ولا تحاذلوا ، ألا إنّ شرائع الدين واحدة ، وسبيلُه قاصدة ^(٣) ، من أخذ بها لحق ^(٤) ، ومن فارقه محق ^(٥) ، ومن تركها مرق ^(٦) ، ليس المسلم بالخائن إذا أوثمن ، ولا بالخلف إذا وعد ، ولا بالكذاب إذا نطق ، نحن أهل بيت الرّحمة ، وقولنا الصّدق ، وفعلنا الفضل ، ومنا خاتم النبيين ، وفينا قادة الإسلام ، وفينا حملة الكتاب ، ألا إنا ندعوكم إلى الله ، وإلى رسوله ، وإلى جهاد عدوه ، والشدة في أمره ، وابتغاء مرّضاته ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزّكاة ، وحجّ البيت ، وصيام شهر رمضان ، وتوفير النّفية على أهله . ألا وإنّ من أعجب

(١) الخيلاء : الكبر . (٢) النخوة : الافتخار والتعظيم . (٣) القصد : استقامة الطريق .

(٤) أي أدرك رضا الله وثوابه . (٥) محقه : محاه ، ومحق الله الشيء ذهب ببركته . (٦) أي

خرج عن الدين ، وأصله من مرق السهم من الرمية مروقا : إذا خرج من الجانب الآخر .

العجائب أن معاوية بن أبي سفيان الأموي ، وعمرو بن العاص السهمي ، أصبحا
يُحَرِّضَانِ النَّاسَ عَلَى طَلَبِ الدِّينِ بِزَعْمِهِمَا ، وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي لَمْ أَخَالَفْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ قَطُّ ، وَلَمْ أُعْصِهِ فِي أَمْرٍ ، أَقْبَهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي يَنْكُصُ^(١) فِيهَا الْأَبْطَالُ
وَتُرْعَدُ فِيهَا الْفَرَاثِصُ^(٢) ، بِنَجْدَةِ أَكْرَمِنِي اللَّهُ سَبْحَانَهُ بِهَا وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَلَقَدْ قُبِضَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَإِنَّ رَأْسَهُ لَفِي حِجْرِي ، وَلَقَدْ وَايَتِ غُسْلَهُ بِيَدِي وَخَدِي
تَقَلَّبَهُ الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ مَعِي ، وَإِيمَ اللَّهِ مَا اخْتَلَفَتْ أُمَّةٌ قَطُّ بَعْدَ نَبِيِّهَا ، إِلَّا ظَهَرَ
أَهْلُ بَاطِلِهَا عَلَى أَهْلِ حَقِّهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ . (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨١)

٢٣٣ - خطبة أخرى له

وروى أن الإمام علياً قال في هذه الليلة : حتى متى لا نناهض القوم بأجمعنا ؟ فقام
في الناس فقال :

« الحمد لله الذي لا يُبْرَمُ ما نَقَضَ ، ولا يُنْقَضُ ما أبرم ، لو شاء ما اختلف اثنان من
هذه الأمة ، ولا من خلقه ، ولا تنازع البشر في شيء من أمره ، ولا جحد المفضول
ذا الفضل فضله ، وقد ساقطنا وهو لاء القوم الأقدار ، حتى لَفَّتْ بيننا في هذا الموضع ،
ونحن من ربنا بمرءى ومسمع ، ولو شاء لعَجَّلَ النِّقْمَةَ ، ولكان منه النصر ، حتى يكذب
الله الظالم ، ويعلم المحق أين مصيره ، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال ، والآخرة دار الجزاء
والقرار ، « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى » ألا إنكم
لأقو العدو غداً إن شاء الله ، فأطيلوا الليلة القيام ، وأكثروا تلاوة القرآن ، واسألوا الله
الصبر والنصر ، والقوهُم بِالْحَدِّ وَالْحَزْمِ ، وكونوا صادقين . »

(شرح ابن أبي الحديد م ١ ص ٤٨١ وتاريخ الطبري ٧: ٦)

(١) نكص عن الأمر : أحجم عنه .

(٢) جمع فريضة ، وهي لحة بين الجنب والكتف لاتزال ترعد .

٢٣٤ - ومن كلام له كرم الله وجهه

كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين

« معاشِرَ المسلمين : اسْتَشْعِرُوا ^(١) الْخَشْيَةَ ، وَتَجَلَّبَبُوا السَّكِينَةَ ، وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِدِ ^(٢) ، فَإِنَّهُ أَنْبَى السِّيُوفِ عَنِ الْهَامِ ^(٣) ، وَأَكْمَلُوا اللَّأْمَةَ ^(٤) ، وَقَلَقُوا السِّيُوفَ فِي أَعْمَادِهَا ، قَبْلَ سَلِّهَا ^(٥) ، وَالْحَظُّوا الْخَزَرَ ^(٦) ، وَاطْمَعَنُوا الشَّرَرَ ^(٧) ، وَنَافَحُوا بِالظُّبَا ^(٨) ، وَصَلُّوا السِّيُوفَ بِالْخَطَا ، وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ بَعَيْنُ ^(٩) اللَّهِ ، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَعَاوَدُوا الْكِرَّ ، وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ ، فَإِنَّهُ عَارٌّ فِي الْأَعْقَابِ ، وَنَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ، وَطَيَّبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا ، وَامشَوْا إِلَى الْمَوْتِ مَشْيًا سَجْدًا ^(١٠) ، وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ ^(١١) الْأَعْظَمِ ، وَالرَّوَاقِ الْمُطَنَّبِ ^(١٢) ، فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ ^(١٣) ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ ^(١٤) ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَدَا ، وَأَخَّرَ لِلنَّكَوْصِ رِجْلَا ، فَصَمَدًا صَمَدًا ^(١٥) ، حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ ، وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ ، وَإِنْ يَتَرَكُمْ ^(١٦) أَعْمَالِكُمْ .
(نهج البلاغة ١ : ٥٧)

- (١) استشعر : لبس الشعار وهو ما يلبس البدن من الثياب . وتجلبب : لبس الجلباب ، والمراد : لازموا الخشية والسكينة . (٢) النواجذ جمع ناجذ : أقصى الأضراس ، ويعض المرء نواجذه حين يشتد غيظه ، والمراد : استجمعوا كل قوتكم . (٣) فإنه : الضمير فيه يعود على المصدر المفهوم من الفعل السابق : أى فإن العض على النواجذ أنبى للسيوف ، أى أدعى إلى نبوها عن رهوسكم ، نبا السيف عن الضريبة : كل ، والهام : الرهوس جمع هامة . (٤) اللأمة : الدرع ، ويجوز أن يعبر بالألأمة عن جميع أدوات الحرب ، يريد أكلوا السلاح . (٥) مخافة أن تستعصى عن الخروج وقت سلها . (٦) الخزر : النظر في أحد الشقين ، وتلك أمانة الغضب . (٧) الطعن في الجواب يمينا وشمالا . (٨) نافحوا : كافحوا وضاربوا ، والظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف . (٩) أى ملحوظون بها . (١٠) اللين : السهل . (١١) العدد الكثير . يعنى جمهور أهل الشام . (١٢) الرواق : بكسر الراء وضمها الفسطاط ، يريد به مضرب معاوية المطنب ، أى المشدود بالأطناب (جمع طناب بضمين ، وهو الحبل) وكان معاوية في مضرب عليه قبة عالية وحوله صناديد أهل الشام . (١٣) أى وسطه . (١٤) جانبه . (١٥) الصمد : القصد ، صمده من باب نصر قصده . (١٦) لن ينقصكم منها شيئا .

٢٣٥ - خطبة أخرى للإمام

وخطب الإمام على ذلك اليوم أيضاً ، فقال :

« أيها الناس : إن الله تعالى ذِكرُهُ ، قد دلكم على تجارة تُنجيكم من العذاب ،
وَتُشْفِي^(١) بكم على الخير ، إيمانٍ بالله ورسوله ، وجهادٍ في سبيله ، وجعل ثوابَهُ مغفرة
الذنوب ، وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ، وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ، وَأَخْبَرَكم بالذي
يُحِبُّ فَقَالَ : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ، كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرَّصُونَ)
فسوؤوا صفوفكم كالبنيان المرصوص ، وقدموا الدارع ، وأخروا الحامر ، وعصوا على
الأضراس ، فإنه أنبي للسيوف عن الهام ، وأربط للجأش ، وأسكن للقلوب ، وأميتوا
الأصوات ، فإنه أطرِد للفشل ، وأولى بالوقار ، والتوؤوا في أطراف الرماح ، فإنه أمور^(٢)
للأسيئة ، ورايتكم فلا تُميلوها ، ولا تُزِيلوها ، ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم ، المانعي
الذمار^(٣) ، والصبر عند نزول الحقائق ، أهل الحفاظ الذين يخفرون^(٤) برايتكم ويكفونها
يضربون خلفها وأمامها ، ولا يُضيعونها ، أجزاء كل امرئ مسلم قرنه^(٥) ، وواسي
أخاه بنفسه ، ولم يكل قرنه إلى أخيه ، فيجمع عليه قرنه وقرن أخيه ، فيكسب بذلك
اللائمة ، ويأتي به دناءة ، أتى هذا ، وكيف يكون هذا ؟ هذا يقاتل اثنين ، وهذا
مُمسِكٌ يَدَهُ ، قد خَلَّى قرنه إلى أخيه هارباً منه ، أو قائماً ينظر إليه ؟ من يفعل هذا
مقتة الله ، فلا تعرّضوا لقت الله ، فإنما مردُّكم إلى الله ، قال الله تعالى لقوم عابهم :
(لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ، وَإِذَنْ لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا

(١) أشق عليه : أشرف . (٢) اسم تفضيل من مار ، سهم مائر : أي خفيف نافذ داخل في الأجسام .

(٣) مايلزمك حفظه وحمايته . (٤) خفروه وبه وعليه يخفرون بكسر الفاء وضمها : أجاره ومنه وآمنه .

(٥) القرن : كفؤك في الشجاعة (أو عام) وأجزاء : أغناه وكفاه .

قليلاً) وإيم الله إن فررتم من سيف الله العاجلة ، لا تسلمون من سيف الآخرة ، استعينوا بالصدق والصبر ، فإنه بعد الصبر يُنزل النصر .

(شرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۴۸۳ وتاريخ الطبري ۶ : ۹)

۲۳۶ - خطبة للإمام عليّ

وصرّ الإمام عليّ كرم الله وجهه على جماعة من أهل الشام ، فيها الوليد بن عُقبة وهم يشتمونه ، فخبر بذلك ، فوقف فيمن يليهم من أصحابه ، فقال :

« انهدوا^(۱) إليهم ، عليكم السكينة والوقار ، وقار الإسلام وسيمى الصالحين ، فوالله لأقرب قوم من الجهل فائدهم ومؤذنيهم^(۲) معاوية وابن النابغة^(۳) وأبو الأعور السلمي ، وابن أبي معيط ، شارب الخمر ، المجلود حدا في الإسلام ، وهم أولى من يقومون فينقصوني ويحذبوني^(۴) ، وقبل اليوم ماقاتلوني ، وأنا إذ ذاك أدعهم إلى الإسلام ، وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام ، الحمد لله ، قديماً عاداني الفاسقون ، فعبدتهم^(۵) الله ، ألم يفتخروا^(۶) ؟ إن هذا هو الخطب الجليل ، إن فساقاً كانوا غير مرّضيين ، وعلى الإسلام وأهله متخوفين ، خدعوا شطر هذه الأمة ، وأشرّبوا قلوبهم حبّ الفتنة ، واسمألوا أهواءهم بالإفك والبهتان ، قد نصبوا لنا الحرب في إطفاء نور الله عز وجل ، اللهم فافضض خدمتهم^(۷) ،

(۱) نهد الرجل : نهض ، ونهد لعدوه : صمد له . (۲) الأذنين والمؤذن : الزعيم . (۳) هو عمرو بن العاص ، والنابغة : لقب أمه سلمى بنت حرمة . (۴) الجذب بالتسكين : العيب . (۵) ذلهم : المعبد : المذل من الطريق وغيره . (۶) ألم يفتخروا : ألم يفتخروا (وهو تصحيف) . (۷) يقال فض الله خدمتهم أي فرق جماعتهم ، الخدمة بالتحريك سير غليظ مضمفور مثل الحلقة يشد في رسغ البعير ، ثم يشد إليه سرائح النعل (أي سيورها : جمع سريحة) فإذا انقضت الخدمة انحلت السرائح وسقطت النعل ، ففرض ذلك مثلاً لذهاب ما كانوا عليه وتفرقه ، وشبه اجتماع أمرهم واتساقه بالحلقة المستديرة .

وشتت كلمتهم ، وأبسلهم^(١) بخطاياهم ، فإنه لا يبدل من واليت ، ولا يعز من عاديت ،
(تاريخ الطبري ٦ : ٢٤)

٢٣٧ - خطبة أخرى له

ومرّ بأهل راية ، فرآهم لا يزولون عن موقفهم ، فخرّض عليهم الناس - وذكّر
أنهم غسان - فقال :

« إن هؤلاء ان يزولوا عن موقفهم دون طعن دراك^(٢) ، يُخرج منهم النسم^(٣) ،
وضرب يُفلق منه الهام^(٤) . ويطيح^(٥) العظام ، وتسقط منه المعاصم^(٦) والأكف .
وحتى يصدع جباههم بعمد الحديد ، وتنتشر حواجبهم على الصدور والأذقان ، أين أهل
الصبر ، وطلاب الأجر ؟ » .
(تاريخ الطبري ٦ : ٢٥)

٢٣٨ - خطبة عبد الله بن عباس

وخطب عبد الله بن عباس أهل العراق بصفين ، فقال :

« الحمد لله رب العالمين ، الذي دحا^(٦) تحتنا سبعا ، وسمك^(٧) فوقنا سبعا ، وخلق فيما
بينهن خلقا ، وأنزل لنا منهن رزقا ، ثم جعل لكل شيء قدرا ، يبلى ويفنى ، غير وجهه
الحى القيوم ، الذى يحيا ويبقى .

(١) أبسله : أسلمه للهلكة ، أى أهلكهم . (٢) جمع نسمة ، وهى نفس الروح (بفتح الفاء)
ثم سميت بها النفس (بالسكون) . (٣) جمع هامة ، وهى الرأس . (٤) يصح أن يكون مضارع
طيح بالتشديد : طيح بثوبه : رمى به فى مضيعة ، وطيح الشيء : ضيعه ، وأن يكون مضارع أطاح : أطاح
شعره أسقطه ، والشيء أفناه وأذهب ، وأن يكون مضارع طاح : طاح يطوح ويطوح هلك ، أو أشرف على
الملاك وذهب وسقط وتاه فى الأرض . (٥) جمع معصم بكسر الميم ، وهو موضع السوار أو اليد .
(٦) دحا الله الأرض يدحوها ويدحاهها : بسطها . (٧) أى رفع .

إن الله تعالى بعث أنبياء ورُسُلًا ، فجعلهم حُجَجًا على عباده عُذْرًا وَنُذْرًا^(۱) ، لا يُطَاعُ إلا بعلمه وإذنه ، يَمُنُّ بالطاعة على من يشاء من عباده ، ثم يُثيب عليها ، وَيُعصِي بعلم منه ، فيعفو ويغفر بحلمه ، لا يُقَدِّر قدره ، ولا يَبْلُغُ شيء مكانه ، أحصى كل شيء عدداً ، وأحاط بكل شيء علماً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام الهدى والنبي المصطفى .

وقد ساقنا قَدْرُ اللهِ إلى ما تَرَوْنَ ، حتَّى كان مما اضطرب من حبل هذه الأمة ، وانتشر من أمرها ، أن معاوية بن أبي سفيان وجد من طغَام الناس أعواناً على ابن عمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وَصِهره ، وأوَّلِ ذَكَرِ صَلَّى مَعَهُ ، بَدْرِي^(۲) قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله كلَّ مَشَاهِدِهِ التي فيها الفضل ، ومعاوية مُشْرِكٌ كان يعبد الأصنام ، والذي ملك الملك وحده ، وبان به وكان أهله ، لقد قاتل على بن أبي طالب عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : صدق الله ورسوله ، ومعاوية يقول : كذب الله ورسوله : فعليكم بتقوى الله ، وَالجِدِّ والحزم والصبر ، والله إنا لنعلم إنكم لَعَلَى حق ، وإن القوم لعلى باطل ، فلا يكوننَّ أولى بالجِدِّ على باطلهم منكم في حقكم ، وإنا لنعلم أن الله سيعذبهم بأيديكم أو بأيدي غيركم ، اللهم أعِنَّا ولا تخذُلْنَا ، وانصرنا على عدونا ، ولا تَحُلْ عَنَّا ، وافتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين .

(شرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۵۰۴)

(۱) هما مصدران : عذره يعذره عذرا بضم فسكون وبضمحين وأنذره إنذارا ونذرا بضم فسكون وبضميتين : أو جمعان : العذر بضميتين جمع عذير وهو العاذر ، والنذر بضميتين جمع نذير وهو المنذر .

(۲) أي حضر غزوة بدر الكبرى التي نشبت بين رسول الله عليه الصلاة والسلام وبين مشركي قريش في السنة الثانية للهجرة .

۲۳۹ - خطبة عبد الله بن بديل الخزاعي

وقام عبد الله بن بديل الخزاعي في أصحابه فخطبهم ، فقال :
« إن معاوية ادعى ما ليس له ، ونازع الأمر أهله ، ومن ليس مثله ، وجادل بالباطل ،
ليُدْحِضَ^(۱) به الحق ، وصال عليكم بالأعراب والأحزاب ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الضلالة ، وزرع في
قلوبهم حبَّ الفتنة ، وَلَبَسَ^(۲) عليهم الأمور ، وزادهم رِجْسًا^(۳) إلى رِجْسِهِمْ ، وأنتم
والله على نور وبرهان ، قاتلوا الطَّغَامَ الجفأة ، قاتلوهم ولا تخشوهم ، وكيف تخشونهم ؟
وفي أيديكم كتابٌ من ربكم ظاهر مُبين ، قوله سبحانه : (اتَّخَشَوْهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ
تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَنْهَرُكُمْ عَلَيْهِمْ
وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) لقد قاتلتهم مع النبي صلى الله عليه وآله ، والله ما هم في هذه
بأزكى ولا أتقى ولا أبر ، انهضوا إلى عدو الله وعدوكم ، بارك الله عليكم .
(شرح ابن أبي الحديد ۱ : ص ۴۸۳ و تاريخ الطبري ۶ : ۹)

۲۴۰ - خطبة أبي الهيثم بن التيهان

وكان أبو الهيثم بن التيهان يسوي صفوف أهل العراق ، ويقول :
« يامعشر أهل العراق ، إنه ليس بينكم وبين الفتح في العاجل ، والجنة في الآجل .
إلا ساعة من النهار ، فأرْسُوا أقدامكم ، وسوُّوا صفوفكم ، أعيروا ربكم جماجمكم ،
واستعينوا بالله إلهكم ، وجاهدوا عدو الله وعدوكم ، واقتلوهم قتلهم الله وأبادهم . واصبروا
فإنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ .
(شرح ابن أبي الحديد ۱ : ص ۴۸۴)

(۱) دحضت الحجة : بطلت ، وأدحضتها : أبطلتها .

(۲) التلبس : التخليط .

(۳) الرجس : القدر والمأثم ، وكل ما استقدر من العمل ، والعمل المؤدى إلى العذاب .

۲۴۱ - خطبة للإمام عليّ

وخطب عليّ عليه السلام بصفين أيضاً فقال :

« الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع من خلق من البرّ والفاجر ، وعلى حُجّجه البالغة على خلقه من أطاعه منهم ومن عصاه ، إن يرّحم فيفضله ومنه ، وإن عذب بما كسبت أيديهم ، وإن الله ليس بظلامٍ للعبيد . أحمدهُ على حسن البلاء ، وتظاهر النعماء ، وأستعينهُ على ما نابنا من أمر الدنيا والآخرة ، وأتوكلُ عليه ، وكفى بالله وكيلاً . ثم إنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ارتضاه لذلك وكان أهله ، واصطفاه لتبليغ رسالته وجعله رحمة منه على خلقه . فكان علمه فيه رءوفاً رحياً ، أكرم خلق الله حسباً ، وأجملهم منظرأً ، وأسخاهم نفساً ، وأبرهم لوالد ، وأوصلهم لرحم ، وأفضلهم علماً ، وأثقلهم حِملاً ، وأوفاهم لعهد ، وآمنهم على عقد ، لم يتعلق عليه مسلم ولا كافر بمظلمة قط ، بل كان يُظلم فيغفر ويُقدّر فيصْفح ، حتى مضى صلى الله عليه وآله مطيعاً لله ، صابراً على ما أصابه ، مجاهداً في الله حقّ جهاده ، حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وآله ، فكان ذهابه أعظم المصيبة على أهل الأرض البرّ والفاجر ، ثم ترك فيكم كتاب الله يأمركم بطاعة الله ، وينهاكم عن معصيته .

وقد عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً ، فليست أحميد عنه ، وقد حضرتم عدوكم ، وعلمتم أن رئيسهم منافق يدعوهم إلى النار ، وابن عمّ نبيكم معكم وبين أظهركم يدعوكم إلى الجنة ، وإلى طاعة ربكم ، والعمل بسنة نبيكم ، ولا سواء^(۱) من صلى قبل كل ذكر ، لا يسبقني بصلاة مع رسول الله أحد . وأنا من أهل بدر ، ومعاوية طليق ،

(۱) أى ولا مثل من صلى .

والله إنا على الحق ، وإنا على الباطل ، فلا يَجْتَمِعُنَّ على باطلهم ، وتنفروا عن حكمكم ،
حتى يغلب باطلهم حكمكم ، قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ ، فإن لم تفعلوا يعذبهم بأيدي
غيركم .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ ص ٥٠٣)

٢٤٢ - خطبة سعيد بن قيس

وقام سعيد بن قيس يخطب أصحابه بِقِنَاصِرِينَ^(١) ، فقال :

« الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وأورثنا كتابه ، وامتنَّ علينا بنبيه ، فجعله رحمة
للعالمين ، وسيد المرسلين ، وقائد المؤمنين ، وختاماً للنبيين ، وحبّة الله العظيم ، على الماضين
والغابرين ، ثم كان مما قضى الله وقدره - وله الحمد على ما أحببنا وكرهنا - أن ضمّنا
وعدوّنا بِقِنَاصِرِينَ ، فلا يَجْمَلُ بنا اليومَ الحِياصُ^(٢) ، وليس هذا بأوان انصراف ،
ولات حين مناص^(٣) ، وقد خصنا الله بمنه برحمة لا نستطيع أداء شكرها ، ولا نَقْدِرُ^(٤)
قَدْرَها ، إن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله المُصْطَفَيْنِ الأخيارَ معنا وفي حَيْرَتنا ، فوالله

(١) قال صاحب اللسان والقاموس : قنصرين موضع بالشّام ، ولم يذكره ياقوت في معجمه .

(٢) حاص عنه يحيص حيصاً ومحيصاً ومحاصاً عدل وحاد ، والحياص والمحايسة : مفاعلة من الحيص
أى العدول واخرى . قال صاحب اللسان : وفي حديث مطرف (بتشديد الراء المكسورة) أنه خرج من
الطاعون فقيل له في ذلك ، فقال : « هو الموت نحايصه ولا بد منه » « قال أبو عبيد معناه : نروغ عنه »
وليس بين العبد والموت مفاعلة ، وإنما المعنى أن الرجل في فرط حرصه على الفرار من الموت كأنه يباريه
ويغالبه ، فأخرجه على المفاعلة لكونها موضوعة لإفادة المبالاة والمغالبة بالفعل ، كقوله تعالى :
« يُجَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ » فيقول معنى نحايصه إلى قولك نحرض على الفرار منه اه .

(٣) النوص والمناص : التأخر والفرار ، ناص عن قرنه ينوص : فر وراغ . أى وليس الوقت وقت

تأخر وفرار . (٤) قدر الشيء قدره من التقدير وبابه ضرب ونصر « وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ »

أى ما عظموه حق تعظيمه .

الذى هو بالعباد بصير ، أن لو كان قائدنا رجلاً مخدوعاً ، إلا أن معنا من البدر بين سبعين رجلاً ، لكان ينبغي لنا أن تحسن بصائرنا ، وتطيب أنفسنا ، فكيف وإنما رئيسنا ابن عم نبينا ، بدرى صدق ، صلى صغيراً ، وجاهد مع نبيكم صلى الله عليه وسلم كثيراً ، ومعاوية طليق من وثاق^(١) الأسارى ، إلا أنه أخو جفأة ، فأوردهم النار ، وأورثهم العار ، والله محل بهم الذل والصغار^(٢) ، ألا إنكم ستلقون عدوكم غداً ، فعليكم بتقوى الله من الجِدِّ وَالْحَزْمِ وَالصِّدْقِ وَالصَّبْرِ ، فإن الله مع الصابرين ، ألا إنكم تفوزون بقتلهم ، ويشقون بقتلكم ، والله لا يقتل رجل منكم رجلاً منهم إلا أدخل الله القاتل جنات عدن وأدخل المقتول ناراً ناطى ، لا تفتروا عنهم وهم فيها مبلسون^(٣) ، عصمنا الله وإياكم بما عصم به أوليائه ، وجعلنا وإياكم ممن أطاعه واتقاه ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم والمؤمنين .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٣)

٢٤٣ — خطبة يزيد بن قيس الأرحبي

وحرص يزيد بن قيس الأرحبي أهل العراق بصفين ، فقال :

« إن المسلم من سلم دينه ورأيه ، وإن هؤلاء القوم والله ما إن يقاتلوننا على إقامة دين رأونا ضيعناه ، ولا على إحياء حق رأونا أمتناه ، ولا يقاتلوننا إلا على هذه الدنيا ، ليكونوا فيها جبابرة وملوكاً ، ولو ظهروا عليكم - لا أراهم الله ظهوراً ولا سروراً - إذن

(١) الوثاق بالفتح ويكسر : ما يشد به ، وأوثقه فى الوثاق شدة « فشدوا الوثاق »

(٢) الذل والضم . (٣) من أبلس : إذا يئس وتخير .

لَوَلِيكُمْ مِثْلَ سَعِيدٍ^(١) وَالْوَلِيدِ^(٢) وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ^(٣) السَّفِيهِ ، يَحْدُثُ أَحَدَهُمْ فِي مَجْلِسِهِ
بَذِيَّتَ وَذِيَّتَ^(٤) ، وَيَأْخُذُ مَالَ اللَّهِ ، وَيَقُولُ لَا إِثْمَ عَلَيَّ فِيهِ ، كَأَنَّمَا أُعْطِيَ تَرَاتِيهِ مِنْ أَبِيهِ .
كَيْفَ ؟ إِنَّمَا هُوَ مَالُ اللَّهِ ، أَفَاءَهُ عَلَيْنَا بِأَسْيَافِنَا وَرِمَاحِنَا ، قَاتَلُوا : عَبَادَ اللَّهِ : الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ .
الْحَاكِمِينَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلَا تَأْخُذْكُمْ فِيهِمْ لَوْمَةٌ لَئِيمٌ . إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ،
يُفْسِدُوا عَلَيْكُمْ دِينَكُمْ وَدُنْيَاكُمْ . وَهُمْ مَنْ قَدْ عَرَفْتُمْ وَجَرَّبْتُمْ . وَاللَّهِ مَا أَرَادُوا بِاجْتِمَاعِهِمْ
عَلَيْكُمْ إِلَّا شَرًّا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَاسْمِكُمْ .

(تاريخ الطبري ٦ : ١٠ ؛ شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٥)

٢٤٤ - خطبة هاشم بن عتبة المرقال

وَشَدَّ هَاشِمُ بْنُ عُتْبَةَ الْمِرْقَالُ^(٥) فِي عَصَابَةِ مَنْ أَصْحَابُهُ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ مَرَارًا ،

(١) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ؛ قتل أبوه العاص يوم بدر كافرا ؛ قتله علي بن أبي طالب ؛ وقد استعمل عثمان بن عفان سعيدا على الكوفة بعد الوليد بن عتبة ابن أبي معيط ، وولاه معاوية في خلافته المدينة ، فكان يوليه إذا عزل مروان بن الحكم عن المدينة ويولي مروان إذا عزله . (٢) هو الوليد بن عتبة بن أبي معيط أبان بن أبي عمرو ذكوان بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه (أمه أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب ابن عبد شمس) وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص ، ثم عزله حين اتهم بشرب الخمر ، واستعمل بعده سعيد بن العاص . (٣) هو عبد الله بن عامر بن كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو ابن خال عثمان بن عفان ، استعمله عثمان على البصرة بعد أبي موسى الأشعري ، وولاه أيضا بلاد فارس بعد عثمان بن أبي العاص ، ولم يزل واليا على البصرة إلى أن قتل عثمان ، وقد ولاء معاوية البصرة ثلاث سنين . (٤) ذبذبت وذبت مثلثة الآخر : أي كيت وكيت . (٥) هو هاشم بن عتبة ابن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص ، واقب بالمرقال لأن مليا رضى الله عنه أعطاه الراية بصفين ، فكان يرقل بها أي يسرع ، وهو الذي افتتح جلولاء من بلاد الفرس ، وكانت جلولاء تسمى فتح الفتوح ، وفقت عينه يوم اليرموك بالشام ، وقتل في وقعة صفين ، قطعت رجاؤه يومئذ ، فجعل يقاتل من دنا منه وهو بارك .

فليس من وجهٍ يَحْمِلُ عليه ، إلا صَبَرَ له ، وقَاتَلَ فيه قتالاً شديداً . فقال لأصحابه :
 « لا يَهْوُلَنَّكُمْ ما تَرَوْنَ من صَبْرِهِمْ . فوالله ما تَرَوْنَ فيهِم إلا حَمِيَّةَ العَرَبِ ، وصَبْرَها
 تحت رَاياتِها ، وعند ما كَرَّها ، وإِنَّهم لَعَلَى الضلالِ ، وإِنَّكم لَعلى الحَقِّ ، يا قوم اصْبِرُوا
 وصابروا واجتمعوا ، وامشوا بنا إلى عدونا ، عَلَى تُوْدَةٍ رُوَيْدًا ، ثم اثْبُتُوا وتناصروا ،
 واذكروا الله ، ولا يسألُ رجلٌ أخاه ، ولا تُكثِرُوا الالتفاتِ ، واصمُدُوا^(۱) صمدهم ،
 وجاهدوا محتسبين ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين . »

(تاريخ الطبري ۶ : ۲۳)

۲۴۵ - خطبة عمار بن ياسر

وقام عمار بن ياسر يوم صفين ، فقال :

« انهضوا معي : عبادَ الله : إلى قوم يزعمون أنهم يطلبون بدمِ ظالمٍ ، إنما قتله
 الصالحون المنكرون للعدوان ، الأمرون بالإحسان ، فقال هؤلاء الذين لا يباليون إذا سلمت
 لهم دنياهم ، ولو درَسَ^(۲) هذا الدينُ ، لِمَ قتلتموه ؟ فقلنا : لأحْدِثْنا ، فقالوا : إنه لم
 يُحْدِثْ شيئاً ، وذلك لأنه مَكَّهم من الدنيا ، فهم يأكلونها ويرعونها ، ولا يباليون
 لو انهدمت الجبال ، والله ما أظنهم يطلبون بدم ، ولكن القوم ذاقوا الدنيا ، فاستحلَّوها
 واستمروا^(۳) ، واعلموا أن صاحب الحق لو وَلِيَهُمْ لِحال بينهم وبين ما يأكلون
 ويرعون منها ، إن القوم لم يكن لهم سابقةٌ في الإسلام ، يستحقون بها الطاعة والولاية ،
 فخذعوا أتباعهم بأن قالوا : قُبِلَ إمامنا مظلوماً : ليكونوا بذلك جبارة وملوكا ، تلك

(۱) أي اقتصدوا جهتهم . (۲) أي احمى . (۳) استمروا الطعام : وجده مريثاً أي هنيئاً

مكيدة قد بلغوا بها ما ترَوْن ، ولولاها ما تابعهم من الناس رجلٌ ، اللهم إن تنصُرنا ،
فطالما نصرت ، وأن تجعل لهم الأمر فادّخر لهم بما أحدثوا لعبادك العذاب الأليم .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٥٠٤ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٢١ والكامل لابن الأثير ٣ : ١٢٣)

٢٤٦ - خطبة الأشعث بن قيس

وخطب الأشعث بن قيس أصحابه من كنفة ليلة الهريز بصفين فقال :
« الحمد لله أحده وأستعينه ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأستنصره وأستغفره ،
وأستجيره ، وأستهديه وأستشيره ، وأستشهد به ، فإنه من هداه الله فلا مضل له ، ومن
يضل الله فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله ، صلى الله عليه وآله ثم قال :

قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي ، وما قد فني فيه من
العرب ، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ ، فما رأيتم مثل هذا اليوم قط ،
ألا فليبلغ الشاهد الغائب أنا نحن إن تواقفنا غداً إنه لفنيت العرب ، وضيعت الحرمات ،
أما والله ما أقول هذه المقالة جزعا من الحرب ، ولكني رجل مسن أخاف على النساء
والذراري غداً إذا فنينا .

اللهم إنك تعلم أني قد نظرت لقومي ولأهل ديني فلم آل ، وما توفيتي إلا بالله ،
عليه توكلت وإليه أنيب ، والرأي يخطئ ويصيب ، وإذا قضى الله أمراً أمضاه على
ما أحب العباد أو كرهوا .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

فانطلقت عيون معاوية إليه بخطبة الأشعث فاغتنمها وبنى عليها تدبيره .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ١٨٥)

۲۴۷ - خطبة الأشتر النخعي

وقام الأشتر يخطب الناس بقناصيرين ، وهو يومئذ على فرس أدهم مثل حلاك^(۱)
الغراب ، فقال :

« الحمد لله الذي خلق السموات العلى ، الرحمن على العرش استوى ، له ما فى
السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ، أحمده على حسن البلاء ، وتظاهر
النعماء ، حمداً كثيراً ، بكرةً وأصيلاً ، من هداه الله فقد اهتدى ، ومن يضل فقد
غوى ، أرسل محمداً بالصواب والهدى ، فأظهره على الدين كله ولو كره المشركون ،
صلى الله عليه وآله .

ثم قد كان مما قضى الله سبحانه وقدر ، أن ساقطنا المقادير إلى أهل هذه البلدة من
الأرض ، فلقت بيننا وبين عدو الله وعدونا ، فنحن بحمد الله ونعمه ومنه ونضله ، قريرة
أعيننا ، طيبة أنفسنا ، نرجو بقتالهم حسن الثواب ، والأمن من العقاب ، معنا ابن عم
نبينا ، وسيف من سيوف الله ، على بن أبى طالب ، صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
لم يسبقه إلى الصلاة ذكر ، حتى كان شيخاً لم يكن له صبوة^(۲) ، ولا نبوة^(۳) ،
ولا هفوة ، ولا سقطه ، فقيه فى دين الله تعالى ، عالم بحدود الله ، ذورأى أصيل ، وصبر
جميل ، وعفاف قديم ، فائقوا الله وعليكم بالحزم والجد ، واعلموا أنكم على الحق ، وأن
القوم على الباطل ، إنما تقاتلون معاوية وأنتم مع البدرين قريب من مائة بدرى ، سوى
من حولكم من أصحاب محمد ، أكثر ما معكم رايات قد كانت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ومعاوية مع رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(۱) الحلك : شدة السواد ، وفى الأصل : « حثل » وهو تحريف * (۲) الصبوة : جهلة الفتوة

(۳) نبا السهم من الهدف : قصر ولم يصبه ، والمراد أنه لا يعرف عنه تقصير فى الدين ولا وهن *

فمن يشكُّ في قتال هؤلاء؟ إلا مَيِّت القلب، أنتم على إحدى الحسنين، إما الفتح، وإما الشهادة، عصمنا الله وإياكم بما عصم به من أطاعه واتقاه، وألهمنا وإياكم طاعته وتقواه، وأستغفر الله لي ولكم.» (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٤).

٢٤٨ - خطبة الأشتر في المنهزمين من الميمنة

ولما أهرزمت ميمنة العراق، قال له عليّ: يا مالك، قال: لَبَّيْكَ، قال: أنت هؤلاء القوم فقل لهم: «أين فراركم من الموت الذي لن تُعجزوه، إلى الحياة التي لن تبقى لكم» فمضى فاستقبل الناس منهزمين، فقال لهم هذه الكلمات، وقال: إلى أيها الناس، أنا مالك بن الحارث، أنا مالك بن الحارث، ثم ظنَّ أنه بالأشتر أعرف في الناس، فقال: أنا الأشتر، إلى أيها الناس، فأقبلت إليه طائفة، وذهبت عنه طائفة، فنادى: أيها الناس، عَضِضْتُمْ بِيَهَنٍ^(١) آبائكم، ما أقبح ما قاتم منذ اليوم! أيها الناس: أخلصوا إلى مذحج^(٢)، فأقبلت إليه مذحج فقال:

«عضضتم بصتم^(٣) الجنادل، ما أرضيتم ربكم، ولا نصحتم له في عدوكم، وكيف بذلك وأنتم أبناء الحروب، وأصحاب الغارات، وفتيان الصباح^(٤)، وفرسان الطراد، وحتوف الأقران، ومذحج الطعمان، الذين لم يكونوا يُسبِّعون بثأرهم، ولا تُطلُّ دماؤهم، ولا يُعرفون في موطنٍ يخسف^(٥)، وأنتم حدُّ أهل مصركم، وأعرضت في قومكم، وما تفعلوا في هذا اليوم، فإنه ماثور بعد اليوم، فاتقوا ماثور الأحاديث في غد، وأصدقوا عدوكم اللقاء، فإن الله مع الصادقين، والذي نفس مالك بيده ما من هؤلاء (وأشار بيده

(١) الهن: اسم يكنى به عن الفرج. (٢) كان الأشتر من النخع (بالتحريك)، وهي قبيلة

كبيرة من مذحج باليمن. (٣) الصتم: جمع صتمة (كفرصة)، وهي الصخرة الصلبة كالصتيمة.

(٤) الغارة. (٥) الحسف: الذل.

إلى أهل الشام) رَجُلٌ عَلَى مِثَالِ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنْتُمْ مَا أَحْسَنْتُمُ الْقِرَاعَ^(۱) ، اجْلُؤُوا سَوَادَ وَجْهِ ، يَرْجِعُ فِي وَجْهِ دَمِي ، عَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَوْ قَدْ فَضَّهَ ، تَبِعَهُ مِنْ بَجَائِبِهِ كَمَا يَتَّبِعُ مُؤَخَّرَ السَّبِيلِ مُقَدِّمَهُ .
قالوا خذ بنا حيث أحببت .

(تاريخ الطبري ۶ : ۱۱ ، وشرح ابن أبي الحديد ۱ : ص ۴۸۷)

۲۴۹ - خطبة أخرى له فيهم

وروي أنه لما اجتمع إليه عظيم من كان انهزم عن الميمنة حرّضهم ثم قال :
« عَضُّوا عَلَى النَّوَاجِدِ مِنَ الْأَضْرَاسِ ، وَاسْتَقْبَلُوا الْقَوْمَ بِهَامِكُمْ ، وَشَدُّوا عَلَيْهِمْ شِدَّةَ قَوْمِ مَوْتُورِينَ^(۲) ، تَأَثَّرًا بِآبَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ، حِنَاقًا عَلَى عَدُوِّهِمْ ، قَدْ وَطَنُوا عَلَى الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ ، كَيْلًا يُسَبِّقُوا بَوْتَرَ ، وَلَا يُلْحَقُوا فِي الدُّنْيَا عَارًا ، وَآيْمُ اللَّهِ مَا وَتَرَ قَوْمٌ قَطُّ بِشَيْءٍ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يُوتَرُوا دِينَهُمْ ، وَإِنْ هُوَ لَا يِقَاتِلُونَكُمْ إِلَّا عَنْ دِينِكُمْ ، لِيُمِيتُوا السُّنَّةَ وَيُحْيُوا الْبِدْعَةَ ، وَيَعِيدُوكُمْ فِي ضَلَالَةٍ قَدْ أَخْرَجَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهَا بِحَسَنِ الْبَصِيرَةِ ، فَطَيَّبُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنْفُسًا بِدِمَائِكُمْ دُونَ دِينِكُمْ ، فَإِنْ ثَوَابِكُمْ عَلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ جَنَّاتُ النَّعِيمِ وَإِنْ الْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ فِيهِ السَّابُّ لِلْعِزِّ ، وَالغَلْبَةُ عَلَى النَّفْسِ ، وَذَلَّ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتُ ، وَعَارُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَسَخَطُ اللَّهِ وَأَيْمُ عِقَابِهِ . »

(تاريخ الطبري ۶ : ۱۲ ، وشرح ابن أبي الحديد ۱ : ص ۴۸۷)

(۱) المقارعة والمناضلة . (۲) وتره : إذا أصابه بوتر ، وهو الثار .

۲۵۰ - خطبة علي فيهم وقد عادوا إلى مواقفهم

ولما رأى الإمام كرم الله وجهه ميمنته قد عادت إلى مواقفها ومصافئها ، وكشفت
من بيازئها من عدوها ، حتى ضاربوهم في مواقفهم ومرا كزهم ، أقبل حتى انتهى إليهم
فقال :

« إني قد رأيت جوثكم وانحيازكم عن صفوفكم ، يحوزكم الطغاة الجفأة ،
وأعراب أهل الشام ، وأنتم لهاميم^(١) العرب ، والسنام الأعظم ، وعمار الليل بتلاوة
القرآن ، وأهل دعوة الحق إذضل الخاطئون . فلولا إقبالكم بعد إيدباركم . وكرهكم بعد انحيازكم
وجب عليكم ما وجب على المولى يوم الزحف دبره ، وكنتم من الهالكين ، ولكن
هون وجددي ، وشقى بعض أحاح^(٢) نفسي ، أتى رأيكم بأخرة^(٣) حزتموهم كما
حازوكم ، وأزتموهم عن مصافكم كما أزالوكم ، تحسونهم^(٤) بالسيوف تركب أولاهم
أخراهم كالإبل المطرودة الهيم^(٥) ، فالآن فاصبروا نزلت عليكم السكينة ، وثبتكم الله
عز وجل باليقين ، وليعلم المهزم أنه مسخبط ربه ، وموبق^(٦) نفسه ، إن في الفرار
موجدة^(٧) الله عز وجل عليه ، وألذل اللازم له ، والعار الباقي ، واعتصار الفء من يده ،
وفساد العيش عليه ، وإن الفار لا يزيد الفرار في عمره ، ولا يرضى ربه ، فموت المرء محققاً
قبل إتيان هذه الخصال ، خير من الرضا بالتلبس بها والإصرار عليه . »

(تاريخ الطبري ۶ . ۱۳۰ ، وشرح ابن أبي الحديد ۱ : ص ۴۸۸)

(١) اللهم ، والهميم (بكسر اللام والميم فيهما) : السابق الجواد من الحيل والناس .
(٢) الأحاح : الفيظ وحرارة الغم . (٣) يقال جاء أخرة وبأخرة محركتين وقد يضم أولهما
أى آخره . (٤) من الحس بالفتح : وهو القتل والاستئصال . (٥) العطاش : جمع أهيم وهيماء
(والهيام بالضم : أشد العطش) . (٦) مهلك . (٧) أى غضبه .

۲۵۱ - خطبة خالد بن معمر

ولما ولى الإمام خالد بن معمر راية ربيعة ، وحمل عليها أهل الشام حملة شديدة ،
وانهزم ناس من قومه ، صاح بن انهزم ، وقال يومئذ :

« يا معشر ربيعة : إن الله عز وجل قد أتى بكل رجل منكم من منبته ، ومسقط
رأسه ، فجمعكم في هذا المكان جمعا لم يجمعكم مثله منذ نشركم في الأرض ، فإن
تمسكوا أيديكم وتناكلوا^(۱) عن عدوكم ، وتزولوا عن مصافكم ، لا يرض الله فعلكم
ولا تعدموا من الناس معيرا يقول : فضحت ربيعة أدمار^(۲) ، وحاصت^(۳) عن القتال ،
وأنت من قبلها العرب ، فإياكم أن تتشاءم بكم العرب والمسلمون اليوم ، وإياكم أن
تمضوا مقبلين مقدمين ، وتصبروا محتسبين ، فإن الإقدام لكم عادة ، والصبر منكم
سجية ، واصبروا ونبئتكم أن تؤجروا ، فإن ثواب من نوى ما عند الله شرف الدنيا
وكرامة الآخرة ، وإن يضيع الله أجر من أحسن عملا . »

(تاريخ الطبري ۶ : ۱۹ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۴۹۶)

۲۵۲ - خطبة عقبة بن حديد النمرى

وقال عقبة بن حديد النمرى يوم صفين لأهله وأصحابه :

« ألا إن مرعى الدنيا قد أصبح هشيا^(۴) ، وأصبح شجرها خضيدا^(۵) ، وجديدها
سلا^(۶) ، وحلوها مر المذاق ، ألا وإني أنبئكم نبأ امرئ صادق : إني قد سئمت الدنيا

(۱) أى تنكصوا وتجنبوا . (۲) ماتجب حمايته وحفظه . (۳) هربت وفرت .
(۴) الهشيم من النبات : اليابس المنكسر . (۵) مقطوعا ، خضده : كضربه ، فهو خضيد ومخضود .
(۶) السلا : الخلق من الثياب .

وَعَزَفْتُ^(١) نَفْسِي عَنْهَا ، وَقَدْ كُنْتُ أَتَمْنَى الشَّهَادَةَ ، وَأَتَعَرَّضُ لَهَا فِي كُلِّ جَيْشٍ وَغَارَةٍ ،
فَأَبَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَنْ يُبَلِّغَنِي هَذَا الْيَوْمَ ، أَلَا وَإِنِّي مُتَعَرِّضٌ لَهَا مِنْ سَاعَتِي هَذِهِ ،
قَدْ طَمِعْتُ أَلَّا أَحْرَمَهَا ، فَمَا تَنْتَظِرُونَ ، عِبَادَ اللَّهِ ، بِجِهَادِ مَنْ عَادَى اللَّهَ ، أَخَوْفَا مِنَ الْمَوْتِ
الْقَادِمِ عَلَيْكُمْ ، الذَّاهِبِ بِأَنْفُسِكُمْ لَا مَحَالَةَ ؟ أَوْ مِنْ ضَرْبَةٍ كَفَّ بِالسَّيْفِ ؟ أَنْتَبِدِلُونَ
الدُّنْيَا بِالنَّظَرِ فِي وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمُرَافِقَةِ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ ، وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ
فِي دَارِ الْقَرَارِ ؟ مَا هَذَا بِالرَّأْيِ السَّيِّدِ ! » .

ثم مضى فقال : « يَا إِخْوَتِي إِنِّي قَدْ بَعَثْتُ هَذِهِ الدَّارَ بِالتِّي أَمَامَهَا ، وَهَذَا وَجْهِي إِلَيْهَا .
لَا تُبْرِحْ وَجُوهَكُمْ ، وَلَا يَقْطَعْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رِجَاءَكُمْ » فَتَبِعَهُ إِخْوَتُهُ وَقَالُوا : « لَا نَطْلُبُ
رِزْقَ الدُّنْيَا بَعْدَكَ ، فَتَقَبَّحَ اللَّهُ الْعَيْشَ بَعْدَكَ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْتَسِبُ أَنْفُسَنَا عِنْدَكَ » فَاسْتَقْدَمُوا
فَقَاتَلُوا حَتَّى قَتَلُوا .
(تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٦ : ١٥ ، شَرْحُ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ١ ص ٤٩٠)

٢٥٣ - خُطْبَةُ خَنْثَرِ بْنِ عُبَيْدَةَ بْنِ خَالِدٍ

وَكَانَ مِنْ « مُحَارِبِ » رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ خَنْثَرُ بْنُ عُبَيْدَةَ بْنِ خَالِدٍ ، وَكَانَ مِنْ أَشْجَعِ
النَّاسِ ، فَلَمَّا اقْتَتَلَ النَّاسَ يَوْمَ صَفِينِ ، جَعَلَ يَرَى أَصْحَابَهُ مِنْهَزِمِينَ ، فَأَخَذَ يَنَادِي :
« يَا مَعْشَرَ قَيْدِسٍ ، أَطَاعَةُ الشَّيْطَانِ آثَرٌ^(٢) عِنْدَكُمْ مِنْ طَاعَةِ الرَّحْمَنِ ؟ أَلَا إِنَّ الْفِرَارَ
فِيهِ مَعْصِيَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَسُخْطُهُ ، وَإِنَّ الصَّبْرَ فِيهِ طَاعَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرِضْوَانُهُ ، أَفْتَخْتَارُونَ
سُخْطَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى رِضْوَانِهِ ، وَمَعْصِيَتَهُ عَلَى طَاعَتِهِ ؟ أَلَا إِنَّمَا الرَّاحَةُ بَعْدَ الْمَوْتِ لِمَنْ مَاتَ
مُحَاسِبًا نَفْسَهُ ، ثُمَّ قَالَ :

(١) انصرفت . (٢) أفضل .

لَا وَالَّتِ نَفْسُ امْرِئٍ وَتَى الدُّبُرُ^(١) أَنَا الَّذِي لَا يَنْشَى وَلَا يَفِرُّ
وَلَا يُرَى مَعَ الْمَعَاذِلِ الْغُدُرِ^(٢)

(تاريخ الطبري ٦ : ١٨ ، شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٩٥)

٢٥٤ - تحريض معاوية أيضا

وخطب معاوية الناس بصفين فقال :

« الحمد لله الذي دنا في علوه ، وسلا في دنوه ، وظهر وبطن ، وارتفع فوق كل ذي منظر ، هو الأول والآخِر ، والظاهر والباطن ، يقضى فيفصل ، ويقدر فيغفر ، ويفعل ما يشاء ، إذا أراد أمرا أمضاه ، وإذا عزم على شيء قضاه ، لا يؤامر^(٣) أحداً فيما يملك ، ولا يُسأل عمّا يفعل وهم يسألون ، والحمد لله رب العالمين على ما أحببنا وكرهنا . »

وقد كان فيما قضاه الله أن ساقتنا المقادير إلى هذه البقعة من الأرض ، ولقت بيننا وبين أهل العراق ، فنحن من الله بمنظر ، وقد قال الله سبحانه وتعالى : « وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ » انظروا يا أهل الشام ، إنكم غداً تلقون أهل العراق ، فكونوا على إحدى ثلاث خصال : إما أن تكونوا طلبتم ما عند الله في قتال قوم بغوا عليكم ، فأقبلوا من بلادهم حتى بزّلوا في بيضتكم^(٤) ، وإما أن تكونوا قوماً تطلبون بدم خليفتمك وصهر نبيكم ، وإما أن تكونوا قوماً تذبّون عن نساءكم وأبنائكم ، فعليكم بتقوى الله والصبر الجميل ، واسألوا الله لنا ولكم النصر ، وأن يفتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وهو خير الفاتحين .

(شرح ابن أبي الحديد م ١١ ص ٤٩٧)

(١) وال : طلب النجاة ، وخلص . (٢) المعازيل : جمع معزال بكسر الميم ، وهو الضعيف الأحمق (ومن لا سلاح معه ، ومن يعتزل أهل الميسر لثوما) ، والغدر : جمع غدور مبالغة من غادر . (٣) أي لا يشاور . (٤) ساحتكم .

٢٥٥ - ماخاطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد

في وقعة صفين

وقف النعمان بن بشير الأنصاري بين الصفين بصفين فقال :

« يَا قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ ، أَمَا أَنْصَفَكُمْ مِنْ دَعَاكُمْ إِلَى مَارِضَى لِنَفْسِهِ ؟ إِنْكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، أَخْطَأْتُمْ فِي خِذْلِ عَثْمَانَ يَوْمَ الدَّارِ ، وَقَتَلْتُمْ أَنْصَارَهُ يَوْمَ الْجَمَلِ ، وَإِقْحَامَكُمْ^(١) عَلَى أَهْلِ الشَّامِ بِصَفِينِ ، فَلَوْ كُنْتُمْ إِذْ خِذَلْتُمْ عَثْمَانَ خِذَلْتُمْ عَلِيًّا ، كَانَ هَذَا بَهَذَا ، وَلَكِنْ كُنْتُمْ خِذَلْتُمْ حَقًّا ، وَنَصَرْتُمْ بَاطِلًا ، ثُمَّ لَمْ تَرْضَوْا أَنْ تَكُونُوا كَالْمَاسِ ، شَعَلْتُمْ^(٢) الْحَرْبَ ، وَدَعَوْتُمْ إِلَى الْبِرَازِ ، فَقَدْ وَاللَّهِ وَجَدْتُمْ رِجَالَ الْحَرْبِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ سِرَاعًا إِلَى بِرَازِكُمْ ، غَيْرَ أَنْكَاسٍ^(٣) عَنْ حَرْبِكُمْ ؛ ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ بَعْلَى أَمْرٌ قَطُّ إِلَّا هَوَّوْنَتْ عَلَيْهِ الْمَصِيبَةُ ، وَوَعَدْتُمُوهُ الظَّفَرَ ، وَقَدْ وَاللَّهِ أَخْلَفْتُمُوهُ ، وَهَانَ عَلَيْنَا بِأَسْكُمْ ، وَمَا كُنْتُمْ لِتُخْلُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ مِنْ شِدَّتِكُمْ فِي الْحَرْبِ ، وَقَدَرْتُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ أَذِلَّةً عَلَى أَهْلِ الشَّامِ ، لَا يَرَوْنَ حَرْبَكُمْ شَيْئًا ، وَأَنْتُمْ أَكْثَرُ مِنْهُمْ عِدْدًا وَمَدَدًا ، وَقَدْ وَاللَّهِ كَانُوا بِأَقْبَلِ الْبَقِيَّةِ ، فَكَيْفَ لَوْ كَانُوا مِثْلَكُمْ فِي الْكَثْرَةِ ، وَاللَّهِ لَا تَزَالُونَ أَذِلَّةً فِي الْحَرْبِ بَعْدَهَا أَبَدًا ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعَكُمْ أَهْلُ الشَّامِ ، وَقَدْ أَخَذَتِ الْحَرْبُ مَنَا وَمِنْكُمْ مَا قَدَرَأَيْتُمْ ، وَنَحْنُ أَحْسَنُ بَقِيَّةً ، وَأَقْرَبُ إِلَى الظَّفْرِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي الْبَقِيَّةِ » فَضَحِكَ قَيْسٌ وَقَالَ :

(١) قحمت في الأمر : رمى بنفسه فيه من غير روية ، واقحمت الفرس النهر : أدخلته فيه فانقحمت

واقحمت . (٢) شعل النار ، وأشعلها : ألهبها . (٣) أنكاس : جمع نكس (بالكسر) ،

وهو الضعيف المقصر .

۲۵۶ - جواب قیس بن سعد

« والله ما كنت أراك يا نعمان تجترى على هذا المقام ، أما المنصف المحق فلا ينصح أخاه من غش نفسه ، وأنت والله الغاش لنفسه ، المبطل فيما نصح غيره ، أما ذكر عثمان فإن كان الإيجاز يكفيك فخذ ، قتل عثمان من لست خيراً منه ، وخذله من هو خير منك . وأما أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث . وأما معاوية ، فلو اجتمعت العرب على بيعته لقاتلهم الأنصار . وأما قولك إنا لسنا كأناس ، فنحن في هذه الحرب كما كنا مع رسول الله ، نلقى السيوف بوجوهنا ، والرماح بنحورنا ، حتى جاء الحق ، وظهر أمر الله وهم كارهون ، ولكن انظر يا نعمان هل ترى مع معاوية إلا طليقاً أعرابياً ، أو يمانياً مستدرجاً^(۱) ، وانظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان ، الذين رضی الله عنهم ورضوا عنه ، ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وصوئحبيك^(۲) ، ولستما والله بدرين ولا عقبين^(۳) ، ولا لكما سابقة في الإسلام ، ولا آية في القرآن . »

(الإمامة والسياسة ۱ : ۸۳)

(۱) استدرجه : خدعه وأدناه . (۲) أراه يعني به عمرو بن العاص ، وقد كان أكبر أعوان

معاوية ونصرائه ، عاقده على نصرته ، على أن يجعل له مصر طعمة . (۳) أي لا يمن حضروا وقعة بدر

مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يمن بايعوه في العقبة .

خطب الشيعة في وقعة صفين

٢٥٧ - خطبة عكرشة بنت الأترش

دخلت عكرشة بنت الأترش على معاوية متوكئة على عكاز ، فسألت عليه بالخلافة
ثم جلست ، فقال لها معاوية : الآن يا عكرشة صرت عندك أمير المؤمنين ؟ قالت نعم ،
إذ لا على حتى ، قال : ألسنت المقلدة حمائل السيوف بصفتين ، وأنت واقفة بين الصفتين
تقولين :

« أيها الناس : عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ، إن الجنة لا يبرح حل
من أوطانها ، ولا يهزم من سكنها ، ولا يموت من دخلها ، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها
ولا تنصرم همومها ، وكونوا قوماً مستبصرين في دينهم ، مستظهرين^(١) بالصبر على طلب
حقهم ، إن معاوية دلف^(٢) إليكم بعجم العرب ، غلف^(٣) القلوب ، لا يفقهون الإيمان ،
ولا يدرون الحكمة ، دعاهم بالدنيا فأجابوه ، واستدعاهم إلى الباطل فلبّوه ، فالله الله
عباد الله في دين الله ، إياكم والتواكل فإن ذلك ينقض عرا الإسلام ، ويظفي
نور الحق ، هذه بذر الصغرى ، والعقبة^(٤) الأخرى ، يا معشر المهاجرين والأنصار ،

(١) مستعينين . (٢) دلف : مشى مشى المقيد ، وفي التعبير به إيماء إلى ضعف معاوية ووهن قوته .

(٣) جمع أغلف وقلب أغلف كأنما غشي بغلاف فهو لا يعى . (٤) تشير إلى بيعة العقبة (الأولى

والثانية) حين بايع المسلمون الأولون من الأنصار النبي صلى الله عليه وسلم بالعقبة على نصرته : أي إن

هذه الموقعة دفاع عن الإسلام ونصرة له كتلك .

امضوا على بصيرتكم ، واصبروا على عزيمتكم ، فكأنى بكم غدا ، وقد لقيتم أهل الشام
كالجر الناهقة ، تصقع^(۱) صقع البعير .

فكأنى أراك على عصاك هذه ، وقد انكفا عليك العسكران ، يقولون هذه عكرشة
بنت الأطرش بن راحة ، فإن كدت لتفليين أهل الشام لولا قدر الله ، وكان أمر الله
قدراً مقدوراً ، فما حملك على ذلك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين يقول الله جل ذكره :
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ » الآية . وإن اللبيب
إذا كره أمراً لا يحب إعادته ، قال صدقت ، فاذ كرى حاجتك ، قالت : إنه كانت
صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا ، فترد على فقرائنا ، وإنا قد فقدنا ذلك ، فما يجبر لنا كسير
ولا ينعش لنا فقير ، فإن كان ذلك عن رأيك ، فمثلك تنبه من الغفلة ، وراجع التوبة ،
وإن كان عن غير رأيك ، فما مثلك من استعانة بالخوانة ، ولا استعمل الظلمة ، قال معاوية :
يا هذه إنه ينوبنا من أمور رعيئنا أمور تنبثق^(۲) ، وبحور تنفهيق^(۳) ، قالت :
ياسبحان الله ! والله ما فرض الله لنا حقاً ، فجعل فيه ضرراً على غيرنا ، وهو علام الغيوب .
قال معاوية : يا أهل العراق ، نبهكم على بن أبي طالب ، فلم تطاقوا ، ثم أمر برد صدقاتهم
فيهم ، وإنصافهم .

(العقاد. الفريد ۲ : ۱۳۱ ، وصبح الأعشى ۱ : ۲۵۳)

۲۵۸ - خطبة أم الخير بنت الحريش

كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش بن سراقه
البارقي برحلهما ، وأعلمه أنه مجازيه بالخير خيراً ، وبالشر شراً بقولها فيه ، فلما ورد عليه

(۱) الصقع : رفع الصوت ، صقع بصوته : رفعه . وفي صبح الأعشى تقصع قصع البعير . من قصع

الجمال بجرته ردها إلى جوفه . (۲) انبثق : انفجر ، وانبثق السيل عليهم : أقبل ولم يحتسبوه .

(۳) تنسع .

كتابه ، ركب إليها ، فأقرأها كتابه ، فقالت : أما أنا فغير زائفة عن طاعة ، ولا معتلة
 بكذب ، واقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين ، لأمر محتاج في صدرى . فلما شيعها ،
 وأراد مفارقتها ، قال لها : يا أم الخير إن أمير المؤمنين كتب إلى أنه مجازينى بقولك في
 بالخير خيراً ، وبالشرّ شرّاً ، فمالى عندك ؟ قالت : يا هذا ، لا يُطعمك بركى ، أن أسرك
 بباطل ، ولا يؤيسك معرفتى بك ، أن أقول فيك غير الحق ، فسارت خير مسير ، حتى
 قدمت على معاوية ، فأنزلها مع الحرم ، ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه ، فقالت :
 السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ! فقال لها : وعليك السلام يا أم الخير ؟
 بحق ما دعوتنى بهذا الاسم ؟ قالت : مه يا أمير المؤمنين ، فإن بديهة^(١) السلطان
 مدحضة^(٢) لما يجب علمه ، ولكل أحل كتاب ، قال : صدقت ، فكيف حالك يا خالة
 وكيف كنت في مسيرك ؟ قالت : لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية ، حتى صرت إليك ،
 فأنا في مجلس أنيق ، عند ملك رقيق . قال معاوية : بحسن نيتى ظفرت بكم . قالت
 يا أمير المؤمنين : يعيدك الله من دحض^(٣) المقال ، وما تُردى عاقبته ، قال : ليس هذا
 أردنا ، أخبرينا كيف كان كلامك إذ قتل عمّار بن ياسر ؟ قالت : لم أكن والله زورته^(٤)
 قبل ، ولا رويته بعد ، وإنما كانت كلمات نفثها لسانى عند الصدمة ، فإن أحببت أن
 أحدث لك مقلاً غير ذلك فعلت ، فالتفت معاوية إلى جلسائه ، فقال : أياكم يحفظ
 كلامها ؟ فقال رجل منهم : أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين . قال : هات ؟ قال : كأنى
 بها بين بردين زبيريين^(٥) كشيقي النسبج ، وهى على جبل أرمك^(٦) ، وييدها سوط
 منتشر الضفيرة ، وهى كالفجل يهدر^(٧) فى شقشيقته تقول :

(١) البديهة : أول كل شئ وما يفجأ منه . (٢) المدحضة : المزلّة . (٣) دحضت الحجّة
 دحضاً من باب نفع : بطلت ورجله زانقت ، ومكان دحض زلق . (٤) زور الشئ : حسنه وقومه وهذبه .
 (٥) الزبير : ما يعلو الثوب الجديد كالذى تراه فى القטיפّة . وفى رواية أخرى : عليها برد زبيدى نسبة
 إلى زبيد (بفتح الزاى) بلد باليمن . (٦) من الرمكة : بالضم ، وهى لون الرماد . (٧) يصوت .
 والشقشقة : شئ كالرثة يخرج للبعير من فيه إذا هاج .

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ الْحَقَّ ، وَأَبَانَ الدَّلِيلَ ، وَبَيَّنَّ السَّبِيلَ ، وَرَفَعَ الْعِلْمَ ، وَلَمْ يَدْعِكُمْ فِي عَمِيَاءٍ مُذْهَبَةٍ ، فَأَيْنَ تَرِيدُونَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ؟ أَفَرَاراً عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمْ فَرَاراً مِنَ الزَّحْفِ ، أَمْ رَغْبَةً عَنِ الْإِسْلَامِ ، أَمْ ارْتِدَاداً عَنِ الْحَقِّ ؟ أَمَا سَمِعْتُمْ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاهُ يَقُولُ : (وَلَنَبِّئُوْكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبِّئُوْكُمْ أَخْبَارَكُمْ) ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول : اللهم قد عيّل الصبر ، وضعف اليقين ، وانتشرت الرغبة ، وبيدك يارب أزمة القلوب ، فاجمع الكلمة على التقوى ، وألف القلوب على الهدى ، واردد الحق إلى أهله . هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل ، والرضى التقي ، والصديق الأكبر ، إنها إحنة^(١) بدرية ، وأحقاد جاهلية ، وضغائن أحدية^(٢) وثب بها معاوية حين الغفلة ، ليدرك ثارات بني عبد شمس ، ثم قالت : (قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) صبراً يامعشر المهاجرين والأنصار ، قاتلوا على بصيرة من ربكم ، وثبات من دينكم ، فكأنى بكم غدا ، وقد لقيتم أهل الشام كحمرٍ مستنفرة فرّت من قسورة^(٣) ، لا تدرى أين يُسلك بها من فجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وعمّا قليل ليصبحنّ نادمين ، حين تحل بهم الندامة ، فيطلبون الإقالة ، ولات حين مناص ، إنه من ضلّ^(٤) والله عن الحق وقع في الباطل . ألا إن أوياء الله استقصروا عمر الدنيا فرفضوها ، واستطابوا الآخرة فسعوا لها ؛ فالله الله أيها الناس ، قبل أن تبطل الحقوق ، وتعطل الحدود ، وتقوى كلمة الشيطان ، فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصهره ، وأبي سبطيه ، خلق من طينته ، وتفرع من نبتته^(٤) ،

(١) جمع إحنة : وهي الضغينة والحقد ، تؤمى إلى ما كان من قتل على يوم بدر أخا معاوية (حنظلة

ابن أبي سفيان) وجده لأمه (عتبة بن ربيعة) وخاله (الوليد بن عتبة) . (٢) تشير إلى ما حدث من

هند زوج أبي سفيان (أم معاوية) في غزوة أحد ، إذ بقرت بطن حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم بعد قتله

وأخذت كبده لتأكلها فلا كتبها ثم أرسلتها . (٣) الأسد والرماة من الصيادين ، وللواحد قنور .

(٤) النبعة في الأصل واحدة النبع : شجر القسي والسهام .

وجعله باب دينه ، وأبان ببغضه المنافقين . وهاهو ذا مُفَلِّقُ الهام ، ومكسر الأصنام ، صلى
والناس مشركون ، وأطاع والناس كارهون ، فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزى بدر ،
وأفنى أهل أُحُدٍ ، وهزم الأحزاب ، وقتل الله به أهل خيبر ، وفرق به جمع هوازن ؛
فيا لها من وقائع زرعت في قلوب قوم نفاقاً ، وَرِدَّةً وشقاقاً ، وزادت المؤمنين إيماناً ؛
قد اجتهدت في القول ، وبالغت في النصيحة ، وبالله التوفيق . والسلام عليكم
ورحمة الله .

فقال معاوية : يا أم الخير ، ما أردت بهذا الكلام إلا قتلى ، ولو قتلتك ما حرجت^(۱)
في ذلك . قالت : والله ما يسوءنى يا بن هند أن يجرى قتلى على بدى من يسعدنى الله بشقائه .
قال : هيهات يا كثيرة الفضول ! ما تقولين في عثمان بن عفان رحمه الله ؟ قالت : وما عسيت
أن أقول في عثمان ؟ استخلفه الناس وهم به راضون ، وقتلوه وهم له كارهون . قال معاوية :
يا أم الخير هذا ثناؤك الذى تُثنين ؟ قالت لكن الله يشهد ، وكفى بالله شهيداً ، ما أردت
بعثمان نقصاً . ولقد كان سباقاً إلى الخيرات ، وإنه لرفيع الدرجة غداً . قال : فما تقولين في
طلحة بن عبيد الله ؟ قالت : وما عسى أن أقول في طلحة ؟ اغتيل من مأمنه ، وأتى من
حيث لم يحذر . وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة . قال : فما تقولين في الزبير ؟
قالت : وما أقول في ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وَحَوَّارِيَّةَ^(۲) . وقد شهد له
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة . وأنا أسألك بحق الله يامعاوية (فإن قريباً تحدثت
أنك أحلمها) أن تعفينى من هذه المسائل ، وتسالنى عما شئت من غيرها . قال : نعم
وَنِعْمَةَ^(۳) عَيْنٍ ، قد أعفيتك منها ، ثم أمر لها بجائزة رفيعة ، وردها مكرمة .

(العقد الفريد ۱ : ۱۳۲ ، ونهاية الأرب ۷ : ۲۴۱ . وصبح الأعشى ۱ : ۲۴۸)

(۱) أئمت . (۲) الحوارى : الناصر ، أو ناصر الأنبياء . (۳) أى أوفى ذلك إنعاماً لعينك

٢٥٩ - خطبة الزرقاء بنت عدى الهمدانية

وذُكرت الزرقاء بنت عدى بن قيس الهمدانية عند معاوية يوماً ، فقال جلسائه :
أيكم يحفظ كلامها ؟ قال بعضهم : نحن نحفظه يا أمير المؤمنين . قال : فأشيروا عليّ في
أمرها ، فأشار بعضهم بقتلها ، فقال : بئس الرأي ، أيحسب بمثلي أن يقتل امرأة ! ثم كتب إلى
عامله بالكوفة أن يوفدها إليه مع ثقة من ذوى محارمها ، واعدة من فرسان قومها ، وأن يهد
لها وطاء^(١) ليناً ، ويسترها بستر خفيف^(٢) ، ويوسع لها في النفقة ، فأرسل إليها ، فأقرأها
الكتاب ، فقالت : إن كان أمير المؤمنين جعل الخيار إلىّ فإني لا آتية ، وإن كان حتمّ فالطاعة
أولى فحملها وأحسن جهازها ، على ما أمر به . فلما دخلت على معاوية . قال : مرحباً بك وأهلاً !
قدّمت خير مقدّم قدّمه وافد ، كيف حالك ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين ، أدام الله لك النعمة .
قال : كيف كنت في مسيرك ؟ قالت : ربيبة بيت ، أو طفلاً مُمهداً . قال : بذلك أمرناهم ،
أندرين فيم بعثت إليك ؟ قالت : وأنى لي بعلم ما لم أعلم ؟ قال : ألسنت الراكبة الجمل الأحمر ،
والواقعة بين الصفين بصفين ، تحضين على القتال ، وتوقدين الحرب ؟ فما حملك على ذلك ؟
قالت : يا أمير المؤمنين ، مات الرأس وُبترَ الذنب ، ولن يعود ما ذهب ، والدهر ذو غير^(٣)
ومن تفكر أبصر ، والأمر يحدث بعده الأمر ، قال لها معاوية : أنحفظين كلامك يومئذ ؟
قالت : لا والله لا أحفظه ، ولقد أسبته . قال : لكني أحفظه ، لله أبوك حين تقولين :
« أسها الناس : ارعوا وارجعوا ، إنكم قد أصبحتم في فتنة غشتكم جلابيب الظلم ،
وجارت بكم عن قصد المحجّة^(٤) . فيالها فتنة عمياء صماء بكاء لا تسمع لناعقها ، ولا تنساق

(١) الفراش . (٢) أصله من خصف النعل يخصفها كضرب : ظاهر بعضها على بعض وخرزها وهي

نعل خصيف ، وكل ما طورق بعضه على بعض فقد خصف . (٣) أحداث ، جمع غيرة بالكسر أو مفرد .

وجمعه أغيار . (٤) جادة الطريق .

لقائدها ، إن المصباح لا يضيء في الشمس ، ولا تنير الكواكب مع القمر ، ولا يقطع الحديد إلا الحديد . ألا من استرشدنا أرشدناه ، ومن سألنا أخبرناه . أيها الناس : إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها ، فصبراً يامعشر المهاجرين والأنصار على العَصَصِ ، فكان قد اندمل شَعْبُ الشَّتَاتِ ، والتأمت كلمة الحق ، ودمغ الحق الظالمة ، فلا يجهل أحد فيقول : كيف وأنى ؟ ليقضى الله أمراً كان مفعولاً . ألا وإن خضاب النساء الحناء ، وخضاب الرجال الدماء ، ولهذا اليوم ما بعده . والصبر خير في الأمور عواقباً :

إيها^(۱) في الحرب قُدُماً ، غير نا كصين ، ولا متشا كسين .

ثم قال لها : والله يازرقاء لقد شَرِكتِ علياً في كلِّ دم سفكته . قالت : أحسن الله بشارتك ، وأدام سلامتكَ ! فمثلك بَشْرٌ بخير وسراً جليسه . قال : أو يسرك ذلك ؟ قالت نعم . والله لقد سُررت بالخبر ! فأنى لي بتصديق الفعل ! فضحك معاوية ، وقال : والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب من حُكم له في حياته ، اذ كرى حاجتك . قالت : يا أمير المؤمنين آليت على نفسي ألا أسأل أميراً أعنت عليه أبداً ، ومثلك أعطى عن غير مسألة ، وجاد عن غير طلبة . قال : صدقت ، وأمر لها وللذين جاءوا معها بجوائز وكفا .

(العقد الفريد ۱ : ۱۳۰ ، وصبح الأعشى ۱ : ۲۵۲)

(۱) إيها : كلمة زجر بمعنى حسبك (وإيه بالكسر منونة وغير منونة كلمة استزادة واستنطاق) والقدم : المضي أمام ، وهو يمشي القدم : إذا مضى في الحرب ، ورجل قدم : أي شجاع . وفي الحديث « طوبى لعبد مغرّب قدم في سبيل الله » القدم : الإقدام ، أقدم على قرنه إقداماً وقدماً : تقدم عليه بجرأة صدر .

اختلاف أهل العراق في الموادعة

وذكروا أنه لما اشتد الأمر ، واستعَرَ القتال . قال رأسٌ من أهل العراق لعلي : إن هذه الحرب قد أكلتنا ، وأذهبت الرجال ، والرأي الموادعة . وقال بعضهم : لا ، بل نقاتلهم اليوم على ما قاتلناهم عليه أمس ، وكانت الجماعة قد رضيت الموادعة ، وجنحت إلى الصلح والمسألة ، فقام عليّ خطيباً ، فقال :

٢٦٠ - خطبة الامام عليّ كرم الله وجهه

« أيها الناس : إنه لم أزل من أمرى على ما أحب ، حتى فدحتكم الحرب ، وقد والله أخذت منكم وتركت ، وهي لعدوكم أنهلك ، وقد كنتُ بالأمس أميراً ، فأصبحت اليوم مأموراً ، وكنت ناهياً ، فأصبحت اليوم منهيّاً ، فليس لي أن أحملك على ما يكرهون » .

٢٦١ - خطبة كردوس بن هاني

وقام كردوس بن هاني ، فقال .

« إنه والله ما تولينا معاوية منذ تبرأنا منه ، ولا تبرأنا من عليّ منذ توليناه ، وإن قتيلنا لشهيد ، وإن حيينا لفائز ، وإن عليّاً على بينة من ربه ، وما أجاب القوم إلا بإنصافاً ، وكلُّ مُحِقٍّ مُنْصِفٌ ، فمن سَلِمَ له نَجَا ، ومن خالفه هَوَى » .

۲۶۲ - خطبة سفيان بن ثور

وقام سفيان بن ثور ، فقال :

« أيها الناس : إنا دعونا أهل الشام إلى كتاب الله ، فردوه علينا فقاتلناهم ، وإهم دعونا إلى كتاب الله ، فإن رددناه عليهم ، حلّ لهم منا ما حلّ لنا منهم ، ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ورسوله ، وإن علياً ليس بالراجع الناكص ، وهو اليوم على ما كان عليه أمس ، وقد أكلتنا هذه الحرب ، ولا نرى البقاء إلا في الموائد » .

۲۶۳ - خطبة حريث بن جابر

ثم قام حريث بن جابر فقال :

« إن علياً لو كان خلوا من هذا الأمر لكان المرجع إليه ، فكيف وهو قائده وسائقه ، وإياه والله ما قبل من القوم اليوم إلا الأمر الذي دعاهم إليه أمس ، ولو رده عليهم كنتم له أعيب ، ولا يلحد في هذا الأمر إلا راجع على عتبيته ، أو مستدرج مغرور ، وما بيننا وبين من طعن علينا إلا السيف » .

۲۶۴ - خطبة خالد بن معمر

ثم قام خالد بن معمر فقال :

« يا أمير المؤمنين : إنا والله ما أخرجنا هذا المقام أن يكون أحد أولى به منا ، ولكن قلنا أحب الأور إلينا ما كفيننا مئونته ، فأما إذ استغنينا ، فإننا لا نرى البقاء إلا فيما دعاك القوم إليه اليوم ، إن رأيت ذلك ، وإن لم تره فرأيك أفضل » .

٢٦٥ - خطبة الحصين بن المنذر

ثم قام الحصين بن المنذر وكان أحدث القوم سنًا ، فقال :

« إنما بُنيَ هذا الدين على التسليم ، فلا تدفعوه بالقياس ، ولا تهذموه بالشبهة ، وإنا والله لو أنا لا نقبل من الأمور إلا ما نعرف ، لأصبح الحق في الدنيا قليلًا ، ولو تركنا وما نهوى ، لأصبح الباطل في أيدينا كثيرًا ، وإن لنا راعيًا قد حمدنا وزده وصدّره ، وهو المأمون على ما قال وفعل ، فإن قال لا ، قلنا لا ، وإن قال نعم ، قلنا نعم . »

٢٦٦ - خطبة عثمان بن حنيف

ثم قام عثمان بن حنيف ، وكان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عاملاً لعلى على البصرة وله فضل ، فقال :

« أيها الناس : أتهموا رأيكم ، فقد والله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحدَيْبية يوم أبي جندل^(١) ، وإنا لنريد القتال إنكاراً للصلح حتى ردّنا عنه رسول الله

(١) هو أبو جندل بن سهيل بن عمرو . وقصته : أنه لما كانت غزوة الحديبية (سنة ست للهجرة) بعثت قريش من قبلها سهيل بن عمرو ليكلم الرسول صلى الله عليه وسلم في المصالحة ، وقد جرى بينهما الصلح وكتبت صحيفته ، وكان من شروطه ، وضع الحرب عن الناس عشر سنين يكف بعضهم عن بعض على أن من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً بمن مع محمد لم يردوه عليه ، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل إذ جاء أبو جندل بن سهيل يرسف في الحديد قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان المسلمون حين خرجوا لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع دخل عليهم من ذلك أمر عظيم ، ولما رأى سهيل ابنه أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتليبيه « بفتح التاء : ما في موضع اللب (أي النحر) من الثياب » ثم قال : يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال صدقت ، =

صلى الله عليه وسلم، وإن أهل الشام دعونا إلى كتاب الله اضطراراً، فأجبناهم إليه إعداراً،
 فلسنا والقوم سواء، إنا والله ما عدلنا الحى بالحى، ولا القتل بالقتيل، ولا الشامى بالعراقى،
 ولا معاوية بعلی، وإنه لأمر مَنعُه غير نافع، وإعطاؤه غير ضائر، وقد كَلَّت البصائر التى
 كنا نقاتل بها، وقد حمل الشكُّ اليقين الذى كنا نثول إليه، وذهب الحياء الذى كنا
 نمارى به، فاستظلموا فى هذا النوء^(۱)، واسكنوا فى هذه العافية، فإن قلم نقاتل على ما كنا
 نقاتل عليه أمس، فهيات هيات ذهب والله قياس أمس وجاء غد .

= فجعل ينثره بتلبيبه ويجره ليرده إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يامعشر المسلمين أورد
 إلى المشركين يفتنونى فى دينى ؟ فزاد الناس إلى ما بهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا جندل
 اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم
 صلحا، وأعطيناكم على ذلك وأعطونا عهد الله وإنا لا نغدر بهم، ووثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمضى
 إلى جنبه ويقول : اصبر يا أبا جندل فإنما هم المشركون . وإنما دم أحدهم دم كلب . ويدنى قائم السيف منه .
 قال عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ففضن الرجل بأبيه ونفذت القضية .

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أذاه أبو بصير عتبة بن أسيد وكان من حبس بمكة، فبعثت
 قريش فى أثره رجلين يطلبان تسليمه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بصير إنا قد أعطينا القوم
 ما قد علمت، ولا يصلح لنا فى ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا .
 فانطلق إلى قومك . قال : يا رسول الله أتردنى إلى المشركين يفتنونى فى دينى ؟ قال : يا أبا بصير انطلق،
 فانطلق معهما حتى إذا كان فى بعض الطريق عدا على أحدهما فقتله وهرب الآخر، ورجع أبو بصير إلى
 المدينة، فقال : يا رسول الله وقت ذمتك، وأدى الله عنك، أسلمتى ورددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم،
 وخرج أبو بصير إلى ساحل البحر بطريق قريش التى كانوا يأخذون عليها إلى الشام، وخرج المسلمون
 الذين كانوا حبسوا بمكة إليه، وانفلت إليه أبو جندل بن سهيل، فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلا منهم
 وضيقوا على قريش، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه، ولا تمر بهم غير إلا اقتطعوها، حتى كتبت قريش
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامها إلا آواهم، فلا حاجة لهم بهم، فأواهم رسول الله صلى
 الله عليه وسلم، فقدموا عليه المدينة . (۱) النوء : ما كان شمسا فينسخه الظل .

۲۶۷ - خطبة عدی بن حاتم

ثم قام عدی بن حاتم فقال :

« أيها الناس : إنه والله لو غيرُ عليّ دعانا إلى قتال أهل الصلاة ما أجبناه ، ولا وقع بأمر قط إلا ومعه من الله برهان ، وفي يديه من الله سبب ، وإنه وقفَ عن عثمان بشبهة ، وقاتل أهل الجمل على النكث ، وأهل الشام على البغي ، فانظروا في أموركم وأمره ، فإن كان له عليكم فضل فليس لكم مثله . فسلموا له وإلا فنازِعوا عليه ، والله إن كان إلى العلم بالكتاب والسنة إنه لأعلم الناس بهما ، وإن كان إلى الإسلام إنه لأخو نبيّ الله والرأس في الإسلام ، وإن كان إلى الزهد والعبادة إنه لأظهر الناس زهداً ، وأنهم كهم عبادة ، ولئن كان إلى العقول والنحائر^(۱) إنه لأشدّ الناس عقلاً ، وأكرمهم نحيظة ، ولئن كان إلى الشرف والنجدة إنه لأعظم الناس شرفاً ونجدة ، وإن كان إلى الرضا لقد رضى عنه المهاجرون والأنصار في شُورى عمر رضى الله عنهم ، وبايعوه بعد عثمان ونصروه على أصحاب الجمل وأهل الشام ، فما الفضل الذي قرّكم إلى الهدى ، وما النقص الذي قرّبه إلى الضلال ؟ والله لو اجتمعتم جميعاً على أمر واحد ، لأتاح الله له من يقاتل لأمر ماض ، كتاب سابق . »

فاعترف أهل صفين لعدی بن حاتم بعد هذا المقام ، ورجع كلّ من تشعب على عليّ رضى الله عنه .

(۱) النحيظة : الطليعة .

٢٦٨ - خطبة عبد الله بن حجل

ثم قام عبد الله بن حجل ، فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إنك أمرتنا يوم الجمل بأمر مختلف ، كانت عندنا أمراً واحداً ، فقبلناها بالتسليم ، وهذه مثل تلك الأمور ، ونحن أولئك أصحابك ، وقد أكثر الناس في هذه القضية ، وإيم الله ما المكثر المنكر بأعلم بها من المقل المعترف ، وقد أخذت الحرب بأنفاسنا ، فلم يبق إلا رجاء ضعيف ، فإن تجب القوم إلى مادعوك إليه ، فأنت أولنا إيماناً ، وآخرنا بنبي الله عهداً ، وهذه سيوفنا على أعناقنا ، وقلوبنا بين جوانحننا ، وقد أعطيناك بقيننا ، وشرحنا بالطاعة صدورنا ، ونفذت في جهاد عدوك بصيرتنا ، فأنت الوالي المطاع ، ونحن الرعية الأتباع . أنت أعلمنا بربنا ، وأقربنا بنبينا ، وخيرنا في ديننا ، وأعظمنا حقاً فينا ، فسدد رأيك تتبعك ، واستخبر الله تعالى في أمرك ، واعزم عليه برأيك ، فأنت الوالي المطاع » .

فسرّ على كرم الله وجهه بقوله ، وأثنى خيراً .

٢٦٩ - خطبة صعصعة بن صوحان

ثم قام صعصعة بن صوحان فقال :

« يا أمير المؤمنين : إنا سبقنا الناس إليك ، يوم قدوم طلحة والزبير عليك ، فدعانا حكيم^(١) إلى نصرة عاملك عثمان بن حنيف^(٢) فأجبتناه ، فقاتل عدوك ، حتى أصيب في قوم من بني عبد قيس عبدوا الله حتى كانت أكتفهم مثل أكف الإبل ، وجباهم مثل

(١) هو حكيم بن حبل . (٢) كان عامل على البصرة ، وقد نشب القتال بينه وبين أصحاب

عائشة حين قدموا البصرة .

رُكِبَ المَعَزُ ، فَأَسْرَ الحَيُّ ، وَسُلِبَ القَتِيلُ ، فَكُنَّا أولَ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ ، ثُمَّ رَأَيْتَ بِلَاءَنَا
بِصَفِينِ ، وَقَدِ كَلَّتِ البِصَاطُ ، وَذَهَبَ الصَّبْرُ ، وَبَقِيَ الحَقُّ مَوْفُورًا ، وَأَنْتَ بَالِغٌ بِهَذَا حَاجَتَكَ
وَالأَمْرَ إِلَيْكَ مَا أَرَاكَ اللهُ فَعَرُّنَا بِهِ .

٢٧٠ - خطبة المنذر بن الجارود

ثم قام المنذر بن الجارود فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَرَى أَمْرًا لَا يَدِينُ لَهُ الشَّامُ إِلَّا بِهَلَاكِ العِرَاقِ ، وَلَا يَدِينُ لَهُ
العِرَاقُ إِلَّا بِهَلَاكِ الشَّامِ ، وَلَقَدْ كُنَّا نَرَى أَنْ مَا زَادَنَا نَقْصَهُمْ ، وَمَا نَقَصْنَا أَضْرَهُمْ ، فَبِذَا فِي
ذَلِكَ أَمْرَانِ ، فَإِنْ رَأَيْتَ غَيْرَهُ ^(١) فَفِينَا وَاللَّهِ مَا يَقْلُ بِهِ الحَدُّ ^(٢) وَيُرَدُّ بِهِ الكَلْبُ ^(٣) ،
وَلَيْسَ لَنَا مَعَكَ إِيرَادٌ وَلَا صَدْرٌ .

٢٧١ - خطبة الأحنف بن قيس

ثم قام الأحنف بن قيس ، فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنْ النَّاسَ بَيْنَ مَاضٍ وَوَاقِفٍ ، وَقَائِلٍ وَسَاكِتٍ ، وَكُلِّ فِي
مَوْضِعِهِ حَسَنٍ ، وَإِنَّهُ لَوْ نَسَّ كُلَّ الآخِرِ عَنِ الأَوَّلِ لَمْ يَقْلُ شَيْئًا ، إِلَّا أَنْ يَقُولَ اليَوْمَ
مَا قَدِ قِيلَ أَمْسَ ، وَلَكِنَّهُ حَقٌّ يُقْضَى ، وَلَمْ نَقَاتِلِ القَوْمَ لَنَا وَلَا لَكَ ، إِنَّمَا قَاتَلْنَا اللهُ ، فَإِنْ
حَالَ أَمْرُ اللهِ دُونَنَا وَدُونَكَ فَاقْبَلْهُ ، فَإِنَّكَ أَوْلَى بِالحَقِّ ، وَأَحَقُّنَا بِالتَّوْفِيقِ ، وَلَا أَرَى
إِلَّا القِتَالَ »

(١) أى فإن رأيت غير رأيت « وهو الذى عبر عنه بقوله : إني أرى أمرا . . . الخ » وفى الأصل
« غيرك » وأراه محرفا . (٢) أى ففينا من البأس ما يقل به حد الأعداء وقوتهم . (٣) الكلب : داء
يشبه الجنون يأخذ الكلاب فتعقر الناس ويعتري الناس أيضا من عضها ، وقد استعاره هنا لطمع الأعداء
فيهم وغارتهم عليهم .

٢٧٢ - خطبة عمير بن عطار

ثم قام عمير بن عطار ، فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن طلحة والزبير وعائشة كانوا أحب الناس إلى معاوية ، وكانت البصرة أقرب إلينا من الشام ، وكان القوم الذين وثبوا عليك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خيراً من الذين وثبوا عليك من أصحاب معاوية اليوم ، فوالله ما منعنا ذلك من قتل المحارب ، وعَيَّب الواقف ، فقاتل القوم ، إنا معك . »

٢٧٣ - خطبة علي بن أبي طالب

ثم قام علي خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إنه قد بلغ بكم و بعدوكم ما قد رأيتم ، ولم يبق منهم إلا آخر نفس ، وإن الأمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها ، وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغوا منكم ما بلغوا ، وأنا غادر عليهم بنفسى بالغداة ، فأحباكمهم بسبني هذا إلى الله . »
وأشار عمرو بن العاص على معاوية أن يدعو علياً إلى تحكيم كتاب الله ، فأصبح أصحاب معاوية ، وقد رفعوا المصاحف على الرماح ، وقلدوها أعناق الخيل يقولون : « هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم . »

٢٧٤ - مقال عدى بن حاتم

فقام عدى بن حاتم ، فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن أهل الباطل ، لا تُؤَوَّق أهل الحق ، وقد جزع القوم حين تأهبت للقتال بنفسك ، وليس بعد الجزع إلا ما تحب ، فأجز القوم . »

۲۷۵ - مقال الأشتر النخعي

ثم قام الأشتر فقال :

« يا أمير المؤمنين ، ما أجبتك لدنيا . إن معاوية لا خلف له من رجاله ، ولا يكن بمحمد الله الخلف لك ، ولو كان له مثل رجالك ، لم يكن له مثل صبرك ، ولا نصرتك ، فافرج^(۱) الحديد بالحديد ، واستعين بالله . »

۲۷۶ - مقال عمرو بن الحمق

ثم قام عمرو بن الحمق فقال :

« يا أمير المؤمنين ، ما أجبتك لدنيا ، ولا نصرناك على باطل ، ما أجبتك إلا الله تعالى وما نصرناك إلا للحق ، ولو دعانا غيرك إلى ما دعوتنا إليه ، لكفر فيه الأجاج ، وطالت له النجوى^(۲) ، وقد باغ الحق مقطعه ، وليس لنا معك رأى . »

۲۷۷ - مقال الأشعث بن قيس

ثم قام الأشعث بن قيس فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إننا لك اليوم على ما كنا عليه أمس ، ولست أدري كيف يكون غداً ، وما القوم الذين كلوك بأحمد لأهل العراق مني ، ولا بأوتر^(۳) لأهل الشام مني ، فأجب القوم إلى كتاب الله ، فإنك أحق به منهم ، وقد أحب الله البقيا . »

(۱) أي شق سلاحهم ومزقه بسلاحك . (۲) المصاراة . (۳) أي ولا أشد وترا . من وتره إذا أدركه بمكروه .

٢٧٨ - مقال عبد الرحمن بن الحارث

ثم قام عبد الرحمن بن حارث فقال :

« يا أمير المؤمنين ، امض لأمر الله ولا يَسْتَجِفِّكَ الذين لا يوقنون ، أَحْكَمْ بعد حكم
وَأْمُرْ بعد أمر ؟ مضت دماؤنا ودماؤهم ، ومضى حكم الله علينا وعليهم . »

٢٧٩ - مقال عمار بن ياسر

فلما أظهر عليٌّ أنه قد قبل التحكيم قام عمار بن ياسر فقال :

« يا أمير المؤمنين ، أما والله لقد أخرجها إليك معاوية بيضاء ، من أقرَّ بها هلك ،
ومن أنكرها ملك ، مالك يا أبا الحسن ، شككتنا في ديننا ، ورددتنا على أعقابنا ، بعد
مائة ألف قتلوا منا ومنهم ، أفلا كان هذا قبل السيف ، وقبل طلحة والزبير وعائشة قد
دعوك إلى ذلك فأبيت ، وزعمت أنك أولى بالحق ، وأن ما خالفنا منهم ضالٌّ حلال الدم
وقد حكم الله تعالى في هذا الحال ما قد سمعت ، فإن كان القوم كفاراً مشركين ، فليس لنا
أن نرفع السيف عنهم حتى يَفِيئُوا^(١) إلى أمر الله ، وإن كانوا أهل فتنة فليس لنا أن
نرفع السيف عنهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، والله ما أسلموا ،
ولا أدوا الجزية ، ولا فاءوا إلى أمر الله ولا طَفِئَتْ^(٢) الفتنة » فقال عليٌّ : والله إنى لهذا
الأمر كآره .

ثم كثر اللجاج والجدال في الأمر ، وجعل عليٌّ يبين لهم أنها خُدعة ومكيدة يرَامُ بها

(١) يرجعوا . (٢) أى انطفأت .

توهين قوتهم ، وتشتيت جمعهم ، وهم لا يستمعون لقواه ، ولا يذعنون لنصحه ، وأقبل الأشعث بن قيس في ناس كثير من أهل اليمن ، فقالوا لعلّ : « لا تردّ ما دعاك القوم إليه ، قد أنصفك القوم ، والله لأنّ لم تقبل هذا منهم لا وفاء معك ، ولا نرمي معك بسهم ولا حجر ، ولا نقف معك موقفاً » .

وغلا أنصار التحكيم في تطرفهم فقالوا « يا عليّ - أجب إلى كتاب الله إذ دعيت إليه ، وإلا ندفعك برؤمتك إلى القوم ، أو نفعل كما فعلنا بابن عفان » فلم يربداً من الإذعان وقبول التحكيم .

(الإمامة والسياسة ١ : ٨٩)

التحكيم بين عليّ ومعاوية

٢٨٠ - كلام عبد الله بن عباس لأبي موسى الأشعري

ولما أجمع أهل العراق على طلب أبي موسى الأشعري وأحضره للتحكيم على كُرّه من عليّ عليه السلام ، أتاه عبد الله بن العباس ، وعنده وجوه الناس وأشرفهم ، فقال له : « أبا موسى : إن الناس لم يرضوا بك ، ولم يجتمعوا عليك ، لفضل لا تُشَارِكُ فيه ، وما أكثر أشباهك من المهاجرين والأنصار المتقدمين قبلك ، ولكن أهل العراق أبوا إلا أن يكون الحكمُ يَمَانِيًا ، ورأوا أن معظم أهل الشام يمان ، وأيمُ الله إني لأظن ذلك شرًّا لك ولنا ، فإنه قد ضُمَّ إليك داهيةُ العرب ، وليس في معاوية خلةٌ ^(١) يستحق بها الخلافة ، فإن تقذِفَ بحقك على باطله ، تُدْرِكُ حاجتك منه ، وإن يطمعُ باطلُهُ في حقك يُدْرِكُ حاجته منك ، واعلم يا أبا موسى أن معاوية طليقُ الإسلام ، وأن أباه رأس الأحزاب ، وأنه يدّعي الخلافة من غير مشورة ولا ببيعة ، فإن زعم لك أن عمر وعثمان استعملاه ، فلقد صدق ، استعمله عمر وهو الوالي عليه بمنزلة الطبيب يَحْمِيهِ ما يشتهي ، وَيُوجِرُهُ ^(٢) ما يكره ، ثم استعمله عثمان برأى عمر ، وما أكثر من استعملاه ممن لم يدّعِ الخلافة ، واعلم أن لعمر ومع كل شيء يسْرُكُ خَبِيًّا ^(٣) يسوءك ، ومهما نسيت فلا تنسَ أن عليًّا

(١) خصلة . (٢) وجره الدواء (كوعده) وأوجره إياه : جعله في فيه ، وأوجره الرمح :

طلعه ، ووجره : أسمه ما يكره . (٣) الخبء : ما خبي .

بايعه القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، وأنها بيعة هُدَى ، وأنه لم يقاتل إلا العاصين والناكثين .

فقال أبو موسى : « رحمك الله والله مالي إمام غير علي ، وإني لواقف عند ما رأى ، وإن حق الله أحبُّ إلي من رضا معاوية وأهل الشام ، وما أنت وأنا إلا بالله . »
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٩٥)

٢٨١ - وصية شريح بن هاني لأبي موسى الأشعري

ولما أراد أبو موسى المسير ، قام إليه شريح بن هاني الحارثي ، فأخذ بيده وقال :
« يا أبا موسى : إنك قد نصبتَ لأمر عظيم لا يُجبرُ صدَّعُهُ ، ولا تستَقالُ فلتته ،
ومهما تَقُل من شيء لك أو عليك ، يثبتُ حَقُّهُ ، وَيُرَى صِحَّتُهُ وإن كان باطلا ،
وإنه لا بقاء لأهل العراق إن ملكهم معاوية ، ولا بأس على أهل الشام إن ملكهم علي ،
وقد كانت منك تشبيطة^(١) أيام الكوفة والجل ، فإن تشفعها بمثلها يكن الظن بك يقيناً ،
والرجاء منك ياساً ، ثم قال :

أبا موسى : رُميتَ بِشَرِّ خَصْمٍ فلا تُضِعِ العراقَ (فدَتَكَ نَفْسِي)
وَأَعْطِ الْحَقَّ شامَهُم وخَذَهُ فإن اليومَ في مَهَلٍ كَأَمْسِ
وإن غداً يجيءُ بما عليه كذاك الدهرُ من سَعْدٍ وَنَحْسِ
ولا يَخْدَعُكَ عمرو ، إن عمراً عدُوُّ الله مَطْلَعُ كلِّ شمسِ
له خَدَعٌ يحارُ العقلَ منها مُمَوَّهَةٌ مزخرفةٌ يلبسُ

(١) أي تعويق .

فلا تجعل معاوية بن حرب كشيخ في الحوادث غير نكس^(١)

هداه الله للإسلام فردا سوى عرس^(٢) النبي، وأى عرس؟

فقال أبو موسى : « ما ينبغي لقوم أنهموني أن يرسلوني لأدفع عنهم باطلا ، أو أجر»

إليهم حقاً . (شرح ابن أبي الحديد ج ١ : ص ١٩٥ ، والإمامة والسياسة ١ : ٩٩)

٢٨٢ - وصية الأحنف بن قيس لأبي موسى الأشعري

ولما حُكِّم أبو موسى الأشعري أتاه الأحنف بن قيس ، فقال له :

« يا أبا موسى ، إن هذا مسير له ما بعده ، من عز الدنيا أو ذلها آخر الدهر ، ادع القوم إلى طاعة عليّ ، فإن أبوا فادعهم أن يختار أهل الشام من قريش العراق من أحبوا ، ويختار أهل العراق من قريش الشام من أحبوا ، وإياك إذا لقيت ابن العاص أن تصافحه بنية ، وأن يُقعدك على صدر المجلس فإنها خديعة ، وأن يضمك وإياه بيت ، فيمكن لك فيه الرجال ، ودعه فليتكلم ، لتكون عليه بالخيار ، فالبادي مستغلق^(٣) ، والمجيب ناطق . »

فما عمل أبو موسى إلا بخلاف ما قال الأحنف ، وأشار به ، فكان من الأمر ما كان ، فلقيه الأحنف بعد ذلك ، فقال له : « أدخل وألله قدميك في خف واحدة . »

(نهاية الأرب ٧ : ٢٣٩ ، الإمامة والسياسة ١ : ٩٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ج ١ : ص ١٩٦)

(١) كشيخ : يريد به الإمام عليا ، والنكس : الضعيف والمقصر عن غاية الكرم . (٢) أى زوجه ، يريد السيدة خديجة رضى الله عنها ، وأى عرس : أى وأى عرس هى . استفهام المراد به التعظيم . (٣) أصله من قولهم : استغلقنى فى بيعة : لم يجعل لى خيارا فى رده : أى أن البادى ليس له الخيار فى رد ما قال .

٢٨٣ - وصية معاوية لعمر و بن العاص

وقال معاوية لعمر و :

« إن أهل العراق أكرهوا علياً على أبي موسى ، وأنا وأهل الشام راضون عنك ، وأرجو في دفع هذه الحرب قوة لأهل الشام ، وفرقة لأهل العراق ، وإمداداً لأهل اليمن ، وقد ضمّ إليك رجل طويل اللسان ، قصير الرأي ، وله على ذلك دين وفضل ، فدعه يقول فإذا هو قال فاصمت ، واعلم أن حسن الرأي زيادة في العقل ، إن خوفك العراق فخوفه بالشام ، وإن خوفك مصر فخوفه باليمن ، وإن خوفك علياً ، فخوفه بمعاوية ، وإن أتاك بالجميل فأتته بالجميل . »

٢٨٤ - رد عمرو بن العاص عليه

فقال عمرو :

« يا أمير المؤمنين . أقلل الاهتمام بما قبلي ، وأرج الله تعالى فيما وجهتني له ، إنك من أمرك على مثل حدّ السيف ، لم تنل في حربك ما رجوت ، ولم تأمن ما خفت ، ونحن نرجو أن يصنع الله تعالى لك خيراً ، وقد ذكرت لأبي موسى ديناً ، وإن الدين منصور ، أرايت إن ذكر علياً وجاءنا بالإسلام والهجرة واجتماع الناس عليه ما أقول ؟ »

(الإمامة والسياسة ١ : ٩٩)

فقال معاوية : « قل ما تريد وتري . »

٢٨٥ - مقال شرحبيل بن السمط لعمر و

ولما ودّعه شُرحبيل بن السمط قال له :

« يا عمرو إنك رجل قريش، وإن معاوية لم يبعثك إلا لعلمه أنك لا تؤتني من عجز ولا مكيدة، وقد علمت أن وطأة هذا الأمر لك ولصاحبك، فكن عند ظننا بك ». .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٩٦ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٠)

٢٨٦ - خطبة أبي موسى الأشعري

ولما التقى الحكمان أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص بدومة الجندل ، ودار بينهما من الحوار ما دار ، أقبلوا إلى الناس وهم مجتمعون ، فتقدم أبو موسى ، فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس ، إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة ، فلم نر أصلح لأمرها ، ولا ألمّ لشيئها من أمرٍ قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه ، وهو أن نخلع علياً ومعاوية ، وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر ، فيؤتوا منهم من أحبوا عليهم ، وإني قد خلعت علياً ومعاوية ، فاستقبلوا أمركم ، وولّوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً^(١) ». ثم تنحى .

(١) وفي رواية ابن قتيبة في الإمامة والسياسة : « وإني رأيت وعمرا أن نخلع علياً ومعاوية ونجعلها لعبد الله بن عمر ، فإنه لم يبسط في هذه الحرب يداً ولا لساناً » وفي رواية المسعودي في مروج الذهب : « وقد خلعت علياً كما خلعت عمامتي هذه (وأهوى إلى عمامته فخلعها) واستخلفنا رجلاً قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وصحب أبوه النبي صلى الله عليه وسلم ، فبرز في سابقته ، وهو عبد الله بن عمر وأطراه ورغب الناس فيه » .

۲۸۷ - خطبة عمرو بن العاص

وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه ، فحمد الله وأثنى عليه وقال :
« إن هذا قد قال ما سمعتم ، وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبت
صاحبي معاوية ، فإنه وليّ عثمان بن عفان رضى الله عنه ، والطالب بدمه ، وأحق
الناس بمقامه » .

فقال أبو موسى : « مالك - لا وفقك الله - غدرت وفجرت ! إنما مثلك كمثل
الكلب إن تحمّل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث^(۱) » قال عمرو : « إنما مثلك
كمثل الحمار يحمّل أسفارا » .

(تاريخ الطبرى ۶ : ۴۰ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۱۹۸ ،

والإمامة والسياسة ۱ : ۱۰۱ ومروج الذهب ۲ : ۳۲)

۲۸۸ - خطبة الامام على بعد التحكيم

وخطب الإمام على كرم الله وجهه بعد فشل التحكيم فقال :
« الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح^(۲) ، والحدّث^(۳) الجليل ، وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره ، وأن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه
 وآله . أما بعد فإن معصية الناصح الشفيق العالم الجرب ، توريث الحسرة ، وتُعقب
 الندامة ، وقد كنت أمرتكم فى هذه الحكومة أمرى ، ونخلت لكم مخزون رأى ، لو كان

(۱) لث الكلب كقطع : أخرج لسانه من العطش أو التعب ، وكذا الرجل إذا أعيا . (۲) من

فدحه الدين : أى أثقله . (۳) الحادث .

يُطَاعُ لِقَصِيرٍ^(۱) أَمْرٌ ، فَأَبَيْتُمْ قَلِيَّ إِبَاءِ الْمُخَالِفِينَ الْجَفَاءَةَ ، وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةَ ، حَتَّى ارْتَابَ
النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ ، وَضَنَّ الزَّائِدُ بِقَدْحِهِ ، فَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُوهُوَازِنُ^(۲) :

أَمْرَتِكُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوِيِّ فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النَّصِيحَ إِلَّا ضُحَى الْقَدِّ

ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حَكَمَيْنِ قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما ،
وأحييا ما أمات القرآن ، واتبع كل واحد منهما هواه ، بغير هدى من الله ، فحكما بغير
حُجَّةٍ بَيِّنَةٍ ، وَلَا سُنَّةٍ ماضية ، واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشداً ، فبرى الله منهما
ورسوله وصالح المؤمنين . اسْتَعِدُّوا وتأهبوا للمسير إلى الشام .

(نهج البلاغة ۱ : ۴۴ ، وتاريخ الطبري ۶ : ۴۳ ، والإمامة والسياسة ۱ : ۱۰۵)

۲۸۹ - خطبة الحسن بن علي

وقال الإمام عليّ : قم يا حسن فتكلم في أمر هذين الرجلين أبي موسى وعمرو ، فقام
الحسن فتكلم فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، قَدْ أَكْثَرْتُمْ فِي أَمْرِ أَبِي مُوسَى وَعَمْرُو ، وَإِنَّمَا بُعِثْنَا لِيُحْكَمَ بِالْقُرْآنِ
دُونَ الْهَوِيِّ ، فَحَكَمَّا بِالْهَوِيِّ دُونَ الْقُرْآنِ ، فَن كَانَ هَكَذَا لَمْ يَكُنْ حَكَمًا ، وَلَكِنَّهُ
مُحْكَمٌ عَلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ خَطَا أَبِي مُوسَى أَنْ جَعَلَهَا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ ، فَأَخْطَأَ فِي ثَلَاثِ
خِصَالٍ : خَالَفَ (يَعْنِي أَبَا مُوسَى) أَبَاهُ عَمْرًا إِذْ لَمْ يَرْضَهُ لَهَا ، وَلَمْ يَرَهُ أَهْلًا لَهَا ، وَكَانَ أَبُوهُ
أَعْلَمُ بِهِ مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَا أَدْخَلَهُ فِي الشُّورَى إِلَّا عَلِيٌّ أَنَّهُ لَا شَيْءَ لَهُ فِيهَا ، شَرْطًا مُشْرُوطًا مِنْ

(۱) قصير : هو مولى جذيمة الأبرش ، وكان قد أشار على سيده أن لا يأمن الزبراء ملكة الجزيرة ،

وقد دعت إليها ليتزوجها ، فخالفه وقصد إليها ، فقال قصير « لا يطاع لقصير أمر » فذهبت مثلاً .

(۲) هو دريد بن الصمة .

عمر على أهل الشورى ، فهذه واحدة . وثانية : لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار ، الذين
يَعْقِدُونَ الإمامة ، ويحكمون على الناس . وثالثة : لم يستأمر الرجل في نفسه ، ولا عَمَّ
ماعدته من ردّ أو قبول « ثم جلس .

۲۹۰ — خطبة عيد الله بن عباس (توفي سنة ۶۸ هـ)

ثم قال على لعبد الله بن عباس : قم فتكلم ، فقام عبد الله بن عباس وقال :
« أيها الناس : إن للحق أناساً أصابوه بالتوفيق والرضا ، والناس بين راض به ،
وراغب عنه ؛ وإنما سار أبو موسى بهدى إلى ضلال ، وسار عمرو بضلال إلى هدى ، فلما
التقيا رجع أبو موسى عن هداه ، ومضى عمرو على ضلاله ، فوالله لو كانا حكماً عليه
بالقرآن لقد حكما عليه ، ولئن كانا حكماً بهواهما على القرآن ، وانن مسكاً بما سارا به ، لقد
سار أبو موسى وعلى إمامه ، وسار عمرو ومعاوية إمامه » ثم جلس .

۲۹۱ — خطبة عبد الله بن جعفر

فقال على لعبد الله بن جعفر : قم فتكلم ، فقام وقال :
« أيها الناس : هذا أمر كان النظر فيه لعلى ، والرضا فيه إلى غيره ، جئتم بأبي موسى
فقلتم قد رضينا هذا فارض به ، وإيم الله ما أصحاح بما فعلا الشأم ، ولا أفسدا العراق ،
ولا أماتا حقّ على ، ولا أحييا باطل معاربية ، ولا يذهب الحقّ قلة رأى ، ولا نفخة
شيطان ، وإنا لعلى اليوم كما كنا أمس عليه » ثم جلس . (الإمامة والسياسة ۱ : ۱۰۲)

٢٩٢ - خطبة علي

ولما نزل على النخيلة وأيس من الخوارج ، قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
« أما بعد : فإنه من ترك الجهاد في الله ، وادّهن في أمره ، كان على شفا هلكة ،
إلا أن يتداركه الله بنعمة ، فاتقوا الله ، وقاتلوا من حادّ الله ، وحاول أن يُدفي نور الله ،
قاتلوا الخاطئين الضالين القاسطين المجرمين الذين ليسوا بقراء للقرآن ، ولا فقهاء في الدين ،
ولا علماء في التأويل ، ولا لهذا الأمر بأهل في سابقة الإسلام ، والله لو وُلّوا عليكم لعملوا
فيكم بأعمال كسرى وهرقل ، تيسروا ونهيوثوا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب . وقد بعثنا
إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم ، فإذا قدموا فاجتمعتم شخصنا إن شاء الله ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله » . (تاريخ الطبري ٦ : ٤٤)

٢٩٣ - خطبة عبد الله بن عباس

وكتب علي إلى عبد الله بن عباس : « أما بعد : فإننا قد خرجنا إلى معسكرنا بالنخيلة ،
وقد أجمعنا على المسير إلى عدونا من أهل المغرب ، فأشخص بالناس حين يأتيك رسولي ،
وأقم حتى يأتيك أمري والسلام » .
فلما قدم عليه الكتاب قرأه على الناس ، وأمرهم بالشخص مع الأحنف بن قيس ،
فشخص معه منهم ألف وخمسمائة رجل ، فاستقلهم عبد الله بن عباس ، فقام في الناس
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد يا أهل البصرة فإنه جاءني أمر أمير المؤمنين بأمرني بإشخاصكم ، فأمرتكم
بالنفير إليه مع الأحنف بن قيس ، ولم يشخص معه منكم إلا ألف وخمسمائة ، وأنتم ستون
ألفا سوى أبنائكم وعبيد انكم ومواليكم ألا انفروا مع جارية بن قدامة السعدي ،

ولا يجعلن رجل على نفسه سبيلاً ، فإنى موقِع بكل من وجدته متخلفاً عن مكتبه ، عاصياً لإمامه . وقد أمرت أبا الأسود الدؤلى بحشركم ، فلا يلم رجل جهل السبيل على نفسه إلا نفسه » (تاريخ الطبرى ٦ : ٤٤) .

٢٩٤ - خطبة على

فخرج جارية فسكر ، وخرج أبو الأسود فحشر الناس ، فاجتمع إلى جارية ألف وسبعمائة ، ثم أقبل حتى وافاه على بالنخيلة ، فلم يزل بالنخيلة حتى وافاه هذان الجيشان من البصرة ثلاثة آلاف ومائتا رجل ، فجمع إليه رءوس أهل الكوفة ورءوس الأسباع ورءوس القبائل ووجوه الناس .

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « يا أهل الكوفة ، أنتم إخوانى وأنصارى وأعوانى على الحق ، وصحابتى على جهاد عدوى المجلين ، بكم أضرب المدبر ، وأرجو تمام طاعة المقبل ، وقد بعثت إلى أهل البصرة فاستنفرتهم إليكم ، فلم يأتنى منهم إلا ثلاثة آلاف ومائتا رجل ، فأعينونى بمناصحة جلية خلية من الغش ، إنكم . . . (١) مخرجنا إلى صفين ، بل استجمعوا بأجمعكم ، وإنى أسألكم أن يكتب لى رئيس كل قوم مافى عشيرته من المقاتلة وأبناء المقاتلة الذين أدركوا القتال وعبدان عشيرته ومواليهم ، ثم يرفع ذلك إلينا » .

فقام سعيد بن قيس الهمداني فقال : يا أمير المؤمنين سمعاً وطاعة ووداً ونصيحة ، أنا أول الناس جاء بما سألت وبما طلبت ، وقام معقل بن قيس الرياحى فقال له نحواً من ذلك ، وقام عدى بن حاتم وزياى بن خصفة وحجر بن عدى وأشرف الناس والقبائل فقالوا مثل ذلك ، ثم إن الرءوس كتبوا من فيهم ثم رفعوهم إليه . (تاريخ الطبرى ٤ : ٤٥)

(١) فراغ فى الأصل .

٢٩٥ - خطبة علي

وكتب علي إلى سعد بن مسعود الثقفي ، وهو عامله على المدائن : « أما بعد فإني قد بعثت إليك زياد بن خصفة فأشخص معه من قبلك من مقاتلة أهل الكوفة ، وعجل ذلك إن شاء الله ، ولا قوة إلا بالله »

وبلغ عليا أن الناس يقولون : لو سار بنا إلى هذه الحرورية فبدأنا بهم ، فإذا فرغنا منهم وجهنا من وجهنا ذلك إلى المحلين . فقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فإنه قد بلغني قولكم : لو أن أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت عليه ، فبدأنا بهم ، فإذا فرغنا منهم وجهنا إلى المحلين .

وأن غير هذه الخارجة أهم إلينا منهم ، فدعوا ذكرهم ، وسيروا إلى قوم يقاتلونكم كما يكونوا جبارين ملوكا ، ويتخذوا عباد الله خولا^(١) » .

فتنادى الناس من كل جانب : سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت ، وقام إليه صيفي ابن فسيل الشيباني فقال : يا أمير المؤمنين ، نحن حزبك وأنصارك ، نعادي من عاديت ، ونشايع من أناب إلى طاعتك ، فسر بنا إلى عدوك من كانوا وأينما كانوا ، فإنك إن شاء الله إن تؤتى من قلة عدد ، ولا ضعف نية أتباع .

وقام إليه محرز بن شهاب التميمي من بني سعد فقال : يا أمير المؤمنين : شيعتك كقلب رجل واحد في الإجماع على بصرك ، والجد في جهاد عدوك ، فأبشر بالنصر ، وسر بنا إلى أي الفريقين أحببت ، فإننا شيعتك الذين نرجو في طاعتك ، وجهاد من خالفك صالح الثواب ، ونخاف في خذلانك والتخلف عنك شدة الوبال (تاريخ الطبري ٦ : ٤٥)

٢٩٦ - خطبة معاوية

ولما فشل التحكيم بايع أهل الشام معاوية بالخلافة ، واختلف الناس بالعراق على عليّ
فما كان معاوية همّ إلا مصر ، فدعا أصحابه ليستشيرهم في أمرها ، وكان فيهم عمرو بن العاص
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد فقد رأيتم كيف صنع الله بكم في حربكم عدوّكم ، جاءوكم وهم لا تزوّن إلا
أنهم سيقبضون بيضتكم^(١) ، ويخربون بلادكم ، ما كانوا يرون إلا أنكم في أيديهم ، فردم
الله بغيظهم لم ينالوا خيراً مما أحبوا ، وحاكناهم إلى الله فحكم لنا عليهم ، ثم جمع لنا كلمتنا
وأصلح ذات بيننا ، وجعلهم أعداء متفرقين يشهد بعضهم على بعض بالكفر ، ويسفك
بعضهم دم بعض ، والله إنى لأرجو أن يتم لنا هذا الأمر ، وقد رأيت أن نحاول أهل مصر
فكيف ترون ارتثاءنا لها ؟ » .

وكان عمرو بن العاص قد صالح معاوية حين بايعه على قتال علي بن أبي طالب ، على أن
له مصر طعمةً مابقي ، فقال لمعاوية : فإني أشير عليك كيف تصنع : أرى أن تبعث جيشاً
كثيفاً عليهم رجل حازم صارم تأمنه وتشق به ، فيأتي مصر حتى يدخلها . . . فسيرة إليها .
(تاريخ الطبري ٦ : ٥٦)

٢٩٧ - وصية معاوية لعمرو بن العاص

وجهز معاوية عمرو بن العاص ، وبعثه في ستة آلاف رجل ، وخرج وودّعه ، وقال
له عند وداعه إياه :

(١) البيضة : حوزة كل شيء .

« أوصيك يا عمرو بتقوى الله والرفق ، فإنه يُمنِّ ، وبالمهمل والتؤدة ، فإن العجلة من الشيطان ، وبأن تقبل ممن أقبل ، وأن تعفو عن أدبر ، فإن قبل فيها ونعمت ، وإن أبي فإن السطوة بعد المعذرة أبلغ في الحجّة ، وأحسن في العاقبة ، وادع الناس إلى الصلح والجماعة ، فإذا أنت ظهرت فليكن أنصارك آثرَ الناس عندك ، وكلّ الناس فأولُ حسنا . »
(تاريخ الطبري ٦ : ٥٧)

٢٩٨ - خطبة محمد بن أبي بكر

وقدم محمد بن أبي بكر مصر واليا عليها من قبل علي بن أبي طالب (سنة ٣٦ هـ) فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« الحمد لله الذي هدانا وإياكم لما اختلف فيه من الحق ، وبصّرنا وإياكم كثيرا بما عسى عنه الجاهلون ، ألا إن أمير المؤمنين ولآني أموركم ، وعهد إلى ما قد سمعتم ، وأوصاني بكثير منه مشافهة ، ولن آلوكم خيرا ما استطعت ، وما توفيتني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . فإن يكن ما ترون من إمارتي وأعمال طاعة الله وتقوى ، فاحمدوا الله عز وجل على ما كان من ذلك ، فإنه هو الهادي . وإن رأيتم عاملا لي عمل غير الحق زائفا ، فارفعوه إلى وعاتبوني فيه ، فإنني بذلك أسعد ، وأنتم بذلك جديرون ، وفقنا الله وإياكم لصالح الأعمال برحمته . »
(تاريخ الطبري ٥ : ٢٢٢)

٢٩٩ - خطبة محمد بن أبي بكر

وأقبل عمرو بن العاص حتى قصد مصر ، فقام محمد بن أبي بكر في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال :

« أما بعد معاشر المسلمين والمؤمنين ، فإن القوم الذين كانوا ينتهكون الحرمه ،

وينعشون الضلالة ، ويشبّون نار الفتنة ، ويتسلطون بالجبرية ، قد نصبوا لكم العداوة ،
وساروا إليكم بالجنود .

عباد الله فمن أراد الجنة والمغفرة ، فليخرج إلى هؤلاء القوم ، فليجاهدكم في الله .
انتدبوا إلى هؤلاء رحمكم الله مع كنانة بن بشر « ثم انتهى الأمر بقتل محمد بن أبي بكر -
(تاريخ الطبري ٦ : ٥٩)

٣٠٠ - خطبة لعلي وقد استصرخه محمد بن أبي بكر

ولما سير معاوية عمرو بن العاص إلى مصر (سنة ٣٨ هـ) - وكان عليها محمد بن أبي بكر
من قبل عليّ - بعث ابن أبي بكر إلى عليّ يستصرخه ، فقام علي في الناس ، فحمد الله وأثنى
عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أما بعد ، فإن هذا صريح محمد بن أبي بكر ، وإخوانكم من أهل مصر ، قد سار
إليهم ابن النابغة ، عدو الله ، وولي من عادى الله ، فلا يكونن أهل الضلال إلى باطلهم
والركون إلى سبيل الطاغوت ، أشدّ اجتماعاً منكم على حقكم هذا ، فإنهم قد بدءواكم
وإخوانكم بالغزو ، فاعجلوا إليهم بالمواساة والنصر .

عباد الله : إن مصر أعظم من الشام ، أكثر خيراً ، وخير أهلاً ، فلا تغلبوا على
مصر ، فإن بقاء مصر في أيديكم عز لكم ، وكنت لعدوكم ، اخرجوا إلى الجرعة بين
الحيرة والكوفة ، فوافوني بها هناك غدا إن شاء الله .

(تاريخ الطبري ٦ : ٦١ وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ٣٤)

٣٠١ - خطبة عليّ حين بلغه مقتل محمد بن أبي بكر

ولما بلغ عليا مقتل محمد بن أبي بكر ، حزن عليه حتى رُئى ذلك في وجهه وتبين فيه
وقام في الناس خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وقال :
« ألا إن مصر قد افتتحها الفَجْرَة أولو الجور والظلم ، الذين صدّوا عن سبيل الله ،
وبفّوا الإسلام عوجا ، ألا وإن محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمة الله ، فعند الله نحتسبه ،
أما والله إن كان - ما علمت - لَمَن يَنْتَظِر القضاء ، ويعمل للجزاء ، ويبغض شكل الفاجر ،
ويحب هدى المؤمن .

إني والله ما ألوم نفسي على التقصير ، وإني لمقاساة الحرب نَجِدٌ^(١) خبير ، وإني لأقدم
على الأمر وأعرف وجه الحزم ، وأقوم فيكم بالرأى المصيب ، فأستصرخكم معلنا ، وأناديكم
نداء المستغيث مُعْرِبًا ، فلا تسمعون لي قولا ، ولا تطيعون لي أمرا ، حتى تصير بي الأمور
إلى عواقب المساءة ، فأنتم القوم لا يدرك بكم النارُ ، ولا ينقض بكم الأوتار ، دعوتكم إلى
غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين آيلة ، فتجرجرتم جرجرة^(٢) الجمل الأشدق ، وتناقلتم
إلى الأرض تناقل من ليس له نية في جهاد العدو ، ولا اكتساب الأجر ، ثم خرج إلى
منكم جُنَيْدٌ متذائب^(٣) كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ، فأف لكم « ثم نزل :
(تاريخ الطبري ٦ : ٦٢)

(١) النجد : الشجاع الماضي فيما يعجز غيره . (٢) الجرجرة : صوت رده البعير في حنجرته ،
وأكثر ما يكون ذلك عند الإعياء والتعب . (٣) جنيد : تصغير جند ، متذائب : مضطرب . من
قولهم : تذاهبت الريح أي اضطرب هبوبها ، ومنه سمي الذئب ذئبا لاضطراب مشيته .

فتنة الخوارج

٣٠٢ - مناظرة عبد الله بن عباس لهم

لما رجع الإمام عليّ كرم الله وجهه من صفين إلى الكوفة - بعد كتابة صحيفة التحكيم بينه وبين معاوية - اعتزله جماعة من أصحابه ممن رأوا التحكيم ضللا ، ونزلوا حرورا^(١) في اثني عشر ألفا ، وأمرّوا على القتال شبت بن ربعي ، وعلى الصلاة عبد الله بن الكواء ، فبعث إليهم عليّ عبد الله بن عباس ، فقال : لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك ، فخرج إليهم حتى أتاهم ، فأقبلوا يكلمونه ، فلم يصبر حتى راجعهم فقال :

« ما نقيم من الحكمين ؟ وقد قال الله عز وجل : « إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما^(٢) » فكيف بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت الخوارج : قلنا أما ما جعل حكمه إلى الناس وأمر بالنظر فيه والإصلاح له ، فهو إليهم كما أمر به ، وما حكم فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه ، حكم في الزاني مائة جلدة ، وفي السارق بقطع يده ، فليس للعباد أن ينظروا في هذا ، قال ابن عباس : فإن الله عز وجل يقول : « يحكم به

(١) بظاهر الكوفة .

(٢) الآية في الصلح بين الزوجين (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ، إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا)

ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ^(١)» فقالوا له : « أَوْ تَجْعَلُ الْحَكْمَ فِي الصَّيْدِ ، وَالْحَدِيثَ يَكُونُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ
 وَزَوْجِهَا كَالْحَكْمِ فِي دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ؟ » وقالت الخوارج قلنا له : فهذه الآية بيننا وبينك ،
 أَعَدْلٌ عِنْدَكَ ابْنُ الْعَاصِ وَهُوَ بِالْأَمْسِ يِقَاتِلُنَا ، وَيَسْفِكُ دِمَاءَنَا ؟ فَإِنْ كَانَ عَدْلًا فَلَسْنَا
 بِعَدُولٍ ، وَنَحْنُ أَهْلُ حَرْبِهِ ، وَقَدْ حَكَّمْتُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ الرَّجَالَ ، وَقَدْ أَمْضَى اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا
 حُكْمَهُ فِي مَعَاوِيَةَ وَحِزْبِهِ أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يَرْجَعُوا^(٢) ، وَقَبْلَ ذَلِكَ مَا دَعَوْنَا إِلَى كِتَابِ
 اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا فَأَبَوْهُ ، ثُمَّ كَتَبْتُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ كِتَابًا ، وَجَعَلْتُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ الْمَوَادِعَةَ
 وَالِاسْتِفَاضَةَ^(٣) وَقَدْ قَطَعَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا الْإِسْتِفَاضَةَ وَالْمَوَادِعَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الْحَرْبِ
 مِنْذُ نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ ، إِلَّا مَنْ أَقْرَبَ بِالْجُزْيَةِ .

(تاريخ الطبري ٦ : ٣٦ ، والكامل للمبرد ٢ : ١٢٠)

٣٠٣ - مناظرة الامام علي لهم

ثم خرج إليهم علي حتى انتهى إليهم وهم يخاصمون ابن عباس، فقال: انته عن كلامهم
 ألم أنهلك رحمك الله؟

(١) الآية في حكم قاتل الصيد وهو محرم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ
 وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ
 ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ) .

(٢) يشيرون إلى قوله تعالى (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ
 فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ
 أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ،
 إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) .

(٣) استفاض المكان استفاضة : اتسع ، وهي هنا مرادفة للموادعة .

ثم تكلم فحمد الله عزَّ وجلَّ وأثنى عليه ثم قال :

« اللهم إن هذا مقام من أفلج^(١) فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة ، ومن نطق فيه وأوعث^(٢) فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ، ثم قال لهم : من زعيمكم ؟ قالوا : ابن الكواء ، قال عليّ : فما أخرجكم علينا؟ قالوا حكومتكم يوم صفين . قال : أنشدكم بالله أتعلون أنهم حيث رفعوا المصاحف ، فقلتم نجيبهم إلى كتاب الله ، قلت لكم إني أعلم بالقوم منكم ، إنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، إني صحبتهم وعرفتهم أطفالا ورجالا ، فكانوا شرَّ أطفال وشرَّ رجال ، امضوا على حكم وصدقكم ، فإنما رفع القوم هذه المصاحف خديعة وإدهانا^(٣) ومكيدة ، فرددتم عليّ رأيي ، وقلتم لا بل نقبل منهم ، فقلت لكم اذكروا قولي لكم ومعصيتكم إياي ، فلما أبيتم إلا الكتاب ، اشتدَّتْ على الحكمين أن يحيا ما أحيا القرآن ، وأن يميتا ما أمات القرآن ، فإن حكما بحكم القرآن ، فليس لنا أن نخالف حكما يُحكَّم بما في القرآن ، وإن أبيا فنحن من حكمهما برآء . قالوا له : فخبِرنا أترأه عدلا تحكيم الرجال في الدماء؟ فقال : إنا لسنا حكمنا الرجال ، إنما حكمنا القرآن وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق ، إنما يتكلم به الرجال . قالوا : فخبِرنا عن الأجل لم جعلتهُ فيما بينك وبينهم ؟ قال : ليعلم الجاهل ، ويتثبت العالم ، ولعل الله عزَّ وجلَّ يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة ، ادخلوا مصركم رحمكم الله ، فدخلوا من عند آخرهم . »

(تاريخ الطبري ٦ : ٣٧ ، الكامل للبرد ٢ : ١٢٨)

(١) الفلج والإفلاج : الظفر والفوز . (٢) أوعث : وقع في الوعث (الوعث بالسكون : المكان

للسهل الدهس تنيب فيه الأقدام والطريق العسر) . (٣) الإدهان : الغش .

٣٠٤ - صورة أخرى

وروى صاحب العقد المناظرة بين عليّ وبين الخوارج بصورة أخرى وها كها :
« قالوا إن عليّاً لما اختلف عليه أهل النهروان والقرى وأصحاب البرانس ، ونزلوا قرية يقال لها حروراء - وذلك بعد وقعة الجمل - رجع إليهم عليّ بن أبي طالب ، فقال لهم : يا هؤلاء من زعيمكم ! قالوا : ابن الكواء ، قال : فليبرز إليّ ، فخرج إليه ابن الكواء ، فقال له عليّ : يا ابن الكواء ، ما أخرجكم علينا بعد رضاكم بالحكمين ، ومُقامكم بالكوفة؟ قال : قانت بنا عدوا لا نشكُّ في جهاده ، فزعمت أن قتلانا في الجنة ، وقتلهم في النار ، فبينما نحن كذلك إذ أرسلت منافقا ، وحكمت كافراً ، وكان من شكك في أمر الله أن قلت للقوم حين دعوتهم : كتاب الله بيني وبينكم ، فإن قضى عليّ ببيعةكم ، وإن قضى عليكم بايعتموني ، فلو لا شكك لم تفعل هذا ، وألحق في يدك . قال عليّ : يا ابن الكواء ، إنما الجواب بعد الفراغ ، أفرغت فأجيبك؟ قال : نعم ، قال عليّ : أما قتالنا معي عدوا لا نشكُّ في جهاده فصدقت ، ولو شككت فيهم لم أقاتلهم ، وأما قتالنا وقتلهم ، فقد قال الله في ذلك ما يُستغنى به عن قولي ، وأما إرسال المنافق وتحكيمي الكافر ، فأنت أرسلت أبا موسى مبرنساً ، ومعاوية حاكم عمرًا ، أتيت بأبي موسى مبرنساً ، فقلت : لا نرضى إلا أبا موسى ، فهلا قام إلى رجل منكم فقال : يا علي لا تعط هذه الدنية فإنها ضلالة؟ وأما قولي لمعاوية : إن جرّني إليك كتاب الله تبعتك ، وإن جرّك إليّ تبعتنى . زعمت أني لم أعط ذلك إلا من شك ، فقد علمت أن أوثق ما في يديك هذا الأمر ، فحدثني ويحك عن اليهودي والنصراني ومُشركي العرب ، أأهم أقرب إلى كتاب الله أم معاوية وأهل الشام؟ قال : بل معاوية وأهل الشام أقرب ، قال عليّ : أفرسول الله صلى الله عليه وسلم كان أوثق بما في يديه من كتاب الله أو أنا؟ قال : بل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أفرأيت الله تبارك وتعالى حين يقول : (قُلْ فَأَنؤا

بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . أَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُوْتَىٰ بِكِتَابٍ هُوَ أَهْدَىٰ مِمَّا فِي يَدَيْهِ ؟ قَالَ : بَلَىٰ ، قَالَ : فَلِمَ أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَوْمَ مَا أُعْطَاهُمْ ؟ قَالَ : إِنْصَافًا وَحُجَّةً ، قَالَ : فَإِنِّي أُعْطِيتُ الْقَوْمَ مَا أُعْطَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ ابْنُ الْكَوَّاءِ : فَإِنِّي أَخْطَأْتُ . هَذِهِ وَاحِدَةٌ . زِدْنِي ، قَالَ عَلِيٌّ : فَمَا أُعْظِمُ مَا نَقَمْتُمْ عَلَيَّ ؟ قَالَ : تَحْكِيمَ الْحَكَمِينَ ، نَظَرْنَا فِي أَمْرِنَا ، فَوَجَدْنَا تَحْكِيمَهُمَا شَكَا وَتَبْذِيرًا ، قَالَ عَلِيٌّ : فَتَمَّى أَبُو مُوسَى حَكَمًا ، حِينَ أُرْسِلَ ، أَوْ حِينَ حَكَمَ ؟ قَالَ : حِينَ أُرْسِلَ ، قَالَ : أَلَيْسَ قَدْ سَارَ وَهُوَ مُسْلِمٌ ، وَأَنْتَ تَرْجُو أَنْ يَحْكُمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ عَلِيٌّ : فَلَا أَرَى الضَّلَالَ فِي إِرْسَالِهِ ، فَقَالَ ابْنُ الْكَوَّاءِ ، تَمَّى حَكَمًا حِينَ حَكَمَ ، قَالَ : نَعَمْ إِذْنًا فِإِرْسَالِهِ كَانَ عَدْلًا ، أَرَأَيْتَ يَا ابْنَ الْكَوَّاءِ لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُؤْمِنًا إِلَى قَوْمٍ مُشْرِكِينَ يَدْعُوهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ، فَارْتَدَّ عَلَى عَقْبِهِ كَافِرًا ، كَانَ يَضُرُّ نَبِيَّ اللَّهِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ عَلِيٌّ : فَمَا كَانَ ذَنْبِي إِنْ كَانَ أَبُو مُوسَى ضَلَّ ، هَلْ رَضِيتُ حُكْمَهُ حِينَ حَكَمَ ، أَوْ قَوْلَهُ إِذْ قَالَ ؟ قَالَ ابْنُ الْكَوَّاءِ : لَا ، وَلَكِنَّكَ جَعَلْتَ مُسْلِمًا وَكَافِرًا يَحْكُمَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، قَالَ عَلِيٌّ : وَيَلِكُ يَا ابْنَ الْكَوَّاءِ ! هَلْ بَعَثَ عَمْرًا غَيْرُ مُعَاوِيَةَ ؟ وَكَيْفَ أَحْكَمَهُ وَحَكَمَهُ عَلَى ضَرْبِ عُنُقِي ، إِنَّمَا رَضِيَ بِهِ صَاحِبُهُ ، كَمَا رَضِيتَ أَنْتَ بِصَاحِبِكَ ، وَقَدْ يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ يَحْكُمَانِ فِي أَمْرِ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا مُؤْمِنًا تَزَوَّجَ يَهُودِيَّةً أَوْ نَصْرَانِيَّةً ، فَخَافَا شِقَاقَ بَيْنَهُمَا ، فَفَزِعَ النَّاسَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ، وَفِي كِتَابِهِ : (فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ ، وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا) فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ ، أَوْ رَجُلٌ مِنَ النَّصَارَى ، وَرَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، الَّذِينَ يَجُوزُ لَهَا أَنْ يَحْكُمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ فَحَكَمَا . قَالَ ابْنُ الْكَوَّاءِ : وَهَذِهِ أَيْضًا ، أَمَهَلْنَا حَتَّى نَنْظُرَ ، فَانصَرَفَ عَنْهُمْ عَلِيٌّ .

فَقَالَ لَهُ صَعْصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، ائْذَنْ لِي فِي كَلَامِ الْقَوْمِ ، قَالَ : نَعَمْ مَا لَمْ تَبْسُطْ يَدًا ، فَنَادَى صَعْصَعَةُ ابْنَ الْكَوَّاءِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَقَالَ : أَنْشُدْكُمْ اللَّهُ يَا مَعْشَرَ

الخارجين أن لا تكونوا عارًا على من يغزو لغيره^(١) ، وأن لا تخرجوا بأرض تسمون بها بعد اليوم ، ولا تستعجلوا ضلال العام خشية ضلال عام قابل ، فقال له ابن الكواء : إن صاحبك لَقِينَا بِأَمْرٍ ، قولك فيه صغيرٌ فأَمْسِكْ .

قالوا إن عليًا خرج بعد ذلك إليهم ، فخرج إليه ابن الكواء ، فقال له عليّ : يا ابن الكواء : إنه من أذنب في هذا الدين ذنبًا يكون في الإسلام حَدَثًا ، اسْتَبَدَّنَاهُ مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ بَعِينَهُ ، وَإِنْ تَوْبَتِكَ أَنْ تَعْرِفَ هُدًى مَا خَرَجْتَ مِنْهُ ، وَضَلَّ مَا دَخَلْتَ فِيهِ . قال ابن الكواء : إننا لا ننكر أننا قد فُتِنَّا ، فقال له عبد الله بن عمرو بن جُرْمُوزٍ : أَدْرَكْنَا وَاللَّهِ هَذِهِ الْآيَةَ (الْمآءُ ، أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكَوْا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) - وكان عبد الله من قراء أهل حروراء ، فرجعوا فَصَلَّوْا خَلْفَ عَلِيِّ الظَّهْرَ ، وانصرفوا معه إلى الكوفة ، ثم اختلفوا بعد ذلك في رجعتهم ولام بعضهم بعضًا ، ثم خرجوا على عليّ ، فقتلهم بالنهر وان .

(المقد الفريد ٢ : ٢٤٠)

٣٠٥ - مناظرة ابن عباس لهم

فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أن عليًا رجع عن التحكيم ، وتاب منه ، وراه ضلالًا ، فأتى الأشعث بن قيس عليًا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الناس قد تحدثوا أنك رأيت الحكومة ضلالًا ، والإقامة عليها كفرًا وتبت ، فخطب عليّ الناس فقال :

« من زعم أني رجعت عن الحكومة فقد كذب ، ومن رآها ضلالًا فهو أضلُّ منها ، فخرجت الخوارج من المسجد فحكمت ، فقبل لعلي منهم خارجون ، فقال : لا أقاتلهم حتى يقاتلوني ، وسيفعلون ، فوجه إليهم عبد الله بن العباس .

فلما سار إليهم رحبوا به وأكرموه ، فرأى منهم جباها قرحت لطول السجود ،

(١) أي لغير منفعة الشخصية بل للتم شعث المسلمين وجمع كلمتهم يعني عليا وأصحابه .

وأيديا كَثَفِنَاتٍ^(١) الإبل ، وعليهم قُمْصٌ مَرَحَضَةٌ^(٢) وهم مشمرون . قالوا : ما جاء بك يا بن عباس ؟ قال : جئتكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه ، وأعلمنا بربه وسنة نبيه ، ومن عند المهاجرين والأنصار ، فقالوا : إنا أتينا عظيمًا حين حكنا الرجال في دين الله ، فإن تاب كما تدنا ، ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا ، فقال ابن عباس : نشدتكم الله إلا ما صدقتم أنفسكم . أما علمتم أن الله أمركم بتحكيم الرجال في أرباب تساوى ربع درهم تصاد في الحرم ، وفي شقاق امرأة ورجلها ، فقالوا : اللهم نعم ، قال : فأنشدكم الله هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن القتال ، للهدنة بينه وبين الحُدَيْبِيَّةِ^(٣) ، قالوا : نعم ولكن عليا محًا نفسه من خلافة المسلمين ، قال ابن عباس : أذلك يزيلها عنه ؟ وقد محًا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه من النبوة ، قال سهيل^(٤) بن عمرو : لو علمت أنك رسول الله ما حاربتك ، فقال للكانب^(٥) : اكتب محمد بن عبد الله وقد أخذ على الحكمين أن لا يجورا ، فعلى أولى من معاوية وغيره ، قالوا : إن معاوية يدعى مثل دعوى على . قال : فأيهما رأيتموه أولى فولوه ، قالوا : صدقت ، قال ابن عباس : ومتى جار الحكمان فلا طاعة لهما ، ولا قبول لقولهما .

فاتبعهُ منهم ألفان وبقى أربعة آلاف ، فلم يزالوا على ذلك حتى اجتمعوا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي .

(للعقد الفريد ١ : ٢١٢)

(١) ثفنة البعير : ركبته . (٢) قمص جمع قميص ، ورحض الثوب : غسله .

(٣) أي وبين أهل الحديبية . والحديبية بئر قرب مكة ، وكانت غزوة الحديبية سنة ست هجرية .

(٤) النائب عن قريش في عقد الصلح مع المسلمين . (٥) وكان هلي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

٣٠٦ - خطبة يزيد بن عاصم المحاربي

وخرج الإمام عليّ كرم الله وجهه ذات يوم يخطب ، فإنه لفي خطبته ، إذ حكمت^(١) المحكمة في جوانب المسجد ، فقال عليّ : الله أكبر ، كلمة حق يراد بها باطل : إن سكتوا عممناهم ، وإن تكلموا حججناهم ، وإن خرجوا علينا قاتلناهم ، فوثب يزيد ابن عاصم المحاربي فقال :

« الحمد لله غير مؤدّع^(٢) ربنا ولا مستغنى عنه ، اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدنيّة^(٣) في ديننا ، فإن إعطاء الدنية في الدين إذهان^(٤) في أمر الله عز وجل ، وذل راجع بأهله إلى سخط الله ، يا عليّ أباقتل تخوفنا ؟ أما والله إني لأرجو أن تضربكم بها عما قليل غير مصفحات^(٥) ، ثم لتعلمنّ أيننا أولى بها صلياً^(٦) . »

ثم خرج بهم هو وإخوة له ثلاثة هورابهم ، فأصيبوا مع الخوارج بالنهر ، وأصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيلة .
(تاريخ الطبري ٦ : ٤١)

٣٠٧ - خطبة عبد الله بن وهب الراسي

ولما بعث الإمام عليّ أبا موسى الأشعري لإنفاذ الحكومة ، لقيت الخوارج بعضها بعضاً ، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسي ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

(١) أي قالوا لا حكم إلا الله ، ويسمى الخوارج المحكمة : أي الذين يمنعون التحكيم . (٢) أي غير متروك ولا مقطوع : أي حدا دائماً . (٣) يريد بها قبول التحكيم . (٤) الإذهان والمداهة : إظهار غير ما يضمّر . (٥) أي تضربكم بجدها لا بعرضها ، ضربه بالسيف مصفحاً : أي بعرضه . (٦) صلي النار وبها صلياً : قاسى حرها .

« أما بعد : فوالله ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن ، ويُنبئون إلى حكم القرآن ، أن تكون هذه الدنيا - التي الرضا بها والركون إليها ، والإيثار إياها عناءً وتباركاً^(١) - آثرَ عنهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقول بالحق ، وإن من^(٢) وضرراً ، فإنه من يُمنَّ وَيُضَرَّ في هذه الدنيا ، فإن ثوابه يوم القيامة رضوانُ الله عزَّ وجلَّ ، والخلودُ في جناته ، فأخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها ، إلى بعض كُور^(٣) الجبال ، أو إلى بعض هذه المدائن ، منكربين لهذه البدع المضلة . »

٣٠٨ - خطبة حرقوص بن زهير السعدي

فقام حرقوص بن زهير السعدي فقال :

« إن المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإن الفراق لها وشيك^(٤) ، فلا تدعوا نكم زينتها ، وبهجتها إلى المقام بها ، ولا تلتفتنكم عن طلب الحق ، وإنكار الظلم ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . »

٣٠٩ - خطبة حمزة بن سنان الأسدي

فقام حمزة بن سنان الأسدي فقال :

« يا قوم إن الرأي ما قد رأيتم ، والحق ما قد ذكرتم ، فولوا أمركم رجلاً منكم فإنه لا بد لكم من عماد وسناد ، وراية تحفون بها ، وترجعون إليها . »

فعرضوها على زيد بن حصين الطائي فأبى ، وعلى حرقوص بن زهير فأبى ، وعلى

(١) هلاك . (٢) أي قطع وهجر . (٣) جمع كورة بالضم ، وهي المدينة والصقع .

(٤) سريع .

حمزة بن سنان ، وشريح بن أوفى العبسي فأبيا ، وعلى عبد الله بن وهب فقال : « هاتوها ،
أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ، ولا أَدْعِيهَا فَرَقًا ^(١) من الموت » فبايعوه (لعشر خلون
من شوال سنة ٥٣٧ هـ) .

٣١٠ - خطبة شريح بن أوفى العبسي ^(٢)

ثم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي ، فقام شريح فقال .

« إن الله أخذ عهودنا ومواثيقنا على الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والقول
بالحق ، والجهاد في تقويم السبيل ، وقد قال عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام :
« يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ، وَلَا تَتَّبِعِ
الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ »
وقال : « وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ » فاشهدوا
علَى أَهْلِ دَعْوَتِنَا أَنْ قَدْ اتَّبَعُوا الْهَوَى ، وَتَبَدُّوا حُكْمَ الْقُرْآنِ ، وَجَارُوا فِي الْحُكْمِ
وَالْعَمَلِ ، وَأَنْ جِهَادَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَرَضَ ، وَأُقْسِمُ بِالَّذِي تَعْنُونَ ^(٣) لَهُ الْوَجْوهَ ، وَتَخْشَعُ
دُونَهُ الْأَبْصَارَ ، لَوْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ كَتَى تَغْيِيرَ الْمُنْكَرِ ، وَقِتَالَ الْقَاسِطِينَ ^(٤) مُسَاعِدًا ،
لِقَاتِلِهِمْ وَحْدِي فَرْدًا حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ رَبِّي ، فِيرَى أَنِي قَدْ غَيَّرْتُ (إِرَادَةَ رِضْوَانِهِ) بِلِسَانِي ،
يَا إِخْوَانِنَا ، اضْرِبُوا جِبَاهَهُمْ وَوَجْوهَهُمْ بِالسَّيْفِ ، حَتَّى يُطَاعَ الرَّحْمَنُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنْ

(١) جزعا وخوفا . (٢) قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة : « ثم اجتمعوا في منزل زفر بن
حصين الطائي ، فقالوا : إن الله أخذ عهودنا ومواثيقنا . . . إلى آخر الخطبة ، ولم يذكر قائلها .
وذكر الطبري في تاريخه : أنهم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي ، وذكر الفقرات الأخيرة من هذه
الخطبة وعزاها إلى شريح » . (٣) تذل وتخضع . (٤) الجازرين .

يُطْعِمُ اللهُ كَمَا أَرَدْتُمْ أَثَابَكُمْ ثَوَابَ الْمُطِيعِينَ لَهُ الْأَمْرِينَ بِأَمْرِهِ ، وَإِنْ قُتِلْتُمْ فَأَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ مِنْ الْمَسِيرِ إِلَى رِضْوَانِ اللهِ وَجَنَّتِهِ ؟ وَاعْلَمُوا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ خَرَجُوا لِإِقْصَاءِ حُكْمِ الضَّلَالَةِ ، فَخَرَجُوا بِنَا إِلَى بَلَدٍ نَتَّعِدُ فِيهِ الْاجْتِمَاعَ مِنْ مَكَانِنَا هَذَا ، فَإِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَةِ رَبِّكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُ الْحَقِّ بَيْنَ الْخَلْقِ ، إِذْ قَلْتُمْ بِالْحَقِّ ، وَصَمَدْتُمْ لِقَوْلِ الصِّدْقِ ، فَخَرَجُوا بِنَا إِلَى « الْمَدَائِنِ ^(١) » نَسَكْنُهَا فَنَأْخُذُ بِأَبْوَابِهَا ، وَنُخْرِجُ مِنْهَا سُكَّانَهَا ، وَنَبْعَثُ إِلَى إِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَيَقْدَمُونَ عَلَيْنَا .

٣١١ - مقال زيد بن حصين الطائي

فقال زيد بن حصين الطائي :

« إِنَّكُمْ إِنْ خَرَجْتُمْ مَجْتَمِعِينَ أَتْبِعْتُمْ ، وَلَكِنْ أَخْرَجُوا وَحِدَانًا مُسْتَخْفِينَ ، فَأَمَّا الْمَدَائِنُ ، فَإِنَّ بِهَا قَوْمًا يَمْنَعُونَكُمْ مِنْهَا ، وَيَمْنَعُونَهَا مِنْكُمْ ، وَلَكِنْ اكْتُبُوا إِلَى إِخْوَانِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَأَعْلِمُوهُمْ بِخُرُوجِكُمْ ، وَسِيرُوا حَتَّى تَنْزِلُوا جِسْرَ النَّهْرَوَانِ ^(٢) » .

قالوا : هذا هو الرأي ، فاجتمعوا على ذلك ، وكتبوا به إليهم .

(تاريخ الطبري ٥ : ٤٢ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٤)

(١) على نهر دجلة شرقا . (٢) النهروان : بليدة بالقرب من بغداد ، نحو أربعة فراسخ .

٣١٢ - خطبة عليّ في تخويف أهل النهروان

فلما نزلوا بالنّهروان ، وأتوا بها ما أتوا من الأحداث^(١) ، أتاهم الإمام عليّ كرم الله

وجهه ، فوقف عليهم فقال :

« أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المرء والأجاجة ، وصدها عن الحق الهوى ،
وطمخ بها التزق^(٢) وأصبحت في اللبس والخطب العظيم ، إني نذير لكم أن تُصبحوا
تُلفيكم الأمة غدا صرعى بأثنا^(٣) هذا النهر ، وبأهضام^(٤) هذا الغائط^(٥) ، على غير بينة
من ربكم ، ولا سلطان مبين معكم ، وقد طوّحت بكم الدار ، واحتبلكم^(٦) المقدار .

ألم تعلموا أني نهيتكم عن الحكومة ، وأخبرتكم أن طلب القوم إياها منكم دهن^(٧)
ومكيدة لكم ؟ ونبأتكم أن القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، وأني أعرفُ بهم منكم ؟

(١) من ذلك أنهم لقوا عبد الله بن خباب بن الارت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه امرأته
وهي حبلى متم (أي دنا ولادها) فقالوا : ما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى عليهما خيرا ، قالوا :
ما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها ؟ قال : إنه كان محقا في أولها وفي آخرها ، قالوا : فما تقول
في علي قبل التحكيم وبعده ؟ قال : إنه أعلم بالله منكم وأشد توقيا على دينه وأنفذ بصيرة ، فقالوا : إنك تتبع
الهوى ، وتوالي الرجال على أسماها لاعلى أفعالها ، ثم تربوه إلى شاطئ النهر فذبجوه ، وسال دمه في الماء ،
وبقروا بطن امرأته ، وقتلوا ثلاث نسوة من طييء ، وقتلوا أم سنان الصيداوية ، وأصابوا مسلما ونصرانيا ،
فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني خيرا ، وقالوا : احفظوا ذمة نبيكم ، وأرسل إليهم على رسولا ينظر فيما
بلغه عنهم فقتلوه ، فبعث إليهم أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم نقتلهم بهم ، ثم أنا تارككم وكاف عنكم
حتى أتى أهل الشام ، فلعل الله يقلب قلوبكم ويردكم إلى خير ما أنتم عليه من أمركم ، فبعثوا إليه ، فقالوا
كلنا قتلهم ، وكلنا نستحل دماءهم ودماءكم . (٢) الطيش . (٣) جمع ثني بالكسر : أي منعطفاته .
(٤) جمع هضم (بالفتح ويكسر) وهو المظمن من الأرض . (٥) الغائط : المظمن الواسع من الأرض .
(٦) أوقعكم في الحبالة . (٧) دهن الرجل : إذا نافق .

(عرفتم أطفالا ورجالا ، فهم أهل المكر والغدر) وأنكم إن فارقم رأيي جانبتم الحزم ؟
فمصيتموني وأكرهتموني حتى حكمت ، فلما أن فعلت شرطت واستوثقت ، فأخذت
على الحكيم أن يحيا ما أحيا القرآن ، وأن يميتا ما أمات القرآن ، فاختلعا وخالفا حكم
الكتاب والسنة ، وعملا بالهوى ، فنبدنا أمرها ، ونحن على أمرنا الأول ، فما الذي بكم ،
ومن أين أتيتم ؟ » .

قالوا : إنا حكمنا ، فلما حكمنا أئمتنا ، وكنا بذلك كافرين ، وقد تبنا ، فإن تبت
كما تبنا ، فنحن منك ومعك ، وإن أبيت فأنتز لنا ، فإننا منا بدوك على سواء^(١) إن الله
لا يحب الخائنين .

فقال علي : « أصابكم حاصب^(٢) ، ولا بقي منكم وابر^(٣) ، أبعد إيماني
برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهجرتي معه ، وجهادي في سبيل الله ، أشهد على نفسي
بالكفر ؟ لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين ، فأوبوا شر مآب^(٤) ، وارجعوا
على أثر الأعقاب^(٥) أما إنكم ستلقون بعدي ذلا شاملا ، وسيفا قاطعا ، وأثرة^(٦)
يتخذها الظالمون فيكم سنة » .

(١) هو من قوله تعالى (وَإِذَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنْ
أَلَّ اللَّهُ لَا يَجِبُ الْخَائِنِينَ) ومعناه إذا هادنت قوما فعلمت منهم النقض للعهد ، فلا توقع بهم سابقا إلى
النقض حتى تعلمهم أنك نقضت العهد ، فتكونوا في علم النقض مستوين لئلا يتهموك بالغدر .
ثم أوقع بهم . (٢) الحاصب : الريح الشديدة تثير الحصباء (الحصى) ، وحصبه : رماه
بالحصباء . (٣) أي أحد . ويروى آبر ، وهو الذي يأبر النخل أي يصلحه . ويروى آثر ، وهو
الذي يأثر الحديث أي يرويه ويحكيه . ويروى آبز ، وهو الواثب . (٤) أي ارجعوا شر مرجع .
(٥) الأعقاب جمع عقب (بكسر القاف) : وهو مؤخر القدم ، وهو مأخوذ من قوله تعالى :
« وَنُرِدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ » يدعو عليهم بانعكاس حالهم وارتدادهم وعودهم من العز
إلى اللذل . (٦) أي استبدادا عليكم بالنو والغنائم .

٣١٣ - صورة أخرى

وفي رواية أخرى أن علياً قال لأهل النهر :

« يا هؤلاء : إن أنفسكم قد سَوَّلت لكم فراق هذه الحكومة ، التي أنتم ابتدأتموها
وسألتموها^(١) وأنا لها كاره ، وأنباتكم أن القوم سألوكموها مكيدة ودَهْنًا ، فأبيتم على
إبَاءِ المخالفين المنابذين ، وعدلتم عنى عدول النكداء^(٢) العاصين ، حتى صرفت رأيي
إلى رأيكم ، وأنتم والله معاشرُ أخفاء الهام^(٣) ، سفهاء الأحلام ، فلم آتِ (لا أبا لكم)
بِجُرِّا^(٤) ، ولا أردت بكم ضُرًّا ، والله ما خبَلتكم^(٥) عن أموركم ، ولا أخفيت شيئًا
من هذا الأمر عنكم ؛ ولا أوطأتكم عُشْوَةً^(٦) ، ولا دنيت^(٧) لكم الضراء ، وإن
كان أمرنا لأمر المسلمين ظاهرًا ، فأجمع رأي مَلِيككم على أن اختاروا رجلين ، فأخذنا
عليهما أن يحكما بما في القرآن ولا يَعدُواه ، فتأها^(٨) وتركا الحق وهما يبصِرانه ، وكان
الجور هوأهما (وقد سبق استيئنا قنا عليهما في الحكم بالعدل) والصدُّ للحق بسوء رأيهما
وجورِ حكمهما ، والثقةُ في أيدينا لأنفسنا حين خالفا سبيل الحق ، وأتيا بما لا يُعرَف ،
فبيئنا لنا بماذا تستحلون قتالنا ، والخروج من جماعتنا ؟ أن اختار الناس رجلين^(٩) أحلَّ
لكم أن تضعوا أسيافكم على عواتقكم ، ثم تستعرضوا الناس تضربون رقابهم ، وتسفكون

(١) المراد : سألتموني أن أجيب إليها . (٢) رجل نكد (بكسر الكاف وفتحها وسكونها)
وأنكد أي عسر ، وقوم أنكاد ومناكيد ، ولم أر في كتب اللغة جمعه على نكداء . (٣) أخفاء : جمع
خفيف ، والهام : الرهوس ، وهو كناية عن قلة العقل . (٤) البجر ، بالضم والفتح : الشر والأمر
العظيم ، ويروى حراما . (٥) منعتكم وحبستكم . (٦) العشوة مثلثة : ركوب الأمر على غير
بيان ، وبالفتح الظلمة ، ويقال : أوطأته عشوة ، أي غررته وحملته على أن يركب أمرا غير مستبين الرشدا ،
فربما كان فيه عطله . (٧) دناء وأدناه : قربه . (٨) ضلا . (٩) همزة الاستفهام
مقدرة قبل أن : أي هل اختيار الناس رجلين أحل لكم ذلك ؟

دماءهم ؟ إن هذا هو الخسران المبين ، والله لو قتلتم على هذا دجاجة لعَظُمَ عند الله قتلها ، فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام ؟ » .

فتنادوا لا تخاطبوهم ولا تكلموهم ، وَهَيَّئُوا لِلْقَاءِ الرَّبِّ ، الرَّوَاحَ الرَّوَاحَ إِلَى الْجَنَّةِ ، فرحف عليهم على فأنفاهم ، وقتل ابن وهب في المعركة ، ولم يُفَاتِ منهم إلا عشرة (وكان ذلك سنة ٣٧ ، وقيل سنة ٣٨ هـ) .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٤٧ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٩ ونهج البلاغة ١ : ٤٤ - ٥٤)

٣١٤ - خطبة المستورد بن علفة

واجتمع بعد وقعة النهروان بالنخيلة جماعة من الخوارج ، ممن فارق عبد الله ابن وهب ، ومن لجأ إلى راية أبي أيوب^(١) ، ومن كان أقام بالكوفة فقال : لا أقاتل علياً ولا أقاتل معه ، فتواصوا فيما بينهم وتعاضدوا وتأسفوا على خذلانهم أصحابهم ، فقام منهم قائم يقال له المستورد بن علفة من بنى سعد بن زيد مناة ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ثم قال : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا بالعدل تحقّق رايته ، معلناً مقالته ، مبلغاً عن ربه ، ناصحاً لأُمَّته ، حتى قبضه الله مُخَيَّرًا مختاراً ، ثم قام الصديق فصَدَّقَ عن نبيه ، وقابل من ارتدّ عن دين ربه ، وذكر أن الله عز وجل قرّن الصلاة بالزكاة ، فرأى أن تعطيل إحداهما طعنٌ على الأخرى ، لا بل على جميع منازل الدين ، ثم

(١) وذلك أن الإمام قبل أن يرحف عليهم في وقعة النهروان نصب لهم راية أمان مع أبي أيوب الأنصارى ، فتاداهم أبو أيوب : « من جاء هذه الراية منكم ممن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن . ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن ، وخرج من هذه الجماعة فهو آمن ، إنه لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا منكم في سفك دمائكم » .

قبضه الله إليه موفوراً ، ثم قام الفاروق ففرق بين الحق والباطل ، مُسَوِّياً بين الناس في إعطائه ، لا مؤثراً لإقاربه ، ولا مُحَكِّماً في دين ربه ، وهأنتم تعلمون ما حدث ، والله يقول : « وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » فكلُّ أجاب وبائع^(١) .
(الكامل للمبرد ٢ : ١٥٤)

(١) وقد وجه إليهم الإمام علي ، عبد الله بن عباس داعياً فأبوا ، فسار إليهم فطحنهم جميعاً لم يفلت

منهم إلا خمسة منهم المستورد .

خور أصحاب الإمام

وتقاعسهم عن نصرته

٣١٥ - خطبة عبد الله بن عباس في أهل البصرة

ورأى الإمام عليّ كرم الله وجهه بعد فشل التحكيم أن يمضى لمناجزة معاوية وأهل الشام ، فكتب إلى عبد الله بن عباس - وكان على البصرة - أن يُشخص^(١) إليه مَنْ قبله من الناس . فأمرهم ابن عباس بالشخص مع الأحنف بن قيس ، فَشَخَّصَ معه منهم ألف وخمسمائة رجل ، فاستقلهم ابن عباس ، فقام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا أهل البصرة: قد جاءني كتاب أمير المؤمنين يأمرني بإشخاصكم ، فأمرتكم بالمسير إليه مع الأحنف بن قيس ، فلم يشخص إليهم منكم إلا ألف وخمسمائة ، وأنتم في الديوان^(٢) »

(١) شخص كنع شخصاً : خرج من موضع إلى غيره ، وأشخصته أنا .

(٢) الديوان : الكتاب الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء ، وهو فارسي معرب . قال القلقشندي في صبح الأعشى ١ : ٩٠ « وقد حكى الماوردي في الأحكام السلطانية في سبب تسميته بذلك وجهين : أحدهما أن كسرى ذات يوم اطلع على كتاب ديوانه في مكان لهم ، وهم يحسبون مع أنفسهم فقال « ديوانه » أي مجازين فسمى موضعهم بهذا الاسم ولزمه من حينئذ ، ثم حذفت الطاء من آخره لكثرة الاستعمال تخفيفاً فقيل ديوان ، والثاني : أن الديوان بالفارسية اسم للشياطين ، وسمى الكتاب بذلك لخطتهم بالأموال ، ووقوفهم على الجلي منها والحقى « اهـ » ومنه ترى أن الديوان كان يطلق في الفارسية على موضع الكتاب الحاسبين وعلى جماعة الكتاب ، وقد أطلق في العربية على جريدة الحساب ، ثم أطلق على الحساب ، ثم على موضع الحساب ، =

ستون ألفاً ، سوى أبنائكم وعبدانكم^(١) ومواليكم ، ألا فانفروا^(٢) ،
ولا يجعل امرؤ على نفسه سبيلاً ، فإني موقِعٌ بكلِّ من وجدته تخلف عن دعوته ،
عاصياً لإمامه ، حزيناً يُعقِبُ ندماً ، وقد أمرت أبا الأسود بحشدكم ، فلا يلم امرؤ
جعل السبيل على نفسه إلا نفسه » .

(الإمامة والسياسة ١ : ١٠٦ ، تاريخ الطبري ٦ : ٤٤)

٣١٦ - خطبة الإمام وقد أراد الانصراف من النهروان

ولما أراد الإمام الانصراف من النهروان ، قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
« أما بعد ، فإن الله قد أحسن بلاءكم وأعزَّ نصركم ، فتوجهوا من فوركم هذا إلى
معاوية وأشياعه القاطنين ، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، « واشتروا به تمناً
قليلاً » ف « بئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » .

٣١٧ - مقال الأشعث بن قيس

فقال الأشعث بن قيس فقال :

« يا أمير المؤمنين : نمدت نبالنا ، وكأنت سيوفنا ، ونصّلت^(٣) أسنة رماحنا وعادَ

= ثم على طائفة الكتاب ، وكان ذلك عهد في عصر الدولة العباسية ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أول
من دون الدواوين في العرب سنة ٢٣ أى رتب الجرائد للعمال ورجال الجيش فيها أسماءهم ومراتبهم فى النسب
وأرزاقهم (انظر تاريخ الطبري ٥ : ٢٣) . (١) جمع عبد . (٢) نفر إلى الشيء :
أمرع إليه . (٣) سقطت .

أكثرها قصدا^(١) فارجع بنا إلى مصرنا ، فلنستعد بأحسن عدتنا ، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عددنا مثل من هلك منا ، فإنه أقوى لنا على عدونا .

فأقبل عليّ بالناس حتى نزل بالنخيلة^(٢) ، ثم دخل الكوفة .

(الامامة والسياسة ١ : ١١٠ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٥١ ، ومروج الذهب ٢ : ٣٨ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٧٩) .

٣١٨ - خطبة الإمام بالكوفة بعد قدومه من حرب الخوارج

يستنفر الناس لقتال معاوية

وخطب الناس بالكوفة بعد قدومه من حرب الخوارج فقال :

« أيها الناس استعدوا لقتال عدوّي ، في جهادهم القربة إلى الله عز وجل ، ودرك الوسيلة عنده ، قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه ، مؤزعين^(٣) بالجور والظلم لا يعدلون به ، جفاة عن الكتاب ، نكب^(٤) عن الدين ، يعمهون^(٥) في الطغيان ويتسكعون^(٦) في غمرة الضلال ، ف « أعيّدوا لهم ما امتطعتم من قوّة ومن رباط^(٧) الخيل - وتوكلوا على الله ، وكفى بالله وكيلا » .

(١) رمح قصد ، وتصيد ، وأقصاد : أى متكسر . (٢) وعسكر بها حين نزلها ، وأمر الناس أن يلزموا معه معسكرهم ، ويوطنوا على الجهاد أنفسهم ، وأن يقللوا من زيارة أبنائهم ونسائهم حتى يسيروا إلى عدوهم من أهل الشام . فجعلوا يتسللون ويدخلون الكوفة ، حتى تركوه وما معه إلا نفر من وجوه الناس يسير ، وبقي المعسكر خاليا ، فلا من دخل الكوفة خرج إليه ، ولا من أقام معه صبر ، فلما رأى ذلك دخل الكوفة . (٣) أوزعه بالشئ : أغراه فأوزع به بالضم . (٤) من نكب عن الطريق : أى عدل وما . (٥) من العمه (محرّكة) : وهو التحير والتردد في الضلال . (٦) تسكع : مشى مشيا متعسفا ، وتحير . (٧) اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ، فعال بمعنى مفعول أو مصدر سمي به كالمرابطة أو جمع ربيط فعيل بمعنى مفعول .

فما نفرُوا ولا تيسرُوا ، فتركهم أياماً حتى إذا أيس من أن يفعلوا دعا رؤساءهم
ووجههم ، فسألهم عن رأيهم ، وما الذي ينظرون^(١) ، فمنهم المعتل ، ومنهم المتكره ،
وأقلهم من نشيط ، فقام فيهم خطيباً فقال :

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٧٩ ، والامامة والسياسة ١ : ١١٠ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٥١)

٣١٩ - خطبة له أيضاً في استنفارهم لقتال معاوية

« عباد الله : مالكم إذا أمرتكم أن تنفروا في سبيل الله اثاقلتم^(٢) إلى الأرض ا
أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلاً ، وبالذل والهوان من العز خلقاً ؟ أو كلما ندبتكم
إلى الجهاد دارت أعينكم ، كأنكم من الموت في سكرة ، وكان قلوبكم مألوسة^(٣) فأنتم
لا تعقلون ، وكان أبصاركم كمة^(٤) فأنتم لا تبصرون ؛ لله أنتم ! ما أنتم إلا أسود
الشرى^(٥) في الدعة^(٦) ، وثمان رواءة حين تدعون إلى البأس ! ما أنتم لي بثقة
سجيس الليالي^(٧) ، ما أنتم بركب يصال بكم ، ولا ذي عز يعتصم إليه ، لعمر الله لبئس
حشاش^(٨) الحرب أنتم ، إنكم تكادون ولا تكيدون ، وتنتقص أطرافكم
ولا تتحاشون^(٩) ، ولا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون ، إن أخوا الحرب اليقظان
ذو العقل ، وبات لذل من وادع ، وغلب المتخاذلون ، والمغلوب مقهور ومسلوب ،
ثم قال :

(١) يؤخرهم . (٢) اثاقلتم . (٣) من الألس : كشمس ، وهو الجنون واختلاط العقل ،
ألس (كعنى) فهو مألوس . (٤) كمة : جمع أكمة من كمة بصره (كفرح) اعترته ظلمة تطمس عليه .
(٥) الشرى : موضع تنسب إليه الأسد ، قيل هو شرى الفرات وناحيته وبه غياض وآجام ومأسدة .
(٦) أى في وقت الدعة والحفض . (٧) يقال : لا آتيك سجيس الليالي : أى أبدا .
(٨) جمع حاش اسم فاعل ، من حش النار : أى أوقدها . (٩) أى ولا تباعدون عن ذلك وتتلافونه
بالدفاع عنها ، من حاشية الشيء وهى ناحيته كما تقول تنحى عنه : أى تباعد عنه من الناحية .

« أما بعد : فإن لي عليكم حقاً ، وإن لكم عليّ حقاً ، فأما حقكم عليّ فالنصيحة لكم ما صحتكم ، وتوفير فينكم عليكم ، وتعليمكم كيلا تجهلوا ، وتأديبكم كيما تعلموا ، وأما حقّي عليكم ، فالوفاء بالبيعة والنصح لي في الغيب والمشهد ، والإجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين أمركم ، فإن يرد الله بكم خيراً تنزعوا عما أكره ، وترجعوا إلى ما أحب ، تنالوا ما تطلبون ، وتدرکوا ما تأملون »

(تاريخ الطبري ٦ : ٥١ ، الإمامة والسياسة ١ : ١١٠)

وروى الشريف الرضي هذه الخطبة في نهج البلاغة بصورة أخرى وهي :

٣٢٥ - صورة أخرى

« أف لكم ، لقد سئمت عتابكم ، أرضيتكم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً ، وبالذل من العز خلفاً ؟ إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم ، كأنكم من الموت في غمزة^(١) ، ومن الدهول في سكرة ، يرتج^(٢) عليكم حوارى فتعمهون ! فكان قلوبكم مألوسة فأنتم لاتعقلون ! ما أنتم لي بثقة سجيس الليالى ، وما أنتم بركن يمال بكم^(٣) ، ولا زوافير^(٤) عز يفتقر إليكم ، ما أنتم إلا كابل ضل رعاتها ، فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر ، لبئس لعمر الله سقر^(٥) نأر الحرب أنتم ، تُكادون ولا تكيدون ، وتنتقص أطرافكم فلا تمتعضون^(٦) ، لا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون ، غلب والله المتخاذلون ، وإني لأظن بكم أن لو حيس^(٧) الوغى ،

(١) الغمزة : الشدة . (٢) يفلق ، والحوار : المحاورة . (٣) أى يستند إليكم ويمال على

العدو بقوتكم . (٤) جمع زافرة ، والزافرة من البناء : ركنه ، ومن الرجل : عشيرته .

(٥) من سقر النار والحرب : كنع أو قدها مصدر بمعنى اسم الفاعل ، أو هو جمع ساعر ، كقولهم : قوم

كفلم للغيظ جمع كاظم . (٦) أى فلا تمتعضون . (٧) اشتد ، وكذا استحر ، وأصل الوغى :

الصوت والجلبة ، ثم سميت الحرب وغى لما فيها من الأصوات والجلبة .

وَاسْتَحَرَّ الْمَوْتَ ، قَدْ انْفَرَجْتُمْ عَنْ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ، انْفِرَاجَ الرَّأْسِ ^(١) ، وَاللَّهُ إِنْ أَمَرَ
يُمْكِنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْزُقُ ^(٢) لِحْمَهُ ، وَيَهْشِمُ عِظَمَهُ ، وَيَنْفِرِي ^(٣) جِلْدَهُ ، لِعَظِيمِ
عَجْزِهِ ، ضَعِيفُ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ ، أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ ^(٤) فَأَمَّا أَنَا :
فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالمَشْرِفِيَّةِ ^(٥) تَطِيرُ مِنْهُ فَرَّاشٌ ^(٦) الهَامِ ، وَتَطْيِیحُ
السَّوَاعِدُ وَالْأَقْدَامُ ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدِّ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ .

أيها الناس : إِنْ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَإِلَيْكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ ، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ
والتَّوْفِيرُ فَيَنْشُرُكُمْ عَلَيْكُمْ ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا ، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْلًا تَعْلَمُوا ، وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ
بِالبَيْعَةِ ، وَالنَّصِيحَةُ فِي المَشْهَدِ وَالمَنْفِيِّ ، وَالإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ ، وَالتَّطَاعَةُ حِينَ أَمْرُكُمْ .
(نهج البلاغة ١ : ٤٢)

وزاد ابن قتيبة في الإمامة والسياسة :

« وَاللَّهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، مَا أَظُنُّ هَوْلَاءَ الْقَوْمِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ إِلَّا ظَاهِرِينَ ^(٧) عَلَيْكُمْ ،
فَقَالُوا : أَيْبَعُ تَقُولُ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ » فَقَالَ :

« نَعَمْ وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، إِنْ لِي أَرَى أُمُورَهُمْ قَدْ عَلَتْ ، وَأَرَى أُمُورَكُمْ
قَدْ خَبَتْ ^(٨) ، وَأَرَاهُمْ جَادِّينَ فِي بَاطِلِهِمْ ، وَأَرَاهُمْ وَانِينَ ^(٩) فِي حَقِّكُمْ ، وَأَرَاهُمْ مُجْتَمِعِينَ ،
وَأَرَاهُمْ مُتَفَرِّقِينَ ، وَأَرَاهُمْ لِصَاحِبِهِمْ مَعَاوِيَةَ مَطِيعِينَ ، وَأَرَاهُمْ لِي عَاصِينَ ، أَمَا وَاللَّهِ لَأَنْ
ظَهَرُوا عَلَيْكُمْ بَعْدِي ، لِتَجِدُنَّهُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ ، كَأَنَّهُمْ وَاللَّهِ عَنْ قَرِيبٍ قَدْ شَارَكُوكُمْ

(١) أي انفراجا لا الثام بعده . (٢) عرق العظم عرقا . أكل ما عليه من اللحم ، كتنعقه .
(٣) يمزق . (٤) الخطاب عام لكل من أمكن عدوه من نفسه . (٥) السيوف ، نسبة إلى
مشارف الشام ، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف . (٦) عظامها الرقيقة .
(٧) منتصرين . (٨) من خبت النار ، أي سكنت وانطفأت . (٩) من وني : إذا فتر
وضعف .

في بلادكم ، وحملوا إلى بلادهم منكم ، وكأني أنظر إليكم تكشون^(١) كشيش الضباب ،
لا تأخذون لله حقاً ، ولا تمنعون له حرمة ، وكأني أنظر إليهم يقتلون صلحاءكم ، ويخيفون
علماءكم ، وكأني أنظر إليكم يحرمونكم ويحجبونكم ، ويدنون الناس دونكم ، فلو قد رأيتم
الحرمان ، ولقيتم الذل والهوان ، ووقع السيف ، ونزل الخوف ، لنديتم وتحسرتم على
تفريطكم في جهاد عدوكم ، وتذكرتم ما أنتم فيه من الخفض والعافية ، حين لا ينفعكم
التذكار .

٣٢١ - خطبة أبي أيوب الأنصاري

ثم قام أبو أيوب الأنصاري فقال :

« إن أمير المؤمنين - أكرمه الله - قد أسمع من كانت له أذن واعية ، وقلب حفيظ
إن الله قد أكرمكم به كرامة ما قبلتموها حق قبولها ، حيث نزل بين أظهركم ابن عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخير المسلمين وأفضلهم وسيدهم بعده ، يُفقهكم في الدين
ويدعوكم إلى جهاد المجليين ، فوالله لكانتكم صم لا تسمعون ، وقلوبكم غلف^(٢) مطبوع
عليها ، فلا تستجيبون . عباد الله أليس إنما عهدكم بالجور والعدوان أمس ، وقد شمل
العباد وشاع في الإسلام ، فذو حق مخروم مشتوم عرضة ، ومضروب ظهره ، وملطوم
وجهه ، وموطوء بطنه ، ومُلقي بالعرء^(٣) ، فلما جاءكم أمير المؤمنين صدع بالحق ، ونشر
العدل ، وعمل بالكتاب ، فاشكروا نعمة الله عليكم ، ولا تتولوا مجرمين ، ولا تكونوا
كأذنين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ، اشحذوا السيوف ، وجددوا آلة الحرب ،
واستعدوا للجهاد ، فإذا دُعيتم فأجيبوا ، وإذا أمرتم فأطيعوا ، تكونوا بذلك من
الصادقين . »

(الإمامة والسياسة ١ : ١١٢)

(١) كش الضب كشيشا : صوت . (٢) جمع أغلف ، وقلب أغلف كأنما غشى غلانا فهو

لا يمي . (٣) العراء : الفضاء لا يستتر فيه بشيء .

٣٢٢ - خطبة الامام وقد أغار النعمان بن بشير على عين التمر

وفي سنة ٣٩ هـ فرق معاوية جيوشه في أطراف عليّ ، فبعث النعمان بن بشير الأنصاري في ألفين ، فأتوا عين التمر^(١) فأغاروا عليها ، وبها عامل لعليّ في ثلثمائة ، فكتب إلى عليّ يستمده ، فأمر الناس أن ينهضوا إليه فتشاقلوا ، فصعد المنبر فتشهد ثم قال :

« يا أهل الكوفة : كلما سمعتم بمني^(٢) من مناسر أهل الشام أظلكم ، انجحر^(٣) كل امرئ منكم في بيته ، وأغلق بابَه ، انجحر الضبّ في جحره ، والضبّ في وجرها^(٤) ، المنور من غررتموه ، وآمن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب ، لا أحرار عند النداء ، ولا إخوان ثقة عند النجاء^(٥) ، إنا لله وإنا إليه راجعون ! ماذا منيت به منكم ؟ عُني لا تبصرون ، وبكم لا تنطقون ، وصم لا تسمعون ! إنا لله وإنا إليه راجعون ! » .

(تاريخ الطبري ٦ : ٧٧)

وروى الشريف الرضي في نهج البلاغة هذه الخطبة بصورة أخرى وهي :

٣٢٣ - صورة أخرى

مُنيت^(٦) بمن لا يطيع إذا أمرت ، ولا يجيب إذا دعوت ! لا أبالكُم ، ما تنتظرون بنصركم ربكم ؟ أمادين يجمعكم ، ولا تخية تحمّشكم^(٧) ؟ أقوم فيكم مستصرخاً ، وأناديبكم متغوّثاً^(٨) ، فلا تسمعون لي قولاً ، ولا تطيعون لي أمراً ، حتى تكشّف الأمور

(١) بلد على الفرات شمال الكوفة . (٢) المنسر : قطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير .

(٣) من انجحر الضب : أي دخل جحره . (٤) الوجار بالكسر والفتح : جحر الضب وغيرها .

(٥) النجاء : المرعة في السير ، نجوت بجاء أي أسرعت وسبقت ، وقالوا : النجاء النجاء ، والنجاء النجاء

فدوا وقصروا . (٦) بليت . (٧) تفضبكم . (٨) قائلًا واغوّثاء .

عن عواقب المساءة؟ فما يدركُ بكم ثأر، ولا يُبلغ بكم مَرَام؟ دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ، فَجَرَّجَرْتُمْ^(١) جَرَّجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرَ^(٢) وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النَّضْوِ^(٣) الْأُدْبَرِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ^(٤) ضَعِيفٌ، كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ.»
(نهج البلاغة ١ : ٤٦)

٣٢٤ - خطبة الامام وقد أغار الضحّاك بن قيس على الحيرة^(٥)

ووجه معاوية الضحّاك بن قيس فأغار على الحيرة وغنم أموال أهلها، وبلغ ذلك علياً فاستصرخ الناس، فتقاعدوا عنه، فقام فيهم خطيباً فقال:

«أيها الناسُ المجتمعمةُ أبدانهم، المختلفةُ أهواؤهم، كلامُكم يوهي الصمَّ^(٦) الصلابَ، وفعلمكم يطمعُ فيكم الأعداءُ، تقولون في المجالسِ كَيْتَ وَكَيْتَ^(٧)، فإذا جاء القتالُ قلمَ حَيْدِي حَيَادٍ^(٨)، ما عَزَّتْ دَعْوَةٌ مِنْ دَعَاكُمْ، وَلَا اسْتَرَحَ قَلْبٌ مِنْ قَاسَاكُمْ، أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلِ^(٩)، دَفَاعَ ذِي الدِّينِ المَطُولِ^(١٠)، هِيَهَاتَ لَا يَمْنَعُ الضَّمِيمَ الذَّلِيلُ، وَلَا يُدْرِكُ

- (١) الجرجرة: صوت يردده البعير في حنجرتِه، وأكثر ما يكون ذلك عند الإعياء والتعب.
(٢) المصاب بداء السرر (بالتحريك)، وهو وجع في الكركرة (رحى زور البعير).
(٣) النضو: البعير المهزول، والأدبر: المدبور أي المجرّوح. (٤) جنيد: تصغير جند.
(٥) متذائب: أي مضطرب من قولهم: تذاهبت الرياح، أي اضطرب هبوبها، ومنه سمي الذئب ذئباً لاضطراب مشيته.
(٦) شمالى الكوفة. (٧) يوهي: يشق ويخرق، والصم: جمع أصم، وهو الحجر الصلب المصمت. (٨) بفتح آخرهما ويكسر: أي كذا وكذا. (٩) حيدى حياذ: كلمة يقولها الهارب الفار، من حاد حيدانا بمعنى مال وانحرف، أي ابعدى وتنحى عن أيتها الحرب، وهي نظيرة قولهم (فيحى فياح) أي اتسى. (١٠) الأضاليل: جمع أضلولة بالضم، وهي الضلال، وفي كتب اللغة: العلالة (بالضم) والتعلة (ككتحية)، والعلة (بالفتح) ما يتأمل به « ولم أجد فيها كلمة أعاليل ولا مفردهما ولا بد أن تكون جمع أضلولة بالضم: كأضاليل وأعاجيب والأعيب... الخ. والمعنى إن أقوالكم هذه تعال بأباطيل لاجدوى لها. (١٠) مبالغة في ما ملل.

الحقُّ إلا بِالْجِدِّ ، أَى دار بعد داركم تمنعون ؟ ومع أى إمام بعدى تقاتلون ؟ المغرور والله
مَنْ غَرَّرْتُمُوهُ ، ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسهم الأَخْيَب ، ومن رَمَى بكم فقد رمى بأفوقَ
ناصِلٍ^(١) ، أصبحتُ والله لا أصدق قواكم ، ولا أطمع فى نصركم ، ولا أوعِد العدوَّ بكم ،
مابالكم ؟ ما دراؤكم ؟ ما طِبُّكم ؟ القومُ رجالُ أمثالكم ! أفولاً بغير علم ، وغفلةً من غير
وَرَع ، وطمعاً فى غير حق ! » .

وزاد ابن فُتَيْبَةَ فى الإمامة والسياسة :

« فرَّقَ اللهُ بينى وبينكم ، وأعقبنى بكم مَنْ خَيْرٌ لى منكم ، وأعقبكم بعدى مَنْ
شَرٌّ لى منى ؛ أما إنكم ستلقون بعدى ذلاً شاملاً ، وسيافاً قاتلاً ، وأثرةً يتخذها
الظالمون بعدى فيكم سُنَّةً ، تفرِّقُ جماعةكم ، وتُبكي عيونكم ، وتُدخل الفقر
بيوتكم ، تَمَنُّونَ والله عندها أن لو رأيتموني ونصرتموني ، وستعرفون ما أفول لكم
عمماً قليل .

استنفرتكم فلم تَنْفِرُوا ! ونصحتُ لكم فلم تقبلوا ! وأسمعتكم فلم تعوا ، فأنتم
شهود كأغياب ، وصمُّ ذوو أسماع ، أتلو عليكم الحكمة ، وأعظكم بالموعظة النافعة ،
وأحثكم على جهاد المُجَلِّين^(٢) ، الظلمةِ الباغين ، فما آتى على آخر قولى ، حتى أراكم
متفرقين ، وإذا تركتكم عدتم إلى مجالسكم حلقاً^(٣) عَزِينَ^(٤) ، تضربون الأمثال ،
وتنأشِدُونَ الأشعار ، تَرَبَّتْ^(٥) أيديكم ، وقد نسيتم الحرب واستعدادها ، وأصبحت قلوبكم
فارغةً عن ذكرها ، وشغلتموها بالأباطيل والأضاليل .

(نهج البلاغة ١ : ٣٩ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١١١ ، والبيان والتبيين ٢ : ٢٦)

(١) سهم أفوق مكسور الفوق (بضم الفاء) والفوق : مدخل الوتر من السهم ، والناصل : العارى عن
النصل . (٢) أى الذين خرجوا على إمامهم واستحلوا قتاله . (٣) الحلق : محرقة جمع حلقة (يسكون
اللام) وحلقة القوم : الذين يجتمعون مستديرين . (٤) جمع عزة (بالكسر) : وهى الطائفة من الناس .
(٥) دعاء عليهم : أى خسرتهم ولا أصبتم خيراً ، وأصله من ترب الرجل : أى افتقر كأنه لصق بالتراب .

٣٢٥ - خطبة الإمام

وقد أغار صفيان بن عوف الغامدي على الأنبار

ووجه معارفة سُفيان بن عَوْف الغامدي في جيش ، فأغاروا على الأنبار^(١) وقتلوا عامل عليّ عليها وهو حَسَّان بن حسان البكري ، واحتملوا ما كان في الأنبار من الأموال وأموال أهلها ، وانتهى الخبر إلى عليّ فخرج مُغضِبًا حتى أتى النخيلة ، واتبعه الناس فرقى رِبَاوَةَ^(٢) من الأرض ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« أما بعد : فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباسُ التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنته^(٣) الوثيقة ، فمن تركه رغبةً عنه ، ألبسه الله ثوبَ الذل ، وشمله البلاء ، ودَيْثٌ^(٤) بالصَّغَارِ وَالْقَمَاءِ^(٥) ، وَضُرِبَ على قلبه بالإسهاب^(٦) ، وأدب^(٧) الحقُّ منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف^(٨) ، وَمُنْعَ النِّصْفِ^(٩) ، ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسراً وإعلاناً ، وقلت لكم اغزؤهم من قبل أن يغزؤكم ، فوالله ما غزى قوم قطُّ في عُقْرِ^(١٠) دارهم إلا ذلُّوا ، فتخاذم

(١) بلد على الفرات . (٢) الربوة والرباوة مثلثين : ما ارتفع من الأرض . (٣) وقايته . (٤) ذل ، وأصله من داث الشيء من باب باع : لان وسهل ومنه الديوث ، وهو الرجل الذي لا غيرة له على أهله ، والصغار : الذل . (٥) قأ : كجمع وكرم ، قامة : ذل وصغر . (٦) هكذا في رواية ابن أبي الحديد ، من أسهب بالضم : أي ذهب عقله ، وفي نهج البلاغة : (طبع الشام) بالأسداد . (٧) من أداله الله من عدوه : أي نصره عليه ، والباء في قوله « بتضييع الجهاد » للسببية . (٨) أي أولى الذل والضميم ، وفي رواية المبرد « وسيم الخسف » بالإضافة ، والسيمي : العلامة . قال المبرد : هكذا حدثونا وأظنه سيم الخسف : من قول الله عز وجل « يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ » (٩) النصف بالكسر ويثلاث ، والنصف والنصفة محركين الإنصاف . (١٠) وسطها وأصلها .

وتوا كلمتم وتُمل عليكم قولي ، واتخذتموه وراءكم ظهيرياً ، حتى شنت^(١) عليكم الغارات ،
 وَمُليكت عليكم الأوطانُ ، هذا أخو غامد^(٢) قد وردت خيله الأنبار ، وقتل حسان
 ابن حسان البكري ، ورجالاً منهم كثيراً ونساء ، وأزال خيلكم عن مسالحتها^(٣) .
 والذي نفسى بيده ، لقد بلغنى أنه كان يُدخِل على المرأة المسلمة ، والأخرى
 المُعاهدة^(٤) ، فَيَنْزِعُ حِجْلَهَا^(٥) وَقُبَاهَا^(٦) ، وَقَلَائِدَهَا وَرُعُوثَهَا^(٧) ، ما تمتنع منه إلا
 بالاسترجاع^(٨) والاسترحام ، ثم انصرفوا وافرین^(٩) ، مانال رجلاً منهم كَلِمَ^(١٠) ، ولا أربق
 لهم دم ؛ فلو أن امرأ مسلماً مات من دون هذا أسفاً ، ما كان عندي فيه ملوماً ، بل كان
 به عندي جديراً .

يا عَجَباً كُلَّ الْعَجَبِ ! عَجَبٌ يُمِيتُ الْقَلْبَ ، وَيَسْفِلُ الْفَهْمَ ، وَيُكْثِرُ الْأَحْزَانَ !
 من تَصَافَرِ^(١١) هؤلاء القوم على باطلهم ، وفشلكم عن حَقِّكم ، حتى أصبحتم غَرَضاً^(١٢)
 تُرْمَوْنَ وَلَا تَرْمُونَ ، وَيُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ ، وَيُعْصِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيكُمْ وَتَرْضَوْنَ ،
 إِذَا قَلت لَكُمْ اغزؤهم في الشتاء ، قَلتم هذا أوان قَرِّ^(١٣) وَصِرَ ، وإن قلت لكم اغزؤهم

(١) شن الغارة عليهم : صبها من كل وجه ، من شن الماء على رأسه إذا صبه .

(٢) يريد سفيان بن عوف الغامدي قائد الحملة على الأنبار . (٣) جمع مسلحة بالفتح : وهي الثغر .

(٤) المعاهدة : ذات العهد ، وهي الذمية . (٥) الحجل بالكسر والفتح : الخلخال ؛ وسمى القيد

حجلاً لأنه يكون مكان الخلخال . (٦) القلب : سوار المرأة . (٧) الرعثة بالفتح : القرط ،

والجمع رعاث بالكسر ، وجمع الجمع رعث بضمعين . (٨) قول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٩) أي تامين ، وفي رواية المبرد : « موفورين » أي لم ينل أحداً منهم بأن يرزأ في بدن ولا مال .

(١٠) جرح . (١١) تعاون وتناصر . (١٢) وفي رواية نهج البلاغة : « فقبحا لكم وترحاً

حين صرتم غرضاً يرمى » وزادت رواية الجاحظ بعد ذلك : « وفيها ينهب » والترح : محرقة الهم ،

والغرض : الهدف . (١٣) القر مثثة القاف : البرد ، والصر : شدة البرد . وفي النهج : « وإذا

أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء ، قَلتم هذه صبارة القر ، أمهلنا : ينسلخ عنا البرد » وصبارة الشتاء بتشديد

الراء : شدة برده .

فی الصیف ، قلم هذه حجارة^(۱) القیظ ، أنظرنا^(۲) ینصرم الحر عنا ، فإذا كنتم من الحر
والبرد تفرثون ، فأنتم والله من السیف أفرأ ! یا أشباه الرجال ولا رجال ، ویا طغام^(۳)
الأحلام ! ویا عقول ربّات الحجال^(۴) ، لو ددت أنى لم أركم ولم أعرفکم ، معرفّة والله
جرّت ندماً ، وأعقت سدمًا^(۵) ! قاتلکم الله ! لقد ملأتم قلبی قیحا^(۶) ، وشحنتم
صدری غیظاً ، وجرّ عثمونی نعب التهمام^(۷) أنفاساً^(۸) ، وأفسدتم علی رأی بالعصیان
والخذلان ، حتى لقد قالت قریش : إن ابن أبی طالب رجل شجاع ، ولا ین رأی له
فی الحرب الله درهم^(۹) ! ومن ذا ینكون أعلم بها منی ، أو أشدّ لها میراساً ؟ فوالله لقد
نهضت فیها وما بلغت العشرین ، ولقد نیفت^(۱۰) الیوم علی السقین ، ولكن لا رأی لمن
لا یطاع (یقولها ثلاثاً) .

فقام إلیه رجل ومعه أخوه^(۱۰) فقال :

« یا أمیر المؤمنین أنا وأحی هذا ، كما قال الله تعالى : (رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي

(۱) شدة الحر . (۲) أى أهلنا حتى ینسلخ الحر ، وفى رواية النهج « أهلنا یسیخ
عنا الحر » بتشدید الباء المنتوحة : أى یخف ویسکن ، وكل من خفف عنه شیء فقد سیخ عنه ، ومنه
قولهم : اللهم سیخ عنی الحمى : أى خففها . (۳) أوغاد الناس ومن لا عقل له ولا معرفة عنده .
والأحلام العقول : جمع حلم بالكسر ، ویجمع أيضا علی حلوم ، وفى رواية النهج : « حلوم الأطفال » .
(۴) الحجال : جمع حجلة بالتحریک ، وهى القبة ، وموضع یزین بالستور والثیاب للعروس - کنایة
عن النساء . (۵) السدم : الهم ، أو مع ندم ، أو غیظ مع حزن . (۶) القیح : ما ینکون فی
القرحة من صیدها ، وشحنتم : ملأتم ، وفى رواية الکامل : « ولقد ملأتم جوفی غیظا » .
(۷) النعب : جمع نعبة بالفتح والضم ، وهى الجرعة ، والتهمام : الهم ، وأنفاساً أى جرعة بعد جرعة ،
یقال : اکرع فی الإناء نفسین أو ثلاثة . (۸) لله دره : أى عمله ، والدر أيضا : اللبن ، أى لله
الذى الذى رضعه ، وهو تعجب أریده به التهم ، وفى رواية النهج : « لله أبوهم » ! (۹) نیفت : زدت
ورواية النهج : « وهانذا قد ذرفت علی السقین » أى زدت أيضا . (۱۰) الرجل وأخوه : یعرفان
بابنی عقیف من الأنصار .

وَأَخِي (فَمُرْنَا بِأَمْرِكَ ، فَوَاللَّهِ لَأَنْذَتَهُنَّ إِلَيْهِ ، وَلَوْ حَالَ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُ جَمْرُ الْغَضَا^(١)) ، وَشُوكِ الْقَتَادِ^(٢)) « فِدَعَا لَهَا بِخَيْرٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : « وَأَيْنَ تَقَعَانِ مِمَّا أُرِيدُ ؟ » ثُمَّ نَزَلَ .

(نهج البلاغة ١ : ٣٥ ، الكامل للمبرد ١ : ١١ ، البيان والتبيين ٢ : ٢٥ ، والأغاني ١٥ : ٤٣)

٣٢٦ - خطبة للحسن بن علي في يوم الجمعة

اعتلّ الإمام علي كرم الله وجهه يوماً ، فأمر ابنه الحسن رضي الله عنه أن يصلي بالناس يوم الجمعة ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« إن الله لم يبعث نبياً إلا اختار له نفساً ورهطاً وبيتاً ، فوالذي بعث محمداً بالحق ، لا يَنْتَقِصُ من حقنا أهل البيت أحدٌ ، إلا نقصه الله من عمله مثله ، ولا يكون علينا دولةٌ إلا وتكون لنا العاقبة ، وَكَتَعَلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ . » (مروج الذهب ٢ : ٥٣)

٣٢٧ - خطبة معاوية وقد بلغه هلاك الأشتر

ولما نَمَى إلى معاوية هلاك الأشتر النخعي^(٣) ، قام في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

(١) شجر جمره يبق طويلاً . (٢) شجر صلب له شوك كالإبر .

(٣) هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي توفي سنة ٣٨ هـ . روى المؤرخون أنه مات مسموماً سمه معاوية ، وذلك أن الإمام علياً كان قد ولي على مصر محمد بن أبي بكر ففسدت عليه ، وخرجت عليه بها خوارج ، فبعث إليها الأشتر وأنت معاوية عيونه فأخبروه بولاية الأشتر ، فعظم ذلك عليه ، وقد كان طمع في مصر ، فعلم أنه إن قدمها كان أشد عليه من ابن أبي بكر ، فبعث إلى الجايستار (رجل من أهل الخراج) ، فقال له : إن الأشتر قد ولي مصر ، فإن أنت كفتني لم آخذ منك خراجاً مابقيت ، (وقيل قال له أترك خراجك عشرين سنة) فاحتل له بما قدرت عليه ، وخرج الأشتر من العراق إلى مصر ، فلما انتهى =

« أما بعد : فإنه كانت لعلى بن أبي طالب يدان يمينان ، قُطِعَتْ إحداهما يوم صفين
(يعنى عمار بن ياسر) ، وَقُطِعَتِ الأُخرى اليوم (يعنى الأَشتر) » .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٥٤)

= إلى القلزم استقبله الجايستار ، فقال : هذا منزل وهذا طعام وعلف ، وأنا رجل من أهل الخراج ، فنزل به
الأشتر ، وسأل الدهقان : أى الطعام والشراب أحب إليه ؟ قيل العسل ، فأهدى له عملا قد جعل فيه سما
وقال : إن من شأنه كذا وكذا ، فتناول منه شربة ، فاستقرت فى جوفه حتى تلف ، وأتى من كان معه
على الدهقان ومن معه ، فبلغ ذلك عليا ، فقال : « لليدين والفم » وبلغ معاوية ، فقال : « إن لله جنودا
منها العسل » .

فتنة البصرة

تسيير معاوية عبد الله بن عامر الحضرمي إليها ومقتله

لما قُتل محمد بن أبي بكر بمصر وظهر معاوية عليها (سنة ٣٨ هـ) دعا عبد الله ابن عامر الحضرمي ، فقال له : « سِرْ إِلَى الْبَصْرَةِ فَإِنَّ جُلَّ أَهْلِهَا يَرُونَ رَأْيَنَا فِي عُمَانَ ، وَيُعْظِمُونَ قَتْلَهُ ، وَقَدْ قُتِلُوا فِي الطَّلَبِ بِدَمِهِ ، فَهَمُّ مَوْتُهُ يَرُونَ حَنْقُونَ لِمَا أَصَابَهُمْ ، وَدَعَا لَوْ يَجِدُونَ مَنْ يَدْعُوهُمْ وَيَجْمَعُهُمْ ، وَيَنْهَضُ بِهِمْ فِي الطَّلَبِ بِدَمِ عُمَانَ ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ كِتَابًا ، وَأَمَرَهُ إِذَا قَدِمَ أَنْ يَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ ^(١) ، فَمَضَى حَتَّى نَزَلَ الْبَصْرَةَ فِي بَنِي تَمِيمٍ ، فَسَمِعَ بِقُدُومِهِ أَهْلَ الْبَصْرَةِ ، فَجَاءَهُ كُلُّ مَنْ يَرَى رَأْيَ عُمَانَ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ رِءُوسُ أَهْلِهَا .

(١) وكان الذي سدد لمعاوية رأيه في تسيير ابن الحضرمي كتاب كتبه إليه عباس بن صحر العبدى ، وفيه : « أما بعد : فقد بلغنا وقعتك بأهل مصر الذين بغوا على إمامهم ، وقتلوا خليفتهم طمعا وبغيا ، فقررت بذلك العيون ، وشفيت بذلك النفوس ، وبردت أفئدة أقوام كانوا لقتل عثمان كارهين ، ولعدوه مفارقين ، ولسك موالين ، وبك راضين ، فإن رأيت أن تبعث إلينا أميرا طيبا ذكيا ذا عفاف ودين إلى الطلب بدم عثمان فعلت ، فإن لا إخال الناس إلا مجمعين عليك ، وإن ابن عباس غائب عن المصر والسلام » فكتب إليه معاوية « أما بعد : فقد قرأت كتابك ، فعرفت نصيحتك ، وقبلت مشورتك . رحمك الله وسددك ، أثبت هداك الله على رأيك الرشيد ، فكانك بالرجل الذي سألت قد أتاك ، وكانك بالجيش قد أطل عليك ، فمررت وحييت والسلام » .

٣٢٨ - خطبة عبد الله بن عامر الحضرمي

فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد أيها الناس : فإن إمامكم إمام الهدى عثمان بن عفان ، قتله علي بن أبي طالب ظلماً ، فطلبتم بدمه ، وقاتلتهم من قتله ، فجزاكم الله من أهل مصر خيراً ، وقد أصيب منكم الملاء الأخيار ، وقد جاءكم الله بإخوان لكم ، لهم بأسٌ يُتقى ، وعددٌ لا يُحصى ، فلقوا عدوكم الذين قتلوكم ، فبلغوا الغاية التي أرادوا صابرين ، ورجعوا وقد نالوا ما طلبوا ، فالتوم^(١) وساعدوهم ، وتذكروا ثأركم ، لتشفوا صدوركم من عدوكم . »

٣٢٩ - خطبة الضحّاك بن عبد الله الهلالي

فقام إليه الضحّاك بن عبد الله الهلالي فقال :

« قبّح الله ما جئتنا به ، وما دعوتنا إليه ، جئتنا والله بمثل ما جاء به صاحبك : طلحة والزبير ، أتينا وقد بايعنا علياً واجتمعنا له ، فكلمتنا واحدة ، ونحن على سبيل مستقيم ، فدعوانا إلى الفرقة ، وقامنا فيها بزخرف القول ، حتى ضربنا بعضنا بعضاً عدواناً وظلماً ، فاقتلنا على ذلك ، وإيم الله ما سلينا من عظيم وبالٍ ذلك ، ونحن الآن مُجمعون على بيعة هذا العبد الصالح ، الذي أقال العثرة ، وعفا عن المسيء ، وأخذ بيعة غائبنا وشاهدنا ، أفتأمرنا الآن أن نحتلع أسيافنا من أغمارها ، ثم يضرب بعضنا بعضاً ، ليكون معاوية أميراً ، وتكون له وزيراً ، ونعدّل بهذا الأمر عن علي ؟ والله ليومٌ من

(١) ساعدوهم .

أيام عليّ مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، خيرٌ من بلاء معاوية وآل معاوية ، لو بقوا في الدنيا ، ما الدنيا باقية^(١) .

فقام عبد الله بن حازم السلمى ، فقال للضحاك : « اسكت فلست بأهلٍ أن تتكلم في أمر العامة » ثم أقبل على ابن الحضرمي ، فقال : « نحن يدك وأنصارك . والقول ما قلت ، وقد فهمنا عنك ، فادعنا أنى شئت » فقال الضحاك لابن حازم : « يا ابن السوداء^(٢) ، والله لا يعزُّ من نصرت ، ولا يذلُّ بخذلانك من خذلت » فتشأما .

٣٣٠ - خطبة عبد الرحمن بن عمير القرشي

فقام عبد الرحمن بن عمير بن عثمان القرشي التميمي فقال :

« عباد الله : إنا لم ندعكم إلى الاختلاف والفرقة ، ولا نريد أن تقتلوا وتتنازروا^(٣) ولكنا إنما ندعوكم إلى أن تجمعوا كلمتكم ، وتوازرُوا إخوانكم الذين هم على رأيكم ، وأن تلموا شعثكم ، وتصلحوا ذات بينكم ، فهلاً مهلاً رحمكم الله ، استمعوا لهذا الكتاب ، وأطيعوا الذي يقرأ عليكم . »

فلما قرئ عليهم الكتاب ، قال معظمهم : « سمعنا وأطعنا » وقال الأحنف بن قيس : « أما أنا فلا ناقة لي في هذا ولا جمل^(٤) » ، واعتزل أمرهم ذلك ، وقال عمرو بن مرحوم من عبد القيس : « أيها الناس ، الزموا طاعتكم ، ولا تنكثوا ببيعكم ، فتقع

(١) ما : ظرفية ، أى مادامت الدنيا باقية . (٢) وكانت أمه سوداء حبشية يقال لها عجلي . (٣) النبز : محرقة اللقب ، والتناز : التعاير والتداعى بالألقاب . (٤) أصل المثل للحارث ابن عباد البكري حين قتل جساس بن مرة كليبا ، وهاجت الحرب بين بكر وتغلب (حرب البسوس) وكان الحارث قد اعتزلهما ، والقصة مشهورة .

بكم واقعة ، وتصيبكم قارعة^(١) ، ولا يكن بعدها لكم بقية ، ألا إني قد نصحت لكم ولكن لا تحبثون الناصحين .

* * *

ثم إن الناس أقبلوا إلى ابن الحضرمي وكثر تبعه - وكان الأمير بالبصرة يومئذ زياد ابن أبيه استخلفه عبد الله بن عباس وقدم الكوفة على علي عليه السلام يعزیه عن محمد ابن أبي بكر - فأفزع ذلك زيادا وهاله ، وخلى قصر الإمارة ، واستجار بالأزد فأجاروه ، وكتب إلى ابن عباس بالأمر ، وطلب إليه أن يرفع ذلك إلى أمير المؤمنين ، ليرى فيه رأيه ، وغلب ابن الحضرمي على مايليه من البصرة وجباها ، وأجمعت الأزد على زياد ، وأعدوا له منبراً وسريراً وشُرطاً .

٣٣١ - خطبة زياد بن أبيه

فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا معشر الأزد : إنكم كنتم أعدائي ، فأصبحتم أوليائي وأولى الناس بي ، وإني لو كنت في بني تميم ، وابن الحضرمي فيكم ، لم أطعم فيه أبداً ، وأنتم دوني ، فلا يطعم ابن الحضرمي فيّ وأنتم دوني ، وليس ابن آكِلِ الأَكباد - في بقية الأحزاب وأولياء الشيطان - بأدنى إلى الغلبة من أمير المؤمنين في المهاجرين والأنصار ، وقد أصبحت فيكم مضموناً ، وأمانة مؤداة ، وقد رأينا وقمتكم يوم الجمل ، فاصبروا مع الحق صبركم مع الباطل ، فإنكم لا تُحمدون إلا على النجدة ، ولا تُعذرون على الجبن . »

(١) داهية .

٣٣٢ - خطبة شيان الأزدي

فقام شيان الأزدي - ولم يكن شهد يوم الجمل وكان غائباً - فقال :
« يا معشر الأزد : ما أبتت عواقب الجمل عليكم إلا سوء الذكر ، وقد كنتم أمس
على عليّ عليه السلام ، فكونوا اليوم له ، واعلموا أن إسلامكم^(١) له ذلّ ، وخِذْلَانِكُمْ
إياه عار ، وأنتم حتى مِضْمَارِكُمْ الصبر ، وعاقبتكم الوفاء ، فإن سار القوم بصاحبهم
فَسِيرُوا بصاحبكم ، وإن استمَدُّوا معاوية فاستمِدُّوا عليّاً عليه السلام ، وإن وادعوكم
فوادعوهم . »

٣٣٣ - خطبة صبرة بن شيان

ثم قام صبرة ابنه ، فقال :
« يا معشر الأزد : إنا قلنا يوم الجمل نمنع مِصْرَنَا ، ونطيع أَمْنَا ، ونطلب دم خليفتنا
المظلوم ، فجددنا في القتال ، وأقمنا بعد انهزام الناس ، حتى قُتِلَ منا مَنْ لا خير فينا بعده ،
وهذا زياد جاركم اليوم ، والجار مضمون ، ولسنا نخاف من عليّ ما نخاف من معاوية ،
فَهَبُوا لَنَا أَنْفُسَكُمْ ، وامنعوا جاركم ، أو فأبْلِغُوهُ مَأْمَنَهُ . »
فقلت الأزد : إنما نحن لكم تبع فأجبروه .

٣٣٤ - خطبة الإمام علي

واستنفر عليّ بنى تميم أياماً لينهض منهم إلى البصرة مَنْ يكفيه أمر ابن الحضرمي ،
ويردّ عادية بنى تميم الذين أجاروه بها ، فلم يجبه أحد فخطبهم وقال :

(١) أسلمه : خذله .

« أليس من العجب أن ينصرني الأزدي^(١) ، وَتَخَذُنِي مُضْرًا ؟ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ تَقَاعُدُ تَمِيمِ الْكُوفَةِ بِي ، وَخِلَافُ تَمِيمِ الْبَصْرَةَ عَلَيَّ ، وَأَنْ أَسْتَجِدَّ بِطَائِفَةٍ مِنْهَا تَشْخَصَ إِلَى إِخْوَانِهَا فَتَدْعُوهُمْ إِلَى الرَّشَادِ ، فَإِنْ أَجَابَتْ وَإِلَّا فَلَمَّا بَدَأَتْ وَالْحَرْبَ ، فَكَأَنِّي أَخَاطَبُ صُمَّا بِكُمْ ، لَا يَفْقَهُونَ حِوَارًا ، وَلَا يُجِيبُونَ نِدَاءً ، كُلُّ هَذَا جُبْنًا عَنِ الْبَأْسِ ، وَحُبًّا لِلْحَيَاةِ ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا ، وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا^(٢) ، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ، وَمُضِيًّا عَلَى الْأَمِّ^(٣) ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَمِّ ، وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنْنَا وَالْآخِرُ مِنْ عَدُونَا يَتَصَاوَلَانِ^(٤) تَصَاوُلَ الْفَجَلِينِ يَتَخَالَسَانِ^(٥) أَنْفُسَهُمَا ، أَيُّهُمَا يَسْقَى صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمُنُونِ ، فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُونَا ، وَمَرَّةً لِعَدُونَا مِنْنَا ، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُونَا الْكَبْتَ^(٦) ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ^(٧) ، وَمُتَبَوِّئًا أَوْطَانَهُ ، وَلِعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ ، مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ ، وَلَا أَخْضَرَ الْإِيمَانُ عُودٌ ، وَإِيمَ اللَّهُ لَتَحْتَابِجِبَهَا دَمًا^(٨) ، وَلَتَتَّبِعِبَهَا نَدْمًا .

فَقَامَ إِلَيْهِ أَعِينُ بْنُ ضَبِيْعَةَ الْمُجَاشِعِيِّ^(٩) فَقَالَ :

« أَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَكْفِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا الْخَطْبَ ، وَأَتَكْفِلُ لَكَ بِقَتْلِ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، أَوْ إِخْرَاجِهِ عَنِ الْبَصْرَةِ » فَأَمَرَهُ بِالتَّهْيِئَةِ لِلشَّخْصِ ، فَشَخَصَ إِلَى الْبَصْرَةِ .

(١) هم من العرب اليمانيين . (٢) قتلهم الأقارب في ذات الله كثير ، قتل على عليه السلام الجهم الغفير من بني عبد مناف وبني عبد الدار في يوم بدر وأحد وهم عشيرته وبنو عمه ، وقتل عمر بن الخطاب يوم بدر خاله العاص بن هاشم بن المغيرة ، وقتل حمزة بن عبد المطلب شيبه بن ربيعة يوم بدر وهو ابن عمه ، ومثل ذلك كثير مذكور في كتب السيرة . (٣) لقم الطريق : الجادة الواضحة منها . (٤) التصاول : أن يصول كل من القرنين على صاحبه . (٥) التخالس : التسالب ، أي يبغي كل أن يسلب روح الآخر . (٦) الإذلال . (٧) جران البعير : مقدم عنقه ، وهو كناية عن التمكين كالبعير يلقى جرانه على الأرض . (٨) يقال لمن أسرف في الأمر : لتحتلبن دما ، وأصلها الناقة يفرط في حلبها فيحلب الحالب الدم . (٩) مجاشع بن دارم : أبو قبيلة من تميم ، وأعين بن ضبيعة ، هو الذي عقر الجمل الذي كانت عليه عائشة يوم الجمل .

٣٣٥ - خطبة أعين بن ضبيعة

فلما قدمها دخل على زياد ، وهو بالأزد مقيم فأخبره بأمره ، ثم خرج فأتى رحله ، فجمع إليه رجلا من قومه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« يا قوم : على ماذا تقتلون أنفسكم ، وتُهريقون دماءكم ، على الباطل مع السفهاء الأشرار ؟ وإني والله ما جئتمكم حتى عُبيت إليكم الجنود ، فإن تُنبئوا إلى الحق يُقبل منكم وَيُكَفَّ عنكم ، وإن أبيتم فهو والله استئصالكم وبواركم . »

فقالوا بل نسمع ونطيع ، فنهض بهم إلى جماعة ابن الحضرمي ، فخرجوا إليه مع ابن الحضرمي وواقفهم عامة يومه يناشدهم الله ويقول : « يا قوم لا تنكثوا بيعتكم ، ولا تُخالفوا إمامكم ، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلا ، فقد رأيتم وجربتم كيف صنع الله بكم عند نكثكمُ بيئتكم وخلافكم . »

فكفروا عنه وهم في ذلك يشتمونه وينالون منه فانصرف عنهم ، فلما أوى إلى رحله تبعه عشرة نفر يظن الناس أنهم خوارج فقتلوه ، وكتب زياد إلى الإمام بذلك ، فأشخص إليهم جارية بن قدامة .

٣٣٦ - خطبة جارية بن قدامة

فلما دخل البصرة بدأ بزياد ، فناجاه ساعة وساءله ، ثم خرج من عنده ، فقام في الأزد فقال :

« جزاكم الله من حَيٍّ خيرا ، ما أعظم غناءكم^(١) ، وأحسن بلاءكم ، وأطوعكم

(١) أي كفايتكم ونفعكم .

لأميركم ، لقد عرفتم الحق إذ ضيَّعَهُ من أنكره ، ودعوتهم إلى الهدى إذ تركه من لم يعرفه «
ثم قرأ عليهم كتاب عليّ عليه السلام ، فقام صَبْرَةَ بن شيان ، فقال : « سمعنا وأطعنا ،
ونحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب ، ولن سالم سَلِم ، إن كفيت يا جارية قومك بقومك
فذاك ، وإن أحببت أن ننصرك نصرناك » وقام وجوه الناس فتكلموا بمثل ذلك ، فلم
يأذن لأحد منهم أن يسير معه ، ومضى نحو بني تميم .

٣٣٧ - خطبة زياد

فقام زياد في الأزد فقال :

« يا معشر الأزد : إن هؤلاء كانوا أمسِ سلما ، فأصبحوا اليوم حربا ، وإنكم
كنتم حربا فأصبحتم سلما ، وإني والله ما اخترتكم إلا على التجربة ، ولا أقت فيكم إلا
على الأمل ، فما رضيتُم أن أجرتوني ، حتى نصبتُم لي منبرا وسريرا ، وجعالتُم لي شرطا
وأعوانا ، ومُناديا وجمعة ، فما فقدتُ بحضرتكم شيئا إلا هذا الدرهم لا أجبيه اليوم ، فإن لم
أجبه اليوم أجبه غداً إن شاء الله ، واعلموا أن حربكم اليوم معاويةَ أيسرُ عليكم في الدنيا
والدين من حربكم أمسِ عليا ، وقد قدِمَ عليكم جاريةُ بن قدامة ، وإنما أرسله عليّ ليصدع
أسر قومه ، والله ما هو بالأمر المطاع ، ولو أدرك أمّله في قومه لرجع إلى أمير المؤمنين ، ولو كان
لي تبعاً ، وأنتم الهامةُ العظمى ، والجمرة الحامية ، فقدّموه إلى قومه ، فإن اضطرَّ إلى
نصركم ، فسيروا إليه إن رأيتم ذلك » .

٣٣٨ - خطبة أبي صبرة شيان

فقام أبو صبرة شيان فقال :

« يا زياد ، إني والله لو شهدت قومي يوم الجمل رجوت ألا يقاتلوا علياً ، وقد مضى الأمر بما فيه ، وهو يوم بيوم ، وأمر بأمر ، والله إلى الجزاء بالإحسان أسرع منه إلى الجزاء بالسّيء ، والتوبة مع الحق ، والعفو مع الندم ، ولو كانت هذه فتنةً لدعونا القوم إلى إبطال الدماء ، واستئناف الأمور ، ولكنها جماعةٌ ، دماؤها حرام ، وجروحها قصاصٌ ونحن معك نحبُّ ما أحببت . »

فمجب زياد من كلامه ، وقال : « ما أظنُّ في الناس مثل هذا . »

٣٣٩ - خطبة صبرة بن شيان

ثم قام صبرة ابنه فقال :

« إنا والله ما أُصِيبنا بِمَصِيبَةٍ في دين ولا دنيا ، كما أُصِيبنا أُمسِ يوم الجمل ، وإنا لنرجو اليوم أن يُمَحَّصَ^(١) ذلك بطاعة الله وطاعة أمير المؤمنين . وأما أنت يا زياد ، فوالله ما أدركت أملك فينا ، ولا أدركنا أملكنا فيك ، دون ردك إلى دارك ، ونحن رادوك إليها غداً إن شاء الله تعالى ، فإذا فعلنا فلا يكن أحد أولى بك منا ، فإنك إلا تفعل لم تأت ما يُشبهك ، وإنا والله نخاف من حرب عليّ في الآخرة ، ما لا نخاف من حرب معاوية في الدنيا ، فقدّم هواك ، وأخر هوانا ، فنحن معك وطوعك . »

(١) من محص الذهب بالنار كقطع : أخلصه مما يشوبه .

٣٤٠ - خطبة خنفر الحماني

ثم قام خنفر الحماني فقال :

« أيها الأمير : إنك لو رضيت منا بما ترضى به من غيرنا ، لم نرضَ ذلك لأنفسنا ، سر بنا إلى القوم إن شئت ، وإيم الله ما لقينا يوماً قط إلا اكتفينا بمقونا^(١) دون جُهدنا ، إلا ما كان أمس . »

أما جارية فإنه كلم قومه فلم يجيبوه ، وخرج إليه منهم أوباش فناوشوه بعد أن شتموه ، فأرسل إلى زياد والأزد يستصرخهم ، فسارت الأزد بزياد ، وخرج إليهم ابن الحضرمي وعلى خيله عبد الله بن حازم السلمي ، فاقتتلوا ساعة ، فما لبثوا بني تميم أن هزموا ، وحصروا ابن الحضرمي في إحدى دور البصرة ، في عِدَّة من أصحابه ، وحرق جارية الدار عليهم ، فهلك ابن الحضرمي في سبعين رجلاً ، وسارت الأزد بزياد حتى أوطنوه قصر الإمارة ومعه بيت المال ، وقالوا له : هل بقي علينا من جوارك شيء ؟ قال : لا ، فانصرفوا عنه ، وكتب زياد بذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام .

(شرح ابن أبي الحديد : ١ ص ٣٤٨ ، ونهج البلاغة ١ : ٥٣)

٣٤١ - صعصعة بن صوحان ومعاوية

أرسل عليٌّ كرم الله وجهه إلى معاوية بالشام كتاباً صُحِبَةَ صَعَصَعَةَ بن صُوحان ، فسار به حتى أتى دمشق ، فأتى باب معاوية ، فقال لِأَذِنِهِ ، اسْتَأْذِنُ لِرَسُولِ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - وبالباب جماعة من بني أمية - فأخذته النعال والأيدي ، لقوله « أمير المؤمنين » ، وكثرت عليه الجأبة ، فاتَّصَلَ ذلك بمعاوية ، فأذن له ، فدخل عليه ،

(١) العفو : الزيادة .

فقال : السلام عليك يا ابن أبي سفيان ، هذا كتاب أمير المؤمنين ، فقال معاوية : أما إنه لو كانت الرسل تُقتلُ في جاهلية أو إسلام لقتلتك ، ثم اعترضه معاوية في الكلام ، وأراد أن يستخبره ، ليعرف طبعاً أو تكلفاً ، فقال له بمن الرجل ؟ قال من نزار ، قال وما كان نزار ؟ قال كان إذا غزا انكش^(١) ، وإذا لقي افترش^(٢) ، وإذا انصرف احترش^(٣) ، قال فمن أيّ أولاده أنت ؟ قال من ربيعة ، قال وما كان ربيعة ؟ قال : كان يطيل النجاد^(٤) ، ويعول العباد ، ويضرب ببقاع الأرض العِمَادَ . قال فمن أيّ أولاده أنت ؟ قال من جديلة ، قال وما كان جديلة ؟ قال كان في الحرب سيفاً قاطعاً ، وفي المكرّمات غيثاً نافعاً ، وفي اللقاء لهباً ساطعاً ، قال فمن أيّ أولاده أنت ؟ قال من عبد القيس ، قال وما كان عبد القيس ؟ قال كان حَسَنًا أبيض^(٥) وهاباً ، يقدم لضيغه ما وجد ، ولا يسأل عما فَنَدَ ، كثير المرق ، طيب العرق ، يقوم للناس مقام الغيث من السماء ، قال ويحك يا ابن صوحان ! فما تركت لهذا الحيّ من قريش مجداً ولا فخراً ؟ قال بلى والله يا ابن أبي سفيان ؟ تركت لهم مالا يصلح إلاّ لهم ، تركت لهم الأحمر والأبيض والأصفر^(٦) ، والسرير والمنبر^(٧) ، والملك إلى المحشر . ففرح معاوية ، وظن أن كلامه يشتمل على قريش كلها ، قال : صدقت يا ابن صوحان ، إن ذلك لكذلك ، فعرف صعصعة ما أراد ، فقال : ليس لك ولا لقومك في ذلك إصدار ولا إيراد^(٨) ، بعدتم عن أنف^(٩) المرعى ، وعلوتم عن عذب الماء ، قال ولم ذلك ؟ ويلك يا ابن صوحان ! فقال الويل لأهل النار ،

(١) انكش وتكش : أسرع ، والكيش : الرجل للمربع . (٢) افترش فلانا : غلبه وصرعه .

(٣) احترش الشيء : جمعه وكسبه . (٤) حمائل السيف ، وهو كناية عن طول القامة .

(٥) أي أبيض اللون كناية عن أنه حر لا رقيق ، أو أبيض العرض نقيه . (٦) الأحمر : الذهب ،

والأبيض : الفضة (والسيف أيضا) والأصفر : الذهب . كناية عن الغنى والثروة (وقد كان لقريش

في الجاهلية مركز تجارى هام) . (٧) كناية عن الملك والمقدرة الخطابية . (٨) أورد إبله الماء

وأصدرها : ردها وأرجعها . (٩) روضة أنف : لم ترع .

ذلك لبني هاشم ، قال قم ، فأخرجوه . فقال صعصعة : الوعد ببني وبينك لا الوعيد ، من أراد المناجزة ، يقبل المناجزة^(١) ، فقال معاوية لشيء ما سؤده قومه ، وددت أني من صلبه ، ثم التفت إلى بني أمية فقال : هكذا فلتكن الرجال !

(صبح الأعشى ١ : ٢٥٤ ، ومروج الذهب ٢ : ٧٧)

٣٤٢ - صورة أخرى

وروى أبو علي القالي هذا الخبر في الأمالي بصورة أخرى ، قال :

« دخل صعصعة بن صوحان على معاوية أول ما دخل عليه - وقد كانت يبلغ معاوية عنه فقال معاوية : ممن الرجل ؟ فقال رجل من نزار ، قال وما نزار ؟ قال : كان إذا غزا انحوش^(٢) ، وإذا انصرف انكمش ، وإذا لقي افترش ، قال : فمن أيّ ولده أنت ؟ قال : من ربيعة ، قال : وما ربيعة ؟ قال كان يغزو بالخيال ، ويغير بالليل ، ويجود بالنيل ، قال : فمن أيّ ولده أنت ؟ قال : من أمهر^(٣) ، قال : وما أمهر ؟ قال : كان إذا طلب أفصى^(٤) ، وإذا أدرك أرضى ، وإذا آب أنضى^(٥) قال : فمن أيّ ولده أنت ؟ قال : من جديلة قال : وما جديلة ؟ قال : كان يطيل النجاد ، ويبعد الجياد ، ويبيد الجياد ، قال : فمن أيّ ولده أنت ؟ قال : من دُعمي ، قال : وما دُعمي ؟ قال : كان ناراً ساطعاً ، وشرّاً قاطعاً ، وخيراً نافعاً ، قال : فمن أيّ ولده أنت ؟ قال : من أفصى

(١) وفي مروج الذهب : « من أراد المشاجرة قبل المحاورة » والوارد في الأمثال : « المناجزة قبل

المناجزة » أي المسالمة قبل المعاجلة في القتال ، يضرب لمن يطلب الصلح بعد القتال . (٢) لم أجد

هذه الكلمة في كتب اللغة ، وأرى أنها محرفة عن (احترش) كما ورد في رواية صبح الأعشى ، وإن اختلف

تأليف الجمل في الروايتين . (٣) وفي نسخة : « من أسد ، قال وما أسد ؟ » . (٤) أفصى إلى

الشيء : وصل إليه . (٥) أنضى بغيره : هزله ، وأنضى الثوب : أبلاه .

قَالَ : وَمَا أَفْصَى ؟ قَالَ كَانَ يَنْزِلُ الْقَارَاتِ^(١) ، وَيَكْثُرُ الْغَارَاتِ ، وَيَجْمَعِي الْجَارَاتِ ، قَالَ :
 فَمِنْ أَىِّ وَلَدِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ قَالَ : وَمَا عَبْدُ الْقَيْسِ ؟ قَالَ : أَبْطَالٌ ذَادَةٌ^(٢) ،
 جَجَّاجِيَّةٌ^(٣) سَادَةٌ ، صِنَادِيدُ قَادَةٍ ، قَالَ : فَمِنْ أَىِّ وَلَدِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ أَفْصَى ، قَالَ : وَمَا
 أَفْصَى ؟ قَالَ : كَانَتْ رِمَاحِهِمْ مُشْرَعَةً^(٤) وَقُدُورُهُمْ مُتْرَعَةً^(٥) ، وَجِيفَانُهُمْ مُفْرَعَةً ، قَالَ :
 فَمِنْ أَىِّ وَلَدِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ لُكَيْزٍ ، قَالَ : وَمَا لُكَيْزٌ ؟ قَالَ : كَانَ يَبَاسِرُ الْقِتَالَ ،
 وَيَعَانِقُ الْأَبْطَالَ ، وَيُبَدِّدُ الْأَمْوَالَ ، قَالَ : فَمِنْ أَىِّ وَلَدِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ عَجَلٍ ، قَالَ :
 وَمَا عَجَلٌ ؟ قَالَ : اللَّيْثُ الصَّرَاغِمَةُ^(٦) ، الْمَلُوكُ الْقَمَاقِمَةُ^(٧) ، الْقُرُومُ الْقَشَاعِمَةُ^(٨) ، قَالَ :
 فَمِنْ أَىِّ وَلَدِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ كَعْبٍ ، قَالَ : وَمَا كَعْبٌ ؟ قَالَ : كَانَ يُسَمَّرُ^(٩) الْحَرْبَ ،
 وَيُجِيدُ الضَّرْبَ ، وَيَكْشِفُ الْكَرْبَ ، قَالَ : فَمِنْ أَىِّ وَلَدِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ مَالِكٍ ،
 قَالَ : وَمَا مَالِكٌ ؟ قَالَ : هُوَ الْهُمَامُ لِلْهُمَامِ ، وَالْقَمَقَامُ لِلْقَمَقَامِ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ . مَا تَرَكْتَ لِهَذَا
 الْحَىِّ مِنْ قَرِيشٍ شَيْئًا ، قَالَ : بَلْ تَرَكْتُ أَكْثَرَهُ وَأَحَبَّهُ ، قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : تَرَكْتُ لَهُمُ
 الْوَبَرَ وَالْمَدَرَ^(١٠) وَالْأَبْيَضَ وَالْأَصْفَرَ ، وَالصَّفَا وَالْمَشْعَرَ^(١١) ، وَالْقُبَةَ وَالْمَفْخَرَ ، وَالسَّرِيرَ
 وَالْمِنْبَرَ ، وَالْمَلِكَ إِلَى الْمَجْشَرِ ، قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ يَسُوءُنِي أَنْ أَرَاكَ أَسِيرًا قَالَ : وَأَنَا
 وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ يَسُوءُنِي أَنْ أَرَاكَ أَمِيرًا ، ثُمَّ خَرَجَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ ، فَرُدَّ ، وَوَصَلَهُ وَأَكْرَمَهُ .
 (الْأَمْوَالُ ٢ : ٢٣٠)

* * *

- (١) القارات : جمع قارة ، وهي الجبيل الصغير . (٢) جمع ذائد ، وهو المدافع .
 (٣) جمع جججججج : وهو السيد ، كالجججججج . (٤) مسددة . (٥) مملوءة .
 (٦) جمع ضرغام ، وهو الأسد . (٧) جمع ققام بالفتح ويضم ، وهو السيد .
 (٨) القروم ، جمع قرم : كشم ، وهو السيد ، والقشاعة : جمع قشع ، كجعفر ، وهو الرجل
 المسن (كناية عن كثرة التجربة) والأسد . (٩) سمر الحرب : كنع ، وسمرها : أوقدها .
 (١٠) كناية عن البادية ، والمدر : المدن والحضر . (١١) شعار الحج بالكسر : مناسكه وعلاماته ،
 والشعيرة والشعارة بالفتح ، والمشعر موضعها ، والمشعر الحرام : بالمزدلفة .

وروى المسعودى فى مروج الذهب قال :

« قال معاوية يوماً وعنده صعصعة ، وكان قدّم عليه بكتاب على ، وعنده وجوه الناس : « الأرض لله ، وأنا خليفة الله ، فما آخذ من مال الله فهو لى ، وما تركت منه كان جائزاً لى » فقال صعصعة :

نَمْنَيْكَ نَفْسُكَ مَالاً يَكُونُ جَهْلًا ، مُعَاوِيَ لَا تَأْتَمُّ.

فقال معاوية : يا صعصعة تعلمت الكلام ، قال : العلم بالتعلم ، ومن لا يعلم يجهل ، قال معاوية : ما أحوجك إلى أن أذيقك وبال أمرِك ، قال : ليس ذلك بيدك ، ذلك بيد الذى لا يؤخرُ نفساً إذا جاء أجلها ، قال : ومن يحول بينى وبينك ؟ قال : الذى يحول بين المرء وقلبه ، قال معاوية : اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطن البعير للشعير ، قال : اتسع بطن من لا يشبع^(١) ، ودعا عليه من لا يجمع^(٢) .

(مروج الذهب ٢ : ٧٩)

(١) يعرض بمعاوية إذ كان مبطانا (أى أكلوا) وكان أيضا بطينا (أى عظيم البطن) ، وقد قال فيه سيدنا على فى وقعة صفين :

أضربهم ولا أرى معاوية الجاحظ العين العظيم الخاوية
(والخواوية ماتحوى من الأمعاء أى العظيم البطن) .

(٢) دعا عليه : معطوف على لايشبع : أى اتسع بطن من دعا عليه من لا يجمع ، والمراد بمن لا يجمع النبى عليه الصلاة والسلام ، وقد دعا على معاوية بالنهم وعدم الشبع ، ومعنى لا يجمع أى لا يجمع الدنيا ولا ينجح إليها ، وهو تمرىض آخر بمعاوية . أما دعاء رسول الله عليه فقد روى ابن الأثير فى أسد الغابة - ٤ : ٣٨٦ - قال : « عن ابن عباس رضى الله عنه قال : « كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواريت خلف باب ، قال فجاء ، فحطاني حطاة - والخطو : تحريك الشيء مزعزعا - وقال اذهب فادع لى معاوية ، قال فجئت فقلت هو يأكل ، ثم قال : اذهب فادع لى معاوية ، قال : فجئت فقلت هو يأكل ، فقال : لا أشبع الله بطنه » أخرج مسلم هذا الحديث بعينه لمعاوية .

٣٤٣ - تامة في الحكم^(١)

من كلام أبي بكر الصديق رضى الله عنه :

« إن الله قرَنَ وعده بوعيده ليكون العبدُ راغباً راهباً . ليست مع العزاء مُصِيبَةً . الموت أهون مما بعده وأشد مما قبله . ثلاث من كُنَّ فيه كن عليه : البَنَى ، والنَّكث ، والمكر . ذل قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة ، لا يكونن قولك لغواً في عفو ولا عقوبة . إذا فاتك خير فأدركه ، وإن أدركك شرٌّ فاسْبِقْهُ . إن عليك من الله عيوناً تراك . احْرِصْ على الموت تُوَهَّبْ لك الحياة - قاله لخالد بن الوليد حين بعثه إلى أهل الرِّدَّة - رحم الله امرأً أعان أخاه بنفسه . أطوع الناس لله أشدَّهم بغضاً لمعصيته . إن الله يرى من باطنك ما يرى من ظاهرك ، إن أولى الناس بالله أشدَّهم تولياً له . لا تجعل شرك مع علائبتك ، فَيَمْرَجْ^(٢) أمرك ، خير الخصالين لك أبغضهما إليك . صنائع المعروف تقي مصارع السوء . »

ومن كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

« من كتم سره كان الخيار في يده . أشقى الولاة من شَقِيَّتْ به رعيته . اتقوا من تُبْغِضُهُ قلوبكم . أعقل الناس أعذرهم للناس . لا تؤجل عمل يومك لغدك . من لم يعرف الشرَّ كان جديراً أن يقع فيه . ما الخمرُ حِرْفاً بأذهبَ للعقول من الطمع . قلما أدبر شيء فأقبل . مرُّ ذوى القربات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا ، غمَّضْ عن الدنيا عينك وولَّ عنها قلبك . وإياك أن تُهْدِكَ كما أهلكت من كان قبلك ، فقد رأيت مصارعها ،

(١) فى كتب الحديث الشريف ماثور أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وجوامع كلمه ، وفى نهج

البلاغة ، وشرح ابن أبي الحديد عليه وغيرهما كثير من حكم الإمام على كرم الله وجهه قارأها هناك .

(٢) يفسد ويختلط .

وعاينت سوء آثارها على أهلها ، وكيف عَرِي من كَسَتْ ، وجاع من أطعمت ، ومات من أحييت . احتفظ من النعمة احتفاظك من المصيبة ، فوالله لى أخوفهما عندي عليك أن تستدرجك وتخدعك . الدنيا أمل مختَرَم وأجل منتَقَص ، وبلاغ إلى دار غيرها ، وسير إلى الموت ليس فيه تعريج ، فرحم الله امرأ فكر في أمره ، ونصح لنفسه ، وراقب ربه واستقال ذنبه . إياكم والبِطْنَةُ فَإِنَّهَا مَكْسَلَةٌ عن الصلاة ، مَفْسَدَةٌ للجوف ، مؤدية إلى السقم . رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبى ، أفلح من حُفِظَ من الطمع والغضب والهوى نفسه .

ومن كلام عثمان رضى الله عنه :

« مَا يَزَعُ ^(١) اللهُ بِالسُّلْطَانِ أَكْثَرَ مِمَّا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ . يَكْفِيكَ مِنَ الْحَاسِدِ أَنَّهُ يَغْتَمُ وَقْتُ سُرُورِكَ . أَنْتُمْ إِلَى إِمَامٍ فَعَالٍ أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ قَوَالٍ - قَالَ يَوْمَ صَعِدَ الْمَنْبَرُ فَأُتِجَ عَلَيْهِ . »

ومن كلام ابن عباس رضى الله عنه :

« صَاحِبُ الْمَعْرُوفِ لَا يَتَمَعُ ، فَإِنْ وَقَعَ وَجَدَ مُتَّكَاً . الْحِرْمَانُ خَيْرٌ مِنَ الْإِمْتِنَانِ . مَلَاكُ أَمْرِكُمُ الدِّينَ ، وَزِينَتُكُمُ الْعِلْمَ ، وَحِصُونُ أَعْرَاضِكُمُ الْإِدْبَ ، وَعِزُّكُمْ الْحِلْمُ . وَحَلِيَّتُكُمْ الْوَفَاءُ . الْقَرَابَةُ تُقَطِّعُ . وَالْمَعْرُوفُ يُكْفِّرُ . وَلَمْ يُرَ كَالْمُودَةِ . لَا تُنْمَارُ سَفِيهَا وَلَا حَلِيمَا . فَإِنَّ السَّفِيهَ يُوْذِيكَ . وَالْحَلِيمَ يَقْلِيكَ ^(٢) . وَاعْمَلْ عَمَلًا مِنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَجْزِيٌّ بِالْحَسَنَاتِ . مَاخُودٌ بِالسَّيِّئَاتِ . »

ومن كلام ابن مسعود رضى الله عنه :

« مَا أَلْدَخَانَ عَلَى النَّارِ بِأَدَلٍّ مِنَ الصَّاحِبِ عَلَى الصَّاحِبِ ، الدُّنْيَا كُلُّهَا غَمُومٌ ، فَمَا كَانَ مِنْهَا فِي سُرُورٍ فَهُوَ رِيحٌ . »

(١) يكف . (٢) يينضك .

ومن كلام المغيرة بن شعبه :

« إن المعرفة لتتفع عند الكلب العقور ، والجمل الصئول^(١) ، فكيف بالرجل الكريم ! » .

ومن كلام أبي الدرداء :

« الشؤد اصطناع العشيرة ، واحتمال الجريرة ، والشرف كف الأذى ، وبذل الندى ، والغنى قلة التمني ، والفقر شره النفس » .

ومن كلام أبي ذر :

« إن لك في مالك شريكين : الحذثان^(٢) والوارث ، فإن قدرت ألا تكون أخس

الشركاء حظاً فافعل » . (مجمع الأمثال للميداني ٢ : ٢٧٦ ، ونهاية الأرب ٣ : ٤)

(١) صئول الجمل : واثب الناس أو سمار يقتلهم ويمدو عليهم . (٢) حذثان الدهر :

نوبه وأحداثه .

سقطت هذه الخطب سهوا في أثناء الطبع
فأوردناها في آخر الجزء وهما هي ذى :

خطب الوفود

بين يدى عمر بن الخطاب

لما قدمت الوفود على عمر بن الخطاب رضى الله عنه قام هلال بن بشر^(١) فقال :

٢٤٤ - خطبة هلال بن بشر

« يا أمير المؤمنين : إنا غرمة من خلفنا من قومنا ، وسادة من وراءنا من أهل مصرنا
وإنك إن تضررنا بالزيادة في أعطياتنا ، والفرائض إعيالاتنا ، يزدد بذلك الشريف
تأميلا ، وتكف لهم أبا وصولا ، وإن تكن مع ما نمت به^(٢) من وسائلك ، ونُدلي به
من أسبابك ، كالحدل^(٣) ، لا يحل ولا يرتحل ، نزع بأنوف مصلومة^(٤) ، وجدود

(١) فى البيان والتبيين: ابن وكيع . (٢) فتوصل به . (٣) فى البيان والتبيين « كالجذد »
وفى نهاية الأرب « كالجذد » ولا معنى لهما هنا ، وأرى أن صوابه « كالحدل » بحاء مفتوحة ودال مكسورة ،
وصف من الحدل بفتحتين : وهو الذى أشرف أحد عاتقيه على الآخر ، أو المائل العنق من خلقة أو وجع لا يملك
أن يقيمه . وارتحل البعير ورحله : حط عليه الرجل ، وإذا كان البعير حدلا فهو لا يرتحل لعدم توازن
العديلين عليه ، وكذا لا يحل من مبركه لا يرتحل فهو إذن لا يستخدم ولا ينتفع به ، فالمعنى أنك إن لم تعطنا تكن
كالبعير الحدل العديم الجدوى . (٤) المقطوعة من أصلها .

عائرة، فَمِحْنَا^(١) وأهالينا بِسَجَلٍ مُتْرَعٍ^(٢) من سِجَالِكَ المِترَعَةِ .

٣٤٥ - خطبة زيد بن جبلة

وقام زيد بن جبلة فقال :

« يا أمير المؤمنين ، سَوِّدَ الشَّرِيفَ ، وأكرم الحسب ، وازرع عندنا من أياديك ما تَسُدُّ به الخِصَاصَةَ ، وتطرد به الفاقة ، فإننا بِقُفِّ^(٣) من الأرض يابس الأكناف ، مُقَشَّرِ الدَّرْوَةِ ، لا مُتَجَجَّرَ ولا زَرَعَ ، وإنا من العرب اليوم إذ أتيناك بمراى ومسمع . »

٣٤٦ - خطبة الأحنف بن قيس

فقام الأحنف فقال :

« يا أمير المؤمنين إن مفاتيح الخير بيد الله ، والحرصُ قَائِدُ الحِرْمَانِ ، فاتق الله فيما لا يُغْنِي عنك يوم القيامة قِيلاً ولا قالاً ، واجمل بينك وبين رعيتك من العدل والإنصاف شيئاً يكفيك وفادة الوفود ، واستماعة الممتاح^(٤) ، فإن كل امرئ يجمع في ودائه إلا الأقل ممن عسى أن تقتحمه الأعين فلا يُوفَدُ إليك . »

(نهاية الأرب ٧ : ٢٣٩ ، والبيان والتبيين ٢ : ٧١)

(١) الميخ : الإعطاء . (٢) المترع : الدلو العظيمة مملوءة (مذكر) ومترع : مملوء . (٣) ما ارتفع

من الأرض كالقفة . (٤) استماعة : سأله العطاء . والامتياح : الإعطاء .

٣٤٧ - خطبة الأحنف بن قيس

بين يدي عمر بن الخطاب

قدم الأحنف بن قيس التيمي على عمر بن الخطاب رضى الله عنه في أهل البصرة وأهل الكوفة ، فتكلموا عنده في أنفسهم ، وما ينوب كل واحد منهم ، وتكلم الأحنف فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن مفاتيح الخير، بيد الله ، وقد أتتك وفود أهل العراق ، وإن إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الأمم الخالية ، والملوك الجبابرة ، ومنازل كسرى وقيصرو بنى الأصفر ، فهم من المياه العذبة ، والجنان المخصبة في مثل حَوْلَاء السَّلَى^(١) وحَدَقَةِ البعير الغاسقة^(٢) ، تأتيهم ثمارهم غَضَّة قبل أن تتغير ، وإنا معشر أهل البصرة نزلنا أرضاً سَبِيخَةً هَشَّاشَةً ، زَعِقَةً نَشَّاشَةً^(٣) ، طَرَفٌ فِي فَلَائَةٍ ، وَطَرَفٌ فِي مَلْحِ أَجَاجٍ^(٤) ، جَانِبٌ مِنْهَا مَنَابِتُ القصب ، وجانب سَبِيخَةٍ نَشَّاشَةٍ لا يجف ترابها ، ولا ينبت مرعاها ، تأتينا منافعها في مثل مَرَى النعامة ، يخرج الرجل الضعيف منا يَسْتَعْذِبُ^(٥) الماء من فرسخين ، وتخرج المرأة بمثل ذلك ، تُرَنِّقُ^(٦) ولدها ترنيق العنز تخاف عليه العدو والسبع ، دارنا فَعْمَةٌ^(٧) ، ووظيفتنا ضيقة ، وعددنا كثير ، وأشرافنا قليل ، وأهل البلاء فينا كثير ، ودرهمنا كبير ، وقفيزنا^(٨) صغير ، وقد وسع الله علينا وزادنا

(١) الحولاء : جلدة خضراء مملوءة ماء تخرج مع الولد فيها أغراس وخطوط حمر وخضر ونزلوا

في مثل حولاء الناقة . يريدون الحصب وكثرة الماء والخضرة ، والسلى جلدة فيها الولد (من الناس والمواشي) .

(٢) السوداء . (٣) هشاشة : يسيل ماؤها . سبيخة نشاشة : لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها ، والسبيخة

بفتح الباء وسكونها أرض ذات نز وملح . (٤) ملح مر . (٥) استعذب : استق عذبا .

(٦) الترنيق : إدامة النظر . (٧) مملكة (أى بساكنها) . (٨) مكيال .

في أرضنا ، فوسّع علينا يا أمير المؤمنين ، وزدنا وظيفة توظف علينا ونعيش بها ، فإلا ترفع
خَيْسْتَنَا^(١) وَتُنْعِشُ رَكَيْسْتَنَا^(٢) وَتَجْبُرُ فَاقْتَنَا وَتَزِدُ فِي عِيَالِنَا عِيَالًا ، وفي رجالنا رجالًا ،
وَتُصَفِّرُ^(٣) دَرَهْمَنَا ، وَتَكْبُرُ قَفِيْزَنَا ، وَتَأْمُرُ لَنَا بِحَفْرِ نَهْرٍ نَسْتَعْذِبُ بِهِ الْمَاءَ ، هَلَكْنَا .

قال عمر : هذا والله السيد ، هذا والله السيد . قال الأحنف : فما زلت أسمعها بعدها .

(العقد الفريد ١ : ١١٦ ، وشرح العيون ٦٨ وتاريخ الطبري ٤ : ٢٠٩)

انتهى الجزء الأول

وبإيـه

الجزء الثاني وأوله : الباب الثالث في خطب ووصايا

العصر الأموي

(١) رفعت من خيسته : فعلت به فعلا فيه رفعت . (٢) الركن : قلب أول الشيء على آخره ،

وارتكس : ارتكس ووقع . (٣) صفره : صبغه بصفرة ، أى تبدلنا بالدرهم الأبيض دينارا أصفر

وتجعل فضتنا ذهبا .

فهرس

الجزء الأول

من جمهرة خطب العرب

الباب الأول

الخطب في العصر الجاهلي

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
إصلاح مرثد الخير بين سبيع بن الحارث وبين ميثم بن مثوب		٩
مقال مرثد الخير .	١	١٠
سبيع بن الحارث .	٢	١١
ميثم بن مثوب .	٣	١١
مرثد الخير .	٤	١٢
طريف بن العاصي والحارث بن ذبيان يتفاخران عند بعض	٥	١٣
مقاويل حمير .		
وفود العرب يعزون سلامة ذا فائس بابن له مات		١٧
خطبة الملبب بن عوف .	٦	١٧
جعادة بن أفلح .	٧	١٨

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
تساؤل عامر بن الظرب وحممة بن رافع عند أحد ملوك حمير .	٨	١٨
خطبة عامر بن الظرب العدواني وقد خطبت ابنته :	٩	١٩
حديث بعض مقاول حمير مع ابنه ومادار بينه وبينهما من المساءلة حين كبرت سنه .	١٠	٢٠
إحدى ملكات اليمن وخطبوها .	١١	٢٥
رواد مذحج يصفون ما ارتادوا من المراعى .	١٢	٢٦
مادار من الحديث بين المنذر بن النعمان الأكبر وبين عامر بن جوين الطائي .	١٣	٢٧
قيس بن رفاعه والحارث بن أبي شمر الغساني .	١٤	٣٢
قيس بن خفاف البرجمي وحاتم طي .	١٥	٣٢
مقال قبيصة بن نعيم لامرئ القيس بن حجر .	١٦	٣٤
رد امرئ القيس عليه .	١٧	٣٦
خطبة هاني بن قبيصة الشيباني .	١٨	٣٧
خطبة عمرو بن كلثوم .	١٩	٣٧
أكثم بن صيفي يعزى عمرو بن هند عن أخيه .	٢٠	٣٧
خطبة قس بن ساعدة الإيادي .	٢١	٣٨
قس بن ساعدة عند قيصر .	٢٢	٣٩
خطبة المأمون الحارثي .	٢٣	٣٩
بين مهلهل بن ربيعة ومرة بن ذهل بن شيبان .	٢٤	٤٠
منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين .	٢٥	٤١
أشراف العرب بين يدي كسرى		٤٦
مقال حذيفة بن بدر الفزاري .	٢٦	٤٦
مقال الأشعث الكندي .	٢٧	٤٧
مقال بسطام الشيباني .	٢٨	٤٧
مقال حاجب بن زرارة .	٢٩	٤٨
مقال قيس بن عاصم السعدي .	٣٠	٤٩

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
وفود العرب على كسرى		٥٠
خطبة النعمان بن المنذر .	٣١	٥١
خطبة أكرم بن صيفي .	٣٢	٥٦
خطبة حاجب بن زرارة .	٣٣	٥٧
خطبة الحارث بن عباد .	٣٤	٥٧
خطبة عمرو بن الشريد .	٣٥	٥٩
خطبة خالد بن جعفر الكلابي .	٣٦	٦٠
خطبة علقمة بن علاثة العامري .	٣٧	٦٠
خطبة قيس بن مسعود الشيباني .	٣٨	٦١
خطبة عامر بن الطفيل العامري .	٣٩	٦٢
خطبة عمرو بن معد يكرب الزبيدي .	٤٠	٦٣
خطبة الحارث بن ظالم المري .	٤١	٦٣
مخالس بن مزاحم وقاصر بن سلمة عند النعمان بن المنذر .	٤٢	٦٤
ضمرة بن ضمرة عند النعمان بن المنذر .	٤٣	٦٦
لبيد بن ربيعة يصف بقلة .	٤٤	٦٧
كلمات هند بنت الخس الإيادية .	٤٥	٦٨
خطبة كعب بن لؤي .	٤٦	٧٣
خطبة هاشم بن عبد مناف .	٤٧	٧٤
خطبة هاشم بن عبد مناف في قریش وخرزاعة .	٤٨	٧٥
خطبة عبد المطلب بن هاشم .	٤٩	٧٦
خطبة أبي طالب في زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة	٥٠	٧٧
خطاب الكهان		٧٨
الكاهن الخزاعي ينفر هاشم بن عبد مناف على أمية بن عبد شمس .	٥١	٧٨
عوف بن ربيعة الأسدي يتكهن بقتل حجر بن الحارث .	٥٢	٧٩
كاهن بني الحارث بن كعب يحذرهم غزو بني تميم .	٥٣	٨٠

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
أحد كهان لليمن يفصل في أمر هند بنت عتبة .	٥٤	٨١
خمسة نفر من طي يمتحنون سواد بن قارب الدوسي .	٥٥	٨٢
حديث مصاد بن مذعور القيني .	٥٦	٨٦
حديث خنافر بن التوعم الحميري مع رثيه شصار .	٥٧	٨٨
شافع بن كليب الصدفي يتكهن بظهور النبي صلى الله عليه وسلم	٥٨	٩٠
سطيح الذئبي يعبر رؤيا ربعة بن نصر اللخمي .	٥٩	٩١
شق أنمار يعبر رؤيا ربعة بن نصر أيضا .	٦٠	٩٣
وفود عبد المسيح بن بقبيلة على سطيح .	٦١	٩٤
شق وسطيح ينبئان بأصل ثقيف .	٦٢	٩٧
تنافر عبد المطلب بن هاشم والثقفين إلى عزى سلمة الكاهن :	٦٣	٩٨
منافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية .	٦٤	١٠٠
ما أمر به عبد المطلب بن هاشم ، في منامه من حفر زمزم :	٦٥	١٠٩
خطب الكواهن		١٠٣
الشعثاء الكاهنة تصف سبعة إنحوة .	٦٦	١٠٣
طريقة الخير تتكهن بسبل العرم وخراب سد مأرب .	٦٧	١٠٥
حديث زبراء الكاهنة مع بني رثام بن قضاة .	٦٨	١١٠
كاهنة ذى الخليفة تتكهن بما في بطن رقية بنت جشم .	٦٩	١١٢
رأى سلمى الهمدانية في حريم المرادي .	٧٠	١١٣
تنافر العجفاء بنت علقمة وصواحباتها إلى الكاهنة السعدية :	٧١	١١٤
عجفاء الكاهنة تعبر رؤيا مرثد بن عبد كلال .	٧٢	١١٥
الوصايا		١١٩
وصية أوس بن حارثة لابنه مالك .	٧٣	١١٩
وصية ذى الإصبع العدواني لابنه أسيد .	٧٤	١٢٠
وصية عمرو بن كلثوم لبنيه .	٧٥	١٢١

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
وصية الحرث بن كعب لبنيه .	٧٦	١٢٢
وصية عامر بن الظرب لقومه .	٧٧	١٢٣
وصية دويد بن زيد لبنيه .	٧٨	١٢٤
وصية زهير بن جناب الكلبي .	٧٩	١٢٦
وصية النعمان بن ثواب العبدى لبنيه .	٨٠	١٢٦
وصية قيس بن زهير لبني النمر بن قاسط .	٨١	١٢٧
وصية حصن بن حذيفة لبنيه .	٨٢	١٢٩
وصية لأكثم بن صيفي .	٨٣	١٣٠
وصية أكثم بن صيفي لطيء .	٨٤	١٣٣
وصية أكثم بن صيفي لبنيه ورهطه .	٨٥	١٣٤
نصيحة أكثم بن صيفي لقومه .	٨٦	١٣٥
أمثال أكثم بن صيفي وبزر جمهر الفارسي .	٨٧	١٣٦
نصيحة الجمانة بنت قيس بن زهير لجدتها الربيع بن زياد .	٨٨	١٤١
وصف عصام الكنديّة أم إياس بنت عوف بن محم الشيباني .	٨٩	١٤٢
وصية أمامة بنت الحرث لابنتها أم إياس .	٩٠	١٤٥

الباب الثاني

الخطب والوصايا

في عصر صدر الإسلام

خطب النبي صلى الله عليه وسلم وما يتبعها		١٤٧
أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه .	١	١٤٧
أول خطبة خطبها بالمدينة .	٢	١٤٨
خطبته في أول جمعة جمعها بالمدينة .	٣	١٤٨

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة له يوم أحد .	٤	١٤٩
خطبته بالخيف .	٥	١٥١
خطبة له عليه الصلاة والسلام .	٦	١٥١
خطبة له عليه الصلاة والسلام .	٧	١٥٢
خطبة له عليه الصلاة والسلام .	٨	١٥٢
خطبة له عليه الصلاة والسلام .	٩	١٥٣
خطبة له عليه الصلاة والسلام .	١٠	١٥٣
خطبته يوم فتح مكة .	١١	١٥٤
خطبته في الاستسقاء .	١٢	١٥٤
خطبته في حجة الوداع .	١٣	١٥٥
خطبته في مرض موته .	١٤	١٥٨
خطبة أكرم بن صيني يدعو قومه إلى الإسلام .	١٥	١٥٩
وصية أبي طالب لوجوه قريش عند موته .	١٦	١٦١
خطب الوفود بين يديه صلى الله عليه وسلم		١٦٣
خطبة عطار بن حاجب بن زرارة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم .	١٧	١٦٣
خطبة ثابت بن قيس بن الشماس .	١٨	١٦٣
عمرو بن الأهتم والزبرقان بن بدر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم .	١٩	١٦٤
خطبة طهفة بن أبي زهير النهدي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم .	٢٠	١٦٥
رده صلى الله عليه وسلم .	٢١	١٦٦
خطبة ظبيان بن حداد بين يديه صلى الله عليه وسلم .	٢٢	١٦٧
خطبة مالك بن نمط بين يديه صلى الله عليه وسلم .	٢٣	١٦٨
سفانة بنت حاتم بين يديه صلى الله عليه وسلم .	٢٤	١٦٩
وصية دريد بن الصمة .	٢٥	١٧٠
وصية عمير بن حبيب الصحابي لبيته .	٢٦	١٧١
وصية قيس بن عاصم المنقري لبيته .	٢٧	١٧١

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطب يوم السقيفة		١٧٣
خطبة سعد بن عباد .	٢٨	١٧٣
خطبة أبي بكر رضى الله عنه .	٢٩	١٧٤
نص آخر لخطبة أبي بكر يوم السقيفة .	٣٠	١٧٥
خطبة الحباب بن المنذر .	٣١	١٧٦
خطبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .	٣٢	١٧٦
خطبة أخرى للحباب بن المنذر .	٣٣	١٧٧
خطبة بشير بن سعد .	٣٤	١٧٧
خطب أبي بكر الصديق ووصاياه		١٧٩
خطبته يوم قبض الرسول صلى الله عليه وسلم .	٣٥	١٧٩
خطبته بعد البيعة .	٣٦	١٨٠
خطبة أخرى له بعد البيعة .	٣٧	١٨١
خطبة أخرى .	٣٨	١٨٢
خطبة له .	٣٩	١٨٣
خطبة له .	٤٠	١٨٤
خطبة له .	٤١	١٨٥
خطبة له فى الأنصار .	٤٢	١٨٦
وصيته لأسامة بن زيد .	٤٣	١٨٧
وصيته لعمر بن العاص والوليد بن عقبة .	٤٤	١٨٧
خطب الفتوح فى عهد أبى بكر		١٨٨
وصيته لخالد بن الوليد .	٤٥	١٨٨
خطبة خالد بن الوليد	٤٦	١٨٨
خطبة لأبى بكر فى ندب الناس لفتح الشام .	٤٧	١٨٩
فتح الشام - خطبة أبى بكر .	٤٨	١٩٠

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة عمر	٤٩	١٩٠
خطبة عبد الرحمن بن عوف	٥٠	١٩١
خطبة أبي بكر	٥١	١٩٢
خطبة خالد بن سعيد بن العاص	٥٢	١٩٢
خطبة ذى الكلاع .	٥٣	١٩٣
وصية خالد بن سعيد بن العاص لأبي بكر .	٥٤	١٩٤
وصية أبي بكر لخالد بن سعيد بن العاص .	٥٥	١٩٥
وصية أبي بكر لعمر بن العاص .	٥٦	١٩٥
وصية أخرى .	٥٧	١٩٦
وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان .	٥٨	١٩٦
وصية أخرى ليزيد بن أبي سفيان .	٥٩	١٩٧
دعاء أبي بكر .	٦٠	١٩٩
وصيته لشرحبيل بن حسنة .	٦١	١٩٩
وصيته لأبي عبيدة بن الجراح .	٦٢	٢٠٠
وصيته لأبي عبيدة بن الجراح أيضا .	٦٣	٢٠٠
خطبة أبي بكر .	٦٤	٢٠١
وصية أبي بكر لهاشم بن عتبة .	٦٥	٢٠١
خطبة خالد بن الوليد يوم اليرموك .	٦٦	٢٠٢
خطبة أبي عبيدة في وقعة اليرموك .	٦٧	٢٠٣
قصص معاذ بن جبل .	٦٨	٢٠٤
خطبة عمرو بن العاص .	٦٩	٢٠٤
خطبة أبي سفيان بن حرب .	٧٠	٢٠٥
وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما عند موته .	٧١	٢٠٥
كلامه لعبد الرحمن بن عوف في علته التي مات فيها .	٧٢	٢٠٦
خطبة السيدة عائشة في الانتصار لأبيها .	٧٣	٢٠٧
رثاؤها لأبيها	٧٤	٢١٠

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه		٢١١
خطبته حين ولى الخلافة .	٧٥	٢١١
خطبة أخرى .	٧٦	٢١١
خطبة له .	٧٧	٢١٢
خطبة له .	٧٨	٢١٢
خطبة أخرى .	٧٩	٢١٣
خطبة له .	٨٠	٢١٤
خطبة له .	٨١	٢١٥
خطبة له .	٨٢	٢١٧
خطبة له .	٨٣	٢١٧
خطبة له .	٨٤	٢١٨
خطبة له .	٨٥	٢١٨
خطبته عام الرمادة .	٨٦	٢٢٠
خطبته وقد بلغه أن قوما يفضلونه على أبي بكر .	٨٧	٢٢١
خطب الفتوح في عهد عمر في فتح فارس		٢٢٢
خطبة المثني بن حارثة الشيباني .	٨٨	٢٢٢
خطبة عمر .	٨٩	٢٢٢
خطبة له وقد شيع جيش سعد بن أبي وقاص .	٩١	٢٢٣
وصيته لسعد بن أبي وقاص .	٩٢	٢٢٤
وصيته لسعد بن أبي وقاص أيضا .	٩٣	٢٢٤
وصية أخرى كتبها إلى سعد بن أبي وقاص .	٩٤	٢٢٥
وصيته للمجاهدين .	٩٥	٢٢٧
وصية عمر ليعلى بن أمية في إجلاء أهل نجران .	٩٦	٢٢٨
خطبة لعمر .	٩٧	٢٢٨
خطبة جرير بن عبد الله البجلي .	٩٨	٢٢٩

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة سعد بن أبي وقاص يوم أرمات .	٩٩	٢٢٩
خطبة عاصم بن عمرو .	١٠٠	٢٣٠
خطبة طليحة بن خويلد الأسدي .	١٠١	٢٣٠
الخنساء تحرض أولادها على القتال .	١٠٢	٢٣١
خطبة عتبة بن غزوان .	١٠٣	٢٣٢
خطبة لسعد بن أبي وقاص .	١٠٤	٢٣٣
خطبة عمر .	١٠٥	٢٣٣
خطبة لعلي .	١٠٦	٢٣٤
خطبة طامحة بن عبيد الله .	١٠٧	٢٣٥
خطبة عثمان بن عفان .	١٠٨	٢٣٥
خطبة علي بن أبي طالب .	١٠٩	٢٣٦
خطبة النعمان بن مقرن .	١١٠	٢٣٧
خطب رجال من الفاتحين		٢٣٩
بين يدي يزيد جرد ملك الفرس وقواده		
خطبة النعمان بن مقرن .	١١١	٢٣٩
خطبة المغيرة بن زرارة .	١١٢	٢٤٠
مقال ربعي بن عامر عند رستم قائد جيش الفرس .	١١٣	٢٤٢
خطبة المغيرة بن شعبه في حضرة رستم .	١١٤	٢٤٢
خطبة المغيرة بن شعبه في حضرة بندار .	١١٥	٢٤٣
خطبة عمر .	١١٦	٢٤٤
خطبة عثمان بن أبي العاص في فتح الشام .	١١٧	٢٤٤
بين الروم ومعاذ بن جبل .	١١٨	٢٤٦
بين أبي عبيدة ورسول الروم .	١١٩	٢٤٩
بين باهان وخالد بن الوليد .	١٢٠	٢٥٠

الحظبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
جواب خالد	١٢١	٢٥٢
خطبة عمرو بن العاص .	١٢٢	٢٥٤
خطبة عمر .	١٢٣	٢٥٥
خطبة عمر .	١٢٤	٢٥٥
خطبة عمر .	١٢٥	٢٥٦
خطبة عمر .	١٢٦	٢٥٦
وصية أبي عبيدة للمسلمين وقد أصابه طاعون عمواس .	١٢٧	٢٥٧
خطبة معاذ بن جبل .	١٢٨	٢٥٨
رثاء معاذ بن جبل لأبي عبيدة .	١٢٩	٢٥٨
ابن العاص ومعاذ والطاعون .	١٣٠	٢٥٩
وصية لمعاذ بن جبل .	١٣١	٢٥٩
وصية لمعاذ بن جبل أيضا .	١٣٢	٢٦٠
خطبة عبادة بن الصامت .	١٣٣	٢٦١
خطبة شداد بن أوس .	١٣٤	٢٦١
خطبة أبي الدرداء .	١٣٥	٢٦٢
خطبة يزيد بن أبي سفيان .	١٣٦	٢٦٢
وصية العباس بن عبد المطلب .	١٣٧	٢٦٣
وصية عمر للخليفة من بعده .	١٣٨	٢٦٣
خطب يوم الشورى		٢٦٦
خطبة عبد الرحمن بن عوف .	١٣٩	٢٦٦
خطبة عثمان بن عفان .	١٤٠	٢٦٧
خطبة الزبير بن العوام .	١٤١	٢٦٧
خطبة سعد بن أبي وقاص .	١٤٢	٢٦٨
خطبة علي بن أبي طالب .	١٤٣	٢٦٩

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة عثمان بن عفان رضى الله عنه		٢٧٠
خطبته حين بايعه أهل الشورى .	١٤٤	٢٧٠
خطبته بعد البيعة .	١٤٥	٢٧١
خطبة أخرى .	١٤٦	٢٧١
خطبة لعثمان .	١٤٧	٢٧١
خطبة لعثمان .	١٤٨	٢٧٢
خطبته حين نقم عليه الناس .	١٤٩	٢٧٣
خطبته التي نزع فيها وأعطى الناس من نفسه التوبة .	١٥٠	٢٧٤
خطبته في الرد على الثوار .	١٥١	٢٧٥
خطبته وقد اشتد عليه الحصار .	١٥٢	٢٧٦
آخر خطبة خطبها عثمان .	١٥٣	٢٧٦
خطبة الوليد بن عقبة .	١٥٤	٢٧٧
خطبة سعيد بن العاص حين قدم الكوفة واليا عليها .	١٥٥	٢٧٨
خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح إفريقية .	١٥٦	٢٧٨
خطبة عبد الله بن مسعود .	١٥٧	٢٨٠
أبو زيد الطائي يصف الأسد .	١٥٨	٢٨١
خلافة الإمام على كرم الله وجهه		٢٨٥
وصية على لقيس بن سعد .	١٥٩	٢٨٥
خطبة لقيس بن سعد .	١٦٠	٢٨٥
فتنة أصحاب الجمل		٢٨٦
خطبة طلحة .	١٦١	٢٨٦
خطبة السيدة عائشة بالمربد .	١٦٢	٢٨٦
خطبة لعلى .	١٦٣	٢٨٧
خطبة لعلى .	١٦٤	٢٨٨

الخطبة او الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة اعلی .	١٦٥	٢٨٩
خطبة عدی بن حاتم .	١٦٦	٢٨٩
خطبة زفر بن زید .	١٦٧	٢٩٠
خطبة علی بالریدة .	١٦٨	٢٩١
خطبة سعید بن عبید الطائی .	١٦٩	٢٩٢
خطبة الحسن بن علی .	١٧٠	٢٩٣
خطبة الحسن بن علی .	١٧١	٢٩٣
خطبة عمار بن یاسر .	١٧٢	٢٩٤
خطبة ابي موسى الأشعري .	١٧٣	٢٩٥
صورة أخرى .	١٧٤	٢٩٦
صورة أخرى .	١٧٥	٢٩٧
خطبة زيد بن صوحان .	١٧٦	٢٩٧
خطبة القعقاع بن عمرو .	١٧٧	٢٩٨
خطبة سيحان بن صوحان .	١٧٨	٢٩٨
خطبة الحسن بن علی .	١٧٩	٢٩٩
وفادة القعقاع بن عمرو إلى أصحاب الجمل .	١٨٠	٢٩٩
خطبة علی بن أبي طالب .	١٨١	٣٠١
خطبة علی بن أبي طالب .	١٨٢	٣٠٢
خطبة علی .	١٨٣	٣٠٣
خطبة الأشر .	١٨٤	٣٠٤
خطبة السيدة عائشة .	١٨٥	٣٠٥
خطبة علی .	١٨٦	٣٠٥
خطبة السيدة عائشة يوم الجمل .	١٨٧	٣٠٦
خطبة زفر بن قيس .	١٨٨	٣٠٧
خطبة جرير بن عبد الله البجلي .	١٨٩	٣٠٨

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة زياد بن كعب .	١٩٠	٣٠٨
خطبة الأشعث بن قيس .	١٩١	٣٠٩
خطبة جرير بن عبد الله البجلي .	١٩٢	٣٠٩
خطبة معاوية .	١٩٣	٣١٠

فتنة معاوية ٣١٢

استطلاع الإمام علي كرم الله وجهه آراء أصحابه

وقد أراد المسير إلى الشام

خطبة الإمام علي .	١٩٤	٣١٢
خطبة هاشم بن عتبة .	١٩٥	٣١٢
خطبة عمار بن ياسر .	١٩٦	٣١٣
خطبة قيس بن سعد بن عبادة .	١٩٧	٣١٣
خطبة سهل بن حنيف .	١٩٨	٣١٤
خطبة الإمام علي .	١٩٩	٣١٤
خطبة الأشتر النخعي .	٢٠٠	٣١٥
مقال من ثبطوه عن المسير .	٢٠١	٣١٦
رد الإمام عليهم .	٢٠٢	٣١٦
خطبة عدى بن حاتم الطائي .	٢٠٣	٣١٧
خطبة زيد بن حصين الطائي .	٢٠٤	٣١٨
خطبة أبي زينب بن عوف .	٢٠٥	٣١٨
خطبة زيد بن قيس الأرحبي .	٢٠٦	٣١٩
خطبة زياد بن النضر .	٢٠٧	٣١٩
خطبة عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي .	٢٠٨	٣٢٠
أدب الإمام علي وكرم خلقه .	٢٠٩	٣٢١
مقال عمرو بن الحمق .	٢١٠	٣٢١

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
مقال حجر بن عدى .	٢١١	٣٢٢
مقال هاشم بن عتبة .	٢١٢	٣٢٢
خطبة الإمام على .	٢١٣	٣٢٤
خطبة الحسن بن على .	٢١٤	٣٢٥
خطبة الحسين بن على .	٢١٥	٣٢٥
خطبة عبدالله بن عباس .	٢١٦	٣٢٦
خطبة معاوية .	٢١٧	٣٢٧
وفد علىّ على معاوية		٣٢٨
خطبة بشير بن عمرو .	٢١٨	٣٢٨
خطبة شيبث بن ربيعى .	٢١٩	٣٢٩
خطبة معاوية .	٢٢٠	٣٢٩
وفد علىّ على معاوية .		٣٣١
خطبة عدى بن حاتم .	٢٢١	٣٣١
جواب معاوية .	٢٢٢	٣٣١
خطبة يزيد بن قيس .	٢٢٣	٣٣٢
خطبة معاوية .	٢٢٤	٣٣٢
وفد معاوية إلى على		٣٣٥
خطبة حبيب بن مسلمة :	٢٢٥	٣٣٥
خطبة على بن أبى طالب .	٢٢٦	٣٣٦
التحريض على القتال من قبل معاوية		٣٣٨
خطبة عمرو بن العاص .	٢٢٧	٣٣٨
خطبة أخرى .	٢٢٨	٣٣٨
خطبة معاوية يحرّض أهل الشام .	٢٢٩	٣٣٩
خطبة ذى الكلاع الحميرى .	٢٣٠	٣٤٠
خطبة يزيد بن أسد البجلى .	٢٣١	٣٤٣

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
التحريض على القتال من قبل الإمام علي		٣٤٥
خطبة الإمام علي .	٢٣٢	٣٤٥
خطبة أخرى له .	٢٣٣	٣٤٦
ومن كلام له كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين .	٢٣٤	٣٤٧
خطبة أخرى للإمام علي .	٢٣٥	٣٤٨
خطبة للإمام علي .	٢٣٦	٣٤٩
خطبة أخرى له .	٢٣٧	٣٥٠
خطبة عبد الله بن عباس .	٢٣٨	٣٥٠
خطبة عبد الله بن بديل الخزاعي .	٢٣٩	٣٥٢
خطبة أبي الهيثم بن التيهان .	٢٤٠	٣٥٢
خطبة للإمام علي .	٢٤١	٣٥٣
خطبة سعيد بن قيس .	٢٤٢	٣٥٤
خطبة يزيد بن قيس الأرحبي .	٢٤٣	٣٥٥
خطبة هاشم بن عتبة المرقال .	٢٤٤	٣٥٦
خطبة عمار بن ياسر .	٢٤٥	٣٥٧
خطبة الأشعث بن قيس .	٢٤٦	٣٥٨
خطبة الأشتر النخعي .	٢٤٧	٣٥٩
خطبة الأشتر النخعي في المنهزمين من الميمنة .	٢٤٨	٣٦٠
خطبة أخرى له فيهم .	٢٤٩	٣٦١
خطبة علي فيهم وقد عادوا إلى موافقهم .	٢٥٠	٣٦٢
خطبة خالد بن معمر .	٢٥١	٣٦٣
خطبة عقبة بن حديد النمرى .	٢٥٢	٣٦٣
خطبة خنثر بن عبيدة بن خالد .	٢٥٣	٣٦٤
تحريض معاوية أيضا .	٢٥٤	٣٦٥
ماخطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد في وقعة صفين .	٢٥٥	٣٦٦

الخطة أو الوصية	رقم الخطة	رقم الصفحة
جواب قيس بن سعد .	٢٥٦	٣٦٧
خطب الشيعة في وقعة صفين		٣٦٨
خطبة عكرشة بنت الأطرش .	٢٥٧	٣٦٨
خطبة أم الخير بنت الحريش .	٢٥٨	٢٦٩
خطبة الزرقاء بنت عدى الهمدانية .	٢٥٩	٢٧٣
اختلاف أهل العراق في الموادعة		٣٧٥
خطبة الإمام علي .	٢٦٠	٣٧٥
خطبة كردوس بن هاني .	٢٦١	٣٧٥
خطبة سفيان بن ثور .	٢٦٢	١٧٦
خطبة جريث بن جابر .	١٦٣	٣٧٦
خطبة خالد بن معمر .	٢٦٤	٣٧٦
خطبة الحصين بن المنذر .	٢٦٥	٣٧٧
خطبة عثمان بن حنيف .	٢٦٦	٣٧٧
خطبة عدى بن حاتم .	٢٦٧	١٧٩
خطبة عبدالله بن حجل .	٢٦٨	٣٨٠
خطبة صعصعة بن صوحان .	٢٦٩	٣٨٠
خطبة المنذر بن الجارود .	٢٧٠	٣٨١
خطبة الأحنف بن قيس .	٢٧١	٣٨١
خطبة عمير بن عطار .	٢٧٢	٣٨٢
خطبة علي بن أبي طالب .	٢٧٣	٣٨٢
مقال عدى بن حاتم .	٢٧٤	٣٨٢
مقال الأشتر النخعي .	٢٧٥	٣٨٣
مقال عمرو بن الحمق .	٢٧٦	٣٨٣
مقال الأشعث بن قيس .	٢٧٧	٣٨٣
مقال عبد الرحمن بن الحارث .	٢٧٨	٣٨٤
مقال عمار بن ياسر .	٢٧٩	٣٨٤

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
التحكيم بين عليّ ومعاوية		٣٨٦
كلام عبد الله بن عباس لأبي موسى الأشعري .	٢٨٠	٣٨٦
وصية شريح بن هانيء لأبي موسى الأشعري .	٢٨١	٣٨٧
وصية الأحنف بن قيس لأبي موسى الأشعري .	٢٨٢	٣٨٨
وصية معاوية لعمر بن العاص .	٢٨٣	٣٨٩
رد عمرو بن العاص عليه .	٢٨٤	٣٨٩
مقال بشر حبيل بن السمط لعمر بن العاص .	٢٨٥	٣٩٠
خطبة أبي موسى الأشعري .	٢٨٦	٣٩٠
خطبة عمرو بن العاص .	٢٨٧	٣٩١
خطبة الإمام بعد التحكيم .	٢٨٨	٣٩١
خطبة الحسن بن علي .	٢٨٩	٣٩٢
خطبة عبد الله بن عباس .	٢٩٠	٣٩٣
خطبة عبد الله بن جعفر .	٢٩١	٣٩٣
خطبة علي .	٢٩٢	٣٩٤
خطبة عبد الله بن عباس .	٢٩٣	٣٩٤
خطبة علي .	٢٩٤	٣٩٥
خطبة علي .	٢٩٥	٣٩٦
خطبة معاوية .	٢٩٦	٣٩٧
وصية معاوية لعمر بن العاص .	٢٩٧	٣٩٧
خطبة محمد بن أبي بكر .	٢٩٨	٣٩٨
خطبة محمد بن أبي بكر .	٢٩٩	٣٩٨
خطبة علي وقد استصرخه محمد بن أبي بكر .	٣٠٠	٣٩٩
خطبة علي وقد بلغه مقتل محمد بن أبي بكر .	٣٠١	٤٠٠

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
فتنة الخوارج		٤٠١
مناظرة عبد الله بن عباس لهم .	٣٠٢	٤٠١
مناظرة الإمام علي لهم .	٣٠٣	٤٠٢
صورة أخرى .	٣٠٤	٤٠٤
مناظرة ابن عباس لهم .	٣٠٥	٤٠٦
خطبة يزيد بن عاصم المحاربي .	٣٠٦	٤٠٨
خطبة عبد الله بن وهب الراسبي .	٣٠٧	٤٠٨
خطبة حرقوص بن زهير السعدي .	٣٠٨	٤٠٩
خطبة حمزة بن سنان الأسدي .	٣٠٩	٤٠٩
خطبة شريح بن أوفى .	٣١٠	٤١٠
مقال زيد بن حصين الطائي .	٣١١	٤١١
خطبة علي في تخويف أهل النهروان .	٣١٢	٤١٢
صورة أخرى .	٣١٣	٤١٤
خطبة المستورد بن علفة .	٣١٤	٤١٥
خور أصحاب الإمام وتفاعسهم عن نصرته		٤١٧
خطبة عبد الله بن عباس في أهل البصرة .	٣١٥	٤١٧
خطبة الإمام وقد أراد الانصراف من النهروان .	٣١٦	٤١٨
مقال الأشعث بن قيس .	٣١٧	٤١٨
خطبة الإمام علي بالكوفة بعد قدومه من حرب الخوارج يستنصر الناس لقتال معاوية .	٣١٨	٤١٩
خطبة له، أيضا في استنصارهم لقتال معاوية .	٣١٩	٤٢٠
صورة أخرى .	٣٢٠	٤٢١
خطبة أبي أيوب الأنصاري .	٣٢١	٤٢٣
خطبة الإمام وقد أغار النعمان بن بشير على عين التمر .	٣٢٢	٤٢٤
صورة أخرى .	٣٢٣	٤٢٤

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة الإمام وقد أغار الضحاك بن قيس على الحيرة .	٢٢٤	٤٢٥
خطبة الإمام وقد أغار سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار .	٣٢٥	٤٢٧
خطبة للحسن بن علي في يوم الجمعة .	٣٢٦	٤٢٠
خطبة معاوية وقد بلغه هلاك الأشتر .	٣٢٧	٤٣٠
فتنة البصرة		٤٣٢
خطبة عبد الله بن عامر الحضرمي .	٣٢٨	٤٣٣
خطبة الضحاك بن عبد الله الهاللي .	٣٢٩	٤٣٣
خطبة عبد الرحمن بن عمير القرشي .	٣٣٠	٤٣٤
خطبة زياد بن أبيه .	٣٣١	٤٣٥
خطبة شيان الأزدي .	٣٣٢	٤٢٦
خطبة صبرة بن شيمان .	٣٣٣	٤٢٦
خطبة الإمام علي .	٣٣٤	٤٢٦
خطبة أعين بن ضبيعة .	٣٣٥	٤٣٨
خطبة جارية بن قدامة .	٣٣٦	٤٣٨
خطبة زياد :	٣٣٧	٤٣٩
خطبة أبي صبرة شيمان .	٣٣٨	٤٤٠
خطبة صبرة بن شيمان .	٣٣٩	٤٤٠
خطبة خنفر الحماني .	٢٤٠	٤٤١
صعصعة بن صوحان ومعاوية .	٣٤١	٤٤١
صورة أخرى .	٣٤٢	٤٤٣
تتمة في الحكم :	٣٤٣	٤٤٦
خطب الوفرد بين يدي عمر بن الخطاب		٤٤٩
خطبة هلال بن بشر .	٣٤٤	٤٤٩
خطبة زيد بن جبلة .	٣٤٥	٤٤٩
خطبة الأحنف بن قيس .	٣٤٦	٤٥٠
خطبة الأحنف بن قيس .	٣٤٧	٤٥٠

فهرس أعلام الخطباء

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إتباع اسم كل خطيب بأرقام الصفحات التي وردت فيها خطبه

الأحنف بن قيس : ٣٨١ - ٣٨٨ - ٤٥٠

الأشتر النخعي : ٣٠٤ - ٣١٥ - ٢٥٩
٣٦٠ - ٢٦١ - ٣٨٣

الأشعث بن قيس الكندي : ٤٧ - ٣٠٩
٣٥٨ - ٣٨٣ - ٤١٨

أعين بن ضبيعة : ٤٣٨

أكثم بن صيفي : ٣٧ - ٥٦ - ١٣٠
١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١١٦

١٥٩

أمامة بنت الحرث : ١٤٥

أم الخير بنت الحرث : ٢٦٩

امرؤ القيس : ٣٦

أوس بن حارثة : ١١٩

(ب)

بسطام الشيباني : ٤٧

بشير بن سعد : ١٧٧

بشير بن عمرو : ٣٢٨

(١)

أبو أيوب الأنصاري : ٤٢٣

أبو بكر الصديق رضي الله عنه : ١٧٤

١٧٥ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١

١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥

١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩

١٩٠ - ١٩٢ - ١٩٥ - ١٩٦

١٩٧ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١

٢٠٥ - ٢٠٦

أبو زيد الطائي : ٢٨١

أبو الدرداء : ٢٦٢

أبو زينب بن عوف : ٣١٨

أبو سفیان : ٢٠٥

أبو طالب بن عبدالمطلب : ٧٧ - ١٦١

أبو عبيدة بن الجراح : ٢٠٣ - ٢٤٩

٢٥٧

أبو موسى الأشعري : ٢٩٥ - ٢٩٦

٢٩٧ - ٢٩٠

أبو الهيثم بن التيهان : ٣٥٢

(خ)

خالد بن جعفر الكلابي : ٦٠
خالد بن سعيد بن العاص : ١٩٢ - ١٩٤
خالد بن معمر : ٣٦٣ - ٣٧٦
خالد بن الوليد : ١٨٨ - ٢٠٢ - ٢٥٠ -
٢٥٢

خنافر بن التوعم : ٨٨
خنثر بن عبيدة : ٣٦٤ -
الخنساء : ٢٣١
خنفر الحماني : ٤٤١

(د)

دريد بن الصمة : ١٧٠
دويد بن زيد : ١٢٤

(ذ)

ذوالأصبع العدواني : ١٢٠
ذوالكلاع الحميري : ١٩٣ - ٣٤٠

(ر)

ربعي بن عامر : ٢٤٢

(ز)

زبراء الكاهنة : ١١٠
الزبير بن العوام : ٢٦٧
الزرقاء بنت عدى : ٣٧٣
زفر بن زيد : ٢٩٠
زفر بن قيس : ٣٠٧
زهير بن جناب الكلبي : ١٢٦
زياد بن أبيه : ٤٣٥ - ٤٣٩
زياد بن كعب : ٣٠٨
زياد بن النضر : ٣١٩

(ث)

ثابت بن قيس بن الشماس : ١٦٣

(ج)

جارية بن قدامة : ٤٣٨
جرير بن عبد الله البجلي : ٢٢٩ -
٣٠٨ - ٣٠٩

جعادة بن أفلح : ١٨

الجمانة بنت قيس : ١٤١

(ح)

حاجب بن زرارة : ٤٨ - ٥٧

الحارث بن ذبيان : ١٣ - ١٦

الحارث بن ظالم المري : ٦٣

الحارث بن عباد : ٥٧

الحارث بن كعب : ١٢٢

الحباب بن المنذر : ١٧٦

حبيب بن مسلمة : ٢٣٥

حجر بن عدى : ٣٢٢

حذيفة بن بدر الفزاري : ٤٦

حرب بن أمية : ١٠٠

حرقوص بن زهير : ٤٠٩

حريث بن جابر : ٣٧٦

الحسن بن علي : ٢٩٣ - ٢٩٩ - ٣٢٥ -

٣٩٢ - ٤٣٠

الحسين بن علي : ٣٢٥

حصن بن حذيفة : ١٢٩

الحصين بن المنذر : ٣٧٧

حمزة بن سنان : ٤٠٩

حممة بن رافع الدوسي : ١٨

(ص)

صبرة بن شيمان ٤٣٦ - ٤٤٠
صمصعة بن صوحان : ٣٨٠ - ٤٤١ -
٤٤٣

(ض)

الضحاك بن عبدالله الهلالي : ٤٣٣
ضمرة بن ضمرة : ٦٦

(ط)

طريف بن العاصي : ١٣ - ١٦
طريقة الكاهنة : ١٠٥
طلحة بن عبيد الله : ٢٣٥ - ٢٨٦
طليحة بن خويلد الأسدي : ٢٣٠
طهفة بن أبي زهير النهدي : ١٦٥

(ظ)

ظبيان بن حداد : ١٦٧

(ع)

عائشة رضي الله عنها : ٢٠٧ - ٢١٠ -
٢٨٦ - ٣٠٥ - ٣٠٦
عاصم بن عمرو : ٢٣٠
عامر بن جوين : ٢٧
عامر بن الطفيل : ٤١ - ٦٢
عامر بن الظرب : ١٨ - ١٩ - ١٢٣
عبادة بن الصامت : ٢٦١
العباس بن عبدالمطلب : ٢٦٣
عبدالرحمن بن الحرث : ٣٨٤
عبدالرحمن بن عمير : ٤٣٤
عبدالرحمن بن عوف : ١٩١ - ٢٦٦

زيد بن جبلة : ٤٤٩

زيد بن حصين الطائي : ٣١٨ - ٤١١
زيد بن صوحان : ٢٩٧

(س)

سبيع بن الحرث : ١١
سطيح الذئبي : ٩١ - ٩٤ - ٩٧
سعد بن أبي وقاص : ٢٢٩ - ٢٣٣ -
٢٦٨

سعد بن عبادة : ١٧٣
سعيد بن العاص : ٢٧٨
سعيد بن عبيد الطائي : ٢٩٢
سعيد بن قيس : ٣٥٤
سفانة بنت حاتم : ١٦٩
سفيان بن ثور : ٣٧٦
سلمى الهمدانية : ١١٣
سهل بن حنيف : ٣١٤
سواد بن قارب : ٨٢
سيحان بن صوحان : ٢٩٨

(ش)

شافع بن كليب الصدفي : ٩٠
شيث بن ربيعي : ٣٢٩
شداد بن أوس : ٢٦١
شرحبيل بن السمط : ٣٩٠
شريح بن أوفى : ٤١٠
شريح بن هاني : ٣٨٧
الشعثاء الكاهنة : ١٠٣
شق أنمار : ٩٣ - ٩٧
شيمان الأزدي : ٤٣٦ - ٤٤٠

علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

٢٢٤ - ٢٣٦ - ٢٦٩ - ٢٨٥ -

٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٠١ -

٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٥ -

٣١٢ - ٣١٤ - ٣١٦ - ٣١٤ -

٣٢٦ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ -

٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥٣ -

٣٦٢ - ٣٧٥ - ٣٨٢ - ٣٩١ -

٣٩٤ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٩ -

٤٠٠ - ٤٠٢ - ٤٠٢ - ٤١٢ -

٤١٤ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ -

٤٢١ - ٤١٤ - ٤٠٥ - ٤٢٧ -

٤٢٦

عمار بن ياسر : ٢٩٤ - ٢١٣ - ٣٥٧ -

٣٨٤

عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ١٧٦ -

١٩٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ -

٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٧ - ٢١٨ -

٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ -

٢٢٤ - ٢٠٥ - ٢٢٧ - ٢٢٨ -

٢٢٣ - ٢٤٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ -

٢٦١

عمرو بن الأدهم : ١٦٤

عمرو بن الحمق : ٣٢١ - ٣٨٣

عمرو بن الشريد : ٥٩

عمرو بن العاص : ٢٠٤ - ٢٥٤ -

٣٣٩ - ٣٨٩ - ٣٩١

عمرو بن كلثوم : ٣٧ - ١٢١

عمرو بن معد يكرب الزبيدي : ٦٣

عبد الله بن بديل بن ورقاء : ٢٢٠ -

٣٥٢

عبد الله بن جعفر : ٣٩٣

عبد الله بن حجل : ٣٨٠

عبد الله بن الزبير : ٢٧٨

عبد الله بن عامر الحضرمي : ٤٣٣

عبد الله بن عباس : ٣٢٦ - ٢٥٠ -

٣٨٧ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٤٠١ -

٤٠٦ - ٤١٧

عبد الله بن مسعود : ٢٨٠

عبد الله بن رهب : ٤٠٨

عبد المطالب بن هاشم : ٧٦ - ١٠٠ -

١٠١

عتبة بن غزوان : ٢٣٢

عثمان بن أبي العاص : ٢٤٤

عثمان بن حنيف : ٣٧٧

عثمان بن عفان رضي الله عنه : ٢٣٥ -

٢٦٧ - ٢٧٠ - ١٧١ - ٢٧٢ -

٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ -

عجفاء بنت علقمة : ١١٤

عدي بن حاتم : ٢٨٩ - ٣١٧ - ٣٣١ -

٣٧٩ - ٣٨٢

عزى سلمة : ٩٨

عصام الكندي : ١٤٢

عطارد بن حاجب بن زرارة : ١٦٣

عقيراء الكاهنة : ١١٥

عقبة بن حديد النعمري : ٣٦٣

عكرشة بنت الأطرش : ٣٦٨

علقمة بن علاثة : ٤١ - ٦٠

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : ١٤٧ -

١٤٨ - ١٤٩ - ١٥١ - ١٥٢ -

١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٨ -

١٦٦

مخالس بن مزاحم : ٦٤

مرة بن ذهل : ٤٠

مرثد الخير : ١٠ - ١٢

المستورد بن علفة : ٤١٥

مصاد بن مذعور القيني : ٨٦

معاذ بن جبل : ٢٠٤ - ٢٤٦ - ٢٥٨ -

٢٥٩ - ٢٦٠

معاوية بن أبي سفيان : ٣١٠ - ٣٢٧ -

٣٢٩ - ٣٣١ - ٣٣٩ - ٣٦٥ -

٣٨٩ - ٣٩٧ - ٤٣٠

المغيرة بن زرارة : ٢٤٠

المغيرة بن شعبة : ٢٤٢ - ٢٤٣ -

الملبب بن عوف : ١٧

المنذر بن الجارود : ٣٨١

مهلهل بن ربيعة : ٤٠

ميثم بن مثوب : ١١

(ن)

النعمان بن بشير : ٣٦٦

النعمان بن ثواب العبدي : ١٢٦

النعمان بن مقرن : ٢٣٧ - ٢٣٩ -

النعمان بن المنذر : ٥١

نفييل بن عبد العزى :

عمير بن حبيب : ١٧١

عمير بن عطار : ٣٨٢

عوف بن ربيعة الأسدي : ٧٩

(ق)

قاصر بن سلمة : ٦٤

قبيصة بن نعيم : ٣٤

قس بن ساعدة : ٣٨ - ٣٩

القعقاع بن عمرو : ٢٩٨ - ٢٩٩ -

قيس بن خفاف البرجمي : ٣٢

قيس بن رفاعة : ٣٢

قيس بن زهير : ١٢٧

قيس بن سعد بن عبادة : ٢٨٥ - ٣١٣ -

٣٦٧

قيس بن عاصم السعدي : ٤٩

قيس بن عاصم المنقري : ١٧١

قيس بن مسعود الشيباني : ٦١

(ك)

كاهن بن الحارث بن كعب : ٨٠

كاهن ذو الخليفة : ١١٢

الكاهن الخزاعي : ٧٨

الكاهن البني : ٨١

كردوس بن هاني : ٣٧٥

كعب بن اوى : ٧٣

(ل)

لبيد بن ربيعة : ٦٧

(م)

المأمون الحارثي : ٣٩

مالك بن نمط : ١٦٨

المثنى بن حارثة الشيباني : ٢٢٢

محمد بن أبي بكر : ٣٩٨

(و)

الوليد بن عقبة : ٢٧٧

(ى)

يزيد بن أبي سفيان : ٢٦٢

يزيد بن أسد البجلي : ٣٤٣

يزيد بن عاصم المحاربي : ٤٠٨

يزيد بن قيس : ٣١٩ - ٣٣٢ - ٣٥٥

(هـ)

هاشم بن عبد مناف : ٧٤ - ٧٥

هاشم بن عتبة : ٣١٢ : ٣٢٢ - ٣٥٦

هاني بن قبيصة الشيباني : ٣٧

هلال بن بشر : ٤٤٩

هند بنت الحس الإيادية : ٦٨

